

مَعَ الصَّبَا

في

شَرَحَ تَمَجُّدِ الْبَلَاغَةِ

تأليف

العلامة المحقق الشيخ محمد بن محمد بن الحسين

دامت له

المجلد الرابع عشر

Princeton University Library



32101 047142474

هَذَا الصَّبَا
فِي
شَرْحِ نَجْمِ الْبِلَاقَةِ

تَأْيِيفُ

الْعَلَامَةِ الْمُخَفِيُّوَالْحَاجِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ
زَامِظَلَهُ

(الجزء الرابع عشر)

(RECAP)

2264

.1067

.955

.2

juz' 14.

مطبعة الخيام - قطر

(٥١٤٠٠)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف
النبيين وأفضل المرسلين ، وعلى آله وأصحابه الميامين ،
الى يوم الدين .

الفصل الزايع والعشرون

في حلقه عليه السلام وتعليمه احلاف الظالم وتقيته

١/٢٧٧/٣ وقال عليه السلام: لا والذي أمسينا منه في غير ليلة

دهماء تكشر عن يوم اغر ماكان كذا وكذا .

(لا والذي) الذي يظهر من استعمالات لغة العرب في مثل كلامه عليه السلام من كون الجواب منفياً لزوم زيادة لا في أول القسم ايذاناً بكون الجواب منفياً ، قال تعالى «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم» وقالوا قسم العرب « لا بذي تسلم ماكان كذا وكذا » قال ابن السكيت : وتأويله : لا والله الذي يسلمك ماكان كذا وكذا . وقال الجوهري : قولهم «لا والذي أخرج النار من الوثيمة» أي من الصخرة . وفي تنبيه البكري على أوهام القالي تقول العرب « لا والذي أخرج قايبة من قوب » صوابه «قوباً من قايبة» أي فرخاً من بيضة ، وقال الشاعر:

فلا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني أفر
وقال ابن نهشل :

فلا و ابيك لا انساك حتى تجاوب هامتي في القبرها ما
وقال أعرابي أغير على ابله - كما في العيون :

لا والذي أنا عبد فسى عبادته لولا شماتة أعداء ذوي احن
ما سرنى ان ابلى فى مباركها وان شيئاً قضاء الله لم يكن
ولدعبل فى بخيل :

صدق آليته أن قال مجتهداً لا والرغيف فذاك البر من قسمه
وقال جبان :

لا والذي منع الابصار رؤيته ما يشتهى الموت من له ارب
وقال امية بن حرثان :

فلا و ابيك ما باليت وحدي

وقال عوف التيمي :

فلا و ابيك لا تكفى سهيلا

و قال عبد الله بن يزيد عامل ابن الزبير على الكوفة فسي سليمان بن صرد
وأصحابه لما طلبوا بدم الحسين عليه السلام : لا والذي هو ربهم لا يقتلهم عدوهم
حتى تشتد شوكتهم .

وقال المختار لما دعا الناس الى بيعته : فلا والذي جعل السماء سقفاً
محفوظاً والارض فجاجاً سبلا ما بايعتم بعد بيعة علي «ع» وآل علي بيعة أهدي
منها .

وفى خبر نفي عمر لنصر بن الحجاج ولابى ذؤيب ابن عم نصر لافتتان
النساء بجمالهما - قال عمر لنصر: لا والله لا تساكنني بأرض أنا بها . ولابى

ذؤيب : لا والذي نفسى بيده لا تجامعنى بأرض أبداً .

و في خبر أبى طلحة الانصاري الذي وكلته عمر باجراء دستوره في ستة الشورى الى ثلاثة أيام فان لم يقبلوه يضرب اعناقهم : لا و انذي ذهب بنفس محمد لا أزيدكم على الايام الثلاثة التي أمر بها عمر .

وكان عمرو بن العاص وصف البحر لعمر فقال له : راكب البحر كدود على عود ، فلما استأذنه لغزو البحر قال : لا والذي بعث محمداً لا أحمل فيه مسلماً أبداً .

وفي أذكىء ابن الجوزي عن اعرابى قال : اسرت طي شاباً ، فقدم أبوه وعمه ليفدياه ، فاشتطوا عليهما في الفداء ولم يرضوا بما أعطى أبوه ، فقال : لا والذي جعل الفرقدين يصبحان ويمسيان على جبل طي لا أزيدكم على ما أعطيتكم ثم انصرف مع أخيه وقال له : لقد ألقيت الى ابني كلمة لئن كان فيه خير لينجون ، فما لبث أن جاء وطرده قطعة من أبلهم - كان قال له الزم الفرقدين على جبل طي فانهما طالعان عليه ولا يغيبان عنه .

كما أن المفهوم من استعمالاتها في مثل قوله تعالى «تالله تفتوء تذكريوسف» حذف «لا» من الجواب المنفي المستقبل ، كقول امرئ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولوقطعوارأسي لديدك وأوصالي
وقول الهذلي :

تالله يبقى على الايام ذوحيد بمشمخر به الظبيان والأس
وقول رجل نزل على امرأة من بنى ثعلبة بن يربوع :

فانى امرؤ أعطيت ربي ألية أرى زانياً ملاح لي وضح الفجر
وقول ليلى الاخيلية في رثاء توبة :

فتالله تبسنى بيتها أم عاصم على مثله احدى اللبالي الغوابر

أيضاً :

فأقسمت أبكي بعد توبة هالكاً واحفل من نالت صروف المقادر
وقول عتاب بن ورقاء الشيباني للمأمون :

آليست أشرب راحاً ما حجج الله ركب

وبالجملة في كلام العرب خصوصيات لم ينبئه على كثير منها أئمة الادب
كما ههنا ، ومنها استعمال السمع بمعنى الاسماع اذا جاء مع الداع ، كقول
عمر بن معديكرب :

أمن ريحانة الداعي السميع

وفي الخطبة (١١٠) من النهج «دعا اليها أسمع داع» ومنها عدم مجيء
فاعل «ماراعني» الا جملة بعد «الا» ، ونبه عليه المغني كقوله :

فما راعني الايسير بشرطة وعهدى به قين يفش بكبير

(أمسينا منه في غبّر) أي بقايا (ليلة دهماء) أي مظلمة سوداء (تكشر) من كشر
البعير عن نابه ، أي كشف عنها و«كشر الرجل» بدت منه الاسنان (عن يوم أغر)
أي أبيض (ماكان كذا وكذا) .

قال «حد» بعد العنوان : هذا الكلام اما أن يكون قاله عليه السلام على جهة
التفأل او أن يكون اخباراً بالغيب ، والاول أوجه .

قلت : ليس بتفأل ولا اخباراً بالغيب بل يميناً على نفي وقوع شيء معهود
فيما مضى ، وانما كان محتملاً للاخبار عن غيب لو كان بلفظ «ما يكون كذا وكذا»
وكيف كان فأخذ حلفه عليه السلام اسمعيل بن عبدالله فحلف لرجل في آخر
يوم من شعبان فقال «لا والذي أنا في غبّر يوم عظيم منه وتلقاء ليلة تفتت عن أيام
عظام ماكان مابلغك هكذا» .

هذا ، وفي الخبر : ان يمين النبي «ص» كان «لاومقلب القلوب» ، وقالوا

كان حكيم بن حزام اذا اجتهد فى يمينه قال «لاوالذي نجاني يوم بدر» .
وفى تاريخ يعقوبى : كان شبت وقومه اذا أراد أحدهم أن يحلف قال «لا
ودم هابيل» .

هذا ، ومن حلف الاخطل وجرير مافي العقد : ان جريراً وفدعلى عبدالملك
وعنده الاخطل ، فقال عبدالملك للاخطل : أتعرفه . قال : لا . قال : هذا جرير
فقال الاخطل له : والذي عرفنى اعيار أمك ماعرفتك . فقال له جرير : والذي
أعمى بصيرتك وادامخزيتك لقد عرفتك بسيماك سيما أهل النار . والظاهر كون
قول الاخطل «اعيار أمك» اشارة الى اشتهاجر جرير بابن المراغة .

٣/٢٥٣/٢ وكان عليه السلام يقول : احلفوا الظالم اذا أردتم
يمينه بأنه برىء من حول الله وقوته ، فانه اذا حلف بها كاذباً
عوجل العقوبة ، واذا حلف بالله الذى لا اله الا هو لم يعاجل
لانه قد وحد الله تعالى .

أقول : فى مروج المسعودي قال الفضل بن الربيع : صار الي عبدالله بن
مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير ، فقال : ان موسى بن عبدالله بن الحسن بن
الحسن بن علي قدأرادنى على البيعة له ، فجمع الرشيدبينهما فقال الزبيرى لموسى
سعيتم علينا وأردتم نقض دولتنا . فالتفت اليه فقال : ومن أنتم ؟ فغلب الرشيد
الضحك حتى رفع رأسه الى السقف حتى لا يظهر منه ، ثم قال موسى للرشيد :
هذا الذى يشنع علي بالخروج خرج والله مع أخي محمد بن عبدالله بن الحسن
على جدك المنصور ، وهو القائل من أبيات :

قوموا ببيعتكم نهض بطاعتنا ان الخلافة فيكم يابنى حسن
فى شعر طويل ، وليس سعايته حبألك ولا مراعاة لدولتك ولكن بغضاً لنا
جميعاً أهل البيت ، ولو وجد من ينتصر به علينا جميعاً لكان معه ، وقد قال باطلا

وأنا مستحلفه فان حلف اني قلت ذلك فدمي لك حلال . فقال الرشيد : احلف له يا عبد الله . فلما اراده موسى على اليمين تلكاً وامتنع ، فقال له الفضل : لم تمتنع وقد زعمت آناً أنه قال لك ما ذكرته ؟ قال : أحلف . قال له موسى : قل «تقلدت الحول والقوة دون حول الله وقوته الى حولي وقوتي ان لم يكن ما حكيتة عنه حقاً» فحلف له . فقال موسى : الله اكبر حدثني أبي عن جدي عن جده علي «ع» عن النبي «ص» قال : ما حلف أحد بهذه اليمين وهو كاذب الا جعل الله له العقوبة قبل ثلاث - ما كذبت ولا كذبت وها أنا في قبضتك فان مضت ثلاثة أيام ولم يحدث علي عبد الله بن مصعب حادث فدمي لك حلال . فقال الرشيد للفضل : خذ بيد موسى فليكن عندك حتى أنظر في أمره .

قال الفضل : فوالله ما صليت العصر من ذلك اليوم حتى سمعت الصراخ من دار عبد الله بن مصعب ، فأمرت من يتعرف خبره فعرفت أنه قد أصابه الجذام وأنه قد تورم واسود ، فصرت اليه فوالله ما كدت أعرفه لانه قد صار كالزق العظيم ثم اسود حتى صار كالفحم ، فصرت الى الرشيد فعرفته خبره فما انقضى كلامي حتى أتى خبر وفاته ، فبادرت بالخروج وأمرت بتعجيل أمره والفرار منه وتوليت الصلاة عليه ، فلما دلوه في حفرته لم يستقر فيها حتى انخسفت به وخرجت منه رائحة مفرطة النتن ، فرأيت أحمال شوك تمر في الطريق ، فقلت علي بالواح ساج فطرحت علي موضع قبره ثم طرح التراب عليها وانصرفت الى الرشيد فعرفته الخبر ، فأكثر التعجب وأمرني بتخليئة مسوسى وان أعطيه ألف دينار ، واحضره وقال له : لم عدلت عن اليمين المتعارفة بين الناس ؟ قال : لانا روينا عن جدنا علي «ع» انه قال : من حلف بيمين مجد الله تعالى فيها استحيى الله من تعجيل عقوبته ، وما من أحد حلف بيمين كاذبة نازع الله فيها حوله وقوته الا جعل الله له العقوبة قبل ثلاث . قال المسعودي : وقيل ان صاحب هذا

الخبر هو يحيى بن عبدالله أخو موسى .

وروى أبو الفرج وابن بابويه كون صاحب القصة يحيى ، فروى الاول في مقاتله - ونقله «حد» أيضاً - ان يحيى بن عبدالله بن الحسن لما آمنه الرشيد بعد خروجه بالديلم وصار اليه بالغ في اكرامه ، فسعى به بعد مدة عبدالله بن مصعب الزبيري الى الرشيد - وكان يبغضه - وقال له : انه عاد يدعو الى نفسه سراً وحسن له نقض أمانه ، فأحضره وجمع بينه وبين عبدالله بن مصعب لينظره فيما رعه اليه ، فجهه ابن مصعب بحضرة الرشيد وادعى عليه الحركة في الخروج فقال يحيى للرشيد : أتصدق هذا علي وهو ابن عبدالله ابن الزبير الذي أدخل اباك عبدالله وولده الشعب وأضرم عليهم النار حتى خلصه أبو عبدالله الجد لي صاحب علي «ع» منه عنوة ، وهو الذي ترك الصلاة على النبي «ص» أربعين جمعة في خطبته فلما التاث عليه الناس قال : ان له أهيل سوء اذا صليت عليه أو ذكرته اتلعوا أعناقهم واشربوا لذكركه فأكره ان أسرهم أو أقر اعينهم ، وهو الذي كان يشتم أباك ويلصق به العيوب وحسى ودك كبده ، ولقد ذبحت بقرة يوماً لابيك فوجد كبدها سوداء قد تفتت فقال علي ابنه : أما ترى كبد هذه يا ابيه . فقال : هكذا يابني ترك ابن الزبير كبد أبيك ، ثم نفاه الى الطائف فلما حضرته الوفاة قال لعلي : يابني اذا مت فالحق بقومك من بني عبد مناف بالشام ولا تقم في بلد لابن الزبير فيه امرأة ، فاختر له صحبة يزيد بن معاوية على صحبة عبدالله بن الزبير ، ووالله ان عداوة هذالنا جميعاً سواء ، ولكنه قوى علي بك وضعف عنك فتقرب بي اليك ليظفر منك في بما يريد اذلم يقدر على مثله منك ، وما ينبغي لك أن تسوغه على ذلك في فان معاوية بن ابي سفيان - وهو أبعد نسباً منك الينا - ذكر يوماً الحسن بن علي عليه السلام فسبه فساعده عبدالله بن الزبير ، فانتهره معاوية فقال له ابن الزبير : انما ساعدتك . فقال معاوية : ان الحسن لحمي آكله ولا أوكله ، ومع هذا فهو الخارج

مع أخي محمد على أبيك المنصور والقائل لآخي في قصيدة طويلة يحترض
فيها أخي ويمدحه منها :

لا عز ركنا نزار عند سطوتها ان أسلمتكم ولاركنا ذوي يمن
ألست اكرمهم عوداً اذا انتسبوا يوماً وأطهرهم ثوباً من الدرر
وأعظم الناس عند الناس منزلة وأبعد الناس من عيب وهن
قوموا ببيعتمكم نهض بطاعتنا ان الخلافة فيكم يا بني حسن
الى أن قال :

وتنقضى دولة أحكام قادتها فينا كحكام قوم عابدى وثن
فطالما قد برى الجور أعظمنا بري الصناعات قدام النبع للسفن

فتغير وجه الرشيد عند سماع هذا الشعر وتغيظ على ابن مصعب فابتدأ ابن
مصعب يحلف بالله الذي لا اله الا هو ، وبايمان البيعة ان هذا الشعر ليس له وأنه
لسديف ، فقال يحيى : والله ما قاله غيره وما حلفت كاذباً ولا صادقاً قبل هذا ، وان
الله عز وجل اذا مجده العبد في يمينه فقال « والله الطالب الغالب الرحمن الرحيم »
استحى ان يعاقبه فدعني أحلفه بيمين ما حلف بها أحد قط كاذباً الا عوجل .

قال : فحلفه قال قل « برئت من حول الله وقوته ، واعتصمت بحولي وقوتي ،
وتقلدت الحول والقوة من دون الله ، استكباراً على الله واستعلاء عليه واستغناء
عنه ان كنت قلت هذا الشعر » ، فامتنع فغضب الرشيد وقال للفضل بن الربيع :
ماله لا يحلف ان كان صادقاً فهذا طيلسانى علي وهذه ثيابى لو حلفني بهذه اليمين
انها لي لحلفت ، فوكز الفضل عبد الله برجله - وكان له فيه هوى - وقال له :
احلف ويحك ، فجعل يحلف ووجهه متغير وهو يرعد ، فضرب يحيى بين كتفيه
وقال له : يا ابن مصعب قطعت عمرك لن تفلح بعدها أبداً . فما برح عن موضعه
حتى عرض له أعراض الجذام استدارت عينه وتفقا وجهه وقام الى بيته فتشقق

لحمه وانتثر شعره ومات بعد ثلاثة أيام ، فلما جعل في القبر انخسف به حتى خرجت منه غبرة شديدة وجعل الفضل يقول التراب التراب فيطرح وهو يهوى حتى سقف بخشب ولم عليه ، فكان الرشيد بعد ذلك يقول للفضل : ما أسرع ما أدبل لي يحيى من ابن مصعب .

وروى عيون ابن بابويه عن علي بن محمد النوفلي قال : استحلف الزبير ابن بكار رجل من الطالبين على شيء بين القبر والمنبر ، فحلف فبرص فأنا رأيت به وبساقيه وقدميه برص كثير ، وكان أبوه بكار قد ظلم الرضا عليه السلام في شيء فدعا «ع» عليه فسقط في وقت دعائه عليه من قصر فاندقت عنقه .

وأما عبدالله بن مصعب فإنه مزق عهد يحيى بن عبدالله بين يسدي الرشيد وقال له : أقتله فإنه لأمان له . فقال يحيى للرشيد : خرج مع أخي بالامس - وأنشده اشعاراً له فأنكرها - فحلفه يحيى بالبراءة وتعجيل العقوبة ، فحم من وقته ومات بعد ثلاث وانخسف قبره مرات .

وكيف كان ففعل ذلك قبله الصادق عليه السلام ، احلف من سعى به السي المنصور بيمين البراءة فعجل الله له النعمة ، ففي فصول ابن الصباغ المالكي عن الفضل بن الربيع قال : حج المنصور سنة (١٤٧) وقدم المدينة فقال لابي أبعث الى جعفر بن محمد من يأتينا به سعياً ، قتلني الله ان لم أقتله ، فتغافل ربيع عنه فأعاد عليه في اليوم الثاني وأغلظ له ، فأرسل فلما حضر قال له : انه أرسل اليك بما لا دافع له غير الله واني أتخوفه عليك . فقال : لاحول ولا قوة الا بالله فأدخل عليه قال له : يا عدو الله اتخذك أهل العراق اما ماً يجبون اليك زكاة أموالهم تلحد في سلطاني وتبتغي لي الغوائل ، ان فلاناً أخبرني عنك بما قلت فقال : أحضره فأحضره وقال له : أحق ما حكيت لي عن جعفر ؟ قال : نعم . قال عليه السلام : فاستحلفه ، فبدر الرجل وقال : والله الذي لا اله الا هو - وأخذ

يَعَدُّ صفاته تعالى - فقال عليه السلام : ليحلف بما أَسْتَحْلِفُه ويترك يمينه هذا .
فقال له المنصور : احلفه بما تختار . فقال «ع» له : قل «برئت من حول الله وقوته
والتجأت الى حولي وقوتي لقد فعل جعفر كذا وكذا» . فامتنع الرجل ، فنظر
اليه المنصور نظر منكر فحلف بها فما كان بأسرع من أن ضرب برجله الارض
وقضى ميتاً مكانه في المجلس . فقال المنصور : جروا برجله وأخرجوه لعنه الله
ثم قال : لا عليك يا أبا عبد الله انت البريء الساحة - الى أن قال - فقال الربيع
له «ع» : منعت الساعي بك ان يحلف يمينه وأحلفته أنت تلك اليمين . فقال :
ان في يمينه بتوحيد الله وتمجيده يؤخر العقوبة عنه ، وأحببت تعجيلها عليه
فأحلفته بما سمعت ، فأخذته الله لوقته .

وروى الكافي عن صفوان الجمال قال : حملت أبا عبد الله عليه السلام
الحملة الثانية الى الكوفة و المنصور فيها ، فلما أشرف على الهاشمية مدينة
المنصور نزل من الراحلة وركب بغلة شهباء ولبس ثياب بيض ، فلما دخل على
المنصور قال له : تشبهت بالانبياء . فقال «ع» : وأنى تبعدني من أبناء الانبياء .
فقال المنصور : لقد هممت ان أبعث الى المدينة من يعقر نخلها ويسب ذريتها .
فقال «ع» : ولم . فقال : رفع الي أن مولاك المعلى بن خنيس يدعوك ويجمع
لك الاموال . فقال «ع» : والله ما كان كذا . فقال المنصور : لست أرضى الا
بالطلاق و العتاق والهدى والمشي . فقال «ع» أبالانداد من دون الله تأمرني أن
أحلف من لم يرض بالله فليس من الله في شيء . فقال له المنصور : أفتفتقه علي .
فقال : و انى تبعدني من الفقه وانا ابن النبي . فقال : فاني أجمع بينك و بين
من سعى بك . قال : فافعل . فجاء الرجل وقال له «ع» : والله الذي لا اله الا هو
عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم لقد فعلت . فقال «ع» : و بلك تمجد الله
فيستحيى من تعذيبك ولكن قل «برئت من حول الله وقوته وألجأت الى حولي

وقوتي» ، فحلف بها الرجل فلم يستتمها حتى وقع ميتاً ، فقال له المنصور: لا أصدق عليك بعده .

هذا ، وفي الطبري حج الوليد بن عبد الملك وحج محمد بن يوسف من اليمن وحمل هدايا للوليد ، فقالت أم البنين للوليد : اجعل لي هدايا محمد بن يوسف فأمر بصرفها اليها ، فأرسلت رسلها اليه فيها فأبى وقال : حتى ينظر اليها الوليد فيرى رأيه - وكانت هدايا كثيرة - فقالت للوليد : انك أمرت بها أن تصرف الي ولا حاجة لي بها . قال : و لم ؟ قالت : بلغني أنه غضبها الناس وكلفهم عملها وظلمهم ، فحملها الي الوليد فقال له : بلغني أنك أصبتها غضباً . قال : معاذ الله ، فأمر فاستحلف بين الركن والمقام خمسين يميناً أنه ما غضب شيئاً منها ولا ظلم أحداً فيها ولا أصابها الا من طيب .

فحلف فقبلها الوليد ودفعها الي أم البنين ، فمات محمد بن يوسف باليمن أصابه داء تقطع منه .

وفي نسب قريش مصعب الزبيري اتهم بنو عبد مناف خدش العامري بقتل عمرو بن علقمة بن المطلب بن عبد مناف - وكان أجيبراً لخدش - خرج معه الي الشام ففقد خدش حبلاً فضرب عمرأ بعصى ، فمرض منها فكتب الي ابي طالب بخبره فمات منها فتحاكموا فيه الي الوليد بن المغيرة ، فقضى يحلف خمسون رجلا من بني عسامر بن لؤي عند البيت ما قتله خدش ، فحلفوا الا حويطب بن عبد العزيز ، فان أمه افتدت يمينه فيقال : انه ما حال عليهم الحول حتى ماتوا كلهم الا حويطباً وانقرض أولاد خدش .

وفي وزراء الجهشباري - في تحالف الامين والمأمون في الكعبة الايتناكتا ان جعفر البرمكي طالب الامين أن يقول «خذلني الله ان خذلت المأمون» ففعل ولما خرج الامين من البيت قال للفضل بن الربيع : أجد في نفسي ان أمري لا

يتم . فقال له : و لم ذاك - أعز الله الامير - قال : لاني كنت أحلف وانا أنوي
الغدر . فقال له : سبحان الله أفي هذا الموضوع . فقال له : هو ما قلت لك .

هذا ، وفي بعض كتب الادب ان أعرابيين اختصما الى بعض الولاية في
دين لاحدهما ، فجعل المدعى عليه يحلف بالطلاق و العتاق ، فقال المدعي :
دعني من هذه الايمان واحلف بما أقول لك ، قل «لا يترك الله لي خفاً يتبع خفاً
ولا ظلماً يتبع ظلماً وحتنسي من أهلي ومالي حت الورق من الشجر ان كان لك
قبلي هذا الحق» ، فلم يحلف وأعطاه حقه . والخف كناية عن الابل ، و الظلف
كناية عن البقر والشاة .

وفي يتيمة الثعالبي قال ابواسحق الصابي : طلب مني رسول سيف الدولة
وكان قدم الى الحضرة شيئاً من شعري وذكر أن صاحبه رسم له ذلك - فدافعته
أياماً ثم ألح علي وقت خروجه فأعطيته هذه الابيات :

ان كنت خنتك في الامانة ساعة فذممت سيف الدولة المحمودا
وزعمت أن له شريكاً في العلي وجحدته في فضله التوحيدا
قسماً لو أنني حالف بغموسها لغريم دين ما أراد مزيدا
فلما عاد الرسول الى الحضرة أخرج الي كيساً بختم سيف الدولة مكتوباً
عليه اسمي وفيه ثلثا مائة دينار .

وفي الاغاني قال محمد بن سلام : أنشدني ابن قنبر لنفسه :

صرمتمني ثم لا كلمتني أبداً ان كنت خنتك في حال من الاحوال
ولا اجترمت الذي منه خيانتكم ولا جرت خطرة منه علي بالي
فقلت وانا أضحك : يا هذا لقد بالغت في اليمين . فقال : هي عندي كذا
وان لم تكن عندك كما هي عندي .

وفي الطبري : غنى علوية بدمشق المأمون :

برئت من الاسلام ان كان ذا الذي أتاك به الواشون عني كما قالوا
ولكنهم لما رأوك سريعة الي تواصلوا بالنميمة واحتالوا
فقال له : لمن هذا الشعر؟ فقال : لقاضي دمشق . فقال : يا أبا اسحق أعزله ،
فما كنت أولي رقاب المسلمين من يبدأ في هزله بالبراءة من الاسلام . ثم قال :
يا علوية لاتقل «برئت من الاسلام» قل :

حرمت مناي منك ان كان ذا الذي أتاك به الواشون عني كما قالوا
وقالوا : كان بعض أهل البصرة يتشيع ويوافقه على مذهبه رجل فأودعه مالا
فجحده فاضطر الي أن قال لمحمد بن سليمان و سأله ان يحضره ويحلفه بحق
علي «ع» ففعل ذلك . فقال الرجل : أعز الله الامير هذا الرجل صديقي وهو أعز
علي وأجل من أن احلف بالبراءة من مختلف في ولايته وإيمانه ، ولكنني أحلف
له بالبراءة من المتفق على إيمانها وولايتها ما ابى بكر وعمر . فضحك محمد بن
سليمان والتزم المال وخلى عن الرجل .

وفي الاذكياء عن غلام ابن المزوق البغدادي زوجني مولاي جارية أحببتها
حبا شديداً وأبغضني بغضاً شديداً واحتمل تنافرها الي أن أضجرتني . فقلت لها
يوماً أنت طالق ثلاثاً ان خاطبتني بشيء الا خاطبتك بمثاه فقد أفسدك احتمالي
لك . فقالت في الحال «أنت طالق ثلاثاً بناتاً» فأبلست ولم أدر ما جيبها به خوفاً
ان أقول لها مثل ما قالت فتصير بذلك طالقاً مني ، فأرشدت الي ابي جعفر الطبري
فأخبرته بما جرى فقال : أقم معها بعد أن يقول لها «أنت طالق ثلاثاً ان أنا طلقتك»
فتكون وفيت بيمينك ولم تطلقها ولا تعاود الايمان . قلت : وهذا على مذهب
العامية .

وفي أخبار حكماء القفطي : لما تقرر الصلح بين عضد الدولة وابن عمه
بختيار عز الدولة ، تقدم بختيار الي ابي اسحق الصابي بانشاء نسخة يمين

فأنشأها واستوفى فيها الشروط حق الاستيفاء ، فلم يجد عضد الدولة مجالا في نكثها وألزمته الضرورة الحلف بها ، فلما عاد الى العراق وملكها حبس الصابى مدة طويلة .

هذا ، وكما علّم امير المؤمنين عليه السلام الناس احلاف الظالم كذلك علمهم احلاف الاخرس ، قال الصادق : سئل امير المؤمنين «ع» عن حلف الاخرس فقال : الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى بينت للامة جميع ماتحتاج اليه . ثم قال : ايتوني بمصحف فأتى به فقال للاخرس ماهذا ، فرفع رأسه الى السماء - أشار الى انه كتاب الله تعالى - ثم قال : ايتونى بوليّه فأتى بأخ له فأقعده الى جنبه ثم قال : يا قنبر عليّ بدأوة وصحيفة فأتاه بهما ثم قال لاخي الاخرس قل لاخيك بينك وبينه انه «علي» ، فقدم اليه بذلك ثم كتب عليه السلام «والله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الطالب الغالب الضار النافع المهلك المدرك الذى يعلم السر والعلانية ان فلان بن فلان المدعى ليس له قبل فلان بن فلان - يعنى الاخرس - حق ولا طلبه بوجه من الوجوه ولا بسبب من الاسباب ، ثم غسله وأمر الاخرس ان يشربه ، فامتنع فألزمه الدين . وكذا احلاف أهل الكتاب ، فروى الكافي أنه عليه السلام استحلف يهودياً بالتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام لكن في طريقه السكوني العامي . وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام : لا يحلف اليهودي ولا النصراني ولا المجوسي بغير الله ، ان الله تعالى يقول «فاحكم بينهم بما أنزل الله» . ويمكن حمل ذلك الخبر على جواز احلاف الكتابى بكتابه اذا كان ارتداعه به اكثر من ارتداعه بالحلف به تعالى .

(احلفوا الظالم) الى (عوجل العقوبة) هكذا في المصرية وليست كلمة «العقوبة» فى «حد» و«ثم» والخطية .

(واذا حلف) الى (لم يعاجل لانه قد وحد الله تعالى) هكذا فى المصرية

والصواب « سبحانه » كما في « حد » و « ثم » والخطية .

٢٧٢/٢ | وقال عليه السلام : لو قد استوت قدمي من هذه

المداحض لغيرت اشياء .

هكذا في المصرية « وحد » ولكن في « ثم » (في هذه المداحض)

وهو أصح .

وكيف كان فقال « حد » لسنانك أنه عليه السلام كان يذهب في الاحكام الشرعية والقضايا الى اشياء يخالف فيها أقوال الصحابة ، نحو قطعه السارق من رؤس الاصابع ، وبيعه أمهات الاولاد وغير ذلك وانما كان يمنعه من تغيير أحكام من تقدمه اشتغاله بحرب البغاة والخوارج ، والى ذلك يشير بالمداحض التي كان يؤمل استواء قدميه منها ، ولهذا قال لقضاته « افضوا كما كنتم تفضون حتى يكون للناس جماعة » .

قلت : تمثيله بقطع السارق من رؤس الاصابع وبيع أمهات الاولاد في غير محاه ، فان مذهبه « ع » ومذهب عترته ابقاء الابهام وقطع باقي الاصابع في السارق ، وأما أمهات الاولاد فعدم جواز بيعهن الا اذا كان مات مواليهن وكان ثمنهن ديناً ولم يخلفوا شيئاً سواهن .

وقوله « كان يمنعه من التغيير اشتغاله بحرب البغاة » في الجملة صحيح ، وقد قالت أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب لمعاوية كما في بلاغات أحمد ابن أبي طاهر البغدادي فيما قالت له « ودعانا أمير المؤمنين عليه السلام الى أخذ حقنا الذي فرض الله لنا فشغل بحربك عن وضع الامور مواضعها » ، الا أن الاصل والحقيقة كون أصحابه « ع » غير عارفين به ، فلولم تكن البغاة لم يتمكن عليه السلام أيضاً من تغيير ما أراد ، فروى روضة الكافي عن سليم بن قيس الهلالي أنه عليه السلام خطب فقال : سمعت النبي « ص » يقول « كيف أنتم اذا لبستمكم

فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، يجري الناس عليها ويتمخضونها سنة ،
فاذا غير منها شيء قيل قد غيرت السنة وقد أتى الناس منكراً» ثم أقبل عليه السلام
بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصته وشيعته - اليهم وقال : قد عملت الولاية
قبلي أعمالا خالفوا فيها النبي متعمدين لخلافه ناقضين لعهد مغيرين لسنته ،
ولو حملت الناس على تركها وحولتها الى مواضعها والى ما كانت فى عهد النبي
لتفرق عني جندي حتى أبقى وحدي أو مع قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي
وفرض امامتي من كتاب الله وسنة رسوله .

أرأيتم لو أمرت بمقام ابراهيم « ع » فرددته الى الموضع الذي وضعه فيه
النبي ، ورددت فذك الى ورثة فاطمة ، ورددت صاع النبي كما كان ، وأمضيت
قطائع أقطعها النبي لاقوام لم تمض لهم ولم تنفذ ، ورددت دار جعفر الى ورثته
وهدمتها من المسجد ، ورددت قضايا من الجور قضي بها ، ونزعت نساءً تحت
رجال بغير حق فرددتهن الى أزواجهن واستقبلت بهن الحكم فى الفروج والاحكام
وسبيت ذراري بني تغلب ، ورددت ما قسم من أرض خيبر ، ومحوت دواوين
العطاء وأعطيت كما كان النبي يعطي بالسوية ولم أجعلها دولة بين الاغنياء ، وألقيت
المساحة ، وسويت بين المناكح ، وأنفدت خمس الرسول كما أنزل الله وفرضه
ورددت مسجد النبي الى ما كان عليه . وسددت ما فتح من الابواب وفتحت ما
سد منه ، وحرمت المسح على الخفين ، وحددت على النبيذ ، وأمرت باحلال
المتعنين ، وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات ، وألزمت الناس الجهر
ببسم الله الرحمن الرحيم ، وأخرجت من أدخل مع النبي ممن كان أخرجه
وأدخلت من أخرج بعد النبي ، وحملت الناس على حكم القرآن فى الطلاق
وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها ، ورددت الوضوء والغسل والصلاة
الى مواقيتها وشرائعها ومواضعها ، ورددت أهل نجران الى مواضعهم ، ورددت

سبايا فارس وسائر الامم الى كتاب الله وسنة نبيه اذن لتفرقوا عني. والله لقد أمرت الناس ألا يجتمعوا في شهر رمضان الا في فريضة وأعلمتهم ان اجتماعهم في النوافل بدعة ، فتنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي : يا أهل الاسلام غيرت سنة عمرينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعاً .

الى أن قال : وما لقي أهل بيت نبي من أمته ما لقينا بعد نبينا « ص » ، والله المستعان على من ظلمنا .

وروى الجوهري في سقيفته - وقد نقله « حد » في موضع آخر - عن محمد ابن اسحاق قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي قلت : أرأيت علياً « ع » حين ولي أمر الناس كيف صنع في سهم ذوي القربى ؟ قال : سلك بهم طريق ابي بكر وعمر. قلت : وكيف ولم وأنتم تقولون ماتقولون . قال : أما والله ما كان أهله يصدرون الا عن رأيه . فقلت : فما منعه ؟ قال : كان يكره أن يدعى عليه مخالفة أبي بكر وعمر .

وروى أيضاً في زيادات سقيفته - وقد نقله « حد » في موضع آخر - عن سهل الساعدي قال : مشيت وراء علي « ع » حيث انصرف من عند عمر في الشورى والعباس يمشي في جانبه ، فسمعته يقول للعباس : ذهب منا والله - أي الخلافة - فقال له العباس : كيف علمت . قال : ألا تسمعه - أي عمر - يقول كونوا في الجانب الذي فيه عبد الرحمن وسعد وابن عمر ، وعبد الرحمن نظير عثمان وهو صهره فاذا اجتمع هؤلاء فلو أن الرجلين الباقيين كانا معي لم يغنيا عني شيئاً ، دع اني لست أرجو أحدهما ومع ذلك فقد أحب عمر أن يعلمنا أن لعبد الرحمن عنده فضلاً علينا ، لالعمر الله ما جعل الله ذلك لهم علينا كما لم يجعل لأولاهم على أولانا ، أما والله لئن لم يميت عمر لاذكرنه ما أتى الينا قديماً ولا علمنه سوء رأيه فينا وما أتى الينا حديثاً ، ولئن مات - وليموتن - ليجمعن هؤلاء القوم على أن

يصرفوا هذا الامرنا ، ولئن فعلوها - وليفعلن- ليروني حيث يكرهون ، والله ما بي رغبة في السلطان ولا حب الدنيا ولكن لاظهار العدل والقيام بالكتاب والسنة. ثم التفت فرآني وراءه فعرفت انه قد ساءه ذلك ، فقلت : لا ترع أباحسن لا والله لا يسمع أحد ما سمعت منك ما اصطحبنا ، فوالله ما سمعه مني أحد حتى قبض « ع » .

وروى شورى عوانة عن الشعبي قال : خرج المقداد من غد بيعة عثمان فلقى عبدالرحمن بن عوف فأخذ بيده وقال له: ان كنت أردت بما صنعت وجهه الله فأثابك الله ثواب الدنيا والاخرة ، وان كنت انما أردت الدنيا فأكثر الله مالك فقال عبدالرحمن : اسمع رحمك الله اسمع . قال : لا أسمع والله ، وجذب يده من يده ومضى حتى دخل على علي عليه السلام فقال : قم فقاتل حتى نقاتل معك . قال علي : فبمن أقاتل رحمك الله ، وأقبل عمار ينادي :

يا ناعي الاسلام قم فانه قد مات عرف و بدا نكر

أما والله لو أن لي أعواناً لقاتلتهم ، والله لئن قاتلتهم واحد لاكونن له ثانياً. فقال علي « ع » : يا أبا اليقظان والله لا أجد عليهم أعواناً ولا أحب ان أعرضكم لما لا تطيقون ، وبقي علي في داره وعنده نفر من أهل بيته وليس يدخل اليه أحد مخافة عثمان .

والمأمون مع استقرار سلطنته الوسيعة أراد اعلان حلية المتعة ونشر لعن معاوية فما قدر، فكيف كان «ع» يقدر مع تلك السلطنة المتزلزلة المحدودة حتى قال « ع » ان هي الا الكوفة أقبضها وأبسطها .

وقال الكراچكي في كتاب تعجبه : ومن العجب أنهم قالوا اذا كان ابو بكر وعمر وعثمان تركو كثيراً من الاحكام وأظهروا البدع في الاسلام فلم لم يغير ذلك أمير المؤمنين عليه السلام لما انتهى الامر اليه بعد عثمان ، أولايرون أنه « ع »

نهاهم عن الجماعة في صلاة نوافل شهر رمضان فتفرقوا عنه وصاحوا واعمراه نهيتنا عن سنة عمر بن الخطاب ، فاذا كانت هذه حاله معهم في النهي عن أمر يعلمون ان عمر ابتدعه ويتحققون أن النبي « ص » نهى عنه وأنكره ويجعلون البدعة من عمر سنة ، فكيف لو غير « ع » أكثر من هذا ، بل لو غير بدعهم كلها وجاهر بمخالفتهم في الامور التي استحدثوها ، فكيف ينكر تقيته منهم وهذه حاله معهم ، ألم يسمعوا قوله عليه السلام « أما والله لوئني لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الانجيل بانجيلهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم حتى ينطق كل كتاب ويقول يا رب قضى علي فينا بقضايك » ، وقوله « أما والله لو ثبتت قدمي لغيرت أموراً كثيرة » .

وروى محمد بن يعقوب في نوادر نكاح كافي عن معمر بن يحيى قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عما يروى الناس عن علي « ع » في أشياء من الفروج لم يكن يأمر بها ولا ينهى عنها الا أنه ينهى عنها نفسه وولده ، فقلت : وكيف يكون ذلك ؟ قال : قد أحلتها آية وحرمتها آية أخرى . قلت : فهل يصير الا أن يكون أحدهما قد نسخت الاخرى أو هما محكمتان جميعاً ينبغي أن يعمل بهما فقال : قد بين لكم اذ نهى نفسه وولده عنها . قلت : ما منعه أن يبين ذلك للناس فقال : خشي الأبطاع ، ولو أن علياً ثبتت له قدماه أقام كتاب الله والحق كله .

وروى عن منصور بن حازم قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأتاه رجل فسأله عن رجل تزوج امرأة فماتت قبل أن يدخل بها أيتزوج بأمرها ؟ فقال : قد فعله رجل منا فلم يربه بأساً . فقلت له : جعلت فداك ما تفخر الشيعة الا بقضاء علي « ع » في هذه الشمخية التي أفتاها ابن مسعود انه لا بأس بذلك ثم أتى علياً فقال له : من أين اخذتها ؟ قال : من قوله تعالى « وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم » ،

فقال علي : ان هذه مستثناة وآية «وامهات نساءكم» مرسله . الى أن قال : فقلت لابي جعفر : ما تقول أنت فيها ؟ فقال : تخبرني أن علياً قضى بها وتسالني ما تقول فيها .

وروى عن سيف بن عميرة قال : مر امير المؤمنين «ع» برجل يصلي الضحى في مسجد الكوفة ، فغمز جنبه بالدرة وقال : نحرت صلاة الاوابين نحرك الله قال : فأتركها ؟ فقال : أرأيت الذي ينهى عبداً اذا صلى . قال أبو عبد الله «ع» وكفى بانكار علي عليه السلام نهياً .

وروى الفقيه عن ابن عباس قال : كتب الى علي «ع» في ستة اخوة وجد «ان اجعله كأحدهم وامح كتابي» قال : فجعله علي «ع» سابعاً ، وقوله «وامح كتابي» كره ان يشنع عليه بالخلاف على من تقدمه .

وروى غارات الثقفى فى آخر عنوانه الثانى « فى غنى وباهلة » مسنداً عن الحارث بن حصيرة عن أصحابه عن علي عليه السلام قال : أدعوا لي غنياً وباهلة وحيأ آخر قد سماهم فليأخذوا اعطياتهم ، فوالذي فلق الحبة وبرء النسمة مالهم في الاسلام نصيب ، واني لشاهد لهم في منزلي عند الحوض وعند المقام المحمود أنهم أعدائي في الدنيا والاخرة ، ولئن ثبتت قدمي لاردن قبيلة الى قبيلة ولا بهرجن ستين قبيلة مالهم في الاسلام من نصيب» ثم قال : وعن يوسف ابن كليب عن يحيى بن سالم عن عمرو بن عمير عن أبيه عنه مثله .

الفصل الخامس عشر العِشْرُونَ

(في شكايته عليه السلام من أهل عصره)

٣١١/ ومن خطبة له عليه السلام : أيها الناس قد اصبحنا في
دهر عنود وزمن كنود ، يعد فيها المحسن مسيئاً ويزداد الظالم
فيه عتواً لا ننتفع بما علمنا ولا نسأل عما جهلنا ولا نتخوف قارعة
حتى تحل بنا ، فالناس على أربعة اصناف : منهم من لا يمنعه
الفساد الامهانة نفسه وكالالة حده ونصيض وفره ، ومنهم المصلت
لسيفه والمعلن بشره والمجلب بخيله ورجله ، قد اشروط نفسه
وأويق دينه لحطام ينتهزه أو مقنب يقوده أو منبر يفرعه ، ولبس
المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً ومما عند الله عوضاً ، ومنهم
من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا قد
طامن من شخصه وقارب من خطوه وشمر من ثوبه وزخرف من
نفسه للامانة واتخذ ستر الله ذريعة الى المعصية ، ومنهم من أبعده
عن طلب الملك ضؤلة نفسه وانقطاع سببه ، فقصر به الحال على
حاله فتحلى باسم القناعة وتزين بلباس أهل الزهادة ، وليس

من ذلك في مراح ولا مغدى ، وبقي رجال غض ابصارهم ذكر
المرجع وأراق دموعهم خوف المحشر ، فهم بين شريد ناد
وخائف مقموع وساكت مكعوم وداع مخلص وتكلاان موجه ،
قد اخملتهم التقية وشملتهم الذلة ، فهم في بحراجاج أفواهمهم
ضامرة وقلوبهم قرحة ، وقد وعظوا حتى ملوا وقهروا حتى ذلوا
وقتلوا حتى قلسوا . فلتنك الدنيا في اعينكم اصغر من حثالة
القرظ وقراظة الجلم ، واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم
من بعدكم ، وارفضوها ذميمة فانها رفضت من كان أشعف بها منكم .
قال المصنف : هذه الخطبة نسبتها من لاعلم له الى معاوية وهي
من كلام امير المؤمنين عليه السلام الذي لا يشك فيه ، وأين الذهب
من الرغام ولعذب من الاجاج ، وقد دل على ذلك الدليل
الخريت ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ ، فانه ذكر
هذه الخطبة في كتاب البيان والتبيين وذكر من نسبتها الى معاوية
ثم قال : هي بكلام على أشبه وبمذهبه في تصنيف الناس
وبالاخبار عما هم عليه من القهر والاذلال ومن التقية والخوف
أليق . قال : ومتى وجدنا معاوية في حال من الاحوائ يسلك
في كلامه مسلك الزهاد ومذاهب العباد .

(أصبحنا في دهر عنود) عند عن الطريق : عدل . لابن لنكك البصري :

نحن والله في زمان عشو لو رأيناه فسي المنام فزعنا
يصبح الناس فيه من سوء حال حق من مات منهم ان يهتنا

(وزمن كنود) رجل كنود : كافر النعمة ، وارض كنود : لانتبت شيئاً . لابن

لنكك البصري :

يا زماناً البس الاحرار ذلومهانة
قال البحترى :

وخلفني الزمان على أناس
لهم حلل حسن فهن بيض
واخلاق البغال فكل يسوم
واكثر ما لسائلهم لديهم
ووعد ليس يعرف من عبوس
اناس لو تأملهم لبيد
وجوههم وأيديهم حديد
واخلاق سمجن فهن سود
يعن لبعضهم خلق جديد
اذا ما جاء قولهم تعود
انقباضهم أوعدام وعيد
بكى الخلف الذي يشكولبيد

(يعديها المحسن مسيئاً) «الذي يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات
والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم» .

(ويزداد الظالم فيه عتواً) «ونخوّفهم فما يزيدهم الا طغياناً كبيراً» .

(لا تنتفع بما علمنا) في الكافي عنه عليه السلام : العالم العامل بغيره كالجاهل
الذي لا يستفيق من جهله ، بل قد رأيت ان الحجة عليه أعظم .

(ولانسأل عما جهلنا) أيضاً : وان طلب العلم اوجب عليكم من طلب المال ،
ان المال مقسوم مضمون اكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه وسيفي لكم ، والعلم
مخزون عند أهله وقد أمرتم بطلبه .

(ولانتخوف قارعة حتى تحل بنا) القارعة الشديدة من الشدائد ، ولذا سميت
بها القيامة . وعن النبي «ص» : شيبتنى قوارع القرآن .

(فالناس على أربعة أصناف) المراد الناس المذمومون .

(منهم من لا يمنعه الفساد الامهانة نفسه) هكذا في المصرية ، والصواب
«منهم من لا يمنعه الفساد في الارض الامهانة نفسه» كما في «حد» وغيره . ومهانة
نفسه : حقارتها . و«الفساد» منصوب بنزع الخافض .

قالوا : لما أرادوا البيعه لمروان بعد يزيد قام روح بن زنباع فقال : تذكرون

عبدالله بن عمر وصحبته ولكنه رجل ضعيف مهين وليس مثله بصاحب الامة .
(وكلالة حدّه) من كلّ السيف : اذا لم يقطع .

(ونضيض وفره) من نض الماء : سال قليلا قليلا ، وسقاء أوفر : لم ينقص
من أديمه شيء ، وهذا الصنف هم الاكثرون من الناس وفي طبعهم الفساد في
الارض ، الآن مهانة نفسه وقلة ماله تمنعانه مما في باطنه ، فان صار يوماً ذامكنة
ورياسة يظهر مكنونه ويعلم خبيثه ، كالحجاج في أول أمره لما كان معلماً بالطائف
وآخره لما لحق بعبد الملك .

(ومنهم المصلت لسيفه) أي المجرد له من غمده، خرج عبدالله بن علي على
المنصور في أهل خراسان ، فخشي ألا يناصره فأمّر صاحب شرطته فقتل منهم
نحواً من سبعة عشر ألفاً ، وقتل مصعب بن الزبير من المستسلمين من عسكر
المختار سبعة آلاف صبياً ، فقال له ابن عمر : أنت القاتل سبعة آلاف من أهل
القبلة في غداة واحدة عش ما استطعت . فقال مصعب : انهم كانوا كفرة سحرة
- سموهم كفرة سحرة لما طالبوا بدم ابن بنت نبيهم «ص» - فقال له ابن عمر :
والله لو قتلت عدتهم غنماً من تراث أبيك لكان ذلك سرفاً .

(والمعلن بشره) في الخبر : شر الناس من أكرمه الناس اتقاء شره .
(والمجلب عليهم بخيله ورجله) والاجلاب كذلك كناية عن صرف غاية جهده
والخيل الفرسان والرجل الرجال ، قال تعالى في الشيطان «واستفز من استطعت
منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك» .

(قد اشرف نفسه) أي أعدها وجعل لها علامة يعرفونه بها .
(وأبوق دينة) أي أهلكه (لحطام ينتهزه) أي يغتمه ، والحطام ما تكسر من اليبس
(أو منقب يقوده) في الصحاح المنقب ما بين الثلاثين الى الاربعين من الخيل .
روى أسد الغابة عن ابن حاطب أنه ذكر ابن الزبير فقال : طالما حرص

على الامارة أتى النبي «ص» بلص فأمر بقتله ، فقبل له : انه سرق . فقال : اقطعه
ثم أتى به بعد الى ابي بكر وقد سرق - وقد قطعت قوائمه - فقال : ما أجذلك
شيئاً الا ما قضى فيك النبي يوم امر بقتلك ، فانه كان أعلم بك ، ثم أمر بقتله أغيلمة
من أبناء المهاجرين أنا فيهم . فقال ابن الزبير : أمروني عليكم فأمرناه علينا ثم
انطلقنا به فقتلناه .

(أومبر يفرعه) أي يصعده ، للرزق في فقيمي صار أميراً :
بكى المنبر الشرقي اذ قام فوقه امير فقيمي قصير الدوارج
وفي ديوان البحري في مدح المعتر وهجو المستعين :
بكى المنبر الشرقي اذ خار فوقه على الناس ثور قد تدلت غباغه
وفي المروج : لما ولي سعيد بن العاص الكوفة بعد الوليد بن عقبة الذي
صلى الصبح أربعاً في سكره أبي أن يصعد المنبر حتى يغسل وقال : ان الوليد
كان رجساً نجساً .

(ولبس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً ومما عند الله عوضاً) « بشما
اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله » ، « أولئك الذين اشتروا الحياة
الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون » .
(ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا) في
الكافي عن الصادق عليه السلام : من أراد الله بالقليل من عمله أظهره الله له أكثر
مما أراد ، ومن أراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله أبقى
الله تعالى الا أن يقلله في عين من سمعه .

وفي المروج : أظهر ابن الزبير الزهد في الدنيا والعبادة مع الحرص
على الخلافة وقال : انما بطني شبر فما عسى أن يسع ذلك من الدنيا ، وأنا العائد
بالبيت والمستجير بالرب ، وكثرت أذيته لبني هاشم مع شحه بالدنيا على سائر
الناس ، فقال أبو حرة :

لو كان بطنك شبراً قد شبعت وقد
 فيا راكباً أما عرضت فبلغن
 تكبر من لا قيت أنك عائذ
 تخبرنا ان سوف تكفيك قبضة
 وأنت وما نلت شيئاً قضمته
 أفضلت فضلاً كثيراً للمساكين
 كبير بنى العوام أن قيل من تعنى
 وتكثر قتلا بين زمزم والركن
 وبطنك شراً وأقل من الشبر
 كما قضمتم نار الغضى حطب السدر

(قد طامن من شخصه) أي سكن منه (وقارب من خطوه) في الصحاح الخطوة
 بالضم ما بين القدمين .

(وشمر من ثوبه) أي رفع منه . في خبر الكافي : رأى سفيان الثوري الصادق
 عليه السلام في المسجد الحرام وعليه ثياب حسان ، فقال له : ما لبس النبي
 وعلي مثل هذا اللباس . فقال : كان النبي «ص» في زمان قتر مقتر ، وكان يأخذ
 لقتره واقتاره ، وان الدنيا بعد ذلك أرخت عزاليها ، فأحق أهلها بها أبرارها
 ثم تلا «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق» ، ونحن
 أحق من أخذ منها ما أعطاه الله ، غير أنني يا ثوري ماترى علي من ثوب انما ألبسه
 للناس - ثم اجتذب يد سفيان فجرها اليه ثم رفع الثوب الاعلى وأخرج ثوباً
 تحت ذلك على جلده غليظاً - وقال ألبسه لنفسه ومارأيته للناس - ثم جذب ثوباً
 على سفيان أعلاه غليظ خشن وداخل ذلك ثوب لين وقال: لبست هذا الاعلى
 للناس ولبست هذا لنفسك .

وفي البيان ان الحسن عليه السلام قال: ان قوماً جعلوا تواضعهم في ثيابهم
 وكبرهم في صدورهم ، حتى لصاحب المدرعة أشد فرحاً بمدرعته من صاحب
 المطرف بمطرفه . ولبعضهم :

يرى الناس الهيئة كالمسيح بن مريم وفي ثوبه المسيح^(١) او هو اغدر

(١) أي الشيطان .

أغرركم منه تقلص ثوبه وذلك حب تحته الفسخ فاحذروا
(وزخرف من نفسه للامانة) أي زين وموه . وفي خبر الكافي : بينا يطوف
الصادق عليه السلام اذ جذب عباد بن كثير البصري ثوبه وقال له : تلبس مثل هذا
اللباس مع المكان انذي أنت فيه من علي «ع» فقال : كان علي في زمان يستقيم
له ما لبس فيه ، ولو لبست مثل ذلك اللباس لقال الناس هذا مرء مثل عباد .
(واتخذ ستر الله ذريعة الى المعصية) «يستخفون من الناس ولا يستخفون
من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً» .
وقال عليه السلام : لاتأمن البيات وقد عملت السيئات ، ولاتبدن عن واضحة
وقد عملت الاعمال الفاضحة .

(ومنهم من أبعده عن طلب الملك ضؤلة نفسه) أي حقارتها (وانقطاع سببه)
أي وسيلته ووصلته (فقصر به الحال على حاله) أي لم يقدر على طلب امساره
لضؤلته .

(فتحلى باسم القناعة) أي جعل اسم القناعة حلية له (وتزين بلباس أهل
الزهادة) أي جعل لباس أهل الزهادة زينة له .

و أنت بالليل لاحريم له وبالنهارة على سميت ابن سيرين
(وليس من ذلك في مراح ولا مغدى) كناية عن أنه ليس من الزهد والقناعة
في شيء ، كما أن قولهم « ماترك فلان من أبيه مغدى ولا مراحاً » كناية عن كمال
شباهته به ، والمراد بالصنف الاخير الذي ذكر عليه السلام الصوفية الضالة المضلة
كعمرو بن عبيد والثوري .

(وبقي رجال) غير الاصناف المذمومين ، وهم الدين لا أثر لسوء الزمان
فيهم لكونهم عارفين بالله تعالى وبجلاله وبفناء هذه الدنيا وأنهم لدار أخرى
وهم شيعته عليه السلام .

(غص أبصارهم ذكر المرجع) «وقلوبهم وجله أنهم الى ربهم راجعون»
(وأراق دموعهم خوف المحشر) أي صبيها .

روى الكشي أن أبا ذر بكى من خشية الله حتى اشتكى عينيه فخافوا عليهما
فقيل له : لودعوت الله في عينيك . فقال : اني عنهما لمشغول وما عناني أكثر .
فقيل له : وما شغلك عنهما ؟ قال : العظيتمان الجنة والنار .

(فهم بين شريد ناد) الشريد الطريد ، وناد من «ند» اذا انفرد وذهب على وجهه
روى الطبري عن اسحق الهمداني قال : اجتمع نفر بالكوفة بطعنون على
عثمان - من أشرف أهل العراق - مالك الاشر وثابت بن قيس النخعي وكميل
ابن زياد الازدي وعروة بن الجعد وعمرو بن الحمق الخزاعي ، فكتب سعيد بن
العاص الى عثمان يخبره بأمرهم ، فكتب اليه أن سيرهم الى الشام والزقهم الدروب
وروى خبراً آخر عن الواقدي وزاد فيهم صعصعة بن صوحان ، وفي خبره
ان معاوية كتب الى عثمان بعد تسيير سعيد لهم الى الشام : اني لست آمن ان أقاموا
وسط أهل الشام أن يغروهم بسحرهم فاردهم الى مصرهم . فكتب عثمان الى
معاوية بردهم الى سعيد بالكوفة ، فكتب سعيد الى عثمان يضح منهم ، فكتب
عثمان اليه أن سيرهم الى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص ، وكتب عثمان
الى الاشر وأصحابه : اني سيرتكم الى حمص فاذا أتاكم كتابي هذا فاصرفوا
اليها فانكم لستم تألون الاسلام وأهله شراً . فلما قرأ الاشر الكتاب قال : اللهم
أسوءنا نظراً للرعية وأعملنا فيهم بالمعصية فعجل له النعمة .

وروى الواقدي عن صهبان مولى الاسلاميين قال : رأيت أبا ذر يوم أدخل
على عثمان فقال له عثمان : أنت الذي فعلت وفعلت . فقال له أبو ذر : نصحتك
فاستغششتني ونصحت صاحبك فاستغشني . قال عثمان : كذبت ولكنك تريد
الفتنة قد انغلت الشام علينا - الى أن قال - قال عثمان : أشيروا علي في هذا
الشيخ الكذاب اضربه أو أحبسهُ أو أقتله فانه قد فرق جماعة المسلمين أو أنفيه من

أرض الاسلام فتكلم علي عليه السلام - وكان حاضراً - فقال : أشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون « فان يك كاذباً فعليه كذبه وان يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب » فأجابه عثمان بجواب غليظ، وأجابه علي بمثله - الخبر .

وروى الجوهري في سقيفته عن ابن عباس قال : لما خرج أبوذر الى الربذة أمر عثمان فنودي في الناس : الا يتكلم أحد أباذر ولا يشيعة ، وأمر مروان أن يخرج به ، فخرج به وتحاماه الناس الا علياً عليه السلام - الى أن قال - فقال أبوذر له « ع » : اني ثقلت على عثمان بالحجاز كما ثقلت على معاوية بالشام، وكره عثمان ان أجاور أخاه وابن خاله - يعنى الوليد بن عقبة وابن عامر - بالمصريين - يعنى الكوفة والبصرة - فأفسد الناس عليهما فسيرني الى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع الا الله ، والله ما أريد الا الله صاحباً ولا أخشى مع الله وحشة (وخائف مقموع) أي مدلل .

روى الواقدي ان ابن مسعود لما قدم المدينة دخلها ليلة جمعة، فقال عثمان : أيها الناس قد طرقتكم الليلة دويبة - الى أن قال - وصاحت عائشة : يا عثمان أتقول هذا لصاحب النبي «ص» فقال لها: اسكتي . ثم قال لابن زمعة : أخرجه اخراجاً عنيفاً ، فأخذ ابن زمعة فاحتمله حتى جاء به باب المسجد فضرب به الارض فكسر ضلعاً من أضلاعه ، فقال ابن مسعود : قتلني ابن زمعة الكافر بأمر عثمان .

(وساكت مكعوم) من كعمت البعير : اذا جعلت في فمه شيئاً تشده به .
في تاريخ اليعقوبي عن بعضهم قال : دخلت مسجد النبي «ص» فرأيت رجلاً جاثياً على ركبتيه يتلهم تلهم من كأن الدنيا كانت له فسلبها وهو يقول : واعجباً لقريش ودفعهم هذا الامر عن أهل بيتهم وفيهم أول المؤمنين بالله وابن

عم رسول الله ، أعلم الناس بالله وأفقههم في دين الله وأعظمهم عناء في الاسلام وأبصرهم بالطريق وأهداهم للصراط المستقيم ، والله اقد زووها عن الهادي المهتدي الطاهر النقي وما أرادوا اصلاحاً للامة ولا صواباً في المذهب ، ولكنهم آثروا الدنيا على الاخرة فبعداً وسحقاً للقوم الظالمين . فدنوت منه فقلت : من أنت يرحمك الله ومن هذا الرجل ؟ فقال : انا المقداد بن عمرو وهذا الرجل علي بن أبي طالب . فقلت : ألا تقوم بهذا الامر فأعينك عليه . فقال : يا ابن اخي ان هذا الامر لا يجزي فيه الرجل ولا الرجلان . فخرجت فلقيت أبازر فذكرت له ذلك فقال : صدق أخي المقداد - الخبير .

(وداع مخلص) أي للفرج من شر الجبابرة ، فكان الناس أيام عثمان واستيلاء بني أمية عليهم ينتظرون بالغير انتظار المجدب المطر ويدعون الله تعالى باخلاص خاص للخلاص .

(وثكلان مروجع) كان عثمان سجن ضابطاً أبا عمير بن ضابئ حتى مات في سجنه ، ولما أرادوا دفن عثمان أقبل عمير - وعثمان موضع علي بساب - فنزا عليه وكسر ضلعاً منه وقال له : سجنتم أبي حتى مات .
(فقد أخلتهم النقية) كان عبدالله بن شداد الليثي يقول : وددت ان أترك فأحدث بفضائل علي بن أبي طالب « ع » وأن عنقي ضربت بالسيف .
(وشملتهم الدلة) فكان عثمان وبنو أمية اتخذوا عباد الله خولا كما أخبر به النبي « ص » ، ويبيعهم زياد أيام امارته .

(فهم في بحر أجاج) أي ملح مر (أفواهم ضامرة) في الصحاح ضمير : اذا سكت ولم يتكلم ، وكذلك البعير اذا أمسك جرتة في فيه ولم يجتر .
(وقلوبهم قرحة) في نض عثمانية الاسكافي : ان بني أمية كانوا لا يألون جهداً في طول ماملوكوا أن يخملوا ذكر علي وولده عليهم السلام ويطفؤا نورهم

ويكتموا فضائلهم ومناقبهم وسوابقهم ويحملوا على سبهم ولعنهم على المنابر، فلم يزل السيف يقطر من دمائهم مع قلة عددهم وكثرة عدوهم، فكانوا بين قتيل وأسير وشريد وهارب ومستخف ذليل وخائف مترقب، حتى أن الفقيه والمحدث والقاص والمتكلم ليتقدم اليه ويتوعد بغاية الایعاد وأشد العقوبة ان لا يذكروا شيئاً من فضائلهم ولا يرخسوا لاحد أن يطيف بهم، وحتى بلغ من نقيّة المحدث أنه اذا ذكر حديثاً عن علي « ع » كنى عن ذكره فقال « قال رجل من قريش » و« فعل رجل من قريش » ولا يسذكر علماً ولا يتفوه باسمه ، ثم رأينا جميع المتخلفين قد حاولوا نقض فضائله ووجهوا الحيل والتأويلات نحوها - من خسار جي مارق وناصبي حنق ونابت مستبهم وناشيء معاند ومنساق مكذب وعثمانى حسود - يعترض فيها ويطعن ومعتزلي قد نظر في الكلام وأبصر علم الاختلاف وعرف الشبه ومواضع الطعن وضروب التأويل ، قد التمس الحيل في ابطال مناقبه وتآول مشهور فضائله ، فمرة يتأولها بما لا يحتمل ومرة يقصد أن يضع من قدرها بقياس منتقض . قال: ولا يزداد مع ذلك الاقوة ورفعة ووضوحاً واستنارة - الخ . وذلك من آيات الله تعالى فيه عليه السلام وفي أهل بيته .

(وقد وعظوا حتى ملّوا) مثل امامهم . وفي الطبري عن كثير بن عبد الله الشعبي قال : لما زحفنا الى قتل الحسين خرج الينا زهير بن القين على فرس له ذنوب شاك في السلاح فقال: يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله نذار ان حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم ، ونحن الان أخوة وعلى دين واحد وملة واحدة ما لم يقع بيننا وبينكم السيف وأنتم للنصيحة منا أهل، فاذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا أمّة وانتم أمّة - الى أن قال - فناداه رجل: أن ابا عبد الله يقول: اقبل فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والابلاغ .

(وقهروا حتى ذلوا) فكان زياد من قبل معاوية والحجاج من قبل عبد الملك يقتلان الشيعة تحت كل حجر ومدبر ويسملان أعينهم ويقطعان أيديهم وأرجلهم ويخربان دورهم ويكبلانهم بالاصفاد ويدفنانهم أحياء .
(وقتلوا حتى قتلوا) قتلوا جمعاً منهم في الجمل وجمعاً منهم في صفين ، وقتلوا من قدروا منهم بأي وسيلة ، فقتلوا محمد بن أبي بكر في مصر احراقاً وقتلوا الاشتهر في قلزم بالسم دسيمة .
في الكشي : ارتد الناس بعد قتل الحسين عليه السلام الاثلاثة أبو خالد الكابلي ويحيى بن ام الطويل - الخبر .

وفي خلفاء ابن قتيبة : ان الحسين «ع» كتب الى معاوية: ألسنت قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين الذين كانوا يستفظعون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكدة جرأة على الله واستخفافاً بعهده ، أو لست بقاتل عمرو بن الحمق الذي أخلقته العبادة واصفرت لونه ، فقتلته من بعد ما أعطيته من العهود ما لو أعطيته العصم نزلت من شعف الجبال، أو لست المدعى زياداً في الاسلام فزعمت أنه ابن ابي سفيان وقد قضى رسول الله «ص» ان الولد للفراش وللعاشر الحجر ، ثم سلطته على أهل الاسلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويصلبهم على جذوع النخل ، سبحانه الله يا معاوية لكأنك لست من هذه الامة وليسوا منك ، أولست قاتل الحضرمي الذي كتب فيه زياد «انه على دين علي» ودين علي هو دين ابن عمه «ص» الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آباءك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف، فوضعها الله عنكم بنامته منا عليكم - الخبر .

وروى المفيد انه عليه السلام أخبر جويرية بن مسهر بقطع زياديدته ورجله ثم صلبه على جذع نخل طويل ، وأخبر ميثماً بصلب ابن زياد له على باب عمرو بن حريث عاشر عشرة وأقربهم من المطهرة - أي الارض لقصر جذعه - وكونه أول من ألجم في الاسلام ، وأخبر رشيد الهجري بقطع زياديدته ورجله ولسانه وصلبه ، وأخبر كميلاً بقتل الحجاج له بصرب عنقه ، وأخبر ميثماً بقتل الحجاج له ذبحاً فوقع الجميع كما أخبر عليه السلام .

(فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر) هكذا في المصرية « وحد » ولكن في « ثم » والخطية « فلتكن الدنيا أصغر في أعينكم » .

(من حثالة القرظ) الحثالة الردىء من كل شيء بحيث يسقط ، والقرظ ورق السلم يدبغ به .

(وقراضة الجلم) القراضة ما سقط بالقرض ، أي القطع ، والجلم الذي يجز به امر عليه السلام بعد ذكر كون أهل الدنيا وهم أعداؤه كما شرح وأهل الآخرة وهم شيعته كما وصف - بكون الدنيا عند طالبي النجاة كتلك الحثالة والقراضة في قلة القيمة وعدم الرغبة ، حيث أن ذلك دليل على عدم قدرها عند الله تعالى .

وفي الخبر: لو كان للدنيا عند الله تعالى قدر بقدر جناح بعوضة ما أعطى الكافر منها شربة ماء ، وقد كانت الدنيا عنده عليه السلام أهون من عرق خنزير في يد مجذوم ومن عفطة عنز .

(واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم) فكل من كان له لب رأى من وقت صار مميزاً تلعب الدنيا بمن كان جدياً في هواها وتقلبها بمن كان مطمئناً بها فيعرف أن عملها معه عملها معهم ، حيث أن ذلك مقتضى طبعها .
(وارفضوها ذميمة) أي أتركوها مذمومة ، يجوز في العين من « وارفضوها »

- وهو الفاء - الضم والكسر .

في الكشي قال ابوذر : من جزى الله عنه الدنيا خيراً فجزاه الله عني بعد
رغيفي شعير أتغدى بأحدهما واتعشى بالآخرى وبعد شملتني صوف أنزرباً أحدهما
وارتدى بالآخر شراً .

(فانها رفضت) هكذا في المصرية والصواب « قدر فضت » كما في « حد »
و « ثم » والخطبة .

(من كان أشغف بها منكم) يجوز كون « أشغف » بالعين والغين كما في
قوله تعالى « قد شغفها حباً » ويقال شغفه الحب : اذا بلغ شغافه ، والشغاف
غلاف القلب ، وهو جلدة دونه كالحجاب .

في الجهشماري قال المنصور للمهدي ابنه : عزمت عليك ان أوليك الامر
وأرده اليك ، فخرج المهدي مستبشراً الى وزيره ابى عبدالله فقال له : انما سبرك
بما عرض عليك ، فلما عرف ذلك المنصور قال له : كيف فهمت اني قلته سبراً
له ؟ قال : لاني سمعتك تقول اني لاستيقظ بالليل فأدعو بالكتب فأضعها بين يدي
وادعو بالجارية فأمرها أن تمرخ ظهري بالدهن ، فتفعل ذلك وأنا مقبل على كتبي
وتدبيري ، فعلمت أنك لاتدع شيئاً يكون موقعه منك هذا الموقع وتؤثر به غيرك
فقال له : أصبت وأحسن .

ولما خرج عليه محمد بن عبدالله الحسيني بالمدينة قال : لو خرج علي
صاحب القبر - يعني النبي « ص » - أقتله .

(قال الشريف أقول) هكذا في المصرية وكله زائد « أقول » رأساً و « قال
الشريف » جعله من النهج وانما يصح من الشراح (هذه) هكذا في المصرية
والصواب « وهذه » كما في « حد » و « ثم » والخطبة (الخطبة نسبها من لاعلم
له الى معاوية) ومنهم ابن قتيبة في عيونهم وابن عبدبره في عقده (وهي من كلام

امير المؤمنين الذي لاشك فيه) بشهادة متنه (واين الذهب من الرغام) بالفتح
التراب (والعذب) الماء الطيب (من الاجاج) الماء الملح المر .
(وقد دل على ذلك الدليل الخريت) أي الحاذق (ونقده الناقد البصير)
من نقدت الدراهم : اذا أخرجت منها الزيف (عمرو بن بحر الجاحظ) لقب
الرجل بالجاحظ لتتومقلة عينيه ، قال الحموي في أدبائه : صار الجاحظ الى
منزل بعض اخوانه فاستأذن عليه فخرج اليه غلام أعجمي فقال : من أنت ؟ قال
الجاحظ : فدخل الغلام فقال الجاحظ على الباب ، وسمعا الجاحظ ، فقال
صاحب الدار للغلام : أنظر من الرجل ، فخرج وسأل عن اسمه . فقال : أنا
الحدقي - لان حدقته كانت نائمة عن محجر العين ولذلك لقب - فدخل الغلام
فقال « الحلقي » ، وسمعا الجاحظ فصاح به في الباب ردنا الى الاول - يريد
أن قوله « الجاحظ » مكان « الجاحظ » أسهل عليه من « الحلقي » مكان « الحدقي »
والمصنف وان وصف الجاحظ هنا بما قال لنقده الخطبة الا ان الرجل كان
مخلطاً ، فكما صنف كتاب العباسية - وكشف فيه عن حقائق - صنف كتاب
العثمانية وكتاب المروانية وأتى فيهما بما كشف عن خافية من نصبه وعداوته
لله ولرسوله .

قال المسعودي في مروجه : صنف الجاحظ كتاباً استقصى الحجاج فيه عند
نفسه وعضده بالادلة فيما تصور من عقله ترجمه بكتاب (العثمانية) يحل فيه عند
نفسه فضائل علي عليه السلام ومناقبه طلباً لامامة الحق ومضادة أهله والله متم نوره
ولو كره الكافرون ، ثم لم يرض بهذا حتى أعقب بتصنيف كتاب آخر في امامة
المروانية ، ونقض كتابه جمع من العامة منهم أبو جعفر الاسكافي والله دره بين
في نقضه مخازيه وفضحه وذكر مساويه ، وأظن ان الرجل - أي الجاحظ - كان
راعياً لسلطان وقته وأنه صنف عباسيته زمان المأمون المنصف الطالب للحقائق

وأراد نشر حلية المتعة ناقماً على عمر في تحريمه ما أحل الله ، وصنف عثمانيته
زمان المتوكل الذي كان ناصبياً ويقرب الاموية ومن كان هواه هواهم وأراد كرب
قبر الحسين ، والا كان الرجل زنديقاً لاعقيدة له أصلاً ومع نصبه كان وضاعاً .

قال المسعودي في تنبيه اشرافه: كان الجاحظ يؤلف الكتاب الكثير المعاني
الحسن النظم فينسبه الى نفسه فلا يرى الاسماع تصغى اليه ولا الارادت تيمم نحوه
ثم يؤلف ما هو أنقص منه رتبة وأقل فائدة ثم ينحله عبدالله بن المقفع أو سهل
ابن هرون أو غيرهما من المتقدمين ومن طارت أسماؤهم في المصنفين ، فيقبلون
على كتبها ويسارعون الى نسخها .

قلت: وأظن ان الكتاب المعروف بكتاب «آداب ابن المقفع» أحد مصاديق
ما قاله المسعودي في التنبيه من كونه للجاحظ ونسبه الى ابن المقفع ، فابن
المقفع كان ملحداً ظاهراً وباطناً فأين هو من مثل ذلك الكتاب ، والكتاب كتاب
من كان وارداً في علم التوحيد وآداب النبي « ص » والائمة ظاهراً مثل الجاحظ
وان كان باطناً مثل ابن المقفع .

(فانه ذكر هذه الخطبة في كتاب البيان والتبيين) ذكر فيه خطباً لامير المؤمنين
عليه السلام ثم خطبة لابن مسعود ثم خطبة لعتبة بن غزوان ثم ذكر هذه .

(وذكر من نسبها الى معاوية) فقال «خطبة لمعاوية رواها شعيب بن صفوان
وزاد فيها اليقطري وغيره قالوا: لما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له : من
بالباب ؟ قال : نفر من قریش يتباشرون بموتك . فقال : ويحك ولم ؟ قال : لا
أدري . قال : فوالله ما لهم بعدي الا الذي يسوؤهم ، وأذن للناس فدخلوا فحمد
الله وأثنى عليه وأوجز ثم قال : أيها الناس قد أصبحنا في دهر عنود - الخ .

(ثم قال وهي بكلام علي أشبه وبمذهبه في تصنيف الناس وبالاخبار) هكذا
في المصرية والصواب « وفي الاخبار » كما في « حد » و « ثم » والخطية .

(عماهم عليه) - الى آخر ما تقدم . قال الجاحظ : وهذه ضروب من العجب منها ان هذا الكلام لا يشبه السبب الذي من أجله دعاهم معاوية ، ومنها ان هذا المذهب في تصنيف الناس وفي الاخبار عنهم وعماهم عليه من القهر والاذلال ومن التقية والخوف أشبه بكلام علي عليه السلام وبمعانيه وبحاله منه بحال معاوية ومنها انا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسالك الزهاد ولا يذهب مذاهب العباد وانما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه .

قلت : ما ذكره شواهد قطعية على كذب دعوى شعيب المذكور ، ويفهم من روايته انه ناصبي وضاع مثل سيف الذي يكثر الطبري عنه في أسانيده « كتب الي السري عن شعيب عن سيف » . والله يفضح المفتعل بذكر سبب غير مربوط كما عرفت من الجاحظ .

١٢٥/٢ / ومن خطبة له عليه السلام في ذكر المكابيل : عباد الله انكم وما تأملون من هذه الدنيا أثوياء مؤجلون ومسدينون مقتضون، اجل منقوص وعمل محفوظ ، قرب دائب مضيع ورب كادح خاسر، وقد اصبحتم في زمن لا يزداد فيه الخير الا اذباراً والشرا الا قبلاً والشيطان في هلاك الناس الا طمعاً ، فهذا أوان قويت عدته وعمت مكيدته وامكنت فريسته اضرب بطرفك حيث شئت من الناس هل تبصرا لا فقيراً يكابد فقراً او غنياً بدل نعمة الله كفوياً او بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً او متمرداً كان بأذنه عن سماع المواعظ وقراً ، اين خياركم وصلحاًؤكم واحراركم وسمحاًؤكم ، واين المتورعون في مكاسبهم والتمتزهون في مذاهبهم، اليس قد ظعنوا جميعاً عن هذه الدنيا الدنية والعاجلة المنغصة ، وهل خلفتم الا في حثالة لا تلتقى بدمهم الشفتان

استصغاراً لقدرهم وذهاباً عن ذكرهم ، فانالله واناليه راجعون
ظهر الفساد فلا منكروه تغير ولا زاجر مزدجر ، افبهذا تريدون ان
تجاوزوا الله في دار قدسه وتكونوا اعز اوليائه عنده ، هيهات لا
يتخدع الله عن جنته ولا تنال مرضاته الا بطاعته ، لعن الله الامرين
بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر العاملين به .

قول المصنف (ومن خطبته عليه السلام في ذكر المكايل) هكذا في
المصرية وولكن في « حد » و « ثم » « ومن خطبة له في ذكر المكايل والموازن »
ثم قال « حد » : ولست أرى في هذه الخطبة ذكراً للمكايل والموازن اللهم
الأن يكون قوله « وأين المتورعون في مكاسبهم » أو قوله « ظهر الفساد » ودالاتهما
على المكايل والموازن بعيدة .

وقال « خو » : وقد يقال ان ذلك ابتداء على ما هو دأب السيد وعادته في
الكتاب من التقطيع والالتقاط ، فلعله أسقط ما اشتمل على ذكر المكايل والموازن
ولا يبعد أن يكون ذكر عنده تطفيف الناس في المكايل والموازن فخطب بهذه
الخطبة نهياً لهم عن ذلك المنكر .

قلت : وهو أيضاً بعيد كحمل « حد » ، لانه لو كان كما قال لقال « ومن جملة
خطبة كانت في ذكر المكايل والموازن » ولم يكن يعبر بما هو ظاهر في الاشتمال
عليهما فعلاً .

وأقول : ولا يبعد أن يكون قوله « المكايل » محرف « المكايد » لقر بهما خطأ
ويكون ذكر « الموازين » ان صححت نسخة « حد » و « ثم » من اضافات المحشين
بمناسبة « المكايل » خلطت بالمتن ، واشتمال الخطبة على ذكر كيد الشيطان ومكايد
أتباعه من قوله عليه السلام « وعمت مكيدته » وقوله « هل تبصر الا فقيراً يكابد فقراً »
الى آخر ما ذكر ، واضح .

قوله عليه السلام (عباد الله انكم وما تأملون من هذه الدنيا) أي انكم مع ما تأملون من الخلود في هذه الدنيا وبقاء الاموال (أثوياء مؤجلون) أي مقيمون بأجال معينة شاباً وكهلاً وشيخاً فليس الامر كما تأملون من الخلود «يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً» ، «انما هذه الحيوة الدنيا متاع» وقال «فاذ جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» وقال «انما نعدّ لهم عدأً» أي أنفاسهم . (ومدينون مقتضون) أي مقرضون مطالبون برد الديون ، فليس الامر كما تأملون من بقاء الاموال في أيديكم ، قال تعالى «ولقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما حولناكم وراء ظهوركم» وقال الافوه الاودي في المعنيين :

انما نعمة قوم متعة وحياة المرء ثوب مستعار

وقال البحتري :

أصاب الدهر دولة آل وهب ونال الليل منها والنهار

أغارهم رداء العز حتى تقاضاهم فردوا ما استعاروا

وفي الطبري : لما قتل عبد الملك مصعباً ودخل الكوفة أمر بطعام كثير فصنع وأمر به الى الخورنق واذن اذنأ عاماً ، فدخل الناس فأخذوا مجالسهم ، فدخل عمرو بن حريث المخزومي ، فقال له عبد الملك : الي وعلى سريري ، فأجلسه معه ثم جاءت الموائد فأكلوا ، فقال عبد الملك : ما ألد عيشنا لو أن شيئاً يدوم ولكن كما قال الاول :

و كل جديد يا أميم الى بلى و كل امرئ يومأ يصير الى كان

ثم أتى مجلسه فاستلقى وقال :

اعمل على مهل فانك ميت واكسح بنفسك أيها الانسان
فكأن ماقد كان لم يك اذ مضى و كأن ما هو كائن قد كان

أيضاً شهد سليمان بن عبد الملك جنازة بدابق قد دفنت في حقل ، فجعل
سليمان يأخذ من تلك التربة فيقول : ما أحسن هذه التربة ما أطيبها ، فما أتى
عليه جمعة - أو كما قال - حتى دفن الى جنب ذلك القبر .

أيضاً لبس سليمان بن عبد الملك ثياباً خضراً من خز ونظر في المرآة فقال :
أنا والله الملك الشاب ، فخرج الى الصلاة فصلى بالناس الجمعة ، فلم يرجع
حتى وعك فلما ثقل عهد .

(اجل منقوص) فكلمنا تنفس نفساً خطأ خطوة الى قبره .

وعن الحسن : يا ابن آدم انما أنت عدد ، فاذا مضى يوم فقد قضى بعضك .
(وعمل محفوظ) «وكل صغير وكبير مستطر» ، « ما يلفظ من قول الالديه
رقيب عتيد» ، «وقالوا يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها
ووجدوا ما عملوا حاضراً» .

(فرب دائب) من الدأب ، والدائبان الليل والنهار (مضيع) يعنى اذا كان
الاجل ينقص دائماً والعمل يحفظ كلا قرب ساع جاد يكون مضيعاً لعمره وأيام
مهلته ، لانه يجعل سعيه وجده في أمر دنياه الفانية ، قال تعالى «بل قلوبهم فى
غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون * حتى اذا أخذنا
مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون * لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون * قد
كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون» .

(ورب كادح خاسر) الكادح الساعي الجاد ، فاذا كان كدحه لغير عقباه يكون
خاسراً « يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه * فأما من أوتي كتابه
بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً * وينقلب الى أهله مسروراً * وأما من أوتي

كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثوراً * ويصلى سعيراً * انه كان في أهله مسروراً
انه ظن أن لن يحور * بلى ان ربه كان به بصيراً .

قال «حد» ومثل قوله عليه السلام «فرب دائب مضيع ورب كادح خاسر»
قول الشاعر :

اذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما بجنى عليه اجتهاده
وقوله :

اذا لم يكن عون من الله للفتى أتته الرزايا من وجوه الفوائد
قلت : لاربط لهما بقوله عليه السلام هذا أصلاً ، وانما هما نظير قوله «تذل
الامور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير» .

(وقد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه الا ادياراً والشر الا اقبالا) لان من
تقدم عليه من ائثلاثة كانوا أهل دنيا وربوا الناس - لاسيما الاخير - طريقاً لم
يتمكن هو عليه السلام من اصلاحهم لعدم بسط يده ، وقيام طلحة والزبير وعائشة
عليه في البصرة ومعوية وباقي بني أمية في الشام في قبالة ، فكان الخير يزداد
ادباراً والشر اقبالا .

روى محمد بن يعقوب في روضته مسنداً عن الاصبغ قال : أتى امير المؤمنين
عليه السلام ابن عمرو ولد ابي بكر وسعد بن أبي وقاص يطلبون منه التفضيل
لهم ، فصعد المنبر وقال : لا يقولن رجال قد كانت الدنيا غمرتهم فاتخذوا العقار
وفجروا الانهار وركبوا أفره الدواب ولبسوا ألين الثياب فصار ذلك عليهم عاراً
وشناراً اذا ما منعتم ما كانوا يخوضون فيه وصيرتهم الى ما يستوجبون - ظلمنا
ابن ابي طالب وحرمنا - الى أن قال - يسلط الله عليكم قوماً فينتقم لي منكم ، فلا
دنيا استمتعتم بها ولا آخرة صرتم اليها ، فبعداً وسحقاً لاصحاب السعير .
قلت : سن التفضيل لهم - على خلاف كتاب الله تعالى وسنة رسوله - عمر

ثم عثمان وعودهم عثمان بالتعرف أيضاً ، فلم يرضوا بخلافته عليه السلام وتخنفوا
عن نصرته ، فعاقبهم الله بالخلافة السفيانية ثم السروانية .

وفي الطبري : قام الحسين عليه السلام بندي حسم - الى أن قال - الأترون
أن الحق لا يعمل به وأن الباطل لا يتناهى عنه ، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً ،
فاني لأرى الموت الاسعادة ولا الحياة مع الظالمين الا برماً . فقام زهير وقال
لاصحابه : تكلمون أم أتكلم . قالوا : بل تكلم . فقال : قد سمعنا يا ابن رسول الله
مقاتلك ، والله لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدن الآن فراقها في نصرك
ومواساتك لاثرنا الخروج معك على الاقامة فيها . قال فدعا عليه السلام له خيراً
وفي الكافي عن الباقر عليه السلام : ان الشمس لتطلع ومعها أربعة أملاك :
ملك ينادي يا صاحب الخير أتم وأبشر ، وملك ينادي يا صاحب الشر انزع واقصر ،
وملك ينادي اعط منفقاً خلفاً لا آت ممسكاً تلفاً ، وملك ينضحها بالماء ولو لا
ذلك اشتعلت الارض .

هذا ، وللخالدي في بغداد :

بغداد صار خيراً شراً صيرها الله مثل سامرا

(والشيطان في هلاك الناس الاممعا) فكان من يوم رجمه طامعاً في اهلاكهم
حيث قال لله تعالى « لا تعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لا تنيتهم من بين أيديهم
ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين » وقال له
عز وجل « لا غوينهم أجمعين الاعبادك منهم المخلصين » وقد قال تعالى « ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين » .

(فهذا آوان قويت عدته) لمساعدة شياطين الانس له (وعمت مكيدته) للعالم
والجاهل والعام والخاص (وامكنت فريسته) ولاسيما بالنساء فانهن فخته ، والنظر
سهم مسموم من سهامه .

وفي تاريخ بغداد قال ابو الفرج الرستمي البغدادي : سمعت المحترق
لبصري يقول : رأيت ابليس في النوم فقلت : كيف رأيتنا عزفنا عن الدنيا ولذاتها
وأموالها فليس لك البنا طريق؟ فقال : كيف رأيت ما استملت فيه قلوبكم باستماع
السماع ومن شره الاحداث .

وفي الحلية عن وهب بن منبه ان رجلاً من بنى اسرائيل صام سبعين أسبوعاً
يفطر في كل سبعة أيام يوماً وهو يسأل الله تعالى أن يريه كيف يغوى الشيطان
الناس ، فلما أن طال ذلك عليه ولم يجب قال : لو أقبلت على خطيئتي وما بيني
وبين ربي لكان خيراً لي ، فأرسل تعالى اليه ملكاً وقال : أرسلني تعالى اليك
وهو يقول : ان كلامك هذا الذي تكلمت به أعجب الي مما مضى من عبادتك
وقد فتح بصرك فانظر ، فاذا أحبولة لابليس قد أحاطت بالارض واذا ليس أحد
من بني آدم الا وحوله شياطين مثل الذباب ، فقال : اي رب من ينجو من هذا ؟
قال : الورع اللين .

(اضرب بطرفك حيث شئت من الارض) الطرف العين ، أي استعمل عينك
بقدر ما ترى من أطراف الارض ، قال شاعر :

أقلب الطرف تصعيداً ومنحدرأً فما أقابل انساني^(١) بانسان
(هل) هكذا في المصرية والصواب «فهل» كما في الثلاثة (تبصر الا فقيراً
يكابد فقراً) كأبي دلامة وامرأته أم دلامة ، دخل الرجل على المهدي وقال له : ماتت
امرأته وخلفت صغاراً ، ودخلت المرأة على الخيزران وقالت له : مات زوجها
وخلف صغاراً ، فأخذ كل منهما بهذا الكيد قدراً .

وفي الخبر : من فتح عليه باب مسألة فتح الله عليه باب فقر ، وانه لو علم
الناس ما في السؤال لما سأل أحد أحداً ، وان من سأل وعنده قوت ثلاثة أيام

(١) اي باصرة عيني.

لقي الله يوم القيامة ولالحم لوجهه ، وان المؤمن والشيعه لا يمكن أن يكونا من
أهل السؤال . وقال المعري :

قالوا فلان جيد فأجبتهم لا تكذبوا ما في البرية جيد
فغنيهم نال الغناء ببخله وفقيرهم بصلاته يتصيد

(أوغنياً بدل نعمة الله كفرة) «وتجعلون رزقكم انكم تكذبون» ، «ان الله لا يغير
ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» ، «فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع
والخوف بما كانوا يصنعون» ، «لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى
لشديد» (أو بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفرأ) .
في الكافي عن الصادق عليه السلام : من منع حقاً لله عز وجل أنفق في باطل
مثليه .

وعن الباقر عليه السلام : ان الله تعالى يبعث يوم القيامة ناساً من قبورهم
مشدودة أيديهم الى أعناقهم لا يستطيعون أن يتناولوا بها قيد أنملة ، معهم ملائكة
يعيرونهم تعبيراً شديداً ، يقولون : هؤلاء الذين منعوا خيراً قليلاً من خير كثير
هؤلاء الذين أعطاهم الله فمنعوا حق الله في أموالهم .
وعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى «سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة»
ما من أحد يمنع من زكاة ماله شيئاً الا جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار
مطوقاً في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب .
وعنه عليه السلام : ما أدى أحد الزكاة فنقصت من ماله ، ولا منعها احد فزادت
في ماله .

وعنه عليه السلام : ملعون ملعون ما لا يزكى .

وعن النبي صلى الله عليه وآله : ما محق الاسلام محق الشح شيء . ثم قال :
ان لهذا الشح ديباً كدبيب النمل وشعباً كشعب الشوك .

وعن امير المؤمنين عليه السلام : اذا لم يكن لله في عبد حاجة ابتلاه بالمخل
وعنه عليه السلام قال لرجل قال «الشحيح اعذر من الظالم» : كذبت ، ان
الظالم قديتوب ويستغفرويرد الظلامة على أهلها ، والشحيح اذا شح منع الزكاة
والصدقة وصلة الرحم واقراء الضيف والنفقة في سبيل الله وأبواب البر ، وحرام
على الجنة أن يدخلها شحيح .

(أومتزداً كأن باذنه عن سماع المواعظ وقرأ) أي ثقلاً ، قال تعالى «ولو أننا
نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا» .
وفي تفسير القمي قال ابوذر : بشر المتكبرين بكى في الصدور وسحب
على الظهور .

(اين خياركم وصلحواؤكم) لبعضهم :

ذهب الرجال فما أحسن رجالاً وأرى الاقامة بالعراق ضلالاً
(وأحراركم) هكذا في المصرية والصواب «وأين أحراركم» كما في الثلاثة
(وسمحاؤكم) أي أجوادكم .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام : ان الله عزوجل جعل للمعروف أهلاً من
خلقه حبب اليهم فعالة ، ووجه لطالب المعروف الطلب اليهم ويسرلهم قضاءه
كما يسر الغيث للارض المجدبة ليحييها ويحيى به أهلها ، وان الله عزوجل
جعل للمعروف أعداءً من خلقه بغض اليهم المعروف وبغض اليهم فعالة ،
وحظر على طلاب المعروف الطلب اليهم ، وحظر عليهم قضاءه كما حرم الغيث
على الارض المجدبة ليهلكها ويهلك أهلها .

وفي الاغانى قال الاصمعي : مرأسماء بسن خارجة الفرزاري على الفرزدق
- وهو يهنا بغيراً له لنفسه - فقال له : يا فرزدق كسد شعرك واطرحك الملوك
فصرت الى مهنة ابلت فقد أمرت لك بمائة بغير . فقال الفرزدق بمدحه .
وقال ابو عبيدة : دخل الفرزدق على بلال بن ابى موسى فأنشده قصيدة ،

فقال له بلال : هلكت والله أين مثل شعرك في سعيد والعباس بن الوليد - وسمى
قوماً آخر - فقال : جئني بحسب مثل أحسابهم حتى أقول فيك كقولي فيهم ،
فغضب بلال حتى دعى له بطشت فيه ماء بارد فوضع يده فيه حتى سكن .
(وأي المتورعون في مكاسبهم) في الكافي قال النبي «ص» : ان أخوف
ما أخاف على أمتي من بعدي هذه المكاسب الحرام .

وقال الصادق عليه السلام : اذا اكتسب الرجل مالا من غير حله ثم حج
فلبى نودي «للبيك ولا سعديك» وان كان من حله فلبى نودي «لبيك وسعديك» .

وقال عليه السلام : كسب الحرام يبين في الذرية .

وقال عليه السلام في قوله تعالى «وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منشوراً» فقال ان كانت أعمالهم لاشد بياضاً من القباطي فيقول تعالى لها كوني
هباء ، وذلك انهم اذا شرع لهم الحرام أخذوه .

في الحلية قالت أخت بشر الحافي لاحمد بن حنبل : انا نغزل بالليل ومعاشنا
منه ، وربما يمر بنا مشاعل بني طاهر - ولاة بغداد - ونحن على السطح فنغزل
في ضوءها الطاقاة والطاقتين أفتحله لنا أم تحرمه . فقال : لاعدمتكم يا آل بشر ،
لاأزال أسمع الورع الصافي من قبلكم .

(والمتنزهون في مذاهبهم) في الكافي قيل للصادق عليه السلام : فلان
وفلان وفلان يسألونك الدعاء . فقال : ومالهم . قيل : حبسهم المنصور . فقال
ومالهم وماله ؟ قيل : استعملهم فحبسهم . فقال : ومالهم وله ، ألم انهم ، ألم
أنهم ، ألم أنهم ، هم النار هم النار هم النار . ثم قال : اللهم اجدع عنهم
سلطانهم . قال ابن مهاجر : فانصرفنا عن مكة فسألنا عنهم فاذاهم قد أخرجوا بعد
ذلك الكلام .

وقال الصادق عليه السلام - بعد ذكر سؤال زرارة عن الدخول في أعمال

الظلمة - متى كانت الشيعة تسأل عن أعمالهم ، انما كانت الشيعة تقول نأكل من طعامهم ونشرب من شرابهم ونستظل بظلمهم ، متى كانت الشيعة تسأل عن هذا .

وفي النجاشي : حكى بعض أصحابنا ان صفوان بن يحيى كلفه رجل حمل دينارين الى أهله بالكوفة ، فقال : ان جمالي مكربة وأنا استأذن الاجراء .

(أليس قد ظعنوا جميعاً عن هذه الدنيا الدنية) الظعن في مقابل الإقامة، قال تعالى «يوم ظعنكم ويوم اقامتكم» (والعاجلة المنغصة) أي المكدر العيش (وهل خلفتم الا في حثالة) في الصحاح الحثالة كأنه الردىء من كل شيء ، ولا يبي الاسود :

والمنكرون لكل أمر منكر
وذهب الرجال المقتدى بفعالهم
وبقيت في خلف يزكى بعضهم
بعضاً ليدفع معور عن معور
وللبغاء :

يكاد يشح بالريح الهبوب
وشاع البخل في الاشياء حتى
وأكثر ما نشاهده معيب
فكيف نخص باسم العيب شيئاً
ولعبد الحميد الكاتب :

واعقب ما ليس بالقافل
ترحل ما ليس بالقافل
ولهفى على السلف الراحل
فلهفى على الخلف النازل
بكاء مولهة ثاكل
أبكى على ذا وأبكى لذا
وتبكى على ابن لها واصل
تبكى من ابن لها قاطع
لهافى الضمير ومن هائل
فليست تفتسر عين عبسة
وللبيد :

وبقيت في خلف كجلد الاجرب
ذهب الذين يعاش في اكنافهم
ويعاب قائلهم وان لم يشغب
يتأكلون مغالة و خيانة

وقال البحترى :

وخلفني الزمان على أناس
ولهم حليل حسن فهن بيض
واخلاق البغال فكل يوم
واكثر ما لسائلهم لديهم
ووعد ليس يعرف من عبوس
أناس لو تأملهم لبيد
ولبعضهم في قتل ابن حازم :
فقد بقيت كلاب نابحات
ولبعضهم :

ذهب الذين يعاش في اكناهم
وبقيت في خلف كأن وجوههم
أيضاً :

زمني كله ضيم وضير
وما فيهم سوى نحر لثيم
وأعراض لهاجيها حلال
فسد الزمان فماترى
هذا يصول وان يصب
ويحوم ذلك على اذاك
وناس كلهم ديم ودام
شحاح الزند ما فيه ضرام
وأموال لراجيها حرام
الا ذباباً او دبابا
لم يال عقرا و انتهابا
فلا تزال به مصابا

وفي البيان قال ابوذر : كأن الناس ورزقاً لاشوك فيه ، فصاروا شوكاً لا ورق فيه.
في المستجاد عن الشافعي قال : كان بمصر رجل عرف بأن يجمع للفقراء ،
فولد لبعضهم ولد قال : فجئت اليه فقلت ولدلي مولود وليس معي شيء . فقام
معي ودخل على جماعة فلم يفتح عليه بشيء ، فجاء الى قبر رجل كان يعرفه

وجلس عنده وقال : رحمك الله كنت تفعل وتصنع واني درت اليوم وطلبت جماعة في شيء لمولود فلم يتفق لي شيء . ثم قام وأخرج ديناراً فكسره نصفين وناولني نصفه وقال : هذا دين عليك الى أن يفتح الله لك بشيء ، فأخذته وانصرفت وأصلحت ما اتفق لي به ، فرأى تلك الليلة ذلك الشخص صاحب القبر في منامه وهو يقول : قد سمعت جميع ما قلت وليس لنا اذن في الجواب، ولكن أحضر منزلي وقل لاولادى يحفرون مكان الكانون ويخسرجون قربة فيها خمسمائة دينار فاحملها الى هذا الرجل ، فلما كان من الغد تقدم الى منزل الميت وقص القصة فقالوا له : اجلس ، وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاؤا بها فوضعوها بين يديه . فقال : هذا مالكم . فقالوا : هويتسخي ميتاً ونحن لا نتسخي أحياء والله لا تمسكنا منها بشيء ، فلما ألحوا عليه حمل الدنانير الى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة ، فأخذ منها ديناراً فكسره نصفين فأعطاه النصف الذي أقرضه وحمل النصف الاخر وقال : هذا يكفيني وتصدق بالباقي على الفقراء (لا تلتقى بدمهم الشفتان استصغاراً لقدرهم وذهاباً عن ذكرهم) للبحثري في ابن الجرجاني :

وأثقل من أهجو علي مغمر أظل باسفاً في هجوه أهجي
وله أيضاً في طماس :

وإذا عدت على طماس عيبه لم ارض الحاظي ولا انفاسي
في الاذكياء : قيل لابي العيلاء : هل بقي من يلقي ؟ قال : نعم في البئر.
قلت : حمل (يلقي) المجهول من اللقاء على اللقاء ، ولدعبل :

أما الهجاء فدق عرضك دونه والمدح عنك - كما علمت - جليل
فاذهب فأنت عتيق عرضك انه عرض عززت به وأنت ذليل

ولاخر :

اللؤم اكرم من وبر ووالده واللؤم اكرم من وبر وما ولدا

قوم اذا ماجنى جانهم أمنوا من لؤم احسابهم ان يقتلوا قودا

أيضاً :

لو كان يخفى على الرحمن خافية من خلقه خفيت عنه بنو اسد

وفي كنيات الجرجاني : تعرض رجل لموسى بن عبد الله الحسيني وسبه

فقال موسى متمثلاً :

تمنت - و ذاكم من سفاهة رأيها لا هجوها لما هجتني - محارب

معازا لا له انني بعشيرتي ونفسي عن ذلك المقام لراغب

هذا ، وحيث ان الانسان قد لا يذم الخصم المذموم لردالته واقعاً قديترك

ذم الخصم الشريف بادعاء انه رذل ، فقالوا : كان مالك بن ابراهيم بن مالك

الاشتر النخعي والورد بن عبد الله السعدي ممن خرجا مع يزيد بن المهلب

على يزيد بن عبد الملك ، وكان الورد خرج مع ابن الاشعث أيضاً ، فطلبوا الامان

من مسلمة بن عبد الملك أمير جيش أخيه ، فاستشفع للورد ابن اخي مسلمة وختنه

وأوقفه عنده للعفو ، فشمته مسلمة فقال : صاحب خلاف وشقاق ونفاق ونفار في

كل فتنة ، مرة مع حائك كندة ومرة مع ملاح الازد ، ماكنت بأهل ان تؤمن .

ثم قال له : انطلق . واستشفع ابن رستم الحضرمي لابن الاشتر ، فأوقفه بين يديه

وقال له : هذا مالك بن ابراهيم بن مالك اشتر . فقال له مسلمة : انطلق . فقال له

ابن رستم : نم لا تشتمه كما شتمت صاحبه . قال : أجللتكم عن ذلك وكنتم

اكرم علي من أصحاب الاخر وأحسن طاعة . قال ابن رستم لمسلمة : فانه أحب

الينا أن تشتمه ، فهو والله أشرف أباً وجداً من الورد واسوء أثراً في أهل الشام

منه . فكان ابن رستم يقول بعد أشهر : ما تركه الا حسداً من أن يعرف صاحبنا

فأراد ان يرينا أنه قد حقره .

فانا لله وانا اليه راجعون) هذا الاسترجاع في غاية الارتفاع هنا ، لانه دال بالالتزام على أن صيرورة الناس الاحياء الى كذا و كذا مصيبة معنوية عظيمة جداً وينبغي الاسترجاع منها .

(ظهر الفساد فلا منكر متغير) هكذا في :لمصرية ، ولكن في «حد» مغير ، فهو الصحيح .

وفي البيان قال النبي صلى الله عليه وآله : ان قوماً ركبوا سفينة في البحر فافتسموا فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفأس ، فقالوا له : ما تصنع ؟ فقال : هو مكاني أصنع فيه ما شئت ، فان اخذوا على يديه نجا ونجوا وان تركوه هلك وهلكوا .

وفي الطبري قام الحسين عليه السلام بذئ حسم فقال : ألا ترون الحق لا يعمل به وان الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً ، فاني لأرى الموت الاشهادة ولا الحياة مع الظالمين الا برماً .

وفيه ايضاً : خطب الحسين عليه السلام اصحابه واصحاب الحر بالبيضة فقال : أيها الناس ان رسول الله «ص» قال : من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسوله يعمل في عباده بالاثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ، ألا وان هؤلاء قدلزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفئء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله ، وانا أحق من غير وقد أتتني كتبكم ورسلكم انكم لاتسلموني ولا تخذلونني ، فان تمتمت على بيعتكم تصيبوا رشدكم ، فانا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله ، نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم فلکم في أسوة ، وان لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم فلعمري ما هي منكم بنكر ، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي

مسلم ، والمغرور من اغتر بكم فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم ، ومن نكث فانما ينكث على نفسه - الخ .

وروى بعض المقاتل انه عليه السلام كتب بهذا الى سليمان بن صرد وجماعة معه كانوا كتبوا اليه دعوة .

(ولا زاجر مزدجر) «ازدجر» يأتي لازماً ومتعدياً ، وهنا لازم ففي الصحاح الزجر المنع والنهي ، يقال زجره وازجره فانزجر وازدجر .
قال النبي «ص» : اذا أمتي توأكلت الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله .

وقال «ص» كيف بكم اذا فسدت نساءكم وفسق شبانكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر . فقيل له : ويكون ذلك يا رسول الله ، فقال : وشر من ذلك ، كيف بكم اذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف . فقيل له : ويكون ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم وشر من ذلك ، اذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً .

(أفبهذا تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه وتكونوا أعز أوليائه عنده)
كاليهود الذين كانوا يقولون نحن أولياء الله وأحباؤه .

قال يحيى بن معاذ : عمل كالسراب ، وقلب من التقوى خراب ، وذنوب بعدد الرمل والتراب ، ثم تطمع في الكواعب الاتراب ، هيهات أنت سكران بغير شراب .

(هيهات لا يخدع الله عن جنته) «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين» ، «ام حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب» .

(ولا تنال مرضاته الا بطاعته) «وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتمكم من أعمالكم شيئاً» .

(لعن الله الامرين بالمعروف التاركين له) «أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم» (والناهين عن المنكر العاملين به) «وما اريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم ان أريد الا الاصلاح ما استطعت» .

وفي الحلية عن النبي «ص» يجاء بالامير يوم القيامة فيلقى في النار فيطحن فيها كما يطحن الحمار لطاحونته ، فيقال له : ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . قال : بلى ولكن لا أفعله .

٣/في ١/٢٢٨ : واعلموا رحمكم الله انكم في زمان القائل فيه بالحق قليل واللسان عن الصدق قليل واللازم للحق ذليل ، أهله معتكفون على العصيان مصطلحون على الادهان ، فتاهم عارم وشائبهم آثم وعالمهم منافق وقارنهم مماذق ، لا يعظم صغيرهم كبيرهم ولا يعول غنيهم فقيرهم .

(واعلموا رحمكم الله) الخطاب فيه لاصحابه (أنكم في زمان القائل فيه بالحق قليل) عن الصادق عليه السلام : ما ناصح الله عبد مسلم في نفسه فأعطى الحق منها وأخذ الحق لها الا أعطي خصلتين : رزقاً من الله تعالى يقنع به ، ورضى عن الله ينجي به .

وعن الباقر عليه السلام : المؤمن الذي اذا رضي لم يدخله رضاه في اثم ولا باطل ، واذا سخط لم يخرج سخطه من قول الحق ، واذا قدر لم تخرجه قدرته الى التعدي والى ما ليس له بحق .

وحكى تعالى عن داود «وان كثيراً من الخلقاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم» وقلة قول الحق بمقدار غلبة سلطان

الباطل ، فكلما كانت اكثر كان أقل .

وفي الطبري : بلغ المغيرة - وكان أميراً على الكوفة من قبل معاوية - أن صعصعة بن صوحان يعيب عثمان ويكثر ذكر علي عليه السلام ويفضله ، فدعاه وقال له : اياك أن يبلغني عنك انك تعيب عثمان عند أحد من الناس ، واياك أن يبلغني عنك انك تظهر شيئاً من فضل علي علانية ، فانك لست بذاك من أفضل علي شيئاً أجعله ، بل أنا أعلم بذلك ، ولكن هذا السلطان قد ظهر وقد أخذنا باظهار عيبه للناس ، فنحن ندع كثيراً مما امرنا به ونذكر الشيء الذي لا نجد بدأ منه ، ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقية ، فان كنت ذا كراً فضيلة فاذكره بينك وبين أصحابك وفي منازلكم سراً ، وأما علانية في المسجد فان هذا لا يحتمله السلطان لنا ولا يعذرنا فيه . فكان يقول له : نعم أفعّل ، ثم يبلغه عنه أنه قد عاد الى ما نهاه عنه - الخ .

(واللسان عن الصدق كليل) من «كلّ السيف» نبا .

في الكافي قال النبي «ص» : ما يزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صديقاً ، ولا يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذاباً .
وقال امير المؤمنين عليه السلام: لا يجد عبد طعم الايمان حتى يترك الكذب هزله وجده .

وقال الباقر عليه السلام: الكذب هو خراب الايمان .

وقال عليه السلام : جعل تعالى للشر أقفالا ، ومفاتيح تلك الاقفال الشراب ، والكذب شر من الشراب .

وقال عليه السلام: أول من يكذب الكذاب الله عز وجل ، ثم الملكان اللذان معه ، ثم هو يعلم أنه كاذب .

(واللازم للحق دليل) لنفرة الناس عن الحق ، وهو سبب عدم استحكام أمر

سلطنته عليه السلام ، لانه كان ملتزماً بالحق في أقواله و أعماله ، فتركوه يوم السقيفة لتنمره في ذات الله تعالى كما قالت الصديقة عليها السلام ، ولم يبايعوه يوم الشورى لعدم قبوله سنة صديقهم وفاروقهم ، وهجروه أيام قيامه لتسويته بين الاشراف وغيرهم .

(أهله معتكفون على العصيان) روى عقاب الاعمال عن الصادق عليه السلام قال : اذا أخذ القوم في معصية الله تعالى فان كانوا ركباناً كانوا من خيل ابليس ، وان كانوا رجالاً كانوا من رجالته .

(ومصطلحون على الادهان) روى عقاب الاعمال عن الصادق عليه السلام قال: ما قرب قوم من المنكرين أظهرهم لا يغيرونه الا أوشك الله أن يعمهم الله بعقاب من عنده .

وقال عليه السلام : قال النبي «ص» سيأتي في أمتي زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا لا يريدون به ما عند الله تعالى ، يكون أمرهم رياء لا يخالطهم خوف ، يعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجاب لهم .

الادهان: المصانعة ، قال تعالى «ودوا لوتدهن فيدهنون» .

(فتاهم عارم) أي شرس سيء الخلق .

(وشائبهم آثم) في الكافي عن الصادق عليه السلام : الرجم في القرآن اذا

زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة فانهما قضيا الشهوة ، وقال الشاعر:

سواء كأسنان الحمار فلا ترى لذي شبيبة منهم على ناشىء فضلا

(وعالمهم منافق) في عقاب الاعمال عن الصادق عليه السلام قال النبي «ص»:

سيأتي زمان على أمتي لا يبقى من القرآن الا رسمه ، ومن الاسلام الاسم ،

يسمون به وهم أبعد الناس منه ، مساجدهم معمورة وهي خراب من الهدى ،

فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء ، منهم خرجت الفتنة واليهم تعود
(وقارئهم مماذق) الاصل في المذق اللبن الممزوج بالماء ، قال الجوهري :
ومنه «فلان يمدق الود» اذا لم يخلصه ، فهو ممدق ومماذق .

في العقاب عن الصادق عليه السلام : ان علياً «ع» قال : في جهنم رحى
تطحن ، أفلا تسألوني ما طحينها . فقيل : ما طحينها يا أمير المؤمنين ؟ فقال :
العلماء الفجرة ، والقراء الفسقة ، والجبابرة الظلمة ، والوزراء الخونة ، والعرفاء
الكذوبة . وقال شاعر :

تصوف كي يقال له أمين وما يعني التصوف والامانه

ولكن اراد به الطريق الى الخيانه

(لايعظم صغيرهم كبيرهم) من جوامع كلمات النبي «ص» : ليس منا من لم
يرحم صغيرنا ويوف حق كبيرنا .

وفي ثواب الاعمال قال النبي «ص» : من عرف فضل شيخ كبير فوفقه لسنه
آمنه الله من فزع يوم القيامة .

وقال : من تعظيم الله اجلال ذى الشيبة المؤمن .

(ولا يعول غنيهم فقيرهم) «ولم نك نطعم المسكين» .

هذا ، وروى عن النبي «ص» : يأتي على الناس زمان وجوههم وجوه
الادميين وقلوبهم قلوب الشياطين ، سفاكين للدماء لا يرعون عن قبيح ، أن
بايعتهم أربوك وان ائتممتهم خانوك ، صبيهم عارم وشائبهم شاطر وشيخهم لا
يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر ، السنة فيهم بدعة والبدعة فيهم سنة ، وذو
الامر منهم غاو ، فعند ذلك يسلم الله عليهم شرارهم فيدعو خيارهم فلا
يستجاب لهم .

١٤٠/٤ / ومن خطبة له عليه السلام : ان الوفاء تسوأم الصدق ،

ولا اعلم جنة اوقى منه ، ولا يغدر من علم كيف المرجع ، ولقد
أصبحنا في زمان قد اتخذ اكثر أهله الغدر كيساً ونسبهم أهل
!لجهل فيه الى حسن الحيلة ، ما لهم .. قاتلهم الله .. قد يرى الحول
القلب وجه الحيلة ودونه مانع من أمر الله ونهيه ، فيدعها رأى
عين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين .

(ان الوفاء توأم الصدق) التوأم اصله ولد تضعه امه مع آخر في بطن . قال
الخليل : هو فوعل ، لان أصله ووأم ، فأبدل من الاولى تاء كما في «تولج» بالفتح .
ذكر عليه السلام صفتين شريفتين السوفاء والصدق ، وجعلهما توأمين لان
كلا منهما شعبة من الاخر ، فالوفاء بالعهد صدق عملي ، ومنشأهما واحد وهو
شرافة النفس ، فكأنهما كما قيل :

رضيحي لبان ثدي أم تحالفا بأسحم داج عوض لا يتفرق
والصدق شرافته معلومة ، ويكفي فيها قوله تعالى «وكونوا مع الصادقين» ،
«يوم ينفع الصادقين صدقهم» ، والوفاء مثله . وقال «ص» : بعثت بوفاء العهد
مع البر والفاجر .

وفي تنبيه انمسهودي : ذكر ابو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه المترجم
بالديباج أوفياء العرب ، فعد السموأل بن عادي الغساني والحارث بن ظالم المري
وعمير بن سلمى الحنفي . ولم يذكر هانياً وهو أعظم العرب وفاءً وأعزهم
جواراً وأمنعهم جاراً ، لانه عرض نفسه وقومه للحتوف ونعمهم للزوال وحرهم
للسبي ولم يخفر أمانته ولا ضيع وديعته .

وفي أمثال الكرمانى يقال «أوفى من الحرث بن ظالم» ، كان من وفائه أن
عياض بن ديهث مر برعاء الحرث وهم يسقون ، فسقى فقصر رشاؤه فاستعار
من أرشية الحرث فوصل رشاءه فأروى ابله ، فأغار عليه بعض چشم النعمان

فاطردوا ابله ، فصاح عياض يا «حار» يا جارا . فقال له الحارث : ومتى كنت جارك . قال : وصلت رشائي برشائك فسقيت أبلبي وأغير عليها ، أفلا تشدماوهي من أديمك - يريد ان الحارث قتل خالد بن جعفر بن كلاب في جوار الاسود بن المنذر - فقال الحارث : هل تعدون الحلبة الى نفسي ، فأرسلها مثلا - أي انك لا تهلك الا نفسي ان قتلتها - فتدبر النعمان كلمته فرد على عياض أهله وماله ، وقال الفرزدق في ذلك - يضرب مثلا لسليمان بن عبد الملك حين وفي ليزيد بن المهلب :

لعمرى لقد أوفى - وزاد وفاؤه	على كل حال جار آل المهلب
كما كان أوفى اذ ينادى ابن ديهث	و صرمته كالمنغم المتنهب
فقام أبوليلي اليه ابن ظالم	وكان متى ما يسلل السيف يضرب

ويقال «أوفى من الحارث بن عبادة» أسر عدي بن ربيعة في يوم قضة ولم يعرفه ، فقال له : دلني على عدي . فقال له : ان أنا دللتك عليه تؤمنني ؟ قال : نعم . فقال : أنا عدي ، فخلاه وقال :

لهف نفسي على عدي وقد	أشعب للموت واحتوته اليدان
----------------------	---------------------------

«وأوفى من السموأل» استودعه امرؤ القيس لما أراد الخروج الى قيصر دروعاً ، فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام ، فتحرز منه السموأل فأخذ الملك ابناً له - وكان خارجاً من الحصن - فصاح به : هذا ابنك في يدي وامرؤ القيس بن عمي ومن عشيرتي ، فان دفعت الي الدروع والا ذبحت ابنك . قال : أجلني فأجله ، فجمع اهل بيته ونساءه فشاورهم فكل أشار اليه أن يدفع الدروع ويستنقذ ابنه ، فأشرف عليه وقال : ليس الي دفع الدروع سبيل فاصنع ما أنت صانع ، فدبح الملك ابنه وهو مشرف ينظر اليه : ثم انصرف الملك بالخبية فوافى السموأل بالدروع الموسم فدفعها الى ورثة امرىء القيس وقال :

وفيت بأدرع الكندي اني اذا ما خان أقوام وفيت
و قالوا انه كنز رغب ولا والله أغدر ما مشيت
بنى لي عاديا حصناً حصيناً و بئراً كلما شئت استقيت
«عاديا» جده .

«أوفى من عوف بن محلم وابنته خماعة» غزا مروان القرظ - سمي بالقرظ
لانه كان يغزو اليمن وهي منابت القرظ - بكر بن وائل فقصوا أثر جيشه فأسره
رجل منهم وهو لا يعرفه ، فأتى به امه فقالت له : انك لتختال بأسيرك كأنك جئت
بمروان القرظ . فقال لها مروان : وما ترتجين من فدائه ؟ قالت : مائة بعير .
قال : ذلك لك على أن تؤديني الى خماعة بنت عوف بن محلم ، وكان السبب
في ذلك أن خماعة كانت امرأة ليث بن مالك ، ولما مات ليث أخذت بنو عبس
ماله وأهله ، وكان الذي أصاب أهله خماعة عمرو بن قارب وذؤاب بن أسماء ،
فسألها مروان القرظ من أنت ؟ قالت : خماعة بنت عوف ، فانتزعها من عمرو
وذؤاب - لانه كان رئيس القوم - وقال لها : غطي وجهك حتى اردك الى أبيك
وقبل اشتراها منهما بمائة من الابل - فحملها الى عكاظ ، فلما انتهى الى منازل
بني شيبان قالت : هذه منازل قومي و هذه قبة أبي . قال : فانطلقى الى أبيك
وقال :

رددت على عوف خماعة بعد ما خلاها ذؤاب غير خلوة خاطب
الابيات ، فمضت به الى خماعة وكان عمرو بن هند وجد على مروان في
أمر فألى أن لا يعفوه حتى يضع يده في يده ، فبعث عمرو الى عوف أن يأتيه
به ، فقال : قد أجارته ابنتي وليس اليه سبيل . فقال عمرو : قد آليت كذا وكذا .
فقال عوف ، يضع يده في يدك على أن تكون يدي بينهما ، فأجابه عمرو الى ذلك
(ولا أعلم جنة أوفى منه) الجنة - بالضم - ما يوقيك عن الاسلحة .

قال «خسو» في الاثر : ان النعمان بن المنذر قد جعل له يومين يوم بؤس من صادفه فيه قتله ويوم نعيم من لقي فيه أحسن اليه وأغناه ، وكان رجل من طي قد خرج ليطلب الرزق لاولاده ، فصادفه النعمان في يوم بؤسه ، فعلم الطائي أنه مقتول فقال : حيى الله الملك أن لي صببة صغاراً ولم يتفاوت الحال بين قتلى أول النهار وآخره ، فان رأى الملك ان أوصل اليهم هذا القوت وأوصى بهم أهل المروة من الحي ثم أعود . فقال النعمان : فان يضمك رجل ان لم ترجع قتلناه ، وكان شريك بن عدي نديم النعمان فقال : أنا أضمنه ، فمضى الطائي متسرعاً وصار النعمان يقول لشريك : جاء وقتك فتأهب للقتل . فقال : ليس علي سبيل حتى يأتي المساء ، فلما قرب المساء قال : تأهب . قال : هذا شخص قد لاح مقبلاً ، فلما قرب اذا هو الطائي قد اشند في عدوه وقال : خشيت أن ينقضني النهار قبل وصولي مر بأمرك أيها الملك . فأطرق النعمان ثم رفع رأسه فقال : مارأيت أعجب منكما ، أما أنت ياطائي فما تركت في الوفاء مقاماً لاحديفتخر به ، وأما أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها في الكرماء ، فلا أكون انا الألام الثلاثة، ألا واني رفعت يوم بؤسي عن الناس بوفاء الطائي وكرم شريك .

قلت : وفي الطبرى في وقائع (٥٨) حبس ابن زياد فيمن حبس مرداس ابن اديه ، فكان السجن يرى عبادته واجتهاده وكان يأذن له في الليل فينصرف ، فاذا طلع الفجر أتاه حتى يدخل السجن ، وكان صديق لمرداس يسامر ابن زياد ، فذكر ابن زياد ليلة الخوارج ، فعزم على قتلهم اذا أصبح فانطلق صديق مرداس الى منزل مرداس ، فأخبرهم وقال : أرسلوا اليه في السجن فليعهد فانه مقتول فسمع ذلك مرداس وبلغ الخبر صاحب السجن ، فبات بليلة سوء اشفاقاً من أن يعلم الخبر مرداس فلا يرجع ، فلما كان الوقت الذي كان يرجع فيه اذا به قدطلع

فقال له السجان : هل بلغك ما عزم به الامير . قال : نعم . قال : ثم غدوت . قال : نعم ولم يكن جزاؤك مع احسانك أن تعاقب بسببي ، وأصبح عبيد الله فجعل يقتل الخوارج ثم دعا بمرداس ، فلما حضر وثب السجان - وكان ظئراً لعبيد الله - فأخذ يقدمه ثم قال : هب لي هذا وقص عليه قصته ، فوهبه له وأطلقه .
 (ولا يغدر) هكذا في المصرية والصواب «وما يغدر» كما في «حد» و«ثم»
 والخطية .

(من علم كيف المرجع) أي كيف مرجع الغادر في الدنيا من الخزي وفي الآخرة من العقاب ، أما خزري الدنيا ففي وزراء الجهشيارى : لما قوى أمر بني العباس قال مروان بن محمد لعبد الحميد كاتبه : انا نجد في الكتب أن هذا الامر زائل عنا لا محالة وسيضطر اليك هؤلاء - يعني بني العباس - فصر اليهم فاني أرجو أن تتمكن منهم فتنفعني في مخلفي وفي كثير من أسبابي . فقال له : وكيف لي بأن يعلم الناس أن هذا عن رأيك وكلهم يقول اني غدرت وسرت التي عدوك ، والذي امرتني به أنفع الامرين لك وأقبحهما بي ، وأنشد :

أسرو فاء ثم أظهر غدرة فم لي بعذريوسع الناس ظاهره

وفي أمثال الكرماني : نزل أنيس بن مرداس السلمي في صرم من بني سليم بعتيبة بن الحارث ، فشد على أموالهم فأخذها وربط رجالها حتى اقتدوا ، فقال العباس بن مرداس أخوه :

كثر الضجاج وما سمعت بغادر كعتيبة بن الحارث بن شهاب

جللت حنظلة الدنساء كلها ودنست آخر هذه الاحقاب

وأما عقاب الآخرة ففي الكافي قال امير المؤمنين عليه السلام : لولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس ، ألا أن لكل غدرة فجرة ولكل فجرة كفرة ، ألا وان الغدر والفجور والخيانة في النار . وزاد النهج : ولكل غادر لواء يعرف

به يوم القيامة .

وعن غارات الثقفى : ذكر المغيرة بن شعبه عند علي عليه السلام فقال :
وما المغيرة انما كان اسلامه لفجره وغدره بنفر من قومه فهرب فأتى النبي «ص»
كالعائذ بالاسلام ، والله مارئي عليه منذ ادعى الاسلام خضوعاً ولاخشوعاً .
وفي النهج قال عليه السلام في مروان : لما أخذ أسيراً وكلمه الحسنان
عليهما السلام في أن يبايعه: لاحاجة لي في بيعته انها كف يهودية لوبايعني بكفه
لغدر بسبته ، أما ان له امرة كلعقة الكلب أنفه ، وهو أبو الالكبش الاربعة وستلقى
الامة منه ومن ولده يوماً أحمر .

وفيه أيضاً قال عليه السلام للاشعث : وان امرء دل على قومه السيف وساق
اليهم الحتف لحري أن يمقته الاقرب ولا يأمته الابد .
قال الرضي : وكان قومه بعد ذلك يسمونه عرف النار ، وهو اسم للغادر
عندهم .

(ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ اكثر أهله الغدر كيساً) عن عمرو بن العلاء
كانت بنو سعد بن تميم أغدر العرب - وكانوا يسمون الغدر في الجاهلية كيسان
فقليل فيهم :

اذا كنت في سعد وخالك منهم غريباً فلا يغرك خالك من سعد

اذا مادعوا كيسان كانت كهولهم الى الغدر أولى من شبابهم المرء

وقال الاخطل في نابغة بني جعدة :

قبيلة يرون الغدر مجداً ولا يدرون ما نقل الجفان

قالوا : أشار الى قتل ورد والرقاد الجعديين لشرا حيل الجعفي غدرأ ،

وقال آخر :

اذا أشرف المعجانر كب بدت له بيوت بني ورد مجاورها الغدر

وفي مقاتل ابى الفرج قال ابو اسحق : سمعت معاوية بالنخيلة يقول : ألا ان كل شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدمي هاتين . قال ابو اسحق : وكان والله غداراً .

هذا ، وفي عيون ابن بابويه عن محمد بن يحيى الصولي : ان العباس بن الاحنف خال جده قال في جدته لايه المسماة بغدر :

* يا غدر زين باسمك الغدر *

(ونسبهم أهل الجهل فيه الى حسن الحيلة ، ما لهم قاتلهم الله قديرى الحوّل القلب) الحوّل بتشديد الواو البصير بتحويل الامور (وجه الحيلة ودونه مانع من أمر الله ونهيه فيدعها ، رأي عين بعد القدرة عليها وينتهز) أي يغتنم (فرصتها من لاحريجة) اسم مصدر لقولهم «تخرج فلان» اذا فعل فعلا يخرج به من الحرج أي الاثم والحرام (له في الدين) في زيارته عليه السلام الغديرية «وكم من أمر صدك عن امضاء عزمك فيه التقى واتبع غيرك في مثله الهوى ، فظن الجاهلون أنك عمزت عما اليه انتهى ، ضل والله الظان لذلك وما اهتدى ، ولقد أوضحت ما أشكل من ذلك لمن توهم وامترى بقولك - صلى الله عليك - «قديرى الحوّل القلب وجه الحيلة ودونه حاجز من تقوى الله فيدعها رأي عين وينتهز فرصتها من لاحريجة له في الدين» صدقت وخسر المبطلون .

٥/ فى ١/٩٩ ومنها : وذلك زمن لا ينجوفيه الاكل مؤمن نومة ان شهد لم يعرف وان غاب لم يفتقد ، أولئك مصايح الهدى واعلام السرى ، ليسوا بالمساييح والمذاييع البذر ، أولئك يفتح الله لهم ابواب رحمته ويكشف لهم ضراء نقمته . ايها الناس سيأتى عليكم زمان يكفأ فيه الاسلام كما يكفأ الاناء بما فيه ، ايها الناس ان الله قد أعادكم من ان يجور عليكم ولم يعدكم من ان يتليكم

وقد قال جل من قائل «ان فى ذلك لايات وان كنا لمبتلين» .

قال الشريف قوله عليه السلام «كل مؤمن نومة» أراد به الخامل الذكر القليل الشر ، و«المساييح» جمع مسياح ، وهو الذي يسبح بين الناس بالفساد والنمائم و«المذاييع» جمع مذياح ، وهو الذي اذا سمع لغيره بفاحشة اذاعها ونوه بها، و«البذر» جمع بذور ، وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقته .

أقول : ورواه ابو عبيد القاسم بن سلام في غريبه مع اختلاف يسير .
(ومنها) هكذا في المصرية ولكن فى « حد » و« ثم » والخطية (منها) فهو الصحيح وان كان العطف فيه - لكونه ثانياً - صحيحاً .

(وذلك زمن) هكذا في المصرية والصواب زمان كما في الثلاثة .
(لاينجو فيه الاكل مؤمن نومة) في نهاية ابن الاثير : في حديث علي عليه السلام «انه ذكر آخر الزمان والفتن ثم قال : خير أهل ذلك الزمان كل مؤمن نومة» النومة بوزن الهمزة الخامل الذي لا يؤبه له ، وقيل الغامض في الناس الذي لا يعرف الشر وأهله ، وقيل النومة بالتحريك الكثير النوم ، وأما الخامل الذي لا يؤبه به ، فهو بالتسكين ، فمن الاول حديث ابن عباس قال لعلي عليه السلام ما النومة ؟ قال : الذي يسكت في الفتنة فلا يبدو منه شيء .

(ان شهد لم يعرف وان غاب لم يفتقد) هو تفسير للمراد من «النومة» .
وعن الصادق عليه السلام : طوبى لعبد نومة عرف الناس فصاحبهم يبذنه ولم يصاحبهم في أعمالهم بقلبه فعرفهم في الظاهر ولم يعرفوه في الباطن .
(أولئك مصاييح الهدى) المصباح السراج (وأعلام السرى) في النهاية فى حديث جابر قال له : ما السرى يا جابر ، أي ما أوجب مجيئك فى هذا الوقت «السرى» السير بالليل .

(ليسوا بالمساييح) في النهاية : في الخبر «لاسياحة فى الاسلام» ساح فى

الارض يسبح سياحة : اذا ذهب فيها ، وأصله من السبح ، وهو الماء الجاري المنبسط على الارض ، أراد مفارقة الامصار ، وقيل أراد الذين يسبحون في الارض بالشر والنميمة والافساد بين الناس ، ومنه حديث علي عليه السلام « ليسوا بالمساييح البذر» أي الذين يسعون بالشر والنميمة ، وقيل هو من التسييح في الثوب ، وهو أن يكون فيه خطوط مختلفة .

(والمذاييع البذر) في النهاية في ذاع : في حديث علي عليه السلام في وصف الاولياء « ليسوا بالمذاييع » المذاييع جمع مذبايع من اذاع الشيء اذا أفشاه ، وقيل أراد الذين يشيعون الفواحش ، وهو بناء مبالغة . وفي «بذر» في حديث فاطمة عليها السلام عند وفاة النبي قالت لعائشة «اني اذن لبذر» البذر الذي يفشي السر ويظهر ما يسمعه ، ومنه حديث علي عليه السلام « ليسوا بالمذاييع البذر» جمع بذر، ويقال «بذرت الكلام بين الناس كما تبذر المحبوب» أي أفشيته وفرقته .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام قال النبي «ص»: يا معشر من أسلم بلسانه ولم يسلم بقلبه لاتبعوا عثرات المؤمنين ، فانه من تتبع عثرات المسلمين تتبع الله عثراته ، ومن تتبع الله عثراته يفضحه .

(أولئك يفتح الله لهم أبواب رحمته ويكشف عنهم ضراء نقمته) في الكافي عن الباقر عليه السلام : ان الله ليدفع بالمؤمن الواحد عن القرية الفناء .

وعن الصادق عليه السلام : قيل له اذا نزل العذاب بقوم يصيب المؤمنين؟ قال : نعم ولكن يخلصون بعده .

(أيها الناس سيأتي عليكم زمان يكفأ فيه الاسلام كما يكفأ الاناء بما فيه) في النهاية في الحديث « لاتسأل المرأة طلاق اختها لتكتفيء ما في انائها» هو تفتعل من «كفأت القدر» اذا كببتها لتفرغ ما فيها ، يقال «كفأت الاناء واكفأته»

اذا كبيته واذا ملته . وهذا تمثيل لامالة الضرة حق صاحبته من زوجها الى نفسها
اذا سألت طلاقها .

(أيها الناس ان الله) هكذا في المصرية والصواب «ان الله تعالى» كما في
الثلاثة (قد أعاذكم من أن يجور عليكم) «وما ربك بظلام للعبيد» ، «ان الله لا يظلم
الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون» ، «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت
أيديكم ويعفو عن كثير» .

(ولم يعذكم من أن يبتليكم) «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم
لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين» .
(وقد قال جل من قائل «ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين») والاية التي
ذكرها عليه السلام في سورة المؤمنون والاية بعد ذكر قصة نوح فقوله تعالى
«ان في ذلك» اشارة الى ما ذكر في قصة نوح ، قال تعالى «خلق الموت والحياة
ليبلوكم أيكم أحسن عملا» «وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون» .
(قال الشريف) هكذا في المصرية وليس في الخطية المصححة أصلا وبدله
«حد» بقوله «قال الرضي» ولعله انشاء منه .

(قوله عليه السلام «وكل مؤمن نومة» اراد به الخامل الذكر القليل الشر)
لوقيل «الذي لا يعرف الشر» كان أحسن .

(والمساييح جمع مسياح وهو الذي يسبح بين الناس بالفساد والنمائم)
قد عرفت أن الاصل فيه سيح الماء أو تسييح الثوب .

(والبذر جمع بذور وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقته) قال «حد» بذور
كصبور الذي يذيع الاسرار ، وليس كما قال الرضي .

قلت: قد عرفت أنه من «بذرت الكلام كما تبذر الحبوب» ، وحينئذ فما قاله
المصنف ليس بذلك البعد . هذا ولو كان المصنف نقل هذا في فصل غريبه كان
أنسب .

١١٣/٦ / ومن كلام له عليه السلام : فلا أموال بذلتموها للذي
رزقها ولا انفس خاطرتم بها للذي خلقها ، تكرمون بالله على
عباده ولا تكرمون الله في عباده . فاعتبروا بنزولكم منازل من
كان قبلكم وانقطاعكم عن أوصل اخوانكم .

(فلا أموال بذلتموها للذي رزقها) «وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي
أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق واكن من
الصالحين» .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام قال : جاء رجل الى أبي «ع» فقال :
أخبرني عن قوله تعالى «وفي أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم» ما هذا
الحق المعلوم؟ قال عليه السلام : هو الشيء يخرج الرجل من ماله ان شاء اكثر
وان شاء أقل على قدر ما يملك يصل به رحماً ويقري به ضعيفاً ويحمل به كلاً أو
يصل به أحماً له في الله اولئانية تنوبه . فقال : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

وعن البرزطي قال : قال الرضا عليه السلام : ان صاحب النعمة على خطر
أنه تجب عليه حقوق لله . والله أنه لتكسون علي النعم من الله تعالى ، فما زال
علي منها وجل - وحرك يده - حتى أخرج من الحقوق التي تجب لله علي فيها
قلت : جعلت فداك أنت في قدرك تخاف هذا . قال : نعم فأحمد ربي على ما من
به علي .

وعن الصادق عليه السلام : ان الله تعالى فرض للفقراء في أموال الاغنياء
فريضة لا يحمسون الا بأدائها ، وهي الزكاة وبها حفتوا دماءهم وبها سموا
المسلمين ، ولكنه تعالى فرض في أموال الاغنياء حقوقاً غير الزكاة ، فقال
«والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم» فالحق المعلوم غير الزكاة

وقال تعالى «وأقرضوا الله قرصاً حسناً» ، وهذا غير الزكاة ، وقال تعالى أيضاً «ينفقون مما رزقناهم سراً وعلانية» .

والماعون أيضاً غير الزكاة ، وهو القرض يقرضه والمتاع بيعه والمعروف يصنعه ، ومما فرض الله عز وجل في المال غير الزكاة «الذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل» .

وفي الخبر : الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم وهما مهلكاكم .

وفي الخبر : يا ابن آدم ما من يوم جديد الا ويأتي فيه برزقك من عندي ، وما من ليلة الا ويأتي الملائكة من عندك بعمل قبيح ، خيري اليك نازل وشرك الي صاعد .

وفي الحلية عن وهب بن منبه أن سائحاً وردناً - أي تبيحاً - له كان يأتي طعامهما في كل ثلاثة أيام مرة ، فاذاهما لم يأتها طعام الا لاحدهما فقال الكبير لردنه لقد أحدث أحدثاً حدثاً منع به برزقه فتذكر ما صنعت . قال الردن : ما صنعت شيئاً ، ثم تذكر فقال : بلى قد جاءنا مسكين الى الباب فأجفت الباب في وجهه . فقال الكبير : من ثم أتينا فاستغفرا فجاء هما رزقهما بعد كما كان يأتيهما .

(ولا أنفس خاطرتم بها للذي خلقها) و الناس يخاطرون بأنفسهم للملوك والامراء فكيف لا يخاطرون بها لخالقها وهي ملكه ، وهو أمر قبيح كعدم بذل المال لرازقه ، فيكون حاله حال من ينكر خالقيته ورازقيته .

وفي الحلية عن وهب قال تعالى لموسى عليه السلام : وعزني يا ابن عمران لو أن هذه النفس التي وكزتها فقتلتها اعترفت لي ساعة من ليل أو نهار بأني لها خالق أوراقتك لاذقتك فيها طعم العذاب ، ولكنني عفوت عنك انها لم تعترف لي ساعة اني لها خالق أوراقتك ، وقد قال تعالى «ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم

وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .

وبعد كونه تعالى هو المشتري والتمن الجنة وكتاب البيع التوراة والانجيل والقرآن في كون المعاملة بتلك المثابة التي هي الفوز العظيم الذي ينبغي الاستبشار بها يكون الراغب عن تلك المعاملة بالبخل بالمال والنفس اللذين هما عارية عندك على مالكما مورداً للملازمة وفي غاية اللثامة ، ولذا قال عليه السلام ما قال توبيخاً .

(تكرمون بالله على عباده ولا تكرمون الله في عباده) وهو أيضاً قبيح عقلا كعدم بذل المال و النفس للرازق والخالق ، بل من يكرم على العباد لله يكون اكرامه لله في عباده الزم عليه ممن لا يكرم بالله ، ووجه خطابه عليه السلام مع الذين كانوا يدعون منزلة لانفسهم بكونهم صحابة النبي «ص» كطلحة والزبير وسعد ونظرائهم ويتردد في جميع طبقات الاشراف .

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام قال : انا أهل البيت وجب حقنا برسول الله ، فمن أخذ به «ص» حقاً ولم يعط من نفسه مثله فلا حق له .

وعن الصادق عليه السلام : كان علي بن الحسين لا يسافر الا مع رفقة لا يعرفونه ، وبشترط عليهم أن يكون من مساعدي الرفقة فيما يحتاجون اليه ، فسافر مرة مع قوم فرآه رجل فعرفه فقال لهم : أتدرون من هذا ؟ قالوا : لا . قال : هذا علي بن الحسين عليه السلام ، فوثبوا اليه وقبلوا يده ورجله وقالوا : يا بن رسول الله أردت أن تصلينا نار جهنم لسوبدرت منا اليك يد أولسان ، أما كنا هلكنا الى آخر الدهر ، فما الذي يحملك على هذا . فقال : اني سافرت مرة مع قوم يعرفونني فأعطوني بالنبي «ص» مالا استحق ، فاني أخاف أن تعطوني

مثل ذلك فصار كتمان أمري أحب الي .

(فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم) في صفين نصر في مسيره عليه السلام الى صفين : ثم مضى نحو سباط حتى انتهى الى مدينة «نهر سير» واذا رجل من أصحابه يقال له جرير بن سهم بن طريف من بنى مالك بن ربيعة ينظر الى آثار كسرى وهو يتمثل بقول ابن يعقوب التميمي :

جرت الرياح على مكان ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد

فقال عليه السلام : أفلا قلت «كم تركوا من جنات وعيون * و زروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قوماً آخرين * فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين» ان هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين ، ان هؤلاء لم يشكروا النعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية ، اياكم وكفر النعم لا تحل بكم النقم .

وقال «حد» الاصل في قوله عليه السلام قوله تعالى «و سكتتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال» .

(وانقطاعكم عن أوصل اخوانكم) والظاهر أن المراد اعتبروا بانقطاعكم عن اخوانكم الذين كانوا في كمال الوصل معكم ليلا ونهاراً كما تعتبرون بمساكن من كان قبلكم ، والحاصل اعتبروا بآثار المتقدمين عليكم وباشخاص المعاشرين معكم ، وانكم لا بد أن تسلكوا مسلكهم وتهلكون كمهلكهم .

ومرت شكايته عليه السلام من قريش في ١٨/٨ في الامامة الخاصة .

الفصل السادس والعشرون

(في نقص الناس واختلافهم وعجائب قلوبهم وصفة اردالهم)

١/٣٤٣ | وقال عليه السلام : الاقاويل محفوظة والسرائر مبلوطة ،
وكل نفس بما كسبت رهينة ، والناس منقوصون مدخولون
الامن عصم الله ، سائلهم متعنت ومجيبهم متكلف ، يكاد افضلهم
رأياً يرده عن فضل رأيه الرضاء والسخط ، ويكاد اصلبهم عوداً
تنكاه اللحظة وتستحيله الكلمة الواحدة .

معاشر الناس اتقوا الله فكم من مؤمل ما لا يبلغه وبان ما لا يسكنه
وجامع ما سوف يتركه ، ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه
اصابه حراماً ، واحتمل به آثاماً ، فباء بوزره وقدم على ربه
أسفاً لاهفاً ، قد خسر الدنيا والاخرة ذلك هو والخسران المبين .

(الاقاويل محفوظة) «ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن

أقرب اليه من حبل الوريد * اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد *

مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد * وجائت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد * ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد * وجائت كل نفس معها سائق وشهيد * لقد كنت في غفلة من هذا فكشعنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد .
(والسرائر مبلوة) في الدنيا والاخرة ، أما الدنيا فعن الصادق عليه السلام :
ما من عبد يسر خيراً فذهبت الايام حتى يظهر الله له خيراً ، وما من عبد يسر شراً فذهبت الايام حتى يظهر الله له شراً . وأما الاخرة فقوله تعالى «يوم تبلى السرائر» أي تكشف «هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وظل عنهم ما كانوا يفترون» .

(وكل نفس بما كسبت رهينة) هو عين قوله تعالى «كل نفس بما كسبت رهينة» وفي التفسير مرهونة كل نفس مأخوذة بعملها في النار .

(والناس منقوصون مدخولون) في عقولهم كغش يدخل في الذهب والفضة .
وقال النبي صلى الله عليه وآله : الناس كالابل الماء لاتجد فيها راحلة .
وفي الديوان ونسب الى دعبل أيضاً :

ما اكثر الناس لابل ما أقلهم والله يعلم أنني لسم أقل فندا
اني لا فتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا
وفي شرحه الفارسي :

ذم جمعى كه بصورت مردمند وبه حقيقت حيوان بي دمنند
(الا من عصم الله) «وان كثيراً من الخلقاء ليبنني بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم» .

في عيون الفتية : كان بين حاتم طي وأوس بن حارثة أطف ما يكون بين اثنين ، فقال النعمان بن المنذر لجلسائه : والله لأفسدن ما بينهما . فقالوا : لا تقدر على ذلك . قال : بلى فقلما جربت الرجال في شيء الا بلغت ، فدخل عليه

أوس فقال له : ما الذي يقول حاتم؟ قال: وما يقول . قال : يقول انه أفضل منك وأشرف . قال : أبيت اللعن صدق والله لو كنت أنا وأهلي وولدي لحاتم لانهبنا في مجلس واحد ، ثم خرج وهو يقول :

يقول لي النعمان - لامن نصيحة أرى حاتمأ في قوله متطاولا

له فوقنا باع كما قال حاتم وما النصح فيما بيننا كان حاولا

ثم دخل عليه حاتم وقال له مثل مقالته لاوس قال : صدق أين عسى أن أقع من أوس ، له عشرة ذكور أحسهم أفضل مني ، ثم خرج وهو يقول :

يساءلني النعمان كى يستزليني وهيهات لي أن استصام فأصرعا

كفاني نقصاً ان أضييم عشيرتى بقول أرى في غيره متوسعا

فقال النعمان : ما سمعت بأكرم من هذين الرجلين .

وروى الروضة عن الصادق عليه السلام : الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، فمن كان له في الجاهلية أصل فله في الاسلام أصل .

(سائلهم متعنت) أي يريد ايقاع مجيئه في العنت ، أي المشقة ويظهر زلته وجهله .

وفي السير : قال رجل من العمال لاعرابي : ما أحسبك تعرف كم تصلي في اليوم والليله؟ قال : فان عرفت أتجعل لي على نفسك مسألة . قال : نعم . قال :

ان الصلاة أربع وأربع ثم ثلاث بعدهن أربع

ثم صلاة الفجر لاتضيع

قال : صدقت هات مسألتك . قال : كم فقار ظهرك؟ قال : لا أدري . قال : فتحكم بين الناس وتجهل هذا من نفسك .

وعن صفوة الاخبار : قام ابن الكوا الى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن بصير بالليل بصير بالنهار ، وعن بصير بالنهار أعمى بالليل ، وعن

بصير بالليل أعمى بالنهار . فقال عليه السلام له : سل عما يعينك ودع مالا يعينك ، أما بصير بالليل بصير بالنهار فهذا رجل آمن بالرسول السديد مضوا وأدرك النبي فآمن به فأبصر في ليله ونهاره ، وأما أعمى بالليل بصير بالنهار فرجل جحد الانبياء الذين مضوا وأدرك النبي فآمن به فعمى بالليل وأبصر بالنهار وأما أعمى بالنهار بصير بالليل فرجل آمن بالانبياء وجحد النبي فأبصر بالليل وأعمى بالنهار .

(ومجيبهم متكلف) في الكافي عن الصادق عليه السلام : اذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم فليقل لا أدري ولا يقل «الله أعلم» فيوقع في قلب صاحبه شكاً . وعنه عليه السلام : للعالم اذا سئل عن شيء وهو لا يعلم أن يقول «الله أعلم» وليس لغير العالم أن يقول ذلك .

وعنه عليه السلام : من أفتى الناس وهو لا يعلم الناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقد هلك وأهلك .

(يكاد أفضلهم رأياً يرده عن فضل رأيه الرضى والسخط) في الخصال عن النبي صلى الله عليه وآله : ثلاث خصال من كن فيه استكمل خصال الايمان : الذى اذا رضى لم يدخله رضاه في اثم ولا باطل ، واذا غضب لم يخرج الغضب من الحق ، واذا قدر لم يتعاطى ما ليس له ، وقال تعالى «ولا يجرمكم شتان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى» ، «ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقرين» .

وفي المعجم عن اسحق الموصلي دخلت على الاصمعي فأنشدته أبياتاً نقلتها ونسبتها الى بعض الاعراب ، وهى :

هل الى أن تنام عيني سبيل
ان عهدي بالنوم عهد طويل
غاب عني من لا اسمى فعيني
كل يوم وجدأ عليه تسيل

ان ما قلُ منك يكثر عندي وكثير ممن تحب القليل
فجعل يعجب بها ويردها ، فقلت له : انها بنات ليلتها . فقال : لاجرم ان
أثر التوليد فيها بيّن . فقلت : ولا جرم ان أثر الحسد فيك ظاهر .

ثم ان المذموم من اختلاف حال الرضا والسخط أن بدعي في الرضا لصاحبه
الباطل وينكر في السخط له الحق ، وأما لو تحرى الحق في كل منهما فلا ، فقالوا :
وفد عمرو بن الاهتم والزبير بن بدر على النبي «ص» فسأل عمرأ عن الزبير بن
فقال : مطاع في عشيرته ، شديد العارضة ، مانع لما وراء ظهره . فقال الزبير بن
انه ليعلم مني اكثر من هذا ولكنه حسدني . فقال عمرو : أما والله انه لزم المروة
ضيق العطن أحق الوالد لثيم الخال ، والله يا رسول الله ما كذبت في الاولى
ولقد صدقت في الاخرة ، ولكنني رجل رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت
فقلت أقبح ما وجدت . فقال النبي «ص» : ان من البيان لسحراً .

(ويكاد أصلهم عوداً) صلب العود كناية عن الشدة في الامور ، قال الشاعر :

ومن يك ذا عود صليب ليكسر عود الدهر فالدهر كاسره

(تنكأه) من نكأت القرحة : اذا قشرتها (اللحظة) النظر بمؤخر العين

(وتستحيله) أي قلبه عن الحالة التي كان عليها (الكلمة الواحدة) .

وكان خالد بن المعمر من أصلب أصحابه عليه السلام عوداً فاستحاله كلمة
واحدة من معاوية ، ففي صفين نصر قام وقال : من يبائع على الموت وشري
نفسه لله ، فبايعه سبعة آلاف على ان لا ينظر رجل منهم حتى يرد سرادق معاوية ،
فاقتلوا قتالا شديداً وكسروا جفون سيوفهم - الى أن قال - فخلى معاوية عن
سرادقه وخرج فاراً لائذاً الى بعض مضارب العسكر ، فدخل فيه وبعث الى
خالد انت قد ظفرت ولك امرة خراسان ان لم تتم ، فطمع في ذلك ولم يتم ،
فأمّره معاوية حين بايعه الناس على خراسان ، فمات قبل أن يصل اليها .

وقيل : الهدية تفتأ عين الحكيم وتسفه عقل الحليم .

وفي الحلية عن وهب : اذا دخلت الهدية من الباب خرج الحق من الكوفة .
وفي عيون القتيبي : استعمل الحجاج المغيرة بن عبيد الله الثقفي على الكوفة ،
فكان يقضي بين الناس ، فأهدى اليه رجل سراجاً من شبه ، وبلغ ذلك خصمه
فبعث اليه ببغلة ، فلما اجتمعا عنده جعل يحمل على صاحب السراج وجعل
صاحب السراج يقول ان امري أضوء من السراج ، فلما أكثر عليه قال له : ويحك
ان البغلة رمحت السراج فكسرتة .

ومرطارق - صاحب شرطة خالد القسري في موكبه - على ابن شرمة فقال

ابن شرمة :

أراها وان كانت تحب كأنها سحابة صيف عن قريب تقشع
اللهم لي ديني ولهم دنياهم ، فاستعمل بعد ذلك على القضاء فقال له ابنته :
أتذكر يوم مر بك طارق في موكبه وقلت ما قلت . فقال : يا بني انهم يجدون
مثل أبيك ولا يجد مثلهم أبوك ، ان أبك أكل من حلوائهم وحط في أهوائهم .
وتقدمت كلثم بنت سريع وأخوها الوليد الى عبد الملك بن عمير - قاضي
الكوفة - وكان ابنه يرمى بها ، فقضى لها فقال هذيل الأشجعي :

أناه رفيق بالشهود يسوقهم على ما ادعت من صامت المال والخول
فأدلى وليد عند ذاك بحقه وكان وليد ذا مرأى وذا جدل
فتنتت القبطي حتى قضى لها بغير قضاء الله في السور الطول
اذا ذات دل كلمته لحاجة فهم بأن يقضي تنحنح أو سعل
وكان عبد الملك يقول بعد ذلك : ربما جاءني السعل أوالتنحنح وأنا في
المتوضأ فأكف عن ذلك .

(معاشر الناس اتقوا الله فكم من مؤمل ما لا يبلغه) فلا يبيع آخرته لامل من دنياه

لعله لا يبلغه .

(وبان مالا يسكنه) فلا يخرب دار بقائه لدار ان سكنها سكنها اياماً ولعله

لا يسكنها ساعة .

(و جامع ما سوف يتركه) «وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم» .

فجمع عمرو بن العاص قناطر من ذهب ، فلما مات أخذها معاوية .

(و لعله من باطل جمعه ومن حق منعه) عن الرضا عليه السلام : لا يجمع

العمال الا بخمس خصال : ببخل شديد ، وأمل طويل ، وحرص غالب ، وقطيعة الرحم ، وايتار الدنيا على الآخرة .

وعن الباقر عليه السلام : ليس من شيعتنا من له مائة ألف ، ولا خمسون

ألفاً ، ولا أربعون ألفاً ، ولو شئت أن أقول ثلاثون ألفاً لقلت ، وما جمع رجل قط عشرة آلاف من حلها . قال ابو الحسن : من دراهم .

وعن أويس القرني : ان حقوق الله لم تترك عند مسلم درهماً .

(أصابه حراماً واحتمل به أثاماً) بالفتح أي جزاء ائمه ، قال تعالى «يلق أثاماً» .

(فباء) أي رجع (بوزره) أي ائمه وثقله (وقدم على ربه آسفاً لاهفاً) الى

(ذلك هو الخسران المبين) لامن يبيع متاعه بأقل مما شراه .

وفي الطبري عن عوانة قال عبيد الله لعمر بن سعد بعد قتله الحسين عليه

السلام : أين الكتاب الذي كتبت به اليك في قتل الحسين ؟ قال : مضيت

لامرك وضاع الكتاب . قال : لتجيشن به . قال : ضاع . قال : والله لتجيشني به .

قال : ترك والله يقرأ على عجائز قريش اعتذاراً اليهن بالمدينة ، أما والله لقد

نصحتك في حسين نصيحة لو نصحتها الي سعد كنت قد أدبت حقه . قال عثمان بن

زياد أخو عبيد الله : صدق والله لو ددت أنه ليس من بني زياد رجل الا وفي أنفه

خزامة الى يوم القيامة وان حسيناً لم يقتل - الخ .

٢/٢٨٣ / وقال عليه السلام : جاهلكم مزداد وعالمكم مسوف .

(جاهلكم مزداد) أي من الخطأ لجهله بكونه خطأ أو بعقوبة عمله .

(وعالمكم مسوف) أي بالاعمال الصالحة وبالتوبة من القبيحة لطول أمله ،

وكل منهما هالك : الجاهل بترك تعلمه مع اتمام الحجة عليه ، والعالم بترك عمله .

٣/٢٢٩ / ومن كلام له عليه السلام ، روى اليماني عن احمد بن

قتيبة عن عبدالله بن يزيد عن مالك بن دحية قال : كنا عند

امير المؤمنين عليه السلام .. وقد ذكر عنده اختلاف الناس ..

فقال : انما فرق بينهم مبادئ طينتهم ، وذلك انهم كانوا فلقة

من سبخ ارض وعذيبها وحزن تربة وسهلها ، فهم على حسب قرب

ارضهم يتقاربون وعلى قدر اختلافهم يتفاوتون ، فتام الرواء

ناقص العقل ، وماد القامة قصير الهمة ، وذاكي العمل قبيح المنظر

وقريب القرب بعيد السبر ، ومعروف الضريبة منكرو الحليبة ، وتائه

القلب متفرق اللب ، وطلبيق اللسان حديد الجنان .

أقول : قول المصنف (ومن كلام له عليه السلام) ليس في نسخة «ثم» رأساً

(روى اليماني) هكذا في المصرية الاولى ، ونقله «حد» والخطية «روى ذعلب

اليمامي» نسبة الى اليمامة ، ونقله «ثم» - على ما في النسخة - «روى ابو محمد

اليماني» نسبة الى اليمن .

(عن محمد بن قتيبة عن عبد الله بن يزيد عن مالك بن دحية) قال «حد»

ذعلب واحمد وعبد الله ومالك من رجال الشيعة و محدثيهم ، وتبعه «ثم» لكن

لم أقف على أثر من واحد منهم في كتب رجال الشيعة . نعم عنوان لسان ميزان

ابن حجر عدة مسماة بعبد الله بن يزيد ولم يعلم كون من في السند أحدهم أم

لا ؟ نعم في (١٧٤) النهج «ومن كلام له عليه السلام وقد سأله ذعلب اليماني هل

رأيت ربك» ومر في الفصل الاول وهو غير «ذعلب» هذا على نقله لتأخر هذا
وتقدم ذلك ، وليس ذلك أيضاً من رجال الشيعة ، فروى توحيد الصدوق عن ذلك
أنه قال - لما قال عليه السلام «سلوني قبل أن تفقدوني» - : لقد ارتقى ابن ابي
طالب مرقاة صعبة لاجلئنه اليوم . فهو أعلم وما قال .

(وقد ذكر) هكذا في المصرية والصواب ما في «حد» ثم «فقال وقد ذكر»
(عنده عليه السلام اختلاف الناس) أي في الحالات والصفات ، قال الشاعر :
والقوم أشباه وبين حلومهم بون كذلك تفاضل الاشياء
وقال آخر :

الناس أصناف وشتى في الشيم وكلهم يجمعهم بيت الادم
وقال عبد الحميد : الناس أصناف مختلفون وأطوار متباينون ، منهم علق
مضنة لايباع ومنهم غل مظنة لايباع ، وقال الشافعي :

والناس يجمعهم شمل وبينهم في العقل فرق وفي الاداب والحسب
وقال شاعر :

للحرب أقوام لها خلقوا وللدواوين كتآب وحساب
وقال آخر :

والقوم كالعيدان يفضل بعضهم بعضاً كذلك يفوق عود عودا
ولبعضهم :

الناس اخوان وشتى في الشيم وكلهم يجمعهم بيت الادم
وفي الديوان :

الناس من جهة التمثال اكفاء أبوهم آدم والام حواء

(فقال) هكذا في المصرية، والكلمة زائدة وليست في «حد» و«ثم» والخطية
(انما فترق بينهم مبادئ طينتهم) في معارف ابن قتيبة قالوا : كان لابي الجعد

ابى سالم بن ابى الجعد ستة بنين اثنان يتشيعان واثنان مرجئان واثنان خارجيان،
فقال ابراهيم : لقد خالف الله بينكم .

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام : لو علم الناس كيف ابتداء هذا الخلق
ما اختلف اثنان - الخبر .

وعن الصادق عليه السلام : ان الله تعالى خلق المؤمن من طينة الجنة وخلق
الكافر من طينة النار ، واذا اراد الله بعد خيراً طيب روحه وجسده ، فلا يسمع
شيئاً من الخير الا عرفه ، ولا يسمع شيئاً من الشر الا انكره - الخبر . وقال
البحثري :

والارض لولا العذاة واحدة والناس لولا الفعال أمثال
أيضاً :

وان الانفس اختلفن فما يغنى اتفاق الاسماء والالقاب
(وذلك أنهم كانوا فلقة) أي كسرة ومقداراً (من سبخ أرض وعذبتها) السبخة
الملحة والعذب ضد السبخ (وحزن تربة) الحزن - بالسكون - ما غلظ من
الارض والسهل خلافه .

في معارف ابن قتيبة : أتى حزن بن ابى وهب المخزومي جد سعيد بن
المسيب النبي صلى الله عليه وآله فقال له : أنت سهل ؟ قال : بل أنا حزن
- ثلاثاً - قال : فأنت حزن . قال سعيد بن المسيب : فما زلنا نعرف تلك
الحزونة فينا .

وفي حسن خلق الكافي عن الصادق عليه السلام : هلك رجل في عهد النبي
صلى الله عليه وآله فأتى الحفارين فاذا بهم لم يحفروا شيئاً وشكوا ذلك اليه
صلى الله عليه وآله فقالوا : ما يعمل حديدنا في الارض فكأنما يضرب به في
الصفاء . فقال : ولم ان كان صاحبكم لحسن الخلق، ايتونى بقدر من ماء ، فأتوا

به فأدخل يده فيه ثم رشه على الارض رشاً ثم قال: احفروا فحفروا فكأنما كان رملاً يتهاطل عليهم .

(فهم على حسب قرب أرضهم يتقاربون وعلى قدر اختلافها يتفاوتون) قال النبي « ص » : الارواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .

وقال أيضاً : الناس معادن كمعادن الذهب والفضة .

وفي الكافي عن عبدالله بن كيسان قلت لابي عبدالله عليه السلام : اخالط الرجل فأرى له حسن السميت وحسن الخلق وأمانة ثم افتشه فأبينه عن عداوتكم وأخالط الرجل فأرى فيه سوء الخلق وقلة الامانة وزعارة ثم افتشه فأبينه عن ولايتكم ، فكيف يكون ذلك ؟ قال : أما علمت ان الله أخذ طينة من الجنة وطينة من النار فخلطهما جميعاً ثم نزع هذه من هذه وهذه من هذه ، فما رأيت في اولئك من الامانة وحسن الخلق وحسن السميت فمما مسهم من طينة الجنة وهم يعودون الى ما خلقوا منه ، وما رأيت من هؤلاء من قلة الامانة وسوء الخلق والزعارة فمما مسهم من طينة النار وهم يعودون الى ما خلقوا منه .

وعن حبيب السجستاني عن ابي جعفر عليه السلام : ان الله تعالى لما أخرج ذرية آدم من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبية له وبالنبوة لكل نبي كان أول من أخذ له عليهم الميثاق بنوته محمد بن عبدالله «ص» ، ثم قال لادم : أنظر ما ذا ترى ، فنظر الى ذريته وهم ذر قد ملاؤ السماء فقال : يا رب ما اكثر ذريتي ولامر ما خلقتهم ، فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم؟ قال: يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، ويؤمنون برسلي ويتبعونهم . قال : يا رب فما لي أرى بعض الذر أعظم من بعض وبعضهم له نور كثير وبعضهم له نور قليل وبعضهم ليس له نور . فقال تعالى : كذلك خلقتهم لابلوهم في كل حالاتهم . قال : يا رب فتأذن لي

في الكلام . قال: تكلم فان روحك من روحي وطبيعتك خلاف كينونيتي . قال: يارب لو كنت خلقتهم على مثال واحد وقدر واحد وطبيعة واحدة وجبله واحدة وأرزاق سواء لم يبع بعضهم على بعض ولم يكن بينهم تحاسد ولا تباغض ولا اختلاف في شيء من الاشياء . قال: يا آدم بروحي نطقت وبضعف طبيعتك تكلفت ما لا علم لك به وأنا الخالق العالم بعلمي خالفت بين خلقهم وبمشيتي يمضى فيهم أمري والى تدبيرى وتقديرى صائرون لا تبديل لخلقى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ، وخالقت الجنة لمن عبدني وأطاعني منهم واتبع رسلي ولا أبالي وخالقت النار لمن كفر بى وعصاني ولم يتبع رسلي ولا أبالي وخالقتك وخالقت ذريتك من غير فاقة بى اليك واليهم ، وانما خلقتك وخالقتهم لابلوك وأبلوهم أيكم أحسن عملا في دار الدنيا في حياتكم ، ولذلك خلقت الدنيا والاخرة والحياة والموت والطاعة والمعصية والجنة والنار، وكذلك أردت في تقديري وتدبيرى وبعلمي النافذ فيهم، خالفت بين صورهم وأجسادهم وألوانهم وأعمارهم وأرزاقهم وطاعتهم ومعصيتهم، فجعلت منهم الشقي والسعيد والبصير والاعمى والقصير والطويل والجميل والدميم والعالم والجاهل والغني والفقير والمطيع والعاصي والصحيح والسقيم ، ومن به الزمانة ومن لاعاها به فينظر الصحيح الى الذي به العاهة ، فيحمدني على عافيته وينظر الذي به العاهة الى الصحيح فيدعونى ويسألني ان أعافيه ويصبر على بلائى فأثيبه جزيل عطائي وينظر الغني الى الفقير فيحمدني ويشكرني ، وينظر الفقير الى الغني فيدعوني ويسألني ، وينظر المؤمن الى الكافر فيحمدني على ما هديته ، فلذلك خلقتهم وكلفتهم لابلوهم في السراء والضراء ، وفيما أعافيهم وفيما أبتليهم وفيما أعطيهم وفيما امنعهم ، وأنا الله الملك القادر ولي ان أمضى جميع ما قدرت على ما دبرت .

(فتام الرواء) - بالضم - : من له منظر (ناقص العقل) في مطالب سؤال ابن

طلحة الشافعي قال امير المؤمنين عليه السلام : الانسان عقل وصورة ، فمن اخطأه العقل ولزمه الصورة لم يكن كاملاً وكان بمنزلة من لا روح فيه ، فمن طلب العقل المتعارف فليعرف صورة الاصول ويحذف الفضول ، فان كثيراً من الناس يطلبون الفضول ويضيعون الاصول .

وفي تاريخ بغداد : قال ثعلب كان يحضر مجلس الزبير بن بكار رجل من بني هاشم له رواء وهيئة حسن الثوب طيب الرائحة ، وكان السببر يكرمه ويرفع مجلسه ، فقال يسوماً للزبير : الفرزدق كان جاهلياً أو تميمياً ، فولاه الزبير ظهره وقال : اللهم اردد على قريش اخطارها . وقال العباس بن مرداس :

ويعجبك الطرير فبتلييه فيخلف ظنك الرجل الطرير
وقال آخر:

وان طرة رافتك فانظر فرما أمر مذاق العود والعود أخضر
وكائن ترى من تلمعى مخطرب وليس له عند العزائم جّول

(وماد القامة قصير الهمة) قال بنو الديان الحارثيون لحسان بن ثابت كنا نطول بأجسامنا على العرب حتى قلت :

لابأس بالقوم من طول ومن عظم جسم البغال وأحلام العصافير
فتركتنا لانرى أجسامنا شيئاً ، وقال الشاعر :

ترى الفتيان كالنخل و ما يدريك ما الدخل

وهذه القصايا قضايا غالبية لأكلية ، فقد يكون تمام الرواء تام العقل ، قال بعضهم : من تمنى رجلاً حسن العقل حسن البيان حسن العلم تمنى شيئاً عسيراً ، وقد اجتمع ذلك كله في العتابي . كما قد يكون طويل القامة عاقلاً عالي الهمة فلما ألح المنصور على ابي مسلم حضوره عنده شاور نيزك الطويل فقال له : يانيزك اني والله ما رأيت طويلاً أعقل منك فما ترى؟ قال : لأرى ان تأتيه وأرى

ان تأتي الري فتقيم بها فيصير ما بين خراسان والري لك .

وحكيم الهند الذي جرى بينه وبين اسكندر رموز كان طويلاً، ففي المروج
جلس الاسكندر جلوساً خالصاً ودعا بالحكيم - ولم يكن رآه قبل ذلك فلما نظر
الى صورته وتأمل قامته نظر الى رجل طويل الجسم رحب الجبين معتدل البنية
فقال في نفسه : هذه بنية تضاد الحكمة ، فاذا اجتمع حسن الصورة وحسن الفهم
كان أوحد زمانه ، فتأمله الفيلسوف فأدار أصبعه السبابة على وجهه ووضعها على
أرنبة أنفه ، فسأله الاسكندر عن سرفعله فقال : تأملتك بنور عقلي فتبينت فكرتك
في وأن هذه الصورة قلما تجتمع مع الحكمة ، فاذا كان صاحبها ذلك كان أوحد
زمانه ، فأدرت أصبعي مصداقاً لما سئح لك وأريتك مثالا شاهداً انه كما ليس في
الوجه الا أنف واحد كذلك ليس في دار مملكة الهند غيري ولا يلحق أحد بي
في حكمتي .

(وذا كي العمل قبيح المنظر) هكذا في المصرية ، ولكن في « حد » و« ثم »
(وزاكي) بالزاي وهو الصحيح ، من قوله تعالى « قد أفلح من زكاهما » وأما
« ذكي » فلاناسبة له هنا ، يقال ذكا الرجل : اذا كان حديد الفؤاد ، وذكا النار :
اذا اشتعلت .

من أمثالهم « جاورينا وأخبرينا » وعن يونس في أصله : ان رجلين كانا
يتعشقان امرأة وكان احدهما جميلاً فيقول لها « عاشرينا وانظري الينا » والاخر
دميماً يقول لها المثل ، فقالت لاخبرتهما ، فقالت لهما : لينحرا جزوراً فأنتهما
متنكرة فبدأت بالجميل فوجدته عند القدر يلحس الدسم ويأكل الشحم ، فاستطعمته
فأمر لها بشيل الجزور - أي وعاء قضيبه - ثم أتت الدميم فاذا هو يقسم اللحم
ويعطي كل من يسأله فسألته فأمر لها بأطائب الجزور ، فلما أصبحت غدوا عليها
فوضعت بين يدي كل منهما ما أعطاهما ، فأقصت الجميل وقربت الدميم ، قال

أبو محجن :

ألم تسأل فوارس من سليم بنضلة و هو موتور مشيح
رأوه فازدروه و هو خرق و ينفع أهله الرجل القبيح
فلم يخشوا مصالته عليهم و تحت الرغوة اللبن الصريح
فكّر عليهم بالسيف صلنا كما عض الشبا الفرس الجموح
فأطلق غل صاحبه و اردى جريحاً منهم و نجى جريح
ولاخر :

ترى الرجل النحيف فتزدرية و في اثوابه رجل عزيز
و يعجبك الطير فتبتليه فيخلف ظنك الرجل الطير
هذا ، وهجا مسلم بن الوليد قوماً فقال :

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم لقبح المخبر
(و قريب القعربعيد السبر) من سبرت الجرح : اذ انظرت ما غوره .

في تاريخ بغداد قال صافي الحرمي مولى المعتضد : مشيت يوماً بين يديه
وهو يريد دور الحرم ، فلما بلغ الى باب (شغب) أم المقتدر وقف يسمع ويطلع
من خلل في الستر ، فاذا هو بالمقتدر وله اذناك خمس سنين أو نحوها وهو جالس
وحواليه مقدار عشر وصائف من أقرانه في السن و بين يديه طبق فضة فيه عنقود
في وقت فيه العنب عزيز جداً ، والصبى يأكل عنبه واحدة ثم يطعم الجماعة عنبه عنبه
على الدور حتى اذا بلغ الدور أكل واحدة مثل ما اكلوا حتى أفنى العنقود والمعتضد
يتميز غيظاً ، فرجع ولم يدخل الدار ورأيتة مهموماً ، فقلت : يا مولاي ما سبب
ما فعلته وما قد بان عليك ؟ فقال : يا صافي والله لولا النار والعار لقتلت هذا الصبي
اليوم ، فان في قتله صلاحاً للامة . فقلت : يا مولاي حاشاه أي شيء عمل ، يا مولاي
العن ابليس . فقال : ويحك أنا أبصر بما أقوله ، أنا رجل قد سست الامور وأصلحت

الدنيا بعد فساد شديد ولا بد من موني ، وأعلم أن الناس بعدي لا يختارون غير ولدي وسيجلسون ابني علياً - يعني المكتفي - وما أظن عمره يطول لليلة التي به - يعني الخنازير التي كانت في حلقه - فيتلف عن قرب ولا يرى الناس اخراجها عن ولدي ولا يجدون بعده اكبر من هذا فيجلسونه وهو صبي ، وله من الطبع في السخاء هذا الذي قد رأيت من أنه أطمع الصبيان مثل ما أكل وساوى بينه وبينهم وشيء عزيز في العالم والشح على مثله في طباع الصبيان ، فتحتوي عليه النسوان لقرب عهده بهن فيقسم ما جمعه من الاموال كما قسم العنب ويذرات ارتفاع الدنيا ويخرجها ، فتضيع الثغور وتنتشر الامور ويخرج الخواارج وتحدث الاسباب التي يكون فيها زوال الملك عن بنى العباس اصلاً . فقلت : بل يبقيك الله حتى يتأدب بأدابك . قال : احفظ عني ما أقوله ، فكنت كلما وقفت على رأس المقتدر وهو يشرب وقد دعا بالاموال فأخرجت اليه وجعل يفرقها على الجواري والنساء ويمحقها ويهبها ذكرت مولاي المعتضد وبكيت .

هذا ، وقال « حد » المراد بقرب قعره تقارب طرفيه بقصر قامته .
وقيل لبعض الحكماء : ما بال القصار أدهى وأحذق ؟ قال : لقرب قلوبهم من أدمعتهم .

(ومعروف الضريبة منكر الجلية) في الصحاح « الضريبة » الطبيعة ، تقول « فلان كريم الضريبة وفلان لثيم الضريبة » ، والجلب الذي يجلب من بلد الى غيره ، قال زهير :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة
وقال ذوالاصبع :

و ان خالها تخفى على الناس تعلم
و ان تخلق اخلاقاً الى حين
كل امرئ راجع يوماً لشيئته
وقال كثير :

ومن يتدع ماليس من سوس نفسه يدعه و يغلب على النفس خيمها

هذا ، وفي الحلية عن الشافعي : خرجت الى اليمن في طلب كتب الفراسة حتى كتبتها وجمعتها ، ثم لما حان انصرافي مررت على رحل في الطريق محتب بفناء داره أزرق العين ناتية الجبهة سناط - وهذا النعت أخبث ما يكون في الفراسة - فقلت له : هل من منزل ؟ فقال : نعم فأنزلني فرأيتة اكرم ما يكون من رجل بعث الي بعشاء وطيب وعلف لدابتى وفراش ولحاف - فجعلت أتقلب الليل ما أصنع بهذه الكتب اذ رأيت النعت في هذا الرجل ، فقلت : أرمي بهذه الكتب ، فلما أصبحت قلت للغلام : أسرج ، فأسرج فركبت ومررت عليه وقلت له : اذا قدمت مكة ومررت بذي طوى فاسأل عن محمد بن ادريس الشافعي . فقال : امولى لايبك أنا. قلت : لا. قال : فهل كانت لك عندي نعمة ؟ قلت : لا. قال : أين ماتكلفت لك البارحة. قلت : وما هو. قال : اشتريت طعاماً لك بدرهمين واداماً بكذا وكذا وعطراً بثلاثة دراهم وعلفاً لدابتك بدرهمين وكراء الفرس واللحاف درهمان. قلت : ياغلام أعطه فهل بقي شيء . قال : كراء البيت فاني قد وسعت عليك وضيقت على نفسي . قال : فغبطت بتلك الكتب ، فقلت له : هل بقي لك من شيء ؟ قال : امض أخزالك الله فما رأيت قط شراً منك .

اذا ما طلبت شيمة غير شيمة طبعت عليها لم تجيبك الطبايع

(وتائه القلب) أي متحيره (متفرق اللب) أي العقل .

في الطبري : وفي سنة ٦٧ عزل ابن الزبير أخاه مصعباً عن البصرة وولى ابنه حمزة ، فقدم البصرة وكان يجود أحياناً حتى لا يدع شيئاً يملكه ويمنع أحياناً ما لا يمنعه مثله ، فظهرت منه بالبصرة خفة وضعف ، فعزله أبوه فاحتمل ما لا كثيراً من مال البصرة وأتى المدينة وترك أباه ، فأودع ذلك المال رجلاً فذهبوا به الا يهودياً كان أودعه فوفى له ، وعلم أبوه بما فعل فقال : أبعده الله أردت ان أباهي

به بنى مروان فنكص .

وقال سوار : ما أعلم أحداً أفضل من عطاء السلمي ، ولو شهد عندي على
فلسين لم أجز شهادته - يذهب الى تفرق ليه .
(و طليق اللسان حديد الجنان) بالفتح - القلب ، قال الجوهرى : قال موسى
ابن جابر الجعفى :

فما نفرت جنى ولافل مبردى ولا أصبحت طيرى من الخوف وقما
واراد بالجن القلب وبالمبرد اللسان . وقالوا : المرء بأصغريه قلبه ولسانه .
وفي المروج : لما حصل شبيب الخارجي على جسر دجيل نفريه فرسه
وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفر ، فألقاه في الماء ، فقال له بعض أصحابه أغرقاً
قال : ذلك تقدير العزيز العليم . فألقاه دجيل ميتاً بشطه ، فحمل على البريد الى
الحجاج فأمر بشق بطنه واستخراج قلبه ، فاستخرج فاذا هو كالحجر اذا ضرب
به الارض نباعنه ، فشق فاذا في داخله قلب صغير كالكرة ، فشق فأصيب علقه الدم
في داخله .

هذا ، وفي الكافي : كان امير المؤمنين عليه السلام يقول : اذا كان الغلام ملتات
الادرة صغير الذكركر ساكن النظر فهو ممن يرجى خيره ويؤمن شره ، واذا كان شديد
الادرة كبير الذكركر حاد النظر فهو ممن لا يرجى خيره ولا يؤمن شره .
هذا وقد قيل في كنانة :

فما كنانة في خير بخائرة ولا كنانة في شر باشرار
وهو أقبح ذم .

٣/١٠٨/٤ وقال عليه السلام : لقد علق بنيات هذا الانسان بضعة
هى أعجب ما فيه ، وذلك القلب ، وله مواد من الحكمة وأضداد
من خلافها ، فان سنج له الرجاء أذ له الطمع ، وان هاج به

الطمع اهلكه الحرص ، وان ملكه اليأس قتله الاسف ، وان
عرض له الغضب اشتد به الغيظ ، وان اسعده الرضا نسي التحفظ
وان ناله الخوف شغله الحذر، وان اتسع له الامن استلبته الغرة
وان افاد ما لا اطغاه الغنى ، وان اصابته مصيبة فضحه الجزع
وان عضته الفاقة شغله البلاء ، وان جهده الجوع قعد به الضعف
وان افراط به الشبع كظته البطنة ، فكل تقصيره مضر وكل افراط
له مفسد .

أقول: رواه الكليني في روضته والمسعودي وأبي طلحة الشافعي في مطالب
سؤله ، روى الاول عن محمد بن علي بن معمر عن محمد بن علي بن عكاشة عن
الحسين بن النضر الفهري عن ابي عمرو والاوزاعي عن عمرو بن شمر عن جابر
عن ابي جعفر عليه السلام قال : ان امير المؤمنين عليه السلام خطب الناس بالمدينة
بعد سبعة أيام من وفاة الرسول « ص » ، وذلك حين فرغ من جمع القرآن
وتأليفه ، فقال : الحمد لله الذي منع الاوهام أن تنال الا وجوده - الى أن قال -
أيها الناس أعجب ما في الانسان قلبه وله مواد من الحكمة وأضداد من خلافها،
فان سئح له الرجاء أذله الطمع ، وان هاج به الطمع أهلكه الحرص ، وان ملكه
اليأس قتله الاسف ، وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ ، وان أسعد بالرضا
نسي التحفظ ، وان ناله الخوف شغله الحذر، وان اتسع له الامن استلبته الغرة
وان جددت له النعمة أخذته الغرة ، وان أفاد ما لا أطغاه الغنى، وان عضته فاقة
شغله البلاء - جهده البكاء - وان اصابته مصيبة فضحه الجزع ، وان أجهده
الجوع قعد به الضعف ، وان فرط في الشبع كظته البطنة ، فكل تقصيره مضر
وكل افراط له مفسد .

وقال الثاني : دخل ضرارين ضمرة - وكان من خواص علي « ع » - علي

معاوية وافداً ، فقال له : صف لي علياً . قال : اعفني . قال معاوية : لا بد من ذلك . فقال : أما اذا كان لا بد من ذلك فانه كان والله بعيد المدى شديد القوى - الى أن قال - فقال له معاوية : زدني شيئاً من كلامه . فقال: كان يقول : أعجب ما في الانسان قلبه وله مواد من الحكمة وأضداد من خلافها ، فان سرح له الرجاء أماله الطمع ، وان مال به الطمع أهلكه الحرص ، وان ملكه القنوط قتله الاسف ، وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ ، وان أسعده الرضا نسي التحفظ ، وان أماله الخوف فضحه الجزع ، وان أفاد مالا أطغاه الغنى ، وان عضته فاقة فضحه الفقر ، وان جهده الجوع أقعده الضعف ، وان أفرط به الشبع كظته البطننة ، فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد . فقال له معاوية : زدني ما وعيته من كلامه . قال : هيهات أن آتي على جميع ما سمعته منه .

وقال الثالث: نقل البيهقي باسناده عن الشافعي عن يحيى بن سليم عن الامام جعفر بن محمد عن عبد الله بن جعفر عن امير المؤمنين عليه السلام قال : أعجب ما في الانسان قلبه ، فيه مواد من الحكمة وأضداد لها من خلافها ، فان سرح له الرجاء أوله الطمع ، وان هاج به الطمع أهلكه الحرص ، وان ملكه اليأس قتله الاسف ، وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ ، وان أسعده الرضا نسي التحفظ ، وان ناله الخوف شغله الحزن ، وان أصابته المصيبة فضحه الجزع ، وان وجد مالا أطغاه الغنى ، وان عضته فاقة شغله البلاء ، وان أجهد به الجوع قعد به الضعف ، وان أفرط به الشبع كظته البطننة ، فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد .

(لقد علق بنيات هذا الانسان) في الصحاح النياط عرق علق به القلب من الوتين ، فاذا قطع مات صاحبه .

ومراده نوع الانسان الشامل لجميع الافراد .

وعن ارسطاطاليس في تفاوت أفراد الانسان كلام، وهو ليس فيما خلق تعالى
أشد من الانسان ، يوجد فيه ما في كل حيوان ، يكون شجاعاً كالاسد ، وجباناً
كالارنب، وسخياً كالديك ، وبخيلاً كالكلب ، وفجوراً كالغراب ، ووحشياً كالنمر
وانسياً كالحمام ، وخبيناً كالثعلب ، وسليماً كالغنم ، وسريعاً كالغزال، وبطيئاً كالذب
وعزيزاً كالفيل ، وذليلاً كالحمار، ولصاً كالعقق ، وتائها كالطاوس ، وهادياً كالقطا ،
وضالاً كالنعامة ، وشروراً كالتيس ، وكدوداً كالثور، وشموساً كالبلبل ، وأخرساً
كالحوث ، ومنطقياً كالهزار ، وجهولاً كالخنزير، وميشوماً كالبوم ، ونفاعاً كالفرس ،
ومضراً كالفارة .

(بضعة) في الصحاح القطعة من اللحم ، وهي بالفتح وأخواتها مثل القطعة
والفلذة والفدرة والكسفة والحرقة وما لا يحصى بالكسر .

(هي أعجب ما فيه) وكل ما فيه عجب ، فقال عليه السلام أيضاً : اعجبوا
لهذا الانسان ينظر بشحم ويتكلم بلحم ويسمع بعظم ، بل كله عجب .

أتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر
(وذلك القلب) قالوا ما سمي القلب الا من قلبه .

هذا ، وقيل في عضد الدولة : له صدر فيه ألف قلب .

(وله مواد من الحكمة وأضداد من خلافها) وعنه عليه السلام أيضاً :

الفضائل أربعة اجناس : احدها الحكمة وقوامها في الفكرة ، والثاني العفة
وقوامها في الشهوة ، والثالث القوة وقوامها في الغضب، والرابع العدل وقوامه
في اعتدال قوى النفس .

قال « ثم » أراد عليه السلام بقوله « مواد من الحكمة » الفضائل الخلقية ،

فانها بأسرها من الحكمة ، وهي العلم بما ينبغي أن يفعل ، وهو الاصلح في كل
باب ، وهي مواد كمال القلب . وأراد بقوله « وأضداد من خلافها » السذائل

المضادة للفضائل ، وهي التي أطراف التفريط والافراط منها ، فالاولى الطمع وهو رذيلة الافراط من رضا الانسان بما يحصل عليه من دنياه .

الى أن قال : الخامسة رذيلة الافراط من عروض الخوف ، وهي الاشتغال بالحدردما ينبغي عند عروضه ، والذي ينبغي فيه الاخذ بالحزم وترك الافراط من الخوف والعمل للامرالمخوف . السادسة رذيلة التفريط في عروض ضده وهو الامن حتى لا يفكر في مصلحته وحفظ ما هو عليه من الامن .

الى أن قال : ثم ختم ذلك بالتنفير عن طرفي الافراط والتفريط فيها اجمالاً بما يلزم التفريط من مضرة القلب بعدم الفضيلة ويلزم الافراط فيها من افساده لخروجه عنها .

وعرض « ثم » في كلامه ذلك بابن ابي الحديد حيث قال : ليست الامور التي عددها عليه السلام شرحاً لما قدمه من هذا الكلام المجمل ، وان ظن قوم أنه أراد ذلك .

(فان سنح) أي عرض (له الرجاء أذله الطمع) الرجاء ان لم يكن فيه افراط يؤديه الى الطمع فضيلة وحكمة لانه مادة الحياة للدين والدنيا ، وأما ان أدى اليه فهو طبع .

وفي مجازات نبوية المصنف في قول النبي صلى الله عليه وآله «استعينوا بالله من طمع يهدي الى طبع» المراد أن الطمع يصير بصاحبه الى معائب الافعال ومدانستها ويوقعه في مذامها ومناقصها. والطبع الدنس والعيب مأخوذ على ما سمعته من أبي الفتح النحوي من الطابع وهو الخاتم ، كأنه يسم صاحبه بالمعائب ، فلما كانت عواقب الطمع صائرة الى مدارن الطبع جعل « ص » الطمع كأنه هادياً اليها على المجازوالاتساع .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام : ما أقبح بالمؤمن أن تكون له

رغبة تذله .

وعنه عليه السلام : الذي يثبت الايمان الورع ، والذي يخرج الطمع .
وعن السجاد عليه السلام : رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع
عما في أيدي الناس .

وقالوا: تقطع أعناق الرجال المظامع ، وان الطير ليصاد بالمظامع . واشعب
الطماع وقصصه معروفة .

(وان هاج به الطمع أهلكه الحرص) فالحرص افراط في افراط ، فالطمع
يذل والحرص يهلك .

وفي عيون ابن قتيبة : لا يكثر الرجل على أخيه الحوائج ، فان العجل اذا
أفرط في مص أمه نطحته ونحته . وقال شاعر :

كم من حريص على شيء ليدركه وعلّ ادراكه يدني الى عطبه
وقال آخر :

ورب ملح على بغيته وفيها منيته لو شعر

وقال ابن المقفع : الحرص محرمة ، أنظر من يطلب اليك بالاجمال والتكرم

أحق أن تسخو نفسك له بالعطية أم من يطلب ذلك بالشره والحرص .

ودخل مالك بن دينار على رجل محبوس قد أخذ بمال عليه وقيد ، فقال
له الرجل : أما ترى ما نحن فيه من هذه القيود ، فرفع مالك رأسه فرأى سلة
فقال : لمن هذه . قال : لي فأمر بها أن تنزل ، فأنزلات واذا دجاج وأخبصة ،
فقال مالك : هذه وضعت القيود في رجلك .

وقالت الحكماء : الحرص الجشع أشد حرارة من النار .

(وان ملكه اليأس قتله الاسف) هو التفريط من فضيلة الرجاء ، فاليأس يمنع

العمل للدنيا والدين .

وفي الخصال عن الصادق عليه السلام : تبع حكيم حكيماً سبعمائة فرسخ في سبع كلمات ، فلما لحق به قال : يا هذا ما أرفع من السماء وأوسع من الأرض وأغنى من البحر وأقسى من الحجر وأشد حرارة من النار وأشد برداً من الزمهرير وأثقل من الجبال الراسيات ؟ فقال له : يا هذا الحق أرفع من السماء ، والعدل أوسع من الأرض ، وغنى النفس أغنى من البحر ، وقلب الكافر أقسى من الحجر والحريص الجشع أشد حرارة من النار ، واليأس من روح الله أشد برداً من الزمهرير ، والبهتان على البريء أثقل من الجبال الراسيات .

وقالوا : عاقب الزهري رجلاً ، فمات فخرج هارباً وتوحّش ودخل إلى غار فقال له علي بن الحسين عليه السلام : اني أخاف عليك من قنوطك ما لا أخاف عليك من ذنبك .

(وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ) في الكافي عن الباقر عليه السلام : ان هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم ، وان أحدكم اذا غضب احمرت عيناه وانتفخت أوداجه ودخل الشيطان فيه ، فاذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض ، فان رجس الشيطان يذهب عنه عند ذلك .

وعن الصادق عليه السلام قال رجل للنبي « ص » علمني . قال : اذهب ولا تغضب . فقال الرجل : قدا كتفتيت بذلك ، فمضى إلى أهله فاذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفاً ولبسوا السلاح ، فلما رأى ذلك لبس سلاحه ثم قام معهم ثم ذكر قول النبي « لا تغضب » فرمى السلاح ثم جاء يمشى إلى القوم الذين هم عدو قومه ، فقال : يا هؤلاء ما كان لكم من جراحة أوقتل أو ضرب ليس فيه أثر فعلي في مالي أنا أو فيكموه . فقال القوم : فما كان فهو لكم ، نحن أولى بذلك منكم ، فاصطلح القوم وذهب الغضب .

وعن النبي « ص » : الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخل العسل .

وعن الباقر عليه السلام: ان الرجل ليغضب فما يرضى أبداً حتى يدخل النار
وأما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك فانه سيذهب عنه
رجز الشيطان ، وايماء رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسه فان الرحم
اذا مست سكنت .

هذا ، وفي نسب قريش مصعب الزبيري : حج مروان بن عبد الملك مع
أخيه الوليد بن عبد الملك - والوايد يومئذ خليفة - فجرى بينهما محاوره ،
فغضب الوليد فأمصه فنفوه مروان بالرد عليه ، فأمسك عمر بن عبدالعزيز على
فيه فمنعه من ذلك ، فقال لعمر: قتلتنى رددت غيظي في جوفى ، فما راحوا من
وادي القرى حتى دفنوه ، فقال الشاعر:

لقد غادر القوم اليمانون اذ غدوا بوادي القرى جلد الجنان مشيعا
فسيروا فلا مروان للقوم اذ شقوا و للركب اذ أمسوا مكلين جوّعا
والرذيلة ما اذا استتبع الغضب غيظاً يؤدي الى الانتقام بأكثر مما يستحقه
الخصم ، وأما ان تترك الانتقام رأساً فهو فضيلة ، قال تعالى « وما عند الله خير
للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش
واذا ما غضبوا هم يغفرون » كما أنه اذا انتقم بقدر الاستحقاق يكون عدالة ، قال
تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها » .

(وان أسعده الرضا نسي التحفظ) في الطبري - في محاربة نصرين سبار
والكرماني في خراسان - بعث أبو مسلم حين عظم الامر بين الكرماني ونصر
الى الكرماني « اني معك » ، فقبل وانضم اليه ، فاشتد ذلك على نصر فأرسل الى
الكرماني : ويلك لا تغتر فوالله اني لخائف عليك وعلى أصحابك منه ، ولكن
هلم الى الموادة فندخل مرو ، فنكتب بيننا كتاباً بصلح - وهو يريد أن يفرق
بينه وبين أبي مسلم - فدخل الكرماني منزله وأقام أبو مسلم في المعسكر وخرج

الكرماني حتى وقف في الرحبة في مائة فارس وعليه قرطوق خشكشونة ، ثم أرسل نصر: أخرج لنكتب بيننا الكتاب فأبصر نصر منه غرة فوجّه اليه ابن سريح في نحو من ثلاثمائة فارس فالتقوا في الرحبة ، فاقتتلوا بها طويلا . ثم ان الكرماني طعن في خاصرته فخرعن دابته وحماه أصحابه حتى جاءهم ما لاقبل لهم به فقتل نصر الكرماني وصلبه .

(واناله) هكذا في المصرية والصواب « وان عاله » كما في « ثم » والخطية (الخوف شغله الحذر) .

في الطبري - في غزوة حنين - كان جماع أمر الناس الى مالك بن عوف النصرى ، فلما نزل بأوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم دريد بن الصمة ، فلما نزل دريد قال : مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبعار الشاء وبكاء الصبي قالوا : ساق مالك مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموراهم . فقال: ابن مالك ؟ فدعى له . فقال له : انك أصبحت رئيس قومك مالي اسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبعار الشاء وبكاء الصغير؟ قال: سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموراهم قال : ولم ؟ قال : أردت ان أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم . قال: هل يرد المنهزم شيء ، انها ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه ، وان كانت عليك فضحت في أهلك ومالك - الخبر .

والمذموم ما اذا كان له قدرة على تدبير وحيلة والا فلا ، فكان هشام بن الحكم بعد وقوف هرون على حجاجه في الامامة أراد قتله ، وكان قدم ليضرب عنقه واتفق ان نجا فاعتل من الخوف ، فكان اذا وصف طبيب له علته يكذبه ويقول له : علتي فزع القلب مما أصابني .

(وان اتسع له الامن استلبته الغرة) أي اختلسته ، كان علي بن الكرماني استأمن الى ابي مسلم ، فأمره أبو مسلم أن يسمى له خصاصته ليوليهم ويأمر

لهم بجوائز وكسى ، فسامهم له فقتلهم جميعاً .

(وان أفاد مالا أطغاه الغنى) هكذا في المصرية ، والصواب كون هذه الفقرة « وان أفاد مالا أطغاه الغنى » بعد فقرة «وان أصابته مصيبة أصابته الجزع» كما في « حد » و« ثم » والمخطية ، ولان المناسب أن يكون «وان عضته الفاقة» بعد « وان أفاد مالا » . « ان الانسان ليطنى * أن رآه استغنى » ، « ولوسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء » ، « ولسوا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سققاً من فضة ومعارج عليها يظهرن » .

(وان أصابته مصيبة فضحه الجزع) « ان الانسان خلق هلوغاً * اذا مسه الشر جزوعاً * واذا مسه الخير منوعاً » .

وفي المروج : اعتلت حباية جارية يزيد بن عبد الملك ، فأقام يزيد أياماً لا يظهر للناس ، ثم ماتت فأقام أياماً لا يدفنها جزعاً عليها حتى جيفت ، فقالوا : ان الناس يتحدثون عنك بجزعك وان الخلافة تجل عن ذلك ، فدفنها وأقام على قبرها فقال :

فان تسل عنك النفس أوتدع الهوى فبالياس تسلوا النفس لا بالتجلد

ثم أقام بعدها أياماً قلائل ثم مات (وان عضته الفاقة شغله البلاء) .

في العقد : كان ابو الشمقم الشاعر أديباً ظريفاً محارفاً صلوا كأ متبرماً قد لزم بيته في أطماره سحقه ، وكان اذا استفتح عليه أحد بابه خرج فنظر من فرج الباب ، فان أعجبه فتح له والاسكت ، فدخل عليه بعض اخوانه ، فلما رأى سوء حاله قال : انا روينا في بعض الحديث « ان العارين في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة » . قال : ان كان ماتقول حقاً لاكونن برازاً يوم القيامة .

وفي كتاب للهند : من لا مال له اذا أراد أن يتناول أمراً قعده العدم فيبقى

مقصراً عما أراد كالماء الذي يبقى في الأودية من مطر الصيف فلا يجري إلى بحرو ولا نهري بل يبقى مكانه حتى تنشفه الأرض .

(وان جهده الجوع قعد به الضعف) في شعراء ابن قتيبة - في أعشى قيس - كان أبوه يدعى قنيل الجوع ، وذلك أنه كان في جبل ، فدخل غاراً فوقعت صخرة من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعاً .

هذا ، فقيل لعقيل بن علقمة لوزوجت بناتك فان النساء لحم علي وضم اذا لم يكن غايات . قال : كلاني أجميعهن فلا يأترن واعريهن فلا يظهرن .

(وان أفرط به الشبع كظته البطنة) الكظة بالكسر ما يعتري الانسان من الامتلاء من الطعام ، قال حاتم :

يرى الخمص تعذيباً وان نال شبعة بيت قلبه من قلة الهمّ مبهما
وفي العقد قال ابو اليقظان : كان هلال بن سعد التميمي اكولا ، فيزعمون انه أكل جملاً وأكلت امرأته فصيلاً ، فلما أراد أن يجامعها لم يصل إليها ، فقالت له : وكيف تصل الي وبينني وبينك بعيران .

وقال المدائني : كان سلمان بن عبد الملك بدابق فأتي بسلين أحدهما مملو بيضاً والآخر تيناً . فقال : اقشروا البيض ، فجعل يأكل بيضة وتينة حتى فرغ من السلين ، ثم أتود بقصعة مملوة مخاً بسكر ، فأكله فأتخم ومرض فمات .

هذا ، وفي المروج رحل رجل من بني هاشم من الكوفة إلى ابن عمه بالمدينة ، فأقام عنده حولا لم يدخل مستراحاً ، فلما كان بعد الحول أراد الرجوع إلى الكوفة حلف عليه أن يقيم عنده أياماً آخر ، فأقام وكان للرجل قينتان فقال لهما : اما رأيتما ابن عمي وظرفه أقام عندنا حولا ولم يدخل مستراحاً . فقالتا له : فعلينا أن نصنع له شيئاً لا يجد معه بدأ من الخلاء . قال شأنكما وذلك ، فعمدنا إلى خشب العشر - وهو مسهل - فدقناه وطرحتاه في شرابه ، فلما حضر

وقت شرابهما قدمته اليه وسقتا مولاها من غيره ، فلما أخذ الشراب منهما
تناوم المولى وتمغص الفتى ، فقال للتي تليه : ياسيدتي أين الخلاء ؟ فقالت لها
صاحبته: ما يقول لك . قالت : يسألك ان تغنيه :

خلا من آل فاطمة الديار فمنزل أهلها منها قفار

فغنته فقال الفتى : أظنهما مكيتين وما فهمتا، ثم التفت الى الاخرى فقال:
يا سيدتي أين الحش . فقالت لها صاحبته : ما يقول ؟ قالت : يسألك ان تغنيه:
أوحش الدقرات والدير منها فعناها بالمنزل المعمور
فغنته ، فقال الفتى: أظنهما عراقيتين وما فهمتا عني، ثم التفت الى الاخرى
فقال لها : أعزك الله أين المتوضأ. فقالت لها صاحبته: ما يقول؟ قالت: يسألك
أن تغنيه :

توضأ للصلاة وصل خمساً واذن بالصلاة على النبي

فغنته فقال : أظنهما حجازيتين وما فهمتا عني. ثم التفت الى الاخرى فقال:
يا سيدتي أين الكنيف ؟ فقال لها صاحبته : ما يقول لك . قالت : يسألك
ان تغنيه :

تكنفني الواشون من كل جانب ولو كان واش واحد لكفانيا

فقال : أظنهما يمانيتين وما فهمتا عني، ثم التفت الى الاخرى فقال: يا هذه
أين المستراح ؟ فقالت لها صاحبته : ما يقول . قالت تسألك ان تغنيه :

ترك الفكاهة والمزاحا وقلى الصباية واستراحا

فغنته والمولى يسمع ذلك وهو متناوم ، فلما اشتد به الامر انشأ يقول :

تكنفني السلاح وأضجروني على ما بي بتكرير الاغانى

فلما ضاق عن ذلك اصطبارى ذرقت به على وجه الزوانى

ثم انه حل سراويله وسلح عليهما ، وانتبه المولى في أثر ذلك ، فلما رأى

ما نزل بجواريه قال : يا أخي ما حملك على هذا الفعل ؟ قال : يا ابن الفاعلة لك جواريون المخرج صراطاً مستقيماً لا يدللنني عليه، فلم أجد لهن جزاء غير هذا ، ثم رحل عنه .

(وكل تقصيره مضر و كل افراط له مفسد) قال تعالى « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً » .

وقال النبي صلى الله عليه وآله في جوامع كلماته: خير الامور أوساطها. هذا، وعن المؤمن: الناس ثلاثة، فمنهم مثل الغداء لا بد منه على كل حال، ومنهم كالدواء يحتاج اليه في حال المرض، ومنهم كالداء مكروه على كل حال.

٧٠٥ / وقال عليه السلام : لا ترى الجاهل الا مفراطاً أو مفراطاً.

الافراط تجاوز الحد، والتفريط التقتصير والتضييع له حتى يفوت، وكلاهما مذمومان وانما الممدوح الحد الوسط .

ومن كلمات النبي « ص » الجامعة : خير الامور أوساطها ، وقال الشاعر :

وان بين التفريط والافراط مسلماً منجياً من الايراط

الايراط مصدر أورطه ، أي أوقعه فيما لا خلاص له منه .

وصدق عليه السلام الجاهل اما يبخل ولا ينفق أصلاً أو ينفق ويسرف مع أن الله تعالى قال «والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً».

وكذلك الجاهل اما أن يترك آخرته لدنياه واما دنياه لآخرته، وقالوا عليهم

السلام : ليس منامن ترك آخرته لدنياه ومن ترك دنياه لآخرته ، والجاهل اما

لا يكسب ويكون كلا على الناس واما يحرض ولا يجمل في كسبه ، وكلاهما

ضلال .

وفي بيان الجاحظ قال النبي صلى الله عليه وآله: يؤتى يوم القيامة بالوالي

جلد فوق ما أمر الله به ، فيقول له الرب : عبدي لم جلدت فوق ما أمرتك به ؟

فيقول: رب غضبت لغضبك. فيقول: أكان ينبغي لغضبك أن يكون أشد من غضبي ثم يؤتى بالمقصر فيقول: عبدي لم قصرت عما أمرتك به؟ فيقول: رب رحمته. فيقول: أكان ينبغي لرحمتك أن تكون أوسع من رحمتي فيصيرهما إلى النار. وفي تاريخ بغداد ذكر عند أبي حنيفة جهم ومقاتل فقال: كلاهما مفترط، أفرط جهم حتى قال انه تعالى ليس بشيء، وأفرط مقاتل حتى جعله مثل خلقه. هذا، وأنشد شاعر نصر بن سيار بخراسان أرجوزة تشبيها مائة ومديحها في نصر عشرة، فقال له نصر: والله ما تركت كلمة عذبة ولا معنى لطيفاً الا وقد شغلته عن مديحي بتشبيبك، فان أردت مديحي فاقتصد، فأثاه فأنشده:

هل تعرف الدار لام عمرو دع ذا وجبر مدحة في نصر

فقال له نصر: لا هذا ولا ذلك، ولكن أمر بين الامرين.

وفي المعجم قال الجاحظ: يجب للرجل أن يكون سخياً لا يبلغ التبذير شجاعاً لا يبلغ الهوج، محترساً لا يبلغ الجبن، ماضياً لا يبلغ القحة، قوالاً لا يبلغ الهذر، صموتاً لا يبلغ العي، حليماً لا يبلغ الذل، منتصراً لا يبلغ الظلم وقوراً لا يبلغ البلادة، ناقداً لا يبلغ الطيش، ثم وجدنا النبي «ص» قد جمع ذلك كله في كلمة واحدة، وهو قوله «خير الامور أوساطها»، فعلم أنه صلى الله عليه وآله قد أوتي جوامع الكلم وعلم فصل الخطاب.

١٩٩/٦ وقال عليه السلام في صفة الغوغاء: هم الذين اذا

اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا. وقيل بل قال عليه السلام:

هم الذين اذا اجتمعوا ضروا واذا تفرقوا نفخوا. فقيل: قد

عرفنا مضرة اجتماعهم، فما منفعة افتراقهم؟ فقال عليه السلام:

يرجع أصحاب المهن إلى مهنتهم فينتفع الناس بهم كرجوع البناء

إلى بنائه والنساج إلى منسجه والخباز إلى مخبزه.

أقول : قول المصنف (في صفة الغوغاء) في الصحاح ، قال الاصمعي :
الجرادة اذا صارت لها أجنحة وكادت تطير قيل أن تستقل فتطير غوغاء وبه
شبه الناس .

وقال أبو عبيدة: الغوغاء شيء شبيه بالبعوض الا أنه لا يعض ولا يؤذي وهو
ضعيف ، فمن صرفه وذكره جعله بمنزلة قمقام ، والهمزة مبدلة من واو، ومن
لم يصرفه جعله بمنزلة عوراء .

قال المسعودي في مروجه من أخلاق العامة أن يسودوا غير السيد ويفضلوا
غير الفاضل ويقولوا بعلم غير العالم ، وهم أتباع من سبق اليهم من غير تمييز
بين الفاضل والمفضول والفضل والتقصان، ولا معرفة للحق من الباطل عندهم .
وقال الجاحظ : سمعت رجلا من العامة - وهو حاج وقد ذكر له البيت -
يقول : اذا أتيت من يكلمني ، وأخبره صديق له أن رجلا من العامة قال له - وقد
سمعه يصلى على محمد « ص » - ما تقول في محمد هذا أربنا هو . وذكر لي
بعض اخواني: ان رجلا من العامة بمدينة السلام رفع الى بعض الولاة الطالبين
لاصحاب الكلام على جاره انه يتزندق، فسأله الوالي عن مذهب الرجل فقال:
انه مرجيء قدرى اباضي رافضي يبغض معاوية بن الخطاب الذي قاتل علي بن
العاص . فقال له الوالي: ما أدري على أي شيء أحسدك على علمك بالمقالات
أو على بصرك بالانساب .

وأخبرني رجل من اخواننا من أهل العلم قال: كنا نعد نتناظر في أبي بكر
وعمر وعلي ومعاوية وما يذكره أهل العلم فيهم ، وكان قوم من العامة يأتون
فيستمعون مناقال لي يوماً بعضهم - وكان من أعقلهم واكبرهم لحية - كم تظنون
في علي ومعاوية وفلان وفلان . فقلت : فما تقول أنت . قال : من تريد؟ قلت:
علي . قال : أو ليس هو أبو فاطمة . قلت : ومن كانت فاطمة؟ قالت : امرأة

النبي « ص » بنت عائشة أخت معاوية . قلت : فما كانت قصة علي ؟ قال : قتل في غزاة حنين مع النبي .

وذكر ثمامة بن أشرس قال : كنت ماراً في السوق ببغداد ، فإذا أنا برجل اجتمع الناس عليه فنزلت عن بغلتي وقلت : لشيء ما هذا الاجتماع؟ ودخلت بين الناس ، فإذا أنا برجل يصف كحلامعه انه ينجع من كل داء يصيب العين ، فنظرت اليه فإذا عينه الواحدة برشاء والاخرى ماسوكة ، فقلت له : يا هذا لو كان كحلك كما تقول نفع عينيك . فقال لي : أههنا اشتكت عيناى ، انما اشتكتا بمصر . فقال كلهم : صدق وما انفلت من نعالهم الا بعد كد .

وكان في أيام الرشيد ببغداد متطبب يطبب العامة بصفاته وكان دهرياً يظهر أنه من أهل السنة والجماعة وبلعن أهل البدع ويعرف بالسني تنقاد اليه العامة فكان يجتمع اليه في كل يوم بقوارير الماء خلق . فاذا اجتمعوا وثب قائماً على قدميه فقال لهم : يا معشر المسلمين قلت لاضرار ولا نافع الا الله فلاي شيء تسألوني عن مضاركم ومنافعكم الجأوا الى ربكم وتوكلوا على بارئكم حتى يكون فعلكم مثل قولكم . فيقولون : اي والله صدقنا فكم من مريض لم يعالج حتى مات . قوله عليه السلام في الاول (هم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا) وفي الثاني (هم الذين اذا اجتمعوا ضروا واذا تفرقوا نفعوا) في كامل الجزري : جرت في سنة (٦٠١) ببغداد بين أهل باب الازج وأهل المأمونية محاربة بسبب أن الاولين قتلوا سبعا ، فأرادوا أن يطوفوه فمنعهم الاخرون فقتل جمع وخرج جمع ونهب دور وكذلك بين أهل قطفنا والغربية - من محال غربي ببغداد - جرت محاربة بسبب قتل سبع أرادوا لولون طوفوه فمنعهم الاخرون فقتل بينهم قتلى حتى أرسل اليهم عسكري .

(فقيل قد عرفنا) هكذا في المصرية والصواب « قد علمنا » كما في « حد » و« ثم » والخطية (مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم) هذا السؤال انما على

الرواية الثانية ، وأما الرواية الأولى فالمراد من شقي الكلام غلبتهم في اجتماعهم على كل قوة وعدم معرفتهم في تفرقتهم واضح (فقال عليه السلام : يرجع أصحاب المهن الى مهنتهم) هكذا في المصرية والصواب « الى مهنتهم » كما في غيرها ، والمهنة الحدق بالعمل ، والخدمة - وهي بفتح الميم وكسرهما - حكي الكسر أبو زيد والكسائي وان أنكره الاصمعي (فينتفع الناس بهم) الخ .

قالوا : كتب كتاب حكمة فبقيت منه . فقالوا : ما نكتب فيه ؟ فقيل : يكتب « يسأل عن كل صناعة أهلها » .

٢٠٠/٧ وقال عليه السلام واتى بجان ومعه غوغاء ، فقال : لا

مرحبا بوجوه لا ترى الا عند كل سوء .

أقول : رواه الشيخ في زيادات حدود تهذيبه مسنداً عن اليعقوبي عن أبيه هكذا : قال أتى أمير المؤمنين عليه السلام وهو بالبصرة - برجل يقام عليه الحد فأقبل جماعة من الناس ، فقال عليه السلام : أنظر يا قنبر ما هذه الجماعة . قال : اجتمعوا لرجل يقام عليه الحد ، فلما قربوا نظر « ع » في وجوههم وقال : لا مرحباً بوجوه لا ترى الا في كل سوء ، هؤلاء فضول الرجال ، أمطهم عني يا قنبر قول المصنف (واتى عليه السلام) هكذا في المصرية والصواب « وقد أتى » كما في « حد » و « ثم » والخطية (بجان) أي بندي جنة الا أن الجوهرى قال : الجان ابو الجن وحية بيضاء .

قوله عليه السلام (لا مرحباً بوجوه لا ترى الا عند كل سوء) في الصحاح السوأة العورة والفاحشة .

قال « حد » أخذ هذا اللفظ المستعين - وقد أدخل عليه ابن ابى الشوارب القاضي ومعه الشهود ليشهدوا عليه أنه قد خلع نفسه من الخلافة وباع للمعتز - فقال : لا مرحباً بهذه الوجوه التي لا ترى الا يوم سوء .

قلت : وقال المسعودي في موجه : تقصد العامة في احتشادها وجموعها
فلاتراهم الدهر الامرقلين الى قائد دب وضارب دف على سياسة قرد ومتشوقين
الى اللهب واللعب ، أو مختلفين الى مشعبد منمس مخرف ، أو مستمعين
الى قاص كذاب ، أو مجتمعين حول مضروب أو وقوفاً عند مصلوب ينطق بهم
وبصاح فلا يرتدعون ، لا ينكرون منكراً ولا يعرفون معروفاً ولا يباليون أن يلحقوا
البار بالفاجر والمؤمن بالكافر ، وقد بين ذلك النبي « ص » فيهم حيث يقول « الناس
اثنان عالم أو متعلم وما عدا ذلك همج رعا ع لا يعبأ الله بهم » .
وسئل علي « ع » عن العامة فقال : همج رعا ع أتباع كل ناعق لم يستضيؤوا
بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق .

وقد صنف أبو عقال الكاتب كتاباً في أخلاق العوام يصف فيه شيمهم
ومخاطباتهم وسماه بالملهى - الخ . وقال الشاعر :

قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا اليه زرافات و وحدانا
وفي الاغاني قال عثمان الوراق : رأيت العتابي يأكل خبزاً على الطريق
بباب الشام ، فقلت له : ويحك أما تستحي . فقال : رأيت لو كنا في دار فيها
بقر كنت تستحي وتحتشم أن تأكل وهي تراك . فقال : لا . قال : فاصبر حتى
أعلمك أنهم بقر ، فقام فوعظ وقص ودعا حتى كثر الزحام عليه ، ثم قال لهم :
روى لنا غير واحد أنه من بلغ لسانه أرنبه أنفه لم يدخل النار . فما بقي أحد الا
وأخرج لسانه يومئذ به نحو أرنبه أنفه ويقدره حتى يبلغها أم لا ، فلما تفرقوا قال
لى العتابي : ألم أخبرك أنهم بقر .

١٥٠/٨ / وقال عليه السلام لرجل سألته أن يعظه : لا تكن ممن
يرجو الاخرة بغير العمل ، ويرجىء التوبة بطول الامل ، يقول
فى الدنيا بقول الزاهدين ، ويعمل فيها بعمل الراغبين ، أن

أعطى منها لم يشبع وان منع منها لم يقنع ، يعجز عن شكر ما أوتي
ويتغنى الزيادة فيما بقي ، ينهى ولا ينتهى ويأمر بما لا يأتي ،
يحب الصالحين ولا يعمل عملهم ويبغض المذنبين وهو أحدهم
يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له ، ان
سقم ظل نادماً وان صح أمن لاهياً ، يعجب بنفسه اذا عوفي
ويقنط اذا ابتلى ، ان اصابه بلاء دعا مضطراً ، وان ناله رخاء
أعرض مغتوراً ، تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن
يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه بأكثر من عمله ،
ان استغنى بطرف فتن وان افتقر قنط ووهن ، يقصر اذا عمل ويبالغ
اذا سأل ، ان عرضت له شهوة اسلف المعصية وسوف التوبة ،
وان عرته محنة انفرج عن شرائط الملة ، يصف العبرة ولا يعتبر
ويبالغ الموعظة ولا يتعظ ، فهو بالقول مدل ومن العمل مقل ،
ينافس فيما يفنى ويسامح فيما يبقى ، يرى الغنم مغرماً والغرم
مغتماً ، يخشى الموت ولا يبادر الفوت ، يستعظم من معصية غيره
ما يستقل أكثر منه من نفسه ، ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة
غيره ، فهو على الناس طاعن ولنفسه مداهن ، اللهم مع الاغنياء
أحب اليه من الذكرمع الفقراء ، يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم
عليها لغيره ، يرشد غيره ويغوى نفسه ، فهو بطاع ويعصى ويستوفى
ولا يوفى ويخشى الخلق في غير ربه ولا يخشى ربه في خلقه .
قال الرضى : ولولم يكن في هذا الكتاب الا هذا الكلام لكفى
به موعظة ناجمة وحكمة بالغة وبصيرة لمبصر وعبرة لناظر مفكر .
أقول : قول المصنف (وقال عليه السلام لرجل سأله ان يعظه) رواه تحف

العقول عنه عليه السلام أبسط، فقال: موعظة له «ع» في وصف المقصرين - الخ.
ورواه الجاحظ في بيانه عنه «ع» أخصر، وأخذه عنه عبدالله بن عباس
فوعظ به ابنه علي بن عبدالله بن عباس كما رواه المفيد في أماليه .

قوله عليه السلام (لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل) هكذا في المصرية
والصواب «بغير عمل» كما في «حد» و«ثم» والخطية، نهى عليه السلام عن
رجاء الآخرة بدون عمل لانه كمن رجا ضرب البيدر بدون زرع، وقد قال تعالى
«ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون» وقد قال النبي «ص»: لا بدع مدع ولا يتمن
تمن أنه ينجو إلا بعمل ورحمة لوعصيت هويت، اللهم هل بلغت .

ومن الشعر المنسوب اليه عليه السلام كما قال «حد» في غير هذا الموضع:

غمرّ جهو لا أمله	يموت من جاء أجله
ومن دنا من حتفه	لم يغن عنه حيله
وما بقاء آخر	قد غاب عنه أوله
والمرء لا يصحبه	في القبر إلا عمله

وفي الاغانى قال الرشيد لابي العتاهية: عظني . قال: أخافك . قال: أنت
آمن . فقال له :

ترجو النجاة ولم تسلك طريقها
ان السفينة لا تجري على اليبس
فبكى حتى بلّ كفه .

(ويرجىء التوبة) أي يؤخرها من «أرجأ» او «أرجى» (بطول الامل)
وهذا أحد عبقریات ابليس في اهلاك الناس، وقد هلك من هلك قبل هذا .
هذا، ولما بعث عبدالملك بن مروان خالدا بن عبدالله بن خالد بن أسيد
الى البصرة - وكان عليها مصعب من قبل أخيه - كان طائفة مع ذا وطائفة مع ذا
وكان قيس السلمي مع مصعب وكان يستأجر الرجال يقاتلون معه، فتقاضاه رجل

أجرة فقال: غداً أعطيكها . فقال بعضهم لقيس - وكان قيس يعلم في عنق فرسه جلاجل - .

لبس ما حكمت يا جلاجل النقد دين والطعان عاجل
(يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين) في المروج :
أظهر ابن الزبير الزهد في الدنيا مع الحرص على الخلافة وقال : انما بطني
شبر فما عسى أن يسع ذلك من الدنيا وانا العائد بالبيت ، وكثرت أذيته لبني
هاشم مع شحه بالدنيا على سائر الناس ، فقال بعضهم :

تخبّر من لا قيت انك عائد وتكثر قتلا بين زمزم والركن
أيضاً :

لو كان بطنك شبراً قد شبعت وقد أفضلت فضلاً كثيراً للمساكين
وكان الحسن البصري يقول في الحجاج : يتكلم على المنبر بكلام الاولياء
وينزل ويعمل عمل الجبارة .

وقال بعضهم لسليمان بن عبد الملك : كان الحجاج يتزين تزوين المومسة
ويصعد المنبر ويتكلم بكلام الاخيار ، فاذا نزل عمل عمل الفراعنة .
وفي المعجم : كان قاضي القضاة عبد الجبار شيخ المعتزلة يزعم أن المسلم
يخلد في النار على ربع دينار ، وصادره فخر الدولة على ثلاثة آلاف ألف درهم
قبل باع في مصادرته ألف طيلسان مصري ، وجميع هذا المال من قضاء الظلمة
بل الكفرة عنده وعلى مذهبه .

وفي الخبر قال المسيح عليه السلام للحواريين : لا تكونوا كالمنخل يخرج
منه الدقيق الطيب ويمسك النخالة ، قولكم شفاء وعملكم داء . وقال شاعر :

ومنتظر للموت في كل ساعة يشيد بيتاً دائماً ويحصن
له حين يتلوه حقيقة موقن وأفعاله أفعال من ليس يوقن

أيضاً :

اذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا ولكن حسن القول خالفه الفعل
وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها أفأويق حتى ما يسدر لها ثعل

أيضاً :

اذا وصف الاسلام أحسن وصفه وفيه ويسأى قلبه ويهاجره
وان قام قال الحق مادام قائماً نقي اللسان كافر بعد سايره

أيضاً :

لا يعجبك من خطيب قوله حتى يكون مع اللسان دخيلاً

أيضاً :

ولفظه يأمرنا بالتقى ولحظه يأمرنا بالخنا

(ان اعطي منها لم يشبع) لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا تبغى لهما

ثالثاً .

(وان منع منها لم يقنع) وتذهب أعمال من كان كذلك في القيامة هباءً

منثوراً ، وان كانت كالجبال .

(يعجز عن شكر ما أوتي) فقالوا عليهم السلام : كل نعمة عجزت عن شكرها

فهي بمنزلة سيئة تؤاخذها .

وفي تاريخ بغداد : خرج دعبل الى خراسان فنادم عبدالله بن طاهر فأعجب

به ، فكان في كل يوم ينادمه يأمر له بعشرة آلاف درهم ، وكان ينادمه في الشهر

خمسة عشر يوماً ، وكان ابن طاهر يصله في كل شهر بمائة وخمسين ألف درهم

فلما كثرت صلواته له توارى دعبل عنه في يوم منادمته في بعض الخانات ، فطلبه

فلم يقدر عليه ، فشق ذلك عليه ، فلما كان من الغد كتب اليه دعبل :

هجرتك لم أهجرك من كفر نعمة وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر

ولكنني لما أتيتك زائراً
فملان^(١) لا آتيك الا معذراً
فأفرطت في بري عجزت عن الشكر
أزورك في الشهرين يوماً وفي الشهر
فان زدت في بري تزيدت جفوة
ولم تلقني حتى القيامة والمحشر

قلت : فاذا كان الانسان في احسان واحد من مخلوق كذلك فكيف يجب
أن يكون في نعمه عز وجل التي لا تحصى أبداً .

(ويبتغي الزيادة فيما بقي) في الكافي عن الرضا عليه السلام : من لم يقنعه
من الرزق الا الكثير لم يكفه من العمل الا الكثير ، ومن كفاه من الرزق القليل
فانه يكفيه من العمل القليل .

(ينهى ولا ينتهي) في المثل تنهاننا أمنا عن البغاء وتغدوفيه .

لاتنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

وعدم الانتهاء عن المنكر مذموم مطلقاً ، قال تعالى « لعن الذين كفروا من
بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون*
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون* ترى كثيراً منهم يتولون
الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم
خالدون» ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن
كثيراً منهم فاسقون .

(ويأمر بما لا يأتي) « أتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم » .

يا أمر الناس بالمعروف مجتهداً وان رأى عاملاً بالمنكر انتهره

ابدأ بنفسك قبل الناس كلهم فأوصها واتل ما في سورة البقرة

اشارة الى الاية ، وقيل بالفارسية : « توبه فرمايان چرا خود توبه كمتتر

ميكنند » . وقال الشاعر :

(١) أي فمن الان .

وغير تقي يأمر الناس بالتقى
طبيب يداوي والطبيب مريض
لا تركب الصنيع الذي
تلوم أخاك على مثله
ولا يعجبك قول امرئ
يخالف ما قال في فعله

(يحب الصالحين ولا يعمل عملهم ويغض المذنبين وهو أحدهم) المراد أنه كما يحب الصالحين ليعمل الصالحات وكما يبغض المذنبين ليجتنب السيئات لا أنه لا يحب الصالحين ولا يبغض المذنبين ، فمن لم يكن محب الصالحين ومبغض المذنبين فهو كافر .

(يكره الموت لكثرة ذنوبه وقيم على ما يكره الموت له) «يود أحدهم لو يعمّر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر» .

(ان سقم ظل نادماً وان صح أمن لاهياً) وكان عليه أن يغتنم الفرصة في سلامته في هذه المرة فلا بد أن يسقم مرة أخرى ولا يسلم .

(يعجب بنفسه اذا عوفي) في الخبر: أوحى تعالى الى داود «ع» بشر المذنبين وأنذر الصديقين . قال : كيف يا رب ؟ قال : بشر المذنبين أنني أقبل التوبة وأعفو عنهم ، وأنذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم فليس عبد أنصبه للحساب الاهلك .

أيضاً ظهر ابليس لموسى عليه السلام وعليه برنس ذو ألوان ، فقال له : ماهذا ؟ قال : اختطف به قلوب بني آدم . فقال له : فأخبرني بالذنب الذي اذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه . قال : اذا أعجبتة نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه .

أيضاً : دخل عابد وفاسق المسجد ، فخرجا والفاسق صديق لكون فكره في التندم على فسقه واستغفاره من ذنبه ، والعابد فاسق لكونه مدلا بعبادته وفكرته في ذلك .

(ويَقْنَطُ إِذَا ابْتَلَى) « ان الانسان خلق هلو عاً * اذا مسه الشر جزوعاً * واذا مسه الخير منوعاً » .

(ان أصابه بلاء دعا مضطراً وان أصابه رخاء أعرض مغترراً) « فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون » ، « واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيباً اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل » .

(تغلبه نفسه على ما تظن) من الامال البعيدة (ولا يغلبها على ما يستيقن) من الموت والقيامة (يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه بأكثر من عمله) مع أنه لو كان بالعكس عمله أكثر من غيره ، وذنبه أقل من غيره كان عليه أن يكون بالعكس يخاف على نفسه أكثر ويرجو لغيره أكثر .

وفي المروج عن ابن عياش الممتوف قال المنصور يوماً ونحن عنده :
أتعرفون جباراً أول اسمه عين قتل جباراً أول اسمه عين وجباراً أول اسمه عين وجباراً أول اسمه عين . قلت : نعم عبد الملك قتل عمرو بن سعيد الأشدق وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث . فقال : أتعرفون خليفة أول اسمه عين قتل جباراً أول اسمه عين وجباراً أول اسمه عين وجباراً أول اسمه عين . قلت : نعم أنت قتلت عبد الرحمن بن مسلم - أي أبو مسلم - وعبد الجبار بن عبد الرحمن - وكان عامله على خراسان فخلع فأسر فأمر بقطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه - وعبد الله بن علي سقط عليه البيت . قال : فما ذنبى ان كان سقط عليه البيت ؟ قلت : لا ذنب لك فسمي عبد الملك جباراً ونفسه خليفة مع أنه كان أشد في الجبارية ، فعبد الملك كتب الى الحجاج أن يرعى السجادة عليه السلام لان بني ابي سفيان انقضوا بتعرضهم لبيته ، وهو - مع ان الصادق عليه السلام كان أخبره بصيرورة الامر اليهم حتى يلعب به صبيانهم - أحضره مرات

لقتله وكان « ع » يدعو لدفع شره حتى وافق الاخير الاجل .

(ان استغنى بطر) والبطر شدة المرح (وفتن) « ان الانسان ليطنى * أن
رآه استغنى » ، « وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن
من بعدهم الا قليلا » ، « ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به أزواجاً منهم زهرة
الحياة الدنيا لنفتنهم فيه » .

(وان افتقر فقل) « فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمته فيقول ربي
أكرمن * وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن » .

(يقصر اذا عمل) والحال أنه تعالى قال « فاستبقوا الخيرات » ، « وسابقوا
الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض » .

(ويبالغ اذا سأل) عن الصادق عليه السلام : اياك وسؤال الناس فانه ذل
في الدنيا وحساب طويل يوم القيامة .

وعن الباقر عليه السلام : لو يعلم السائل ما في المسألة ما سأل أحد أحداً ،
ولو يعلم المعطي ما في العطية ما رد أحد أحداً .

وعن النبي صلى الله عليه وآله : ان الارزاق دونها حجب فمن شاء فني
حياءه وأخذ رزقه ، ومن شاء هتك الحجاب وأخذ رزقه ، والذي نفسي بيده لان
يأخذ أحدكم جبلاً ثم يدخل عرض هذا الوادي فيحتطب حتى لا يلتقى طرفاه
ثم يدخل به السوق فيبيعه بمدمن تمر يأخذ ثلثه ويتصدق بثلثيه خير له من أن يسأل
الناس أعطوه أو حرموه .

(ان عرضت له شهوة أسلف المعصية وسوّف التوبة) مع أنه تعالى قال
« وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فان الجنة هي المأوى »
وقالوا عليهم السلام : اذكروا انقطاع اللذات وبقاء التبعات .

(وان عرتسه المحنة انفرج عن شرائط الملة) فيعلم أنه ليس بكامل الايمان

والا فالمؤمن الكامل دينه أشد من الجبل يؤثر في الجبل المعول ولا يؤثر في دينه شيء ، والسحرة لما قال لهم فرعون «-لا صلبنكم في جذوع النخل» لايمانهم بموسى قالوا له « فاقض ماأنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا آمننا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر» .

(يصف العبرة ولا يعتبر) كما أن اكثر الناس يصفون الحق ولا يعملون به (ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ) قال الشاعر:

ابداً بنفسك فانها عن غيبها فاذا انتهيت عنه فانك حكيم
فهناك تعذران وعظت ويقتدى بالقول منك ويقبل التعليم
وقيل بالفارسية :

واعضان كاين جلوه در محراب ومنبر ميكنند

چون بخلوت ميروند آن كار ديگر ميكنند

(فهو بالقول مدل) من الدلال (ومن العمل مقل) في تاريخ بغداد : لقي رجل يحيى بن اكرم -- وهو يومئذ على قضاء القضاة -- فقال له : كم آكل ؟ قال : دون الشبع . قال : فكم أضحك ؟ قال : لا يعلو صوتك . قال : فكم أبكى ؟ قال : لا تمل البكاء من خشية الله . قال : فكم أخفي من عملي ؟ قال : ما استطعت . قال : فكم أظهر منه ؟ قال : ما يقتدى بك البر الخير ويؤمن عليك قول الناس . فقال الرجل : سبحان الله قول قاطن وعمل ظاعن .

قلت : قال الرجل ذلك لان يحيى كان بالعكس عملاً ، وكان معروفاً بعمل اللواط بل القول بحليته .

(ينافس ما يفنى ويسامح ما يبقى) بالعكس مما قال تعالى « ان الابرار لفي نعيم * على الارائك ينظرون * تعرف في وجوههم نضرة النعيم * يسقون من رحيق مختوم * ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » ، « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » .

(يرى الغنم مغرمًا والغرم مغنمًا) « ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرمًا
ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء » ، « ان الذين كفروا ينفقون أموالهم
ليصدوا عن سبيل الله فيسبنفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون » .
وفي المناقب : فرق الرضا عليه السلام بخراسان ما له كله في يوم عرفته ،
فقال له الفضل بن سهل : ان هذا المغرم . فقال : بل هو المغنم ، لاتعدن مغرمًا
ما ابتعت به أجرًا وكرمًا .

(يخشى الموت ولا يبادر الفوت) مع أن الفرصة تمر مر السحاب ويجب
اغتنام الحياة قبل الممات « وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت
فيتول رب لولا أخرجتني الى أجل قريب فأصدق واكن من الصالحين * ولن
يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون » ، « أولم نعممكم ما يتذكرفيه
من تذكر » (يستعظم من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه) .

وتعذر نفسك أما اسأت وغيرك بالعذر لا تعذر
وتبصر في العين منه القذى وفي عينك الجذع لا تبصر
(ويستكثر من طاعته ما يحقر من طاعة غيره) والواجب أن يحكم في غيره
اذا كان أكبر منه بأنة أكثر طاعة واصغر أقل معصية ، وتراه في شك من معصيته
ويقينه في معصية نفسه .

(فهو على الناس طاعن ولنفسه مداهن) في الاغانى لمامات ابراهيم الموصلي
كان ابراهيم بن المهدي يشرب وجوازيه يغنين - وكان كالشامت بموته واندفع
يغنى :

ستبكيه المزامر والملاهي وتسعدهن عاتقة الدنان
وتبكيه الغوية اذ تولى ولا تبكيه تالية القران
فقال بعض من حضر: أفتراه هو اذا مات من يبكيه المحراب أم المصحف

مع أنه كان كما اعترف تلميذ ابليس في الغناء ، ظهر له وعلمه . وقال دعبل فيه
لما قام في قبال المأمون لما جعل الرضا «ع» ولي عهده :

ان كان ابراهيم مضطلعاً بها فلتصلحن من بعده لمخارق
(اللهومع الاغنياء أحب اليه من الذكرمع الفقراء) وقالوا عليهم السلام :
من تواضع لغني ذهب ثلثا دينه .

وعن الكاظم عليه السلام : محادثة العالم على المزابل خير من محادثة
الجاهل على الزرابي .

وفي تفسير القمي في «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم
فتكون من الظالمين» كان بالمدينة فقراء مؤمنون أمرهم النبي «ص» أن يكونوا
في صفة يأوون اليها ، وكان النبي يتعاهدهم بنفسه وربما حمل اليهم ما يأكلون ،
وكانوا يختلفون الى النبي فيقربهم ويقعد معهم ويؤنسهم ، وكان اذا جاء الاغنياء
والمترفون من أصحابه أنكروا عليه ذلك ويقولوا له أطردهم عنك ، فجاء يوماً
رجل من الانصار اليه «ص» وعنده رجل من أصحاب الصفة قد لزق بالنبي والنبي
يحدثه ، فقعد الانصاري بالبعد منهما ، فقال له النبي : تقدم فلم يفعل ، فقال له
النبي : املك خفت أن يلزق بك فقره . قال : أطردهم عنك هؤلاء ، فنزلت الايات .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام : جاء رجل موسر الى النبي «ص»
نقي الثوب فجلس ، فجاء رجل معسر درن الثوب فجلس الى النبي بجانب الموسر
فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذه ، فقال له النبي : أخفت أن يمسك من فقره
شيء ؟ قال : لا . قال : فما حملك على ما صنعت ؟ فقال : ان لي قريناً يسزني
لي كل قبيح ويقبح لي كل حسن ، وقد جعلت له نصف مالي . فقال النبي للمعسر :
أتقبل . قال : لا . قال له الرجل : لم ؟ قال : أخاف أن يدخلني ما دخلك .

(يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره) من أنصف الناس فهو
المؤمن حقاً « ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » .

في الاغاني : لقي الفرزدق كثيراً بقارعة البلاط فقال له : يا أبا صخر أنت
أنسب العرب حيث تقول :

أريد لانسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

قال : وأنت يا أبافراس أفرالعرب حيث تقول :

ترى الناس ماسرنا يسرون خلفنا وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا

قال الراوي : وهذان البيتان جميعاً لجميل ، سرق أحدهما الفرزدق وسرق
الآخر كثير . فقال له الفرزدق : هل كانت أمك ترد البصرة . قال : لا ولكن أبي
كان كثيراً يردّها - فعرض بكثير في سرقته ونسي سرقة نفسه ، واعتقد شاعرية
بيته فقط .

في العيون : كان رجل من المتوقرين لا يزال يعيب النبيذ وشربه ، فاذا
وجده سراً شربه ، فقال بعض جيرانه :

وعيابة للشرب لو أن امه تبول نبيذاً لم يزل يستبيلها

وفي العقد : قيل للحجاج كيف وجدت منزلك بالعراق . قال : خير منزل
لو أدركت بها أربعاً لتقربت الى الله بدمائهم . قيل : ومن هم ؟ قال : مقاتل بن
مسلم ولي سجستان فأتاه الناس فأعطاهم الاموال ، فلما قدم البصرة بسط الناس
له أردبتهم ، فقال لمثل هذا فليعمل العاملون . وعبيد الله بن ظبيان خطب خطبة
أوجز فيها فنأدى رجل من أعراض الناس اكثر الله فينا من أمثالك ، قال : لقد سألت
الله شططاً . وسعيد بن زرارة كان ذات يوم جالساً على الطريق فمرت به امرأة
فقال : يا عبد الله اين الطريق الى مكان كذا ؟ فغضب وقال : ألمثلي يقال يا عبد الله

وابوسماك الحنفي أضل نساقتة فقال : لئن يردها علي لا صليت له أبداً ، فلما
وجدها قال : علم أن يميني كانت برأ . قال الراوي : ونسي الحجاج نفسه وهو
خامس الاربعة بل هو أفسقهم وأطغاهم وأعظمهم الحاداً ، كتب الى عبدالملك :
ان خليفة الله في أرضه أكرم عليه من رسوله اليهم .

ولما سمع الحجاج بظفر ابن حازم على الكفار قال : الحمد لله الذي نصر
المنافقين على الكفار .

(يرشد غيره ويغوي نفسه) و« ويرشد » في المصرية تحريف .

في الكافي عن الباقر عليه السلام في قوله تعانى «فككبوا فيها هم والغاونا»
هم قوم وصفوا عدلاً بالسنتهم ثم خالفوه الى غيره .

وعن الصادق عليه السلام : أوحى تعالى الى داود لا تجعل بينى وبينك
عالمأ مفتوناً بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي ، فان أولئك قطاع طريق عبادي
المريدين ، ان أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم .
(فهو يطاق ويعصى) في الكافي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى «انما
يخشى الله من عباده العلماء » من لم يصدق فعله قوله فليس بعالم .

وعن النبي «ص» قالت الحواريون لعيسى : من نجالس ؟ قال : من يندكر كم
الله رؤيته ويزيد في علمكم منطقته ويرغبكم في الآخرة عمله .

(ويستوفي ولا يوفي) «ويل للمطففين» الذين اذا ائكتوا على الناس يستوفون
واذا كألوهم أو وزنوهم يخسرون .

(يخشى الخلق في غير ربه) مع أنه تعالى قال « ولا يخافون لومة لائم » .
وشاور معاوية الاحنف في استخلاف يزيد ، فسكت فقال : مالك لا تقول ؟
فقال : ان صدقناك أسخطناك ، وان كذبتناك أسخطنا الله ، وسخطك أهون من سخط
الله . قال : صدقت .

وقال ابن هبيرة للحسن البصري تأتينا كتب يزيد بن عبد الملك، فان أنفذتها وافق سخط الله وان لم أنفذها خشيت على دمي . فقال: هذا الشعبي فقيه الحجاز عندك فاسأله ، فسأله فقال : انما أنت عبد مأمور . فقال للحسن : ماتقول أنت ؟ فقال : يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله ، ان الله مانعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله ، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فانظر ما كتب اليك يزيد ، فأعرضه على كتاب الله فان وافقه فأنفذه وان خالفه فلا تنفذه فان الله أولى بك من يزيد وكتاب الله أولى بك من كتاب يزيد . فقال ابن هبيرة : هذا الشيخ صدقني ورب الكعبة .

(ولا يخشى الله في خلقه) قالوا عليهم السلام : اتقوا من لا يجد ملجأ الا الله . وفي الطبري : أقر معاوية بعد زياد سمرة بن جندب ستة شهر ثم عزله ، فقال سمرة : لعن الله معاوية لو أطعت الله كما أطعت معاوية ما عذبني أبداً . وفي الخلفاء قال طاوس لسليمان بن عبد الملك : أبغض الخلق الى الله عبد أشركه الله في سلطانه فعمل بمعاصيه ، فحك سليمان رأسه حتى كاد أن يجرح . قال الرضي : ولولم يكن في هذا الكتاب الا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة) من نجع فيه الدواء : اثر) وحكمة بالغة وبصيرة لمبصر وعبرة لناظر مفكر) .

مرأن ابن عباس أخذه منه عليه السلام ووصى به ابنه ثم قال له : ليكن هذا كنزك الذي تدخره ، وكن به أشد اغتباطاً منك بكنز الذهب الاحمر ، فانك ان وعيته اجتمع لك به خير الدنيا والاخرة .

هذا ، وفي ذيل الطبري : أتى صعصعة عم الفرزدق النبي «ص» فقرأ النبي عليه « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » فقال صعصعة : حسبي لا أسمع غيرها .

٢٨٥/٩ وقال عليه السلام : كل معجل يسأل الانظار وكل مؤجل

يتعلل بالتسويق .

المراد نقص الناس بشأن من عليه حق معجل يسأل من ذي الحق انظاره

وامهاله ، ومن عليه حق مؤجل يتعلل بالتسويق بعد الاجل .

الفصلُ التابِعُ والعِشْرُونَ

(في القضاء والقدر)

٣/٧٨/١ / ومن كلام له عليه السلام للسائل لما سأله «أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدره بعد كلام طويل هذا مختاره : ويحك لعلك ظننت قضاءً لازماً وقدرأ حاقماً ، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد ، ان الله سبحانه أمر عباده تخبيراً ونهاهم تحذيراً وكلف يسيراً ولم يكلف عسيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكروهاً ولم يرسل الانبياء لعباً ولم ينزل الكتاب للعباد عبثاً ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.

أقول : رواه المفيد في ارشاده والكليني في كافيهِ والصدوق في توحيدهِ ، قال الاول : روى الحسن البصري ان رجلاً جاء الى امير المؤمنين عليه السلام بعد انصرافه من حرب صفين فقال : خبّرني عما كان بيننا وبين هؤلاء القوم من

الحرب أكان بقضاء من الله وقدر؟ فقال عليه السلام له : ما علوتم تلة ولا هبطتم وادياً الا والله فيه قضاء وقدر. فقال الرجل : فعند الله أحتسب عنائي . فقال له : ولم ؟ قال: اذا كان القضاء والقدر الى العمل فما وجه الثواب لنا على الطاعة وما وجه العقاب لنا على المعصية ؟ فقال عليه السلام : أوظنت يا رجل انه قضاء حتم وقدر لازم ، لا تظن ذلك فان القول به مقال عبدة الاوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وقدرية هذه الامة ومجوسها ، ان الله جل جلاله أمر تخييراً ونهى تحذيراً وكلف يسيراً ولم يطع مكرهاً ولم يعص مغلوباً ولم يخلق السماء والارض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار. فقال الرجل : فما القضاء والقدر الذي ذكرته ؟ قال عليه السلام : الامر بالطاعة والنهي عن المعصية والتمكن من فعل الحسنه وترك السيئة والمعونة على القربة اليه والخذلان لمن عصاه والوعد والوعيد ، كل ذلك قضاء الله في أفعالنا وقدره لاعمالنا ، فأما غير ذلك فلا تظنه ، فان الظن له محبط للاعمال. فقال الرجل : فرجت عنى فرج الله عنك - وأنشأ يقول :

انت الامام الذي نرجو بطاعته . يوم المآب من الرحمن غفرانا

أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً . جزاك ربك بالاحسان احسانا

قال : وهذا الحديث موضح عن قوله عليه السلام في معنى العدل ونفي

الجبر واثبات الحكمة في أفعاله تعالى ونفي العيب عنها .

وقال الثاني : علي بن محمد عن سهل بن زياد واسحق بن محمد وغيرهما

رفعوه قال : كان امير المؤمنين عليه السلام جالساً بالكوفة بعد منصرفه من صفين

اذ أقبل شيخ فجتابين يديه ثم قال له : أخبرنا عن مسيرنا الى أهل الشام بقضاء

من الله وقدر؟ فقال عليه السلام له: أجل يا شيخ ، ما علوتم تلة ولا هبطتم بطن

واد الا بقضاء من الله وقدر. فقال له الشيخ : فعند الله أحتسب عنائي . فقال له :

مه ، فوالله لقد عظم الله لكم الاجر في مسيركم وانتم سائرون وفي مقامكم وانتم مقيمون وفي منصرفكم وانتم منصرفون ، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليه مضطرين . فقال له الشيخ : وكيف لم تكن في شيء من حالاتنا مكرهين ولا اليه مضطرين وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا ومنصرفنا . فقال عليه السلام له : وتظن أنه كان قضاءً حتماً وقدرًا لازماً ، انه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والامر والنهي والزجر من الله وسقط معنى الوعد والوعيد ، فلم تكن لائمة للمذنب ولا محمداً للمحسن ، وكان المذنب أولى بالاحسان من المحسن وكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب ، تلك مقالة اخوان عبدة الاوثان وخصماء الرحمن وحزب الشيطان وقدرية هذه الامة ومجوسها ، ان الله تعالى كلف تخييراً ونهى تحذيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً ولم يملك مفوضاً ولم يخلق السماوات والارض وما بينهما باطلاً ، ولم يبعث النبيين مبشرين ومنذرين عبثاً ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . فأنشأ الشيخ - الخ .

وروى الثالث مسنداً عن السكوني عن الصادق عليه السلام عن آبائه وعن الهادي عن آبائه عليهم السلام قال: دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أخبرنا عن خروجنا الى أهل الشام أبقضاء من الله وقدر؟ فقال له : اجل يا شيخ ، فوالله ما علوتم تلة ولا هبطتم بطن واد الا بقضاء من الله وقدر . فقال الشيخ : عند الله أحسب عنائي . فقال عليه السلام : مهلا يا شيخ لعلك تظن قضاءً حتماً وقدرًا لازماً ، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والامر والنهي والزجر ، ولسقط معنى الوعد والوعيد ، ولم يكن على مسيء لائمة ولا لمحسن محمداً ، وما كان المحسن أولى باللائمة من المذنب والمذنب أولى بالاحسان من المحسن ، تلك مقالة عبدة الاوثان وخصماء الرحمن وقدرية هذه

الامة ومجوسها ، يا شيخ ان الله عزوجل كلف تخبيراً ونهى تحذيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً ولم يخلق السماوات والارض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار. فنهض الشيخ وهو يقول - الى أن قال زائداً على ما مر - :

فليس معذرة في فعل فاحشة قد كنت راكبها فسقاً وعصيانا
لا لا ولا قائلنا نساويه اوقهه فيها عبدت اذن يا قوم شيطاننا
فلا احب ولا شاء الفسوق ولا قتل الولي له ظلماً وعدوانا

ورواه مسنداً عن عبدالله بن نجيع عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام ، وعن عكرمة عن ابن عباس - الى أن قال - وذكر الحديث مثله سواء الا أنه زاد : فقال الشيخ فما القضاء والقدر اللذان ساقانا وما هبطنا وادياً ولا علونا تلة الا بهما؟ فقال عليه السلام : الامر من الله الحكيم - ثم تلا هذه الآية «وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احساناً» .

وقال « حد » ذكره أبو الحسين في غرره في بيان أن القضاء والقدر قد يكون بمعنى الحكم والامر.

وروى عن الاصبغ قال : قام شيخ الى علي عليه السلام فقال : أخبرنا عن مسيرنا الى الشام أكان بقضاء الله وقدره؟ فقال : والذي فلق الحبة وبرء النسمة ما وطئنا موطناً ولا هبطنا وادياً الا بقضاء الله وقدره . فقال الشيخ : فعند الله احتسب عنائي ما أرى علي من الاجر شيئاً . فقال : مه . لقد عظم الله اجركم في مسيركم وأنتم سائرون وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين . فقال : وكيف القضاء والقدر ساقانا؟ فقال : ويحك لعلك ظننت قضاءً لازماً وقدرأ حتماً ، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد والامر والنهي، ولم تك لائمة من الله لمذنب

ولامحمدة لمحسن، ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسىء ولا المسىء أولى بالذم من المحسن، تلك مقالة عباد الاوثان وجنود الشيطان وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب، وهم قدرية هذه الامة ومجوسها، ان الله سبحانه أمر تخييراً وأنهى تحذيراً وكلف يسيراً ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً ولم يرسل الرسل الى خلقه عبثاً ولم يخلق السماوات والارض وما بينهما باطلاً، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار. فقال الشيخ: فما القضاء والقدر اللذان ماسرنا الا بهما؟ فقال: هو الامر من الله والحكم، ثم تلا قوله سبحانه «وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه» - الخبر .

قلت : ورواه الزمخشري في فائقه مثله .

قلت : شتان بينه عليه السلام وبين فاروقهم ، روى الخطيب عن ابن مسعود قال : خطب عمر الناس بالجابية فقال في خطبته : ان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء . فقال قس من القسوس : ما يقول أميركم هذا . قالوا : يقول ان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء . فقال القس : برقت الله أعدل من أن يضل أحداً فبلغ عمر ذلك فبعث اليه : بل الله أضلك ولولا عهدك لضربت عنقك .

قول المصنف (ومن كلام له عليه السلام للسائل) هكذا في المصرية الاولى ولكن في «حد» : ومن كلامه عليه السلام للسائل الشامي . وفي «ثم» : ومن كلام له للشامي . فالظاهر أن أصل النهج كان هكذا لصحة نسختها ، فيرد عليه ان السائل لم يكن شامياً بل عراقياً شهد معه صفيين كما صرح به في طريق الصدوق . نعم ورد ورود شيخ شامي عليه عليه السلام في خبر آخر وسؤاله وسؤال آخر، فروى الفقيه أن بينا امير المؤمنين عليه السلام يعبى أصحابه للحرب اذ أتاه شيخ عليه سجية السفر فقال له : اني أتيتك من ناحية الشام وأنا شيخ كبير قد سمعت فيك من الفضائل وانني أظنك ستغتال فعلمني مما علمك الله . قال : نعم يا شيخ،

من اعتدل يومه فهو مغبون - الى أن قال - فقال الشيخ : فأين أذهب وأدع
الجنة وأرى الجنة وأهلها معك - الخبر .

(لما سأله اكان مسيرنا الى الشام بقضاء وقدر بعد كلام طويل هذا مختاره)
اشارة الى قول عليه السلام «ما علوتم تلعة ولا هبطتم وادياً الا والله فيه قضاء
وقدر» وقوله «مه يا شيخ فوالله لقد عظم الله لكم الاجر في مسيركم وأنتم
سائرون وفي مقامكم وأنتم مقيمون وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ولم تكونوا
في شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليه مضطربين» .

(ويحك لعلك ظننت قضاءً لازماً وقدرأ حاتماً) قد عرفت أن لفظ الروايات
«وقدرأ حتماً» وهو أحسن ، فلم نر استعمال «حاتم» الا بمعنى الغراب الاسود ،
كقوله :

ولقد غدوت وكنيت لا اغدو على واق وحاتم
وقوله :

ولست بهيبات اذا شد رحله أقول عداني اليوم واق وحاتم
هذا ، وروى مجالس المفيد عن عيسى بن عمر قال : كان ذوالرمة يذهب
الى النفي في الافعال ، وكان رؤبة يذهب الى الاثبات فيها ، فاجتمعا يوماً عند
بلال بن ابي بردة - وهو والى البصرة وكان يعرف ما بينهما من الخصومة -
فحضهما على المناظرة ، فقال رؤبة : والله لا يفحص طائر فحوصاً ولا يقرمص
سبع قرمصاً الا اكان ذلك بقضاء الله وقدره . فقال له ذوالرمة : ما أذن الله للذئب
أن يأخذ حلوبة عالية عيابل صرايل . فقال له رؤبة : أفبمشيته أخذها أم بمشية الله؟
فقال ذوالرمة : بل بمشيته . فقال رؤبة : هذا والله الكذب على الذئب . فقال
ذوالرمة : والله الكذب على الذئب أهون من الكذب على رب الذئب .
(ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب) هكذا في المصرية ، ولكن في «حد»

و«ثم» : ولو كان ذلك كذلك . وهو الصحيح . هذا وقال محمود الوراق :

أعاذل لم آت الذنوب على جهل ولا انها من فعل غيرى ولا من فعلى
ولا جرأة منى على الله جئتها ولا أن جهلي لا يحيط به عقلى
ولكن بحسن الظن منى بعفو من تفرد بالصنع الجميل وبالفضل
فان صدق الظن الذى قد ظننته ففى فضله ماصدق الظن من مثلى
وان نالنى منه العقاب فانما اتيت من الانصاف فى الحكم والعدل

وفى الطرائف : رووا ان أبا حنيفة اجتاز على موسى بن جعفر عليه السلام فأراد امتحانه فقال له : المعصية ممن ؟ فقال له : اجلس حتى أخبرك ، فجلس بين يديه فقال له : لا بد أن تكون من العبد أو من ربه أو منهما ، فان كانت من الله فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده الضعيف ويأخذه بما لم يفعله ، وان كانت منهما فهو شريكه والقوي أولى بانصاف عبده الضعيف ، وان كانت من العبد فعليه وقع الامر واليه توجه النهي وله حق الثواب والعقاب ووجبت له الجنة أو النار . فقال أبو حنيفة : ذرية بعضها من بعض .

(وسقط الوعد والوعيد) عن المنية والامل كتب ابن عباس السى مجبرة الشام : أتأمرون الناس بالتقوى وبكم ضل المتقون وتنهون الناس عن المعاصي وبكم ظهر العاصون ، يا ابناء سلف المقاتلين وأعوان الظالمين وخزان مساجد الفاسقين وعمار سلف الشياطين ، هل منكم الا مفتر على الله يحمل اجرامه عليه وينسبها علانية اليه ، وهل منكم الا السيف قلاذته والزور على الله شهادته ، أعلى هذا تواليتم أم عليه تماليتم ، حظكم منه الاوفر ونصيبيكم منه الاكبر ، عمدتم الى موالة من لم يدع لله مالا الا أخذه ولا مناراً الا هدمه ولا مالا لليتيم الا سرقه أو خانه ، فأوجبتم لآخيث خلق الله أعظم حق الله ، وتخاذلتم أهل الحق حتى ذلوا وقلوا وأعنتم اهل الباطل حتى غروا وكثروا .

أيضاً كتب غيلان الى عمر بن عبدالعزيز: هل وجدت حكيماً يعيب ما يصنع أو يصنع ما يعيب أو يعذب على ما قضى أو يقضى ما يعذب عليه ، أم هل وجدت رشيداً يدعو الى الهدى ثم يضل عنه ، أم هل وجدت رحيماً يكلف العباد فوق الطاقة أو يعذبهم على الطاعة ، أم هل وجدت عدلاً يحمل الناس على الظلم والتظالم ، وهل وجدت صادقاً يحمل الناس على الكذب والتكاذب بينهم ، كفى بهذا بياناً وبالعمى عنه عمى .

هذا ، وفي الطبري : ان المهدي كتب الى جعفر بن سليمان عامل المدينة أن يحمل اليه جماعة اتهموا بالقدر ، فحمل اليه رجالاً منهم عبد الله بن محمد بن عمار بن ياسر وعبد الله بن يزيد بن قيس الهذلي وعيسى بن يزيد بن داب الليثي وابراهيم بن محمد بن ابي بكر الاسامي ، فأدخلوا على المهدي ، فانبرى له من بينهم عبد الله بن محمد بن عمار فقال له : هذا دين أبك ورأيه . قال : لا ذاك عمي داود . قال : لا الا أبوك ، على هذا فارقتا وبه كان يدين ، فأطلقهم .

(ان الله سبحانه أمر عباده تخييراً) «انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفوراً»
«وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى» .

(ونهاكم تحذيراً) «ويحذركم الله نفسه» .
(وكلف يسيراً ولم يكلف عسيراً) «ما جعل عليكم في الدين من حرج» ،
«يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» .

(وأعطى على القليل كثيراً) «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» ، «مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء» .

(ولم يعص مغلوباً) في كنز الكيراجكي : سأل اهل العدل المجسرة عن مسألة ألزموهم بها ، فقالوا لهم : أخبرونا عن رجل نكح احدى المحرمات عليه

في احدى المساجد العظيمة في نهار شهر رمضان وهو عالم غير جاهل أتقولون ان الله تعالى أراد منه هذا الفعل على هذه الصفة . قالت المجبرة : بلى الله ارادة . قال لهم أهل العدل : أخبرونا عن ابليس هل أراد ذلك أم كرهه ؟ قالت المجبرة : بلى هذا انما يريد ابليس ويؤثره . قال لهم أهل العدل : فأخبرونا لو حضر النبي «ص» وعلم بذلك أكان يريد أم يكرهه . قالت المجبرة : بل يكرهه ولا يريد . قال لهم أهل العدل : فقد لزمكم على هذا أن تثنوا على ابليس وتقولوا انه محمود موافقة ارادته لارادة الله تعالى وتذموا النبي لمخالفة ارادته لارادة الله تعالى .

وقد كنت أوردت هذه المسألة في مجلس بعض الرؤساء وعنده جمع فقال احدهم - وكان يميل الى الجبر - ان كانت هذه المسألة لاحيلة للمجبرة فيها فعليكم أيضاً مسألة أخرى لا خلاص لكم مما يلزمكم منها . فقلت : وما هي ؟ فقال : اذا كان الله لا يشاء المعصية و ابليس يشاءها ثم وقعت معصية من المعاصي فقد لزم من هذا أن تكون مشية ابليس غلبت مشية الله . فقلت له : انما تصح الغلبة عند الضعف وعدم القدرة ، ولو كنا نقول ان الله تعالى لا يقدر أن يجبر العبد على الطاعة ويضطره اليها وان يحيل بينه وبين المعصية بالقسر والالغاء لزمنا ما ذكرت ، وقد ابان تعالى ذلك فقال «ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة» وقال «ولو شئنا لاتيناكل نفس هداها» وانما لم يفعل لما فيه الخروج عن سنن التكليف وبطلان استحقاق العباد للمدح والذم .

وفي الطبري : قال هشام بن عبد الملك لغيلان : ويحك قد أكثر الناس فيك فنازعنا بأمرك فان كان حقاً اتبعناك وان كان باطلا نزعنا عنه . قال : نعم . فدعا هشام ميمون بن مهران ليكلمه ، فقال له غيلان : أشاء الله ان يعصى ؟ فقال له ميمون : أفعصى كارهاً ، فسكت فقال هشام : اجبه فلم يجبه فقال هشام : لا أقالني الله

ان أقلته - وامر بقطع يديه ورجليه .

(ولم يرسل الانبياء لعباً ولم ينزل الكتاب للعباد عبثاً) قال الكراچكي :
مما يدل على أنه سبحانه لا يريد المعاصي والقبايح ولا يجوز أن يشاء شيئاً منها
وانه كاره له ساخط لجميعها ، فهو أنه تعالى نهى عنها والنهي انما يكون بكارهة
الناهي للفعل المنهي عنه ، ألا ترى ان أحدنا لا يجوز أن ينهى الا عما يكرهه ،
فلو كان النهي في كونه نهياً غير مفتقر الى الكراهية لم يجب ما ذكرناه ، لانه لا
فرق بين قول أحدنا لغيره «لا تفعل كذا» وبين قوله «أناكاره له» كما لا فرق بين
قوله «أفعل» أمراً له وبين قوله «اني مرید منك ان تفعل» ، واذا كان سبحانه كارهاً
لجميع المعاصي والقبايح من حيث كان ناهياً لهما استحالة أن يكون مریداً لها
لاستحالة أن يكون مریداً كارهاً لامر واحد على وجه واحد .

ويدل على ذلك أيضاً أنه لو كان مریداً للقبيح لوجب أن يكون على صفة
نقص وذم ان كان مریداً له بلا ارادة ، وان كان مریداً بارادة وجب أن يكون فاعلاً
لقبيح ، لان ارادة القبيح قبيحة . وقد دل السمع من ذلك على مثل ما دل عليه
العقل ، قال عز وجل «وما الله يريد ظلماً للعباد» ، «وما الله يريد ظلماً للعالمين»
«كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً» ، «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر»
ونعلم أن الكفر أعظم العسر ، وقال تعالى «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون»
فاذا كان خلقهم للعبادة فلا يجوز أن يريد منهم غيرها ، وقال تعالى «ولا يرضى
لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم» .

وفي الطرائف : سأل رجل من المجبرة بعض أهل العدل عن آية ظاهرها
ان الله أضلهم . فقال له : تفصيل الجواب يطول عليك وربما لا تفهمه ولا تحفظه
ولكن عرفني أما تعتقد أنك وسائر المسلمين ان القرآن نزل حجة لمحمد «ص»
فلو كانت هذه الايات التي تتعلق بها باطنها مثل ظاهرها في أنه تعالى منع الكفار

والعصاة من الطاعة كان القرآن نزل حجة للكفار والعصاة للنبي على النبي، فكانوا يستغنون بهذه الآيات عن محاربهته وقتل أنفسهم ويقولون له : وان ربك الذي جئت برسالته وكتابك الذي جئت به يشهدان أنه قد منعنا عن الاسلام وقد لزمك تركنا ، فكان القرآن يصير حجة لهم عليه .

(ولا خلق السماوات والارض وما بينهما باطلا وذلك) هكذا في المصرية والصواب «ذلك» بلا واو كما في «حد» و«ثم» والخطية (ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) .

قال الكراجكي : ان جنایة المجبرة على الاسلام كثيرة بحملها المعاصي على الله تعالى وقولها انه لا يكون ما اراده تعالى ، وانه لا قدرة للكافر على الخلاص من كفره ولا سبيل للفاسق الى ترك فسقه ، وان الله قضى بالمعاصي على قوم وخلقهم لها وجعلها فيهم ليعاقبهم عليها ، وقضى بالطاعات على قوم وخلقهم لها وفعلها فيهم ليشيهم عليها، وهذا الاعتقاد القبيح يسقط عن المكلف الحرص على فعل الطاعة والاجتناب عن المعصية ، لانه يرى أن اجتهاده لا ينفع وحرصه لا يغني ، نعوذ بالله مما يقولون . وأنشدت بعض أهل العدل :

سألت المخنث عن فعله	على م تخنث يسا مذاق
فقال ابتلاني بداء العضال	وأسلمني القدر السابق
ولمت الزناة على فعلهم	فقالوا بهذا قضى الخالق
وقلت لاكل مال اليتيم	فأنت امرؤ فاسق
فقال - ولجلج في قوله -	أكلت وأطعمني الرازق
وكل يحيل على ربه	وما فيهم أحد صادق

وفي الطرائف : كان ثمامة في مجلس الخليفة وابو العتاهية حاضر، فالتمس ابو العتاهية من الخليفة مناظرة ثمامة فاذن له ، فحرك أبو العتاهية يده - وكان

مجبوراً - وقال : من حرك هذه ؟ قال ثمامة وكان يقول بالعدل - من أمه زانية .
فقال ابو العتاهية للخليفة : شتمني ثمامة في مجلسك . فقال ثمامة للخليفة : ترك
مذهبه ، يزعم أن الله حركها فلاي شيء غضب وليس له أمر ، فانقطع .

هذا ، وروى ابن ابى شعبة في تحفنه : أن الحسن بن الحسن كتب الى
الحسن بن علي عليه السلام : أما بعد فانكم معشر بني هاشم الفلك الجارية في
اللجج الغامرة والاعلام النيرة الشاهرة ، وكسفينة نوح التي نزلها المؤمنون
ونجافيتها المسلمون ، كتبت اليك يا ابن رسول الله عند اختلافنا في القدر وحيرتنا
في الاستطاعة ، فأخبرنا بالذي عليه رأيك ورأي آبائك ، فان من علم الله علمكم
وأنتم شهداء على الناس والله الشاهد عليكم ذرية بعضها من بعض والله سميع
عليم .

فأجابه الحسن عليه السلام : وصل الي كتابك ، ولولا ما ذكرت من حيرتك
وحيرة من مضى قبلك اذن ما أخبرتك ، أما بعد فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره
وان الله يعلمه فقد كفر ، ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر ، ان الله لم يعص
مكرهاً ولم يعص مغلوباً ولم يهمل العباد سدى من المهلكة ، بل هو المالك
لما ملكتهم والقادر على ما عليه أقدارهم ، بل أمرهم تخييراً ونهاهم تحذيراً ، فان
اثتمروا بالطاعة لم يجدوا عنها صاداً وان انتهوا الى المعصية فشاء أن يمن
عليهم بأن يحول بينهم وبينها فعل ، وان لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها
جبراً ولا ألزموها كرهاً ، بل من عليهم بأن بصرهم وعرفهم وحذرهم وأمرهم
ونهاهم ، لا جبال لهم على أمرهم به فيكونوا كالملائكة ولا جبراً لهم على ما
نهاهم عنه ، والله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين .

ورواه المنية والامل مع اختلاف على نقل جبهة الرسائل .

٣/٢٨٧/٢ / وسئل عليه السلام عن القدر فقال : طريق مظلم فلا

تسلكوه ، وبحر عميق فلا تلجوه ، وسر الله فلا تتكلفوه .

أقول : الاصل فيه مارواه ابن بابويه في توحيديه باسناده عن عبد الملك بن عنتره عن أبيه عن جده قال : جاء رجل الى امير المؤمنين عليه السلام فقال : أخبرني عن القدر . فقال : بحر عميق فلا تلجه . قال : أخبرني عن القدر . فقال : طريق مظلم فلا تسلكه . قال : أخبرني عن القدر . قال : سر الله فلا تكلفه . قال : أخبرني عن القدر . فقال : أما اذا ابيت فاني سائلك ، أخبرني أكانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد أم كانت أعمال العباد قبل رحمة الله . فقال له الرجل : بل كانت رحمة الله لهم قبل أعمالهم . فقال : قوموا فسلموا على أخيكم فقد أسلم وقد كان كافراً . وانطلق الرجل غير بعيد ثم انصرف اليه عليه السلام فقال : أبالمشية الاولى تقوم ونقعد ونقبض ونبسط . فقال : وانك لبعث في المشية ، اما اني سائلك عن ثلاث لا يجعل الله لك في شيء منها مخرجاً : أخبرني أخلق الله العباد كما شاء او كما شاؤا . فقال : كما شاء . قال : فخلق الله العباد لما شاء او لما شاؤا . فقال : لما شاء . قال : يأتونه يوم القيامة كما شاء أو كما شاؤا . فقال : كما شاء . فقال : قم فليس لك من المشية شيء .

وروى ابن طلحة الشافعي في مطالب سؤله باسناده عن عبد الله بن جعفر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : أعجب ما في الانسان قلبه - الى أن قال - فقام اليه رجل شهد وقعة الجمل فقال له : أخبرنا عن القدر . فقال : بحر عميق فلا تلجه . فقال : أخبرنا عن القدر . فقال : سر الله فلا تبحث عنه . فقال : أخبرنا عن القدر . فقال : لما أبيت أمرين الامرين لا جبر ولا تفويض . فقال : ان فلاناً - لرجل حاضر - يقول بالاستطاعة . فقال عليه السلام : علي به ، فلما رآه قال له الاستطاعة تملكها مع الله أو من دون الله - واياك أن تقول واحدة منهما فترتد قال : فما أقول ؟ قال : قل أملكها بالله ان شاء ملكيتها - الخ .

وروى قريباً منه في الفقه الرضوي - وزاد - ثم قيل له عليه السلام الرابعة :
انبأنا عن القدر . فقال : ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك
فلا مرسل له من بعده .

وروى المصنف في مجازاته النبوية قريباً من معنى العنوان عن النبي «ص»
فقال : ومن ذلك قوله وقد سمع ناساً من أصحابه يتذكرون القضاء والقدر -
انكم قد أخذتم في شعيبين بعيدي الغور .

هذا القول مجاز لانه «ص» شبه القضاء والقدر وحقيقة علمهما ومعرفة كنههما
بالشعيبين اللذين غورهما بعيد واقتحامهما شديداً وطالب غايتهما مجهود ،
يقول «ص» ان علمها كالماء الغائر الذي لا يقدر عليه ولا يهتدى اليه .

قوله عليه السلام (طريق مظلم فلا تسلكوه وبحر عميق فلا تلجوه وسر الله
فلا تتكلفوه) روى توحيد الصدوق مسنداً عن الاصبغ قال : قال امير المؤمنين
عليه السلام في القدر : ألا ان القدر سر من سر الله ، وستر من ستر الله ، وحرز
من حرز الله ، مرفوع في حجاب الله ، مطوي عن خلق الله ، مختوم بخاتم الله ،
سابق في علم الله ، وضع الله عن العباد علمه ، ورفع فوق شهاداتهم ومبلغ
عقولهم ، لانهم لا ينالونه بحقيقة الربانية ، ولا بقدر الصمدية ، ولا بعظم النورانية ،
ولا بعزة الوجدانية ، لانه بحر اخر خالص لله تعالى ، عمقه ما بين السماء والارض ،
عرضه ما بين المشرق والمغرب ، أسود كالليل الدامس ، كثير الحيات والحيتان ،
تعلو مرة وتسفل أخرى ، في قعره شمس تضيء لا ينبغي أن يطلع عليها الا الله
الواحد الفرد ، فمن تطلع اليها فقد ضاد الله تعالى في حكمه ونازعه في سلطانه
وكشف عن ستره وسره .

وسئل بعضهم عن القدر فقال : الناظر في قدر الله كالناظر في عين شمس ،
يعرف ضوءها ولا يقف على حدودها .

وسئل آخر عنه فقال : علم اختصمت فيه العقول وتناول فيه المختلفون ،
وحق علينا أن نرد ما التبس علينا الى ما سبق علينا من حكمه .

هذا ، وفي اعتقادات الصدوق : روى ان أمير المؤمنين عليه السلام عدل
عن حائط مائل الى مكان آخر ، فقيل له : أتفر من قضاء الله ؟ فقال : أفر من
قضاء الله الى قدره .

وسئل عليه السلام ايضاً عن الرقية هل يدفع من القدر شيئاً ؟ فقال : هي
من القدر .

هذا ، ومما ورد عنه عليه السلام في ذلك غير العنوانين مارواه التحف
والتوحيد عنه قال : الاعمال على ثلاثة أحوال فرائض وفضائل ومعاصي : أما
الفرائض فبأمر الله تعالى ورضائه وقضائه وتقديره ومشيته وعلمه ، وأما الفضائل
فليست بأمر الله واكن برضاء الله وقضائه وقدره ومشيته وعلمه ، وأما المعاصي
فليست بأمر الله ولكن بقضائه وقدره وعلمه ثم يعاقب عليها .

وفي طرائف ابن طاوس : روى جماعة من العلماء ان الحجاج كتب الى
الحسن البصري والى عمرو بن عبيد والى واصل بن عطاء والى عامر الشعبي
أن يذكروا ما عندهم في القضاء والقدر . فكتب اليه الحسن : ان أحسن ما
انتهى الينا ماسمعت من أمير المؤمنين عليه السلام قال : «ان الذي نهاك دهاك، انما
دهاك أسفلك وأعلاك ، والله برىء من ذلك». وكتب اليه عمرو : أحسن ما سمعت
في القضاء والقدر قول علي عليه السلام «لو كان الوزر في الاصل محتوماً كان الموزور
في القصاص مظلوماً» . وكتب اليه واصل : أحسن ما سمعت في القضاء والقدر
قول علي عليه السلام «أبدلك على الطريق ويأخذ عليك المضيق» . وكتب
اليه الشعبي : أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين عليه السلام
«كل ما استغفرت الله منه فهو منك ، وكلما حمدت الله عليه فهو منه» . فلما وصلت
كتبهم الى الحجاج قال : لقد أخذوها من عين صافية .

الفصل الثامن والعشرون

(في كلامه الجامع لمصالح الدين والدنيا)

٢/٢٢/١ ومن كتاب له عليه السلام الى عبدالله بن العباس وكان ابن عباس يقول ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله « ص » كانتفاعى بهذا الكلام :

أما بعد ، فان المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه ، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك ، وليكن أسفك على ما فاتك منها ، وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً ، وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً ، وليكن همك فيما بعد الموت .

٢/٦٦/١ ومن كتاب له عليه السلام الى عبدالله بن العباس ، وقد تقدم ذكره بخلاف هذه الرواية :

أما بعد فان المرء ليفرح بالشيء الذى لم يكن ليفوته ويحزن على الشيء الذى لم يكن ليصيبه ، فلا يكن أفضل ما نلت فى

نفسك من دنياك بلوغ لذة أوشفاء غيظ ، ولكن اطفاء باطل أو
احياء حق ، وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت
وهمك فيما بعد الموت .

أقول : رواه نصر بن مزاحم فى صفينه ، والكلىنى فى روضته ، واليعقوبى
فى تاريخه ، وسبط ابن الجوزى فى تذكرته ، ونقل عن مجالس ثعلب وأمالى
القالى ومحاضرات الراغب ودستور القاضى القضاعى .

قال الاول : وكتب عليه السلام اليه : أما بعد ، فإن الانسان قديسه مالم
يكن ليفوته ويسوؤه فسوت ما لم يكن ليدركه وان جهد ، فليكن سرورك فيما
قدمت من حكم أو منطلق أو سيرة ، وليكن أسفك على ما فرطت فيه من ذلك ،
ودع ما فاتك من الدنيا فلا تكثر به حزناً ، وما أصابك فيها فلا تبغ به سروراً ،
وليكن همك فيما بعد الموت .

وقال الثانى : عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن علي بن اسباط رفعه
قال : كتب أمير المؤمنين عليه السلام الى ابن عباس : أما بعد ، فقد يسر المرء
مالم يكن ليفوته ويحزنه مالم يكن ليصيبه أبداً وان جهد ، فليكن سرورك بما
قدمت من عمل صالح أو حكم أو قول ، وليكن أسفك على ما فرطت فيه من ذلك
ودع ما فاتك من الدنيا فلا تكثر عليه حزناً وما أصابك منها فلا تنعم به سروراً ،
وليكن دمك فيما بعد الموت . والسلام .

وقال الثالث : وكتب أبو الاسود - وكان خليفة ابن عباس بالبصرة - الى
علي عليه السلام يعلمه أن عبد الله أخذ من بيت المال عشرة آلاف درهم ، فكتب
عليه السلام اليه يأمره بردها ، فامتنع فكتب يقسم له بالله ليردنها ، فلما ردها أو
رداكثرها كتب اليه : أما بعد ، فإن المرء قديسه درك مالم يكن ليفوته ويسوؤه
فوت مالم يكن ليدركه ، فما أتاك من الدنيا فلا تكثر به فرحاً وما فاتك منها فلا
تكثر عليه جزعاً ، واجعل همك لما بعد الموت . والسلام .

فكان ابن عباس يقول : ما اتعظت بكلام قط اتعاطي بكلام امير المؤمنين
وروى الرابع مسنداً عن المأمون عن آبائه عن ابن عباس قال : ما انتفعت
بكلام أحد بعد النبي «ص» كانتفاعي بكلام كتب به امير المؤمنين عليه السلام الي
أما بعد فان المرء يسوؤه فوت مالم يكن ليدر كه ويسره درك مالم يكن ليفوته،
فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك وليكن أسفك على ما فاتك منها ، وما
فاتك من الدنيا فلا تأسفن عليه ، وليكن همك فيما بعد الموت .

وروى السدي هذا عن اشياخه ، وقال عقيبه : كان الشيطان قد نزغ بين ابن
عباس وبينه عليه السلام ثم عاد اليه .

قول المصنف في الاول (وكان ابن عباس) هكذا في المصرية أخذاً عن
« حد » وفي « ثم » « وكان عبدالله » .

(يقول ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله) ومن كلامه « ص » له الذي
انتفع به ما رواه اليعقوبي عنه قال : أردفني النبي « ص » ثم قال لي : يا غلام
الا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن . قلت : بلى . قال : احفظ الله يحفظك ،
أحفظ الله تجده أمامك ، اذكر الله في الرخاء يذكرك في الشدة ، واذا سألت
فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله ، جف القلم بما هو كائن ، ولوجهد الخلق
على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لم يقدروا عليه ، ولوجهدوا أن يضروك بشيء
لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه ، فعليك بالصدق في اليقين ، ان في الصبر
على ماتكره خيراً كثيراً ، واعلم أن النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان
مع العسر يسراً .

(كانتفاعي بهذا الكلام) قد عرفت أنه روى هذا الكلام عنه سبط ابن
الجوزى وكذا اليعقوبي .

قوله في الثاني (وقد تقدم ذكره بخلاف هذه الرواية) هكذا في المصرية

ولكن في « حد » « وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم بخلاف هذه الرواية » ومثله
« ثم » لكن فيه (هذا الكتاب) وقد عرفت أن المقدم رواية الاخيرين وهذا
رواية الاولين ممن نقلنا كلامه .

قوله عليه السلام في الاول (أما بعد فإن المرء قد يسهه درك ما لم يكن ليفوته
ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه) وفي الثاني (أما بعد فإن المرء) هكذا في
المصرية والصواب « العبد » كما في « حد » و « ثم » والخطية .

(ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته ويحزن على الشيء الذي لم يكن
ليصيبه) معناهما واحد وانما اختلف لفظهما ، والمراد أن سروره وفرحه وكذا
مساءته وحزنه كانا هدرأ وفي غير محلها .

وفي مطالب سؤل ابن طلحة الشافعي قال علي عليه السلام : الشيء شيان
شيء قصر عنى لم ارزقه فى ما مضى ولا ارجوه فى ما بقى وشيء لا اناله دون
وقته ولو استعنت عليه بقوة اهل السماوات والارض ، فما أعجب أمر هذا الانسان
يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه ، ولو أنه فكر لا يصر
ولعلم أنه مدبر واقتصر على ما تيسر ولم يتعرض لما تعسر واستراح قلبه مما
استوعر ، فبأي هذين أفنى عمري ، فكونوا أقل ما تكونون في الباطن أحوالا
أحسن ما تكونون في الظاهر أحوالا ، فان الله تعالى أدب عباده المؤمنين العارفين
أدباً حسناً فقال جل من قائل « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف لا يسألون
الناس الحافاً » .

وفي الاول (فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك) « وان الدار الاخرة
لهي الحيوان » .

(وليكن اسفك على ما فاتك منها) ومن أسماء يسوم القيامة التغابن لان
الانسان يرى مغبوبيته فيما فاته من الاخرة .

(وما نلت من دنياك فلا تكثربه فرحاً وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً)
قال تعالى « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » .

وفي الاغاني قال أعشى همدان :

فلا تأسفن على ما مضى و لا يحزننك ما يدبر
فان الحوادث تبلى الفتى و ان الزمان به يعثر
فيوماً يساء بما نابه و يوماً يسر فيستبشر
ومن كل ذلك يلقي الفتى و يمني له منه ما يقدر

وفي الثاني (فلا يكن أفضل ما نلت في نفسك بلوغ لذة أوشفاء غيظ)
فانه يشارك في ذلك البهائم والسباع .

(ولكن اطفاء) نار (باطل أو احياء حق) ميت الذي هو عمل الانبياء
والاوصياء وهم العلماء والحكماء .

(وليكن سرورك بما قدمت) « وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عندالله
هو خيراً وأعظم أجراً » .

(واسفك على ما خلفت) « وتركتم ما حولناكم وراء ظهوركم » .

وفي الاول (وليكن همك) وفي الثاني (وهمك) وفيهما (فيما بعد
الموت) فاغبط الناس من نام تحت التراب وأمن العقاب « ولتنظر نفس ما
قدمت لغد » .

هذا ، ونظير وعظه لعبدالله بن عباس وعظ النبي « ص » لآخيه الفضل بن
العباس ، روى الفقيه في نوادر آخره عن الصادق عن ابيه عليهما السلام قال :
قال الفضل : أهدي الى النبي « ص » بغلة اهداها له كسرى أو قيصر ، فركبها بحبل
من شعر وأردفني خلفه ، ثم قال : يا غلام احفظ الله الخ مثل ما مر عن اليعقوبي
في قول النبي لعبدالله بن العباس نفسه ، والظاهر أصحية ما في الفقيه من كون

قوله « ص » للفضل ولعل عبدالله سمعه من أخيه .

وقوله : « ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله » لا يستلزم أن يكون هو المخاطب ، فيصدق مع كون أخيه المخاطب .

وكيف كان فقوله في هذا الخبر « كسرى أوقيصر » الترديد من الرواة ، والصواب قيصر بشهادة التاريخ ، فان كسرى غضب من كتاب النبي اليه ومزق كتابه وانما قيصر أهدى اليه هدايا .

ويمكن تأييد خبر اليعقوبي بما رواه كاتب الواقدي عن ابن عباس ، قال : اهدى للنبي « ص » بغلة شهباء فبعثني الى أم سلمة فأتيته بصوف وليف - الى أن قال - ثم اردفني خلفه .

٢/٣١/٢ ومن وصية ابي للمحسن بن علي عليه السلام كتبها اليه بحاضرين منصرفاً من صفين : من الوالد الفان المقر للزمان المدبر العمر المستسلم للدهر الدام للدنيا الساكن مساكن الموتى والظاعن عنها غداً ، الى المولود المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من قد هلك ، غرض الاسقام ورهينة الايام ورمية المصائب وعبد الدنيا وتاجر الغرور وغريم المنايا وأسير الموت وحليف الهموم وقرين الاحزان ونصب الافات وصريع الشهوات وخليفة الاموات .

أما بعد ، فان فيما تبينت من ادبار الدنيا عني وجموح الدهر علي واقبال الاخرة الي ما يرغبني عن ذكر من سواي والاهتمام بما ورائي ، غير أنني تفرد بي دون هموم الناس هم نفسي فصدقني رأيي ، وصرفني عن هوائي وصرح لي محض امري فأفضى بي الى جد لا يكون فيه لعب وصدق لا يشوبه كذب

ووجدتك بعصي بل ووجدتك كلي ، حتى كأن شيئاً لو أصابك
أصابني ، و كأن الموت لو أتاك أتاني ، فعناني من أمرك ما
يعينني من أمر نفسي ، فكتبت اليك كتابي مستظهراً به ان أنا
بقيت لك أوفيت .

فاني أوصيك بتقوى الله ولزوم امره وعماراة قلبك بذكره
والاعتصام بحبله ، وأي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله
ان أنت اخذت به ، أحي قلبك بالموعظة وأتمه بالزهادة
وقوه باليقين ونوره بالحكمة وذلكه بذكر الموت وقرره
بالفناء وبصره فجائع الدنيا و حذرته صولة الدهر وفحش
تقلب الليالي والايام ، وأعرض عليه أخبار الماضين وذكروه
بما أصاب مسن كان قبلك من الاولين ، وسر فسي ديارهم
وآثارهم فانظر فيما فعلوا و عما انتقلوا وأين حلوا ونزلوا ،
فانك تجدهم قد انتقلوا عن الاحبة وحلوا ديار الغربة ،
و كأنك عن قليل قد صرت كأحدهم ، فأصلح مثواك ولا
تبع آخرتك بدنياك ، ودع القول فيما لا تعرف والمخطاب
في مالم تكلف ، وامسك عن طريق اذا خفت ضلالته ، فان
الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الاهوال ، وأمر
بالمعروف تكن من أهله وأنكر المنكر بيدك ولسانك وبابن
من فعله بجهدك ، وجاهد في الله حـق جهاده ولا تأخذك
في الله لومة لائم ، وخض الغمرات للحق حيث كان ، وتفقه
في الدين ، وعود نفسك التصبر على المكروه ، ونعم
الخلق التصبر في الحق ، والجيء نفسك في الامور كلها

الى الهك ، فانك تلجئها الى كهف حريز ومانع عزيز ،
وأخلص في المسألة لربك فان بيده العطاء والحرمان، واكثر
الاستخارة ، وتفهم وصيتي ولا تذهبس عنها صفحاً ، فان
خير القول ما نفع ، واعلم انه لا خير في علم لاينفع ولا
ينتفع بعلم لا يحق تعلمه .

أى بني اني لما رأيتنى قد بلغت سنأ ورأيتنى ازداد وهناً
بادرت بوصيتى اليك وأوردت خصالاً منها قبل أن يعجل
بى أجلى دون أن أفضي اليك بما في نفسى او أن انقص فى
رأبى كما نقصت في جسمى أو يسبقني اليك بعض غلبات
الهوى أو فتن الدنيا فتكون كالصعب النفور ، وانما قلب
الحدث كالارض الخالية ما ألقى فيها من شىء قبلته، فبادرتك
بالادب قبل أن يقسو قلبك ويشغل لبك ، لتستقبل بجد
رأيك من الامر ما قد كفأك أهل التجارب بغيته وتجربته ،
فتكون قد كفيت مؤنة الطلب وعوفيت من علاج التجربة ،
فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه واستبان لك ما قد ربما أظلم
علينا منه .

أي بني اني وان لم اكن عمّرت عمر من كان قبلي فقد نظرت
فى أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى
عدت كأحدهم ، بل كأنى بما انتهى الي من أمورهم قد
عمّرت مع أولهم الى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره
ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كل أمر نخيله وتوخيت
لك جميله وصرفت عنك مجهوله، ورأيت حيث عناني من

أمرك ما يعني الوالد الشفيق، وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وانت مقبل العمر ومقبل الدهر، ذونية سليمة ونفس صافية، وان ابتدئك بتعليم كتاب الله وتأويله وشرائع الاسلام وأحكامه وحلاله وحرامه ولا أجاوز لك الى غيره، ثم اشفقت أن يلتبس عليك ما اختلف فيه من أهوائهم وآرائهم مثل الذي التبس عليهم ، فكان احكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له أحب الي من اسلامك الي أمر لا آمن عليك به المهلكة، ورجوت أن يعرفك الله ارشدك وأن يهديك لقصدك، فعهدت اليك وصيتي هذه .

واعلم يا بني ان أحب ما أنت آخذ به الي من وصيتي تقوى الله والاقتصار على ما فرضه الله عليك والاحذ بما مضى عليه الاولون من آباتك والصالحون من أهل بيتك، فانهم لم يدعوا ان نظروا لانفسهم كما أنت ناظر، وفكروا كما أنت مفكر ، ثم ردهم آخردلك الي الاخذ بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا ، فان أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم لابتورط الشبهات وعلو الخصوصيات، وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بالهك والرغبة اليه في توفيقك، وترك كل شائبة أولجتك في شبهة أو أسلمتكم الي ضلالة، فاذا أيقنت أن صفا قبلك فخشع وتم رأيك فاجتمع وكان همك في ذلك همأ واحداً ، فانظر فيما فسرت لك وان أنت لم يجتمع لك ماتحب من نفسك وفراغ نظرك وفكرك ، فاعلم انك

انما تخبط العشواء وتنورط الظلماء ، وليس طالب الدين
من خبط أو خلط والامسك عن ذلك أمثل .

فتفهم يا بنى وصيتى واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة
وان الخالق هو المميت وان المغنى هو المعيد وان المبتلى
هو المعافى ، وان الدنيا لم تكن لتستقر الا على ما جعلها الله
عليه من النعماء والابتلاء والجزاء في المعاد أو ما شاء مما
لانعلم ، فان أشكل عليك شىء من ذلك فاحمله على جهالتك
به ، فانك أول ما خلقت جاهلا ثم علّمت ، وما أكثر ما
تجهل من الامر ويتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك ثم تبصره
بعد ذلك ، فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسواك ، وليكن
له تعبدك واليه رغبتك ومنه شفقتك .

واعلم يا بنى ان أحداً لم ينبئ عن الله كما انبأ عنه الرسول «ص»
فارض به رائداً والى النجاة قائداً ، فاني لم آلك نصيحة
وانك لم تبلغ في النظر لنفسك - وان اجتهدت - مبلغ
نظري لك .

الى أن قال : يا بنى اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك
فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ، ولا
تظلم كما لا تحب أن تظلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن
اليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك ، وارض
من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل ما لا تعلم
وان قل ما تعلم . ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك .

واعلم أن الاعجاب ضد الصواب وآفة الالباب ، فاسع في

كدحك ولا تكن خازناً لغيرك ، واذا كنت هديت لقصدك
فكن أخشع ماتكون لربك .

واعلم أن أمامك طريقاً ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة، وانه
لا غنى لك فيه عن حسن الارتباد ، وقدر بلاغك من الزاد
مع خفة الظهر ، فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك فيكون
ثقل ذلك وبالاعليك ، واذا وجدت من أهل الغافة من يحمل
لك زادك الى يوم القيامة فيوافيك به غداً حيث تحتاج اليه
فاغتنمه وحمله اياه واكثر من تزويده وأنت قادر عليه فلعلك
تطلبه فلا تجده ، واغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل
قضاءه لك في يوم عسرتك .

واعلم أن أمامك عقبة كؤوداً المخف فيها أحسن حالا من
المثقل والبطيء عليها أقبح حالا من المسرع ، وان مهبطك
بها لا محالة على جنة أو على نار ، فارتد لنفسك قبل نزولك
ووطئ المنزل قبل حلولك ، فليس بعد الموت مستعجب
ولا الى الدنيا منصرف واعلم ان الذي بيده خزائن السماوات
والارض قد أذن لك في الدعاء وتكفل لك بالاجابة ، وأمرك
ان تسأله ليعطيك وتسترحمه ليرحمك ، ولم يجعل بينك
وبينه من يحجبه عنك ولم يلجئك الى من يشفع لك اليه
ولم يمنعك ان اسأت من التوبة ولم يعاجلك بالنقمة ولم يعيرك
بالانابة ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى ولم يشدد
عليك في قبول الانابة ولم يناقشك بالجريمة ولم يؤيسك
من الرحمة ، بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة وحسب

سيئتك واحدة و حسب حسنتك عشراً ، وفتح لك باب
المتاب و باب الاستعتاب ، فاذا ناديتك سمع نداءك و اذا ناديتك
علم نجواك ، فأفضيت اليه بحاجتك و ابثتته ذات نفسك
و شكوت اليه همومك و استكشفتة كروبك و استعنته على
أمورك و سألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره
من زيادات الاعمار و صحة الابدان و سعة الارزاق ، ثم جعل
في يدك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته ، فمتى
شئت ان تفتحت بالدعاء أبواب نعمته و استمطرت شآبيب
رحمته ، فلا يقنطنك ابطاء اجابته ، فان العطية على قدر
النية ، و ربما أخرت عنك الاجابة ليكون ذلك أعظم لاجر
السائل و أجزل لعطاء الامل ، و ربما سألت الشيء فلا تؤتاه
و أوتيت خبيراً منه عاجلاً أو آجلاً أو صرف عنك لما هو
خير لك ، فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته ،
فلتكن مسألتك فيما يبقى لك حماله و ينفي عنك وباله ،
و المال لا يبقى لك ولا تبقى له - الى أن قال :

واعلم يقيناً انك لن تبلغ أملك ولن تعدو أجلك ، وانك
في سبيل من كان قبلك ، فخفض في الطلب و أجمع ل في
المكتسب ، فانه رب طلب قد جر الى حرب ، فليس كل
طالب بمرزوق ولا كل مجمل بمحروم ، و أكرم نفسك عن
كل دنية وان ساقنتك الى الغرائب ، فانك لن تعترض بما
تبذل من نفسك عوضاً ، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله
حراً و ما خير خيراً لا ينال الا بشرويسر لا ينال الا بعسر .

واياك أن توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة ،
 وان استطعت ألا يكون بينك وبين الله ذونعمة فافعل ، فانك
 مدرك قسمك و آخذ سهمك ، وان اليسير من الله سبحانه
 أعظم من الكثير من خلقه ، وان كان كل منه وتلافيك ما فرط
 من صمتك أيسر من ادراكك مسافات من منطلقك وحفظ ما
 في الوعاء بشدّ الوكاء ، وحفظ ما في يديك أحب الي من
 طلب ما في يد غيرك ، ومرارة اليأس خير من الطلب الي
 الناس ، والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور ، والمرء
 أحفظ لسره ، ورب ساع فيما يضره ، من أكثر أهجرو من
 فكر أبصر ، قارن أهل الخير تكن منهم وباين أهل الشر تبين
 عنهم ، بئس الطعام الحرام ، وظلم الضعيف أفحش الظلم
 اذا كان الرفق خرقاً كان الخرق رفقاً ، ربما كان السدواء داء
 والداء دواء ، وربما نصح غير الناصح وغش المستنصح .
 واياك واتكالك على المنى فانها بضائع النوكى ، والعقل
 حفظ التجارب وخير ما جربت ما وعظك ، بادر الفرصة
 قبل أن تكون غصة ، ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب
 يؤب ، ومن الفساد اضاعه الزاد ومفسدة المعاد ، ولكل
 أمر عاقبة سوف يأتيك ما قدر لك ، التاجر مخاطر ، ورب
 يسير أنمى من كثير ، ولا خير في معين مهين ولا في صديق
 ظنين ، ساهل الدهر ما ذل لك قعوده ولا تخاطر بشيء رجاء
 أكثر منه ، واياك ان تجمع بك مطية اللجاج ، أحمل نفسك
 من اخيك عند صرمة على الصلة وعند صدوده على اللطف

والمقاربة وعند جموده على البذل وعند تباعده على الدنو
وعند شدته على اللين وعند جرمه على العذر، حتى كأنك
له عبد وكأنه ذونعمة عليك .

واياك أن تضع ذلك في غير موضعه أو أن تفعل بغير اهله ،
لا تتخذن عدو صديقك صديقاً فتعادي صديقك ، وامحض
أحباك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة ، وتجرح الغيظ فاني
لم أزرعة أحلى منها عاقبة ولا ألد مغبة ، ولن لمن غالظك
فانه يوشك أن يلين لك ، وخذ على عدوك بالفضل فانه أحد
الظفرين ، وان أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك
بقية يرجع اليها ان بداله ذلك يوماً ما ، ومن ظن بك خيراً
فصدق ظنه ، ولا تضيعن حق أخيك اتكالا على ما بينك
وبينه ، فانه ليس لك بأخ من أضعت حقه ، ولا يكن اهلك
أشقى الخلق بك ، ولا ترغبين في من زهد فيك ، ولا يكونن
أحوك على مقاطعتك أقوى منك على صلته ولا يكونن على
الاساءة أقوى منك على الاحسان ، ولا يكبرن عليك ظلم
من ظلمك فانه يسعى في مضرته ونفعك وليس جزاء من
سرك أن تسوءه .

واعلم يا بني أن الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك ،
فان لم تأته أذاك ، ما أقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء
عند الغنى ، ان لك من دنياك ما أصلحت به مشواك ، وان
جزعت على ماتفت من يديك فاجزع على كل مالم يصل
اليك، استدل على مالم يكن بماقد كان فان الامور أشباه ،

ولا تكونن ممن لاتنفعه العظة الا اذا بالغت في ايلامه ،
فان العاقل يتعظ بالاداب والبهايم لاتتعظ الا بالضرب ،
اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين ،
من ترك القصد جار ، والصاحب مناسب ، والصديق من
صدق غيبه ، والهواء شريك العناء ، رب قريب أبعد من بعيد
ورب بعيد اقرب من قريب ، والغريب من لم يكن له حبيب ،
من تعدى الحق ضاق مذهبه ، ومن اقتصر على قدره كان
أبقى له ، وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله ،
ومن لم يبالك فهو عدوك ، قد يكون اليأس ادراكاً اذا كان
الطمع هلاكاً ، ليس كل عورة تظهر ولا كل فرصة تصاب ،
وربما اخطأ البصير قصده وأصاب الاعمى رشده ، أخر
الشرفانك اذا شئت تعجلته ، وقطيعة الجاهل تعدل صلة
العاقل ، من أمن الزمان خانته ومن اعظمه أهانه ، ليس كل
من رمى أصاب ، اذا تغير السلطان تغير الزمان ، سل عن الرفيق
قبل الطريق وعن الجار قبل الدار ، اياك أن تذكر من
الكلام ما كان مضحكاً وان حكيت ذلك عن غيرك .

واياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن ،
واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك اياهن ، فان شدة
الحجاب أبقى عليهن ، وليس خروجهن بأشد من ادخالك
من لا يوثق به عليهن ، وان استطعت ألا يعرفن غيرك
فافعل ، ولا تملك المرأة من أمرها ماجاوز نفسها ، فان المرأة
ريحانة وليست بقهرمانه ، ولا تعد بكرامتها نفسها ولا تطعمها

أن تشفع بغيرها .

واياك والتغايير في غير موضوع غيرة ، فان ذلك يدعو الصحيحة الى السقم والبريئة الى الرب ، واجعل لكل انسان من خدمك عملاً تأخذه ، فانه أحرى ألا يتوكلوا في خدمتك ، وأكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير وأصلك الذي اليه تصير وبذلك التي بها تصول .

استودع الله دينك ودنياك وأسأله خيراً القضاء لك في العاجلة والاجلة والدنيا والاخرة . والسلام .

قول المصنف (ومن وصية له عليه السلام) في محجة ابن طاوس قال أبو احمد العسكري في كتاب زواجه : ولو كان من الحكم ما يجب أن يكتب بالذهب لكانت هذه الوصية .

(للحسن بن علي عليه السلام) كون الوصية له عليه السلام أحد القولين وأحد الروايتين ذهب اليه كالمصنف ابن ابي شعبة في تحفه ورواه الكليني في رسائله ، وقول آخر أنها لابنه محمد بن الحنفية ذهب اليه الشيخ والنجاشي في فهرستيها والصدوق في نوادر آخر فقيهه .

قال الاول في «الاصبغ» : روى الاصبغ عهد مالك الاشتهر ووصية أمير المؤمنين عليه السلام الى ابنه محمد بن الحنفية - الى ان قال - وأما الوصية فأخبرنا بها الحسين بن عبيد الله عن الدوري عن محمد بن احمد بن ابي الثلج عن جعفر بن محمد الحسن بن علي بن عبدك الصيرفي عن الحسن بن بن طريف عن الحسين بن علوان عن سعد بن طريف عن الاصبغ بن نباتة المجاشعي قال : كتب أمير المؤمنين عليه السلام الى محمد بن الحنفية .

وقال الثاني أيضاً فيه : روى الاصبغ عنه عليه السلام عهد الاشتهر ووصيته

الى ابنه محمد ، أخبرنا عبدالسلام بن الحسين الاديب عن ابي بكرالدورى عن محمد بن احمد بن ابي الثلج - الخ مثل الفهرست .

وروى الكافي الروایتين فقال في باب اكرام الزوجة : ابو على الاشعري عن بعض أصحابنا عن جعفر بن عنبسة عن عباد بن زياد الاسدي عن عمرو بن ابي المقدم عن ابي جعفر عليه السلام ، واحمد بن محمد العاصمي عن حدثه عن معلى بن محمد البصري عن علي بن الحسن عن عبد الرحمن بن كثير عن ابي عبدالله عليه السلام قال : في رسالة امير المؤمنين الى الحسن : لا تمكك المرأة من الامر ما يجاوز نفسها ، فان ذلك أنعم بحالها وأرخص لبالها وأدوم لجمالها ، فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ، ولا تعد بكرامتها نفسها واغضض بصرها بسترک واكفها بحجابك ، ولا تطمعها أن تشفع لغيرها فيميل عليك من شفعت له عليك معها ، واستبق من نفسك بقية فان امساكك نفسك عنهن وهن يرين أنك ذواقدار خير من أن يرين منك حالا على انكسار .

احمد بن محمد بن سعيد عن جعفر بن محمد الحسن بن علي بن عبدك عن الحسن بن ظريف عن الحسين بن علوان عن سعد بن طريف عن الاصبغ عن أمير المؤمنين عليه السلام مثله الا انه قال : كتب «ع» بهذه الرسالة انسى ابنه محمد .

ورواها ابو احمد العسكري في زواجه كما نقل عنه علي بن طاوس في الفصل (١٦٣) من محجته بأربعة طرق :

احدها جماعة عن علي بن الحسين بن اسمعيل عن الحسن بن ابي عثمان الادمي عن ابي حاتم عن يوسف بن يعقوب عن بعض أهل العلم .

وثانيها احمد بن عبدالعزيز عن سليمان بن الربيع عن كادح بن رحمة الزاهد عن صباح بن يحيى المزني ، وعلي بن عبدالعزيز الكاتب عن جعفر بن

هرون بن زياد عن محمد بن علي الرضا عن آبائه عن جده عليهم السلام .
 وثالثها علي بن محمد بن ابراهيم التستري عن جعفر بن عنبسة عن عباد بن
 زياد عن عمرو بن ابي المقدام عن ابي جعفر محمد بن علي عليه السلام .
 ورابعها محمد بن علي عن محمد بن العباس عن عبد الله بن زاهر عن أبيه
 عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام ، كل هؤلاء حدثونا ان أمير المؤمنين
 عليه السلام كتب بهذه الرسالة الى الحسن . قال وروى بطريق واحد احمد بن
 عبد الرحمن بن فضال القاضي عن الحسن بن محمد واحمد بن جعفر بن محمد
 ابن زيد بن علي بن الحسين عن جعفر بن محمد الحسن بن علي بن عبدك
 عن الحسن بن ظريف عن الحسن بن علوان عن سعد بن طريف عن الاصمغ
 قال : كتب عليه السلام الى ابنه محمد .

وطرق كونها الى الحسن عليه السلام وان كانت أكثر - فقد عرفت أن أبا
 احمد العسكري رواها بأربعة طرق والكليني رواه بطريق آخر في طريقه الثاني،
 وأما طريقه الاول فمتحد مع طريق ابي احمد فتصير الطرق فيه خمسة ، وأما
 كونها الى محمد بن الحنفية فطريقه واحد ، فان الطرق كلهم من العسكري
 والكليني والطوسي والنجاشي «جعفر الحسن بن علي بن عبدك» الى آخر السند ،
 الا أن الاول فسر ابن عبدك بالحسن والثلاثة بعلي ، الا أن الذي يبعد كونها الى
 الحسن عليه السلام فضلا عن مقام امامته وعدم احتياجه الى تلك الوصية - بل
 الى عهد الامامة - انه عليه السلام كان في ذلك الوقت ابن ست وثلاثين سنة ، لان
 مولده كان في سنة اثنتين أو ثلاث و صفتين كانت في سنة (٣٧) وفي الوصية أنها
 كانت بعد صفتين ، ومن فقرات الوصية «وانما قلب الحدث كالارض الخالية» ،
 ورواه العقد في كتاب الزمردة في المواعظ منه في عنوان «مواعظ الالباء» .
 هذا ، وقال «ثم» : روى جعفر بن بابويه أن هذه الوصية كتبها عليه السلام

الى ابنه محمد بن الحنفية .

قلت: ليس لنا جعفر بن بابويه بل أبو جعفر بن بابويه أي محمد بن علي بن الحسين ، وقد عرفت أنه قال ذلك في نوادر آخر فقيهه ، ولا يبعد أن يكون بعض الفقرات قالها عليه السلام للحسن فخلطوهما فحصل هذا الاختلاف . ويشهد لذلك أن في نقل نوادر آخر الفقيه بعد قوله «فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة» «فدارها على كل حال وأحسن الصحبة لها فيصفو عيشك ، احتمال القضاء بالرضا ، وان أحببت أن تجمع خير الدنيا والاخرة فاقطع طمعك مما في أيدي الناس ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته» وقال : هذا آخر وصيته لمحمد بن الحنفية ، وقد عرفت أن النهج نقل بعد ذلك القول أموراً أخر .

وكيف كان ففي روايات الفقيه زيادات من السطر ١٧ من الصفحة - ٢٧٥ -

الى ٧ من (٢٨٠) من ٤ طبع الاخوندي .

(كتبها اليه بحاضرين) قال «حد» كنانقرأه قديماً بالحاضرين على صيغة التثنية يعنى حاضر حلب وحاضر قنسرين ، وهى الارض والضواحي المحيطة بهذه البلاد ، ثم قرأناه بعد ذلك على جماعة من الشيوخ بغير لام ولم يفسروه، ومنهم من يذكره بصيغة الجمع ومنهم من يقول بخناصرين يظنونه تثنية خناصره أو جمعها ، وقد طلبت هذه الكلمة في الكتب المصنفة لا سيما في البلاد فلم أجدها، ولعلي أظفر بها .

قلت : الظاهر أن «حاضرين» محرف «قنسرين» ، يشهد له طريق ابى أحمد الاول عن بعض أهل العلم قال : لما انصرف علي عليه السلام من صفين الى قنسرين كتب به الى ابنه الحسن « من الوالد الفان » - الخ ، ويجوز من حيث التقارب اللفظي أن يكون «بقاصرين» ، ففي فتوح البلاذري بعث ابو عبيدة جيشاً عليه حبيب بن مسلمة الى قاصرين وقدم مقدمته الى بالس وكانت بالس وقاصرين

لاخوين من أشرف الروم أقطعا القرى التي بالقرب منهما وجعلا حافظين لما بينهما من مدن الروم بالشام - الى أن قال - فلما كان مسلمة بن عبد الملك توجه غازياً للروم من نحو الثغور الجزرية عسكر ببالس فأناه اهلها وأهل بولس وقاصرين وعابدين وصفين وهي قرى منسوبة اليها - الخ .

ثم لا معنى لما قاله من كون «حاضرين» بصيغة التثنية بمعنى حاضر حلب وحاضر قنسرين ، فالإنسان لا يكون بمحليين . وكيف كان ففي بلدان البلاذري كان حاضر قنسرين لتنوخ منذ ما تنخوا بالشام نزلوه وهم في خيم الشعر ثم ابتنوا به المنازل .

وروى أيضاً عن عبد الرحمن بن غنم قال : رابطنا مدينة قنسرين - الى أن قال - وكان حاضر طي قديماً نزلوه بعد حرب الفساد التي كانت بينهم حين نزلوا الجبلين - الى أن قال - وكان بقرب مدينة حلب حاضر تدعى حاضر حلب تجمع أصنافاً من العرب تنوخ وغيرهم - الخ .

وفي الصحاح : الحاضر الحي العظيم ، يقال حاضر طي ، وهو جمع كما يقال سامر للسمار وحاج للحجاج .

وأما قوله «ومنهم من يقول بخناصرين يظنونه تثنية خناصرة أو جمعها» فيه أن خناصرة ليس لها تثنية أو جمع ، قال الحموي خناصرة بليدة من أعمال حلب وجعلها جران العود خناصرات ، كأنه جعل كل موضع منها خناصرة فقال «ونظرت وصحبني بخناصرات» . وبالجملة ليس لنا موضع يقال له حاضرين أو خناصرين بلفظ التثنية أو الجمع .

(منصرفاً من صفين) هكذا في المصرية، والصواب «عند انصرافه من صفين» كما في «حد» و«ثم» والخطية .

قوله عليه السلام (من الوالد القان) نقله المحجة عن رسائل الكليني «من

الوالد الفاني» وهو الاصل ، وما هنا للازدواج مع قوله بعد «المقر للزمان».

هذا ، ومن جيد ما قيل في الفناء :

دب في الفناء علواً وسفلاً وأراني أموت عضواً فعضوا

ليس بي من ساعة مضت بي الا نقصتني بمرها بي حدوا

(المقر للزمان) قال الشاعر :

ليس الامان من الزمان بممكن ومن المحال وجود ما لا يمكن

معنى الزمان على الحقيقة كاسمه فعلى م ترجو أنه لا يزم من

وقال آخر :

كانت فئاتي لا تليسن لغامز فألنها الاصباح والامساء

وقال البحري :

ان الزمان اذا تتابع خطوه سبق الطلوب وأدرك المطلوب

(المدير للعمر) في تاريخ بغداد : سأل ابو بكر بن ابي الدنيا يوسف بن

يعقوب القاضي عن قوته فقال : أجدني كما قال سيويه :

لا ينفع الهليون و الطويفل انخرق الاعلى و جار الاسفل

فكيف تجدك أنت فقال :

أراني في انتقاص كل يوم ولا يبقى مع التقصان شئ

طوى العصران ما نشره مني فأخلق جدتي نشر وطى

(المستسلم للدهر) في ديوان النابغة لما بلغه مرض النعمان مشير الى النفس :

تكلفني أن يفعل الدهر همها وهل وجدت قبلي على الدهر قادراً

ولاخر :

وما الناس في شئ من الدهر والمنى وما الناس الا سيقمات المقادر

وقيل في غلبة الدهر أبيات كثيرة منها :

الدهر يلعب بالفتى

لعب الصوالج بالكره

أولعب ريبح عاصف

عصفت بكف من ذره

الدهر قناص وما

الانسان الا قنبره

ومنها :

برتنى صروف الدهر من كل جانب

كما ينرى دون اللحاء عسيب

ومنها :

ومن يك ذا عظم صليب يعده

ليكسر عود الدهر فالدهر كاسره

ومنها :

الدهر أبلانى وما أبليته

والدهر عيرنى وما يتغير

والدهر قيدنى بخط مبرم

فمشيت فيه وكل يوم يقصر

ومنها :

حنتنى حانيات الدهر حتى

كأنسى خاتل يدنولصيد

وما أجاد ابن المعتز في قوله للوزير ابن الفرات :

أبا حسن ثبت في الارض وطأتي

وأدر كتنى فى المعضلات الهزاهز

وألبستنى درعاً علي حصينة

فناديت صرف الدهر هل من مبارز

فابن الفرات نفسه لم يسلم من صروف الدهر فخلع عن الوزارة ثلاث مرات

ونكب فيها وقتل أخيراً ، فكيف آمنك يا ابن المعتز وأنت خليفة ليلة .

وفي الاغانى : لمانعي النعمان بن المنذر الى النابغة الذبياني وحدث بما

صنع به كسرى - أي من القائه تحت أرجل الفيلة - قال طلبه من الدهر طالب

الملوك ، ثم تمثل :

من يطلب الدهر تدركه مخالفه

والدهر بالوتر ناج غير مطلوب

مامن أناس ذوي مجد ومكرمة

الا يشد عليهم شدة الذئب

حتى يبيد على عمد سراهم بالنافذات من النبل المصابيب
انى وجدت سهام الموت معرضة بكل حتف من الاجال مكتوب
ولما مات جعفر بن أبى جعفر المنصور أنشدوا للمنصور قصيدة ابى ذؤيب
الهدلي في بنيه :

أمن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع
فاستنشد المنشد أن ينشده قوله : « والدهر ليس بمعتب من يجزع » مائة مرة .
وفي الدميري : يحكى أن عضد الدولة خرج الى بستان له متنزهاً فقال : ما
أطيب يومنا هذا لو ساعدنا فيه الغيث ، فجاء المطر في الوقت فقال :

ليس شرب الراح الا في المطر وغناء من جوار في السحر
ناعمات ساليبات للنهاي ناغمات في تضاعيف الوتر
عضد الدولة وابن ركنها ملك الاملاك غلاب القدر

فلم يفلح بعد هذه الابيات وعوجل بقوله « غلاب القدر » .

(الذام للدنيا) في المعجم دخل خيار النهدي على معاوية فقال له : ما صنع
بك الدهر؟ فقال: صدع قناتي وشيب سوادى وأفنى لذاتي وجر أعلي أعدائي
ولقد بقيت زماناً آنس بالاصحاب وأسبل الثياب وآلف الاحباب ، فباعدوا عني
ودنا الموت مني .

وفي بيان الجاحظ : دخل الهيثم بن الاسود العريان - وكان خطيباً شاعراً -
على عبد الملك ، فقال له : كيف تجدك؟ قال : أجدني قد أبيض مني ما كنت أحب
أن يسود ، وأسود مني ما كنت أحب أن يبيض ، واشتد مني ما كنت أحب أن
يلين ، ولان مني ما كنت أحب أن يشتد ، ثم أنشد :

اسمع انبئك بآيات الكبر نوم العشاء وسعال بالسحر
وقلة النوم اذا الليل اعتكر وقلة الطعم اذا الزاد حضر

وسرعة الطرف وتحميح النظر و حذراً ازداده الى حذر
وتركى الحسنة في قبل الطهر والناس يبلون كما يبلو الشجر
قلت : أشار في قوله « ابيض واسود واشتد » الى شعره وسنه وجلده وعظمه.
وقال آخر :

تنكر لي مذسبت دهري فأصبحت معارفه عندي من التكرات
ألقى علي الدهر رجلا ويذا والدهر ما أصلح يوماً فسدا
بصلحه اليوم ويفسده غدا

وفي الاغانى عن مطرف بن عبدالله الهذلي عن أبيه عن جده قال : بينا أنا
أطوف بالبيت ومعى ابي اذا نا بعجوز كبيرة يضرب أحد لحييها الاخر ، فقال لي
ابي : أتعرف هذه ؟ قلت : لا . قال : هذه التي يقول فيها الاحوص :

يا سلم ليت لساناً تنطقين به قبل الذي نالني من حبكم قطعاً
يلومني فيك أقوام أجالسهم فما أبالي أطار اللوم أم وقعا
أدعو الى هجرها قلبي فيتبعني حتى اذا قلت هذا صادق نزعا
فقلت له : يا ابا ما أرى انه كان في هذه خير قط ، فضحك ثم قال : يا بني
هكذا يصنع الدهر بأهله .

(الساكن مساكن الموتى) قال الاعشى :

أزال اذينة عن ملكه وأخرج من حصنه ذابزون
وخان النعيم ابا مالك واي امرىء لم يخنه الزمن
أزال الملوكة فأفناهم واخرج من بيته ذا حزن
وقال في سيل العرم :

رخام بنته لهم حمير اذا جاءه ماؤهم لم يرم
فأروى الزروع واعنابها على سعة ماءهم اذتسم

فعاشوا بذلك في غبطة
فطار القيول وقيلاتها
فطاروا سراعاً وما يقدر
منه لشرب صبي فطم

وقال ابو العتاهية :

أنساك محياك المماتا
أوثقت بالدنيا وانت
وعزمت على الحياة وطولها
يا من رأى ابويه في
هل لك فيهما عبرة أم
فطلبت في الدنيا الثباتا
تسرى جماعتها شتاتا
عزماً بتاتاً
من قد رأى كانا فماتا
خلت ان لك انفلاتا

(والظاعن) هكذا في المصرية والصواب « الظاعن » كما في « حد » و« ثم »
والخطبة ، والظاعن أي المرتحل (عنها غداً) وقال الشاعر :

كل تصبحه المنيه أو تيمته بياتا

هذا ، وما أبعد البون بين هذا الرجل الذي هو سلطان الدين يصف نفسه
بهذه الاوصاف وبين سلاطين الدنيا وعجبهم واغترارهم حتى ينسلخوا من
الانسانية ويدعوا الربوبية ، فكتب قابوس بن وشمكير الى أصفهده له هجره -
كما في ديوان معاني العسكري - وكيف تهجر من تضاءلت الارض تحت قدمه
فصارت له في الانقياد كبعض خدمه اذا رأت منه هشاشة أعشبت وان أحست منه
بجفوة أجدبت ، وكيف تستغني عن خيله العزمات والاوهام وأنصاره اللبالي
والايام ، من هرب منه أدركه مكائدها ومن طلبه وجده في مراصدها ، وكيف
يعرض عن رفاية العيش باعراضه وتنقبض الارض بانقباضه ، واطاء
نجم الاقبال اذا أقبل وأهل هلال المجد اذا تهلل ، وكيف يزهي على من تحقر
في عينه الدنيا وترى تحتها السماء العليا وقد ركب عنق الفلك واستوى على

ذات الحبك ، فتبرجت له البروج وتكوكبت لعبادته الكواكب واستجارت
بعزته المجرة وأثرت لمحاسنه أوضاع الثريا ، بل كيف يهون من لو شاء عقد
الهواء وجسم الهباء وفصل تراكيب الاشياء وألف بين النار والماء وأحمد ضياء
الشمس والقمر ، وكفاهما عناء السير والسفر وسد مناخر الزعازع وأطبق أجفان
البروق اللوامع وقطع ألسنة الرعود بسيفه من الوعيد ونظم صوب الغمام نظم
الفريد ورفع عن الارض سطوة الزلازل وقضى ما يراه على القضاء النازل وعرض
الشیطان بمعرض الانسان وكحل العيون بصور الغيلان وانبت العشب على البحار
وألبس الليل ضوء النهار- الى أن قال - فاني لو علمت أن الارض لاتسف تراب
قدمي لما وضعت عليها جانبا وان السماء لا تنوق الى تقبيل هامتي لما رفعت
اليها طرفاً - الخ .

(الى المولود) أي الولد (المؤمل ما لا يدرك) فمحال أن يدرك أحد جميع
آماله ، ومن أدرك شيئاً منها فانما يدرك قليلا من كثير .

تمنيت أن تحيي حياة هنيئة و أن لا ترى كراً الزمان بلا بلا
رويدك هذه الدار سجن و قلما يمر على المسجون يوما بلا بلا
وأرجو من الايام بالوصل عودة و تلك امانى النفوس الكواذبا
(السالك سبيل من قد هلك) قال لقمان لابنه : ان الناس قد جمعوا قبلك
لاولادهم فلم يبق ما جمعوه ولم يبق من جمعوا له ، وانما أنت عبد مستأجر قد
أمرت بعمل ووعدت عليه أجراً فأوف عملك واستوف أجرك ، ولا تكن في هذه
الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع اخضر فأكلت حتى سممت فكان حتفها عند سميتها
ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قطرة على نهر جزت عليها وتركتها ولم ترجع اليها
آخر الدهر- الخير .

(غرض الاسقام) أي تجعله الاسقام هدفاً لها .

في المروج: كان الجاحظ في علقته التي مات فيها يطلي نصفه الايمن بالصندل
والكافور لشدة حرارته والنصف الاخر لوقرض بالمقاريض ما شعر به من خدره
وبرده .

(ورهيئة الايام) قال حميد بن ثور النميري :

ولا يلبث العصران يوماً وليلة اذا طلبا أن يدركا ما تيمما
اذا ما تقاضى المرء يوماً وليلة تقاضاه شيء لا يملّ التقاضيا
وقال الاعشى :

لعمرك ما طول هذا الزمن على المرء الاعناء معن
يظلّ رجيماً لريب المنون وللسقم في اهله والحزن
وهالك أهله يجنونه كأخر في قفرة لم يجن
وما أن ارى الدهر في صرفه يغادر من شارخ او يفن

(ورمية الهائب) كصيد رماه الصائد ، قال عمرو بن قمئة من طبقة حجر أبي

امرئ القيس :

رمتني بنات الدهر من حيث لا ارى فكيف بمن يرمى وليس برام
فلو أننى أرمى بنبل رأيتها ولكنني أرمي بغير سهام
(وعبد الدنيا وتاجر الغرور) « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » (وغريم)

أي مديون (المنايا) أي الحوادث المقدرة ، قال :

سأعمل نص العيس حتى يكفنى غنى المال يوماً أو منى الحدان
(واسير الموت) « أينما تكونوا بدر ككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة »
« قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم » .

(وحليف الهموم وقرين الاحزان) فان الانسان في كل وقت له مقاصد لا

تيسر له فهودائماً رهين هم وقرين حزن .

وإذا عددت سنى ثم نقصتها
زمن الهموم فتلك ساعة مولدى
(ونصب الافات) أي جعل منصوباً في مقابلها (وصريع الشهوات) أي
مهلكها الطريح على الارض .

وقد عدد الله تعالى شهوات الدنيا في قوله عزوجل « زين للناس حب
الشهوات مسن النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحراث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » ،
ولا سيما حب النساء ، وقد هلك جمع فيهن ، وقد ألف فيه بعضهم كتاباً سماه
مصارع العشاق جمع فيه من مات منهم بحبهن .

هذا ، ومن الشعراء موسى شهوات ، قال ابن قتيبة في شعرائه : لقب
« شهوات » لان عبد الله بن جعفر كان يتشهى عليه الشهوات فيشترىها له ويتربح
عليه .

وفي زهر آداب الحصري : لقب مسلم بن الوليد الانصاري صريع الغواني
والصريع بقوله :

صريع غنوان راقهن ورقسه لدن شب حتى ابيض سود الذوائب
هل العيش الا ان تروح مع الصبا صريع حميا الكس والحدق النجل
وفي وزراء الجهشيارى : خلف المنصور في بيوت الاموال تسعمائة ألف
ألف درهم وستين ألف ألف درهم ، وكان ابو عبيد الله وزير المهدي أولاً يشير
عليه بالاعتقاد وحفظ الاموال ، ولما صار يعقوب بن داود وزيره زين له هواه
فأنفق المال واكب على اللذات والشرب وسماع الغناء ، ففى ذلك يقول بشار :
بني أمية هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب بسن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فاطلبوا خليفة الله بين السزق والعود
(وخليفة الاموات) قيل ان صوفياً أراد دخول قصر ابراهيم بن أدهم ايام

ملكه فمنعه الحاجب فقال : لم تمنعني وهذا خان . قال : تسمى قصر الملوك
خاناً . قال : من كان قبل الملك فيه ؟ قال : ابوه . قال : وقبله . قال : جده . فقال :
وهل الخان الا من يرحل منه انسان وينزله آخر ، فسمع ذلك ابراهيم من فوق
قصره فترك ملكه .

هذا ، وفي المروج قال المنصور يوماً للربيع : ما أطيب الدنيا لولا
الموت . فقال له الربيع : وما طابت الا بالموت . قال : وكيف ذلك ؟ قال :
لولا الموت لم تتعد ههنا . قال : صدقت

سل الدور تخبر وافصح بها بأن لابقاء لاربابها
هذا ، وقال «حد» عُد عليه السلام من صفات نفسه سبعاً ومن صفات ولده
أربع عشرة ، فجعل بأزاء كل واحدة مما له اثنتين مما لولده . ومن جيد ما وصف
شاعر نقص الدهر من قواه قول عوف بن محلم الشيباني في عبد الله بن طاهر
أمير خراسان :

يا ابن الذي دان له المشرقان وألبس الامن به المغربان
ان الثمانين - وبلغتها - قد احوجت سمعي الى ترجمان
ومن الشعر القديم الجيد في هذا المعنى قول سالم بن عون الضبي :
لا يبعدن عصر الشباب ولا لذاته ونباته النضر
الى أن قال :

أولا ترى لقمان اهلكه ما اقتات من سنة ومن شهر
جعل الزمان كالقوت له ، ومن اقتات الشيء أكله ، والاكل سبب المرض
والمرض سبب الهلاك .

قلت : أما قوله «جعل بأزاء كل واحدة مما له اثنتين مما لولده» فليس بجيد ،
لانه لم يجعل وصفاً أزاء وصف ومقابلاً له ، بل الكل من واد واحد للتمييز

على نقص الدنيا حتى لا يغتر بها ، وانما ضاعف عليه السلام أوصاف ولده لان الشاب آماله أكثر .

كما أن ما نقله من أبيات الشاعرين ليست في معنى كلامه عليه السلام ، فان الشاعرين في مقام مدح الشباب وذم الشيب ، وهو «ع» بصدد ذم أصل الدنيا شبابها وشيبتها وأصلها وفرعها .

كما أن ما فسره به المصراع الاخير بارد ، وانما المراد أن لقمان اكل سنته وشهره وكاناقوته ومادة حياته ، فبقي بعد اكله لهما بلاقوت فهلك .

(أما بعد فان فيما تبينت من ادبار الدنيا عني وجموح) من جمع الفرس براكبه : اذا صار بحيث لا يملكه (الدهر علي واقبال الاخرة الي ما) من الغريب أن محشي المصرية كتب «ما» خبر «ان» مع انه واضح كونها اسمها ، كما ان قوله وروي فانني فيما تبينت وعليه فما مفعول «تبينت» أيضاً بلامعنى (يرغبني) هكذا في المصرية والصواب «يزعني» اي يمنعني كما في «حد» و«ثم» والخطية (عن ذكر من سواي والاهتمام بماورائي) .

في وزراء الجهشياري : لمات عمر بن داود أخو يعقوب بن داود وزير المهدي بحبتي عنب اعترضنا في حلقة صار اليهم سفيان بن عيينة معزياً ، فأشدهم بيت عمران بن حطان :

وكيف أعزبك والاحداث مقبلة
فيها لكل امرىء من نفسه شغل
وفي البيان غمضت أعرابية ميثاً ثم قالت: ما أحق من ألبس العافية وأطيلت
له النظرة الا يعجز عن النظر لنفسه قبل الحلول بساحته والحيالة بينه بين نفسه .
ورأى أياس بن قتادة شعرة بيضاء في لحيته فقال: أرى الموت يطلبني وأراني
لا أفوته ، أعوذ بك يارب من فجئات الامور ، يا بني سعد قد وهبت لكم شبابي
فهو الي شيبى ولزم بيته .

هذا ، وواضح أن المراد بقوله عليه السلام «والاهتمام بماورائي» من أمور الدنيا واهلها ، وأغرب محشى المصرية الاولى فقال: أي عن الاهتمام بماورائي من أمر الآخرة .

(غير أنني حيث تفرد بسى دون هموم الناس هم نفسي) «عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم» (فصدقني رأبي) ومن أمثالهم «صدقني سن بكره» ، وأصله أن رجلا ساوم رجلا في بكر فقال : ما سنه ؟ فقال صاحبه : بازل : ثم نفر البكر فقال له صاحبه «هدع هدع» ، وهذه لفظة تسكن بها صغار الابل ، فلما سمعه المشتري قال : صدقني سن بكره .

ومن أمثال الميداني قال ابو عبيد: يروى عن علي عليه السلام انه أتى فقيل له: ان بني فلان وبني فلان اقتتلوا فغلب بنو فلان فأنكر ذلك ، ثم اتاه آت فقال بل غلب بنو فلان - للقبيلة الاخرى - فقال عليه السلام صدقني سن بكره .

قال ابو عمرو: دخل الاحنف على معاوية بعد علي عليه السلام فقال له معاوية: أما اني لم أنس اعتزالك يوم الجمل بيني سعد ونزولك بهم سفوان وقريش تذبح بناحية البصرة ذبح الحيران ، ولم انس طلبك الى ابن ابي طالب أن يدخلك في الحكومة لتزيل عني أمراً جعله الله لي ، ولم أنس تحضيضك بني تميم يوم صفين على نصره علي ، فلما خرج من عنده قيل للاحنف : ما قال لك معاوية ؟ قال: صدقني سن بكره - أي خبرني بما انطوت عليه ضلوعه .

(وصرفني عن هوائى) «ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله» وقالوا «من هوى هوى» .

(وصرح لي) من «لبن صريح» ذهب رغوته (محض أمري) ومن أمثالهم «صرح الحق عن محضه» ، «صرح المخض عن الزبد» ، «صرحت بجلدان» قيل

جلدان موضع بالطائف مستولاً خمر فيه يتواری به .

(فأفضى) أي جر (بى الی جدد لا يكون فيه لعب وصدق لا يشوبه كذب ووجدتك) هكذا في المصرية والصواب «وجدتك» كما في «حد» و«ثم» والخطية، ولانه جواب «حيث» فلا وجه للواو (بعضي بل وجدتك كلي) فقالوا «أولادنا أكبادنا» .

وفي الخبر قيل للنبي «ص» : ما بالننا نجد بأولادنا ما لا يجدون بنا ؟ قال : لانهم منكم ولستم منهم .

وفي نسب قريش مصعب الزبيري : لما حملت فاطمة عليها السلام بالحسين عليه السلام رأت أم الفضل امرأة العباس كأن عضواً من اعضاء النبي في بيتها ، فأخبرت النبي بذلك فقال لها : تلد فاطمة غلاماً فترضعه بلبان ابنك فتم .

وفي تاريخ بغداد : حضر مجلس ابن السراج يوماً بني له صغير، فأظهر من المحبة له ما يكثر، فقال له بعض الحاضرين : أتجبه ؟ فقال متمثلاً :

أجبه حب الشحيح ما له قد كان ذاق الفقر ثم ناله

(حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني) مما قيل في الاتحاد قول جرير :

وكانني بالاباطح من صديق يراني لو اصببت هو المصابا
وقال آخر :

مزجت روحك وروحي كما يمزج الخمرة بالماء الزلال
فاذا مسك شيء مسني فاذا انت انا في كل حال
وقال آخر :

جعلت روحك في روحي كما يجعل العنبر في المسك الفتق
فاذا مسك شيء مسني فاذا انت انا لا نفتسق
(وكان الموت لو أتاك أتاني) دفن أعرابي ابنه ثم قال :

دفت بنفسي بعض نفسي فأصبحت وللنفس منها دافن ودفين
(فعنانني) أي أهمني (من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي ، فكتبت اليك كتابي)
هكذا في المصرية أخذاً «كتابي» من «حد» وكان عليه أن يأخذ منه بعده «هذا»
أيضاً والكلمتان في «ثم» والمخطية أيضاً (مستظهِراً به ان أنا بقيت لك أوفيت)
فيكون الكتاب خلفاً منه لوفني والمعين لوفني ، قال الشاعر:

ابني ان اباك كارب يسومه فاذا دعيت الى المكارم فاعجل
(فاني أوصيك بتقوى الله) هكذا في المصرية وفيها سقط فبعدها «أي بني»
قال تعالى « فاتقوا الله ما استطعتم » .
(ولزوم أمره) قال تعالى « وليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة
أو يصيبهم عذاب أليم » .

(وعمارة قلبك بذكره) « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .
(والاعتصام بحبله) « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .
(وأي سبب) أي حبل (أوثق) أي أحكم (من سبب بينك وبين الله ان انت
أخذت به) « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى
لا انفصام لها والله سميع عليم » .
(أحي قلبك بانمو عظة) « استجبوا لله والرسول اذا دعاكم لما يحييكم »
« وما أنت بمسمع من في القبور » .

(وأتمته بالزهادة) « ليكلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » .
ولا يخفى لطف قوله عليه السلام « وأحي قلبك وأتمته » ، والمراد أحيائه
بالنسبة الى الآخرة وإمامته بالنسبة الى الدنيا ، وأكثر الناس بالعكس . وزاد
في رواية الكليني « وأسكنه بالخشية وأشعره بالصبر » .

(وقوه باليقين) « كلا لو تعلمون علم اليقين * لترون الجحيم » .

(ونوره بالحكمة) « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » .
(وذلك بذكر الموت) « قل ان الموت الذي تفرون منه فسانه ملائكم ثم
تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون » .

(وقرره بالفناء) « انما الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار » .
(وبصره فجائع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والايام)
في الاغانى كانت خرقاء بنت العمان اذا خرجت الى بيتها يفرش لها طريقاً
بالحرير والديباج مغشى بالخز والوشي ثم تقبل في جواربها حتى تصل الى
بيعتها وترجع الى منزلها ، فلما هلك النعمان نكبها الزمان فأنزلها من السرفة
الى الذلة ، فلما وفد سعد القادسية أميراً عليها وانهزم الفرس وقتل رستم أخته
في حفدة من قومها وجواربها عليهن المسوح والمقطعات السود تطلب صلته ،
فقال لهن : أيتكن خرقاء ؟ قالت : ها أناذ ان الدنيا دار زوال ولا تدوم على
حال ، كنا ملوك هذا المصر تجبى لنا خراج ويطيعنا أهله مدى المدة وزمان
الدولة ، فلما أدبر الامر صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا وشتت شملنا ، وكذلك
الدهر ليس يأتي قوماً بمسرة الا ويعقبهم بحسرة ، ثم قالت :

فبينما نسوس الناس والامر أمرنا اذا نحن فيهم سوقة ليس يعرف
فأفّ الدنيا لا تدوم نعيمها تقلب تسارات بنا وتصرف

وقال محمد بن عبدالرحمن الهاشمي: دخلت على أمي يوم أضحى وعندها
امرأة في أثواب دنسة ، فقالت : أتعرف هذه ؟ قلت : لا . قالت : هي عناية أم
جعفر البرمكي ، فسلمت عليها وقلت لها: حدثيني ببعض أمركم . فقالت: اذكر
لك جملة فيها عبرة لمن اعتبر ، لقد هجم علي مثل هذا اليوم وعلى رأسى أربعمائة
وصيفة وأنا أزعم أن ابني جعفر عاق لي ، وقد أتيتكم اليوم اسألكم جلدي شاتين
بشعار ودار .

وكان الفضل بن مروان وزير المعتمد جالساً يوماً لاشغال الناس . فرفعت
اليه قصص العامة ، فرأى فيها رقعة مكتوباً فيها هذه الابيات :

تفرغت يا فضل بن مروان فاعتبر فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم ابادتهم الاقياد والحبس والقتل
وانك قد أصبحت في الناس ظالماً ستودى كما أودى الثلاثة من قبل
أراد الفضل بن يحيى والفضل بن الربيع والفضل بن سهل ، ثم نكبه
المعتمد فقالوا :

ليبك على الفضل بن مروان نفسه فليس له باك من الناس يعرف
لقد صحب الدنيا منوعاً لخيرها وفارقها وهو الظلوم المعنف
الى النار فليذهب ومن كان مثله على أي شيء فاتنا منه ناسف
ولا بى الفتح المعري :

الدهر خداعة خلوب فلا تغرنك الليالى فبرقها خلب كذوب
و اكثر الناس فاعتزلهم قوالب ما لهم قلوب
(وأعرض عليه أخبار الماضين وذكره بما أصاب قبلك من الاولين) في
الاجانى عن عدي بن زيد :

لم أرمثل الفتيان فى غبن الايام ينسون ما عواقبها
ينسون اخوانهم و مصرعهم وكيف تعاقبهم مخالباها
ماذا ترجى النفوس من طلب الخير وحب الحياة كار بها
تظن ان لن يصيبها الدهر وريب المنون صائبها

(وسرفي ديارهم وآثارهم) « قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان
عاقبة المكذبين » ، « قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين » .
(فانظروا ففعلوا) هكذا في المصرية والصواب « ما فعلوا » بدون « في »

كما في « حد » و « ثم » والخطية .

(وعما انتقلوا وأين حلوا ونزلوا فانك تجدهم قد انتقلوا) هكذا في المصرية والصواب « انتقلوا » بدون قد كما في « حد » و « ثم » والخطية (عن الاحبة وحلوا ديار الغربية) وزاد ابن ابي شعبة في روايته « وناد في ديارهم أيتها الديار المخالية - أين اهلك - ثم قف على قبورهم فقل: أيتها الاجساد البالية والاعضاء المتفرقة كيف وجدتم الدار التي أنتم بها » .

في كامل المبرد : نزل النعمان بن المنذر في ظل شجرة موقفة ليلهو ومعه عدي بن زيد ، فقال له : أبيت اللعن أتدري أيها الملك ما تقول هذه الشجرة؟ قال : لا . قال تقول :

من رأنا فليحدث نفسه	انه موف على قرن زوال
وصروف الدهر لا تبقى لها	ولما تأتي به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا	يمزجون الخمر بالماء الزلال
والا باريسق عليها قدم	وجياد الخيل تردى فى الجلال
عمروا الدهر بعيش حسن	قطعوا دهرهم غير عجال
ثم أضحوا عصف الدهر بهم	وكذاك الدهر حالا بعد حال

وفي الجهشباري : خرج عمر بن داود أخو يعقوب بن داود وزير المهدي متنزهاً ومعه جماعته من أهله وأقاربه ومعه سفرة وفواكه ، فقدمت اليه سلة فيها عنب، فأخذ منها حبتين فألقاهما في فيه فاعترضتا في حلقة ، فلم ينزلا ولم يصعدا حتى مات ، فقال ابن أخيه داود بن علي :

غدا صحيحاً مع الاحياء مغتبطاً	والان ميتاً بقربى أهله عمر
فاحتل قبر السدي قبر ابود	يعلوهما نضد الاحجار والمدر

وفي الاغانى عن رجل من أهل صنعاء قال : حفروا حفيراً في زمن مروان

فوقفوا على أزج له باب ، فاذا هم على سرير كأعظم ما يكون من الرجال عليه خاتم من ذهب وعصابة من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه « أنا علس زوجدن القيل كان لخليلي مني النيل ولعدوى مني الويل ، طلبت فأدركت وانا ابن مائة سنة من عمري ، وكانت الوحش تأذن لصوتي ، وهذا سيفي ذو الكف عندي ودرعي ذوات الفروج ورمحي الهزبري وقوسى الفجواء وقرني ذات الشرفيها ثلاثمائة حشر من صنفه ذي نمر ، أعددت كل ذلك لدفع الموت عني فخاني» قال: فنظرنا فجميع ذلك عنده .

(و كأنك عن قليل قد صرت كأحدهم) روى الاغاني عن ابن شخير قال : كانت لي نوبة في خدمة الواثق في كل جمعة اذا حضرت ركبت الى الدار فان نشط الى الشرب أقمت عنده وان لم ينشط انصرفت ، وكان رسمنا ألا يحضر أحد منا الا في يوم نوبته ، فاني لفي منزلي في غير يوم نوبتي اذ رسل الواثق قد همجوا علي وقالوا لي أحضر ، فقلت : الخير . قالوا : خير . فقلت : ان هذا يوم لم يحضرني فيه الخليفة قط ولعلكم غلظتم . فقالوا : لا تطول وبادر فقد أمرنا أن لاندعك تستقر على الارض ، فأدخلني فزع شديد وخفت أن يكون ساع سعى بي ، فتقدمت بما أردت وركبت حتى وافيت الدار ، فذهبت لا دخل على رسمي من حيث كنت أدخل فمكنت وأخذ بيدي الخدم فأدخلوني وعدلوا بي الى مبرمات لأعرفها ، فزاد ذلك في غمي وجزعي ، ثم لم يزل الخدم يسلمونني من خدم الى خدم حتى أفضيت الى دار مفروشة الصحن ملبسة الحيطان بالوشي المنسوج بالذهب ، ثم أفضيت الى رواق أرضه وحيطانه ملبسة بمثل ذلك ، واذا الواثق في صدره على سرير مرصع بالجواهر وعليه ثياب منسوجة بالذهب والى جانبه فريدة جارية عليها مثل ثيابه وفي حجرها عود ، فلما رأني قال : جئودت والله يا محمد الينا ، فقبلت الارض ثم قلت : خيراً . قال : خيراً ماترى واني طلبت

ثالثاً يؤنسنا فلم أرأحق بذلك منك ، فبحياتي بادر فكل شيئاً وبادر الينا . قلت :
ياسيدي أكلت وشربت . قال : فاجلس ، فجلست فقال: هاتواالمحمد رطلافي
قدح ، فأ-حضرت ذلك واندفعت فريدة تغني :

أهابك اجلالاً ومابك قدرة علي ولكن ملأ عين حبيبها
وما هجرتك النفس يا ليل انها قلتك ولا ان قل منك نصيبها
فجاءت والله بالسحر وجعل الواثق يجاذبها ، وفي خلال ذلك تغني الصوت
بعد الصوت وأغني أنا في خلال غنائها ، فمرلنا أحسن مامر لاحد ، فأنا لكذلك
اذرفع رجله فضرب بها صدر فريدة ضربة تدحرجت منها من أعلى السرير الى
الارض وتفتت عودها ومرت تعدو وتصيح وبقيت أنا كالممزوع الروح ، ولم
أشك في أن عينه وقعت الي وقد نظرت اليها ونظرت الي ، فأطرق ساعة الى
الارض متحيراً وأطرقت أتوقع ضرب العنق، فاني لكذلك اذقال لي يا محمد
فوئبت، فقال: ويحك أرأيت أعرب مماتها علينا . فقلت: ياسيدي الساعة والله
تخرج روعي فعلى من اصابنا بالعين لعنة الله فما كان السبب الذنب . قال: لا والله
ولكن فكرت أن جعفرأ يقعد هذا المقعد ويقعد معها كماهي قاعدة معي، فلم أطق
الصبر وخامرني الى ما أخرجني الى ما رأيت . فسرى عنى وقلت: بل يقتل الله جعفرأ
ويحبي الخليفةأبدأ، وقبلت الارض وقلت: ياسيدي الله الله أرحمها ومربردها . فقال
لبعض الخدم الوقوف: من يجيء بها، فلم يكن بأسرع من أن خرجت وفي يدها
عود وعليها غير الثياب التي كانت عليها ، فلما رآها جذبها وعانقها ، فبكت
وجعل هويبيكي واندفعت أنا ابكي ، فقالت : ما ذنبى يا مولاي ويا سيدي وبأى
شئ استوجبت هذا؟ فأعاد عليها ما قاله لي وهويبيكى وهي تبكى ، فقالت له:
سألتك بالله الا ضربت عنقي الساعة وارحتني من الفكر في هذا وأرحت قلبك
من الهم لي ، وجعلت تبكي ويبكي ثم مسحأعينهما ورجعت الى مكانها، وأومى

الى خدم الوقوف بشيء لأعرفه، فمضوا واحضروا أكياساً فيها عين وورق ورزماً فيها ثياب كثيرة ، وجاء خادم بدرج ففتحه وأخرج منه عقداً ما رأيت قط مثل جوهر كان فيه فألبسها إياه ، وأحضرت بدرة فيها عشرة آلاف درهم فجعلت بين يدي وخمسة تخوت فيها ثياب. وعدنا الى أمرنا والى أحسن مما كنا، فلم نزل كذلك الى الليل ثم تسرقنا وضرب الدهر ضربة وبقلد المتوكل ، فوالله اني لفي منزلي بعد يوم نوبتي اذ هجم علي رسله فما أمهلوني حتى ركبت وصرت الى الدار ، فأدخلت والله الحجرة بعينها واذأ المتوكل في الموضع الذي كان فيه الواثق على السرير بعينه والى جانبه فريدة، فلما رآني قال: ويحك أماترى ما أنا فيه من هذه ، أنا منذ غدوة أطالبها بأن تغنيني فتأبى ذلك فقلت لها : يا سبحان الله أتخالفين سيدك وسيدنا وسيد البشر بحياته غني ، فعزفت والله ثم اندفعت تغنى :

مقيم بالمجازة من قمونا واهلك بالاجيفر فالثماد
فلاتبعد فكل فتى سيأتى عليه الموت يطرق اويغادى

ثم ضربت بالعود الارض ثم رمت بنفسها عن السرير ومرت تعدو وهي تصحيح واسيدها ، فقال لي : ويحك ما هذا ؟ فقلت : لأدري والله يا سيدي . فقال : فماترى . فقلت : أرى أن انصرف أنا وتحضر هذه ومعها غيرها فان الامر يؤل الى ما يريد الخليفة . قال : فانصرف في حفظ الله . فانصرفت ولم أدر ما كانت القصة .

(فأصلح مثواك) «أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله» .
(ولاتبع آخرتك بدنياك) «فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين» .
(ودع القول فيما لاتعرف) «ولاتقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً» ، «ان يتبعون الا الظن وما تهوي الانفس» .

(والخطاب فيما لا تكلف) «وما أنا من المتكلفين» .

وقال الصادق عليه السلام : حض الله تعالى عباده بأيّتين من كتاب الله ان لا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا ما لم يعلموا ، قال تعالى «ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله الا الحق» ، «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه» .
(وأمسك عن طريق اذا خفت ضلالته فان الكف عن حيرة الضلال خير من ركوب الاحوال) كما أن طعاماً أو شراباً يحتمل كونه مسزوجاً بالسم يجب الاجتناب عنه لثلا يوجب هلاكه .

(وأمر بالمعروف تكن من أهله) فان من يكون عمله فقط معروفاً ولم يكن له قول في ذلك بأمر غيره به لا يعد من أهل المعروف .
(وأنكر المنكر بيدك ولسانك) وذلك أكمل الانكار لان يقتصر على اللسان «ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» .
(وبابن من فعله بجهدك) أي بطاقتك ، قال عليه السلام: أمرنا النبي «ص» أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة .

(وجاهد في الله حق جهاده) والاصل فيه قوله تعالى «وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج» .
(ولا تأخذك في الله لومة لائم) «من یرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم» .

(وخض الغمرات) أي الشدائد (للحق) هكذا في المصرية والصواب «الى الحق» كما في «حد» و«ثم» والخطية (حيث كان) الحق . في كلام الصديقة فيه عليه السلام «وكلما نجم قرن للضلال وفغرت فاغرة من المشركين قذف أبي بأخيه في لهواتها فلا ينكفيء حتى يطاء صماخها بأخمصه ويخمد لهبها بحده

مكدوداً في ذات الله» .

(وتفقه في الدين) قال تعالى «ليتفقهوا في الدين».

(وعود نفسك التصبر) هكذا في المصرية والصواب «الصبر» كما في «حد»
و«ثم» والخطية (على المكروه) عند النفس (ونعم الخلق) بالضم أي الطبيعة
(التصبر) أي الصبر على المكروه ، قال ابو الاسود :

تعودت مس الضر حتى ألفته وأسلمني طول البلاء الى الصبر
ووسع صدري للاذى كثرة الاذى وكان قديماً قديضيق به صدري
اذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما ألقىه منه طال عتبي على الدهر
وقال آخر :

تحلم عن الاذنين واستبق ودهم ولست تستطيع الحلم حتى تحلما
تلق بالصبر ضيف الهم حيث أتى ان الهموم ضيوف أكلها المهج
وفي المروج : أمر هارون ذات يوم بحمل ابى العتاهية وامر أن لا يتكلم في
طريقه ولا يعلم ما يراد منه ، فلما صار في بعض الطريق قال له بعض من معه :
انما يراد قتلك . فقال : بو العتاهية :

ولعل ما تخشاه ليس بكائن ولعل ما ترجوه سوف يكون
ولعل ما هونت ليس بهين ولعل ما شددت سوف يهون
وعن اكنم بن صيفي قال : ما أحب اني مكفى كل أمر الدنيا . قالوا : وان
أسمنت . قال : نعم اكثره عادة العجز .

(في الحق) هكذا في المصرية أخذاً عن « حد » وليس في « ثم » والظاهر
زيادته .

(والجىء نفسك في الامور كلها الى الهك فانك تلجئها الى كهف) قال
الجوهري : الكهف كالبيت المنقور في الجبل . وفلان كهف أي ملجأ (حريز)

أي حصين (ومانع عزيز) أي قوي غالب ، وفي المثل «من عزيز» أي من غلب
سلب ، قال البستي :

وثقت بربي وفوضت أمري إليه وحسبي به من معيني
فلا تبئس لصروف الزمان ودعني فان يقيني يقيني
في وزراء الجهشياري : كان ابراهيم الحراني خاصاً بالمهدي وأنفذه مع
ابنه الهادي الى جرجان، فخص به وبلغ المهدي عنه أشياء زاد فيها عليه أعداؤه
فكتب الى الهادي في حملة ، فتعلل في حملة ، فكتب ان لم تحمله خلعتك من
العهد، فحمله مع بعض خدمه مرفهاً وقال له: اذادنوت من محل المهدي فقيده ،
فامتثل واتفق أن وردو المهدي يريد الركوب للصيد ، فبصر بالموكب فسأل عنه
فقيل خادم موسى الهادي ومعه ابراهيم الحراني، فقال : وما حاجتنا الى الصيد
وهل صيد أطيب من صيد ابراهيم ، فأدني منه وهو على ظهر فرسه ، فقال له :
والله لاقتلنك، ثم والله لاقتلنك، ثم والله لاقتلنك، امض به يا خادم الى المضرب
الى أن انصرف . قال ابراهيم : فيثت من نفسي ففزعت الى الله تعالى بالدعاء
والصلاة ، فانصرف المهدي وأكل من اللوز المسموم المشهور خبره فمات
من وقته .

وفيه : قال الواضح بن خيثمة أمرني عمر بن عبدالعزيز باخراج قوم من
السجن ، فأخرجتهم وتركتم يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج ، فحقد ذلك
علي ونذردي ، فاني لبافريقية اذ قيل لي: قدم يزيد بن ابي مسلم من قبل يزيد بن
عبد الملك بعد عمر بن عبدالعزيز ، فهربت منه وعلم بمكاني ، فأمر بطلي فظفري
وصيربي اليه ، فلما رأني قال: سألت الله أن يمكنني منك . فقلت: وأنا لطالما
سألت الله أن يعيدني منك. قال: فوالله ما أعاذك مني، والله لاقتلنك ثم والله لاقتلنك،
والله لو سابقتني اليك ملك الموت لسبقته. ثم دعا بالسيف والنطع، فأتي بهما وأمر بي

فأقمت في النطع وكنفت وقام ورائي رجل بسيف وأقيمت الصلاة ، فخرج اليها فلما سجد أخذته السيوف ودخل الي من قطع كتافي وقال : انطلق .
(وأخلص في المسألة لربك) عن الرضا عليه السلام : انما اتخذ الله ابراهيم خليلاً لانه لم يرد أحداً غير الله ، ولم يسأل أحداً قط غير الله .
(فان بيده العطاء والحرمات) وفي الخبر : أغرق الله تعالى فرعون لانه استغاث بموسى ولم يستغث بالله .

وقالوا : كان عامر بن عبد القيس العنبري يقول : أربع آيات من كتاب الله اذا قرأتها مساء لم أبال على ما أمسي ، واذا تلوتهن صباحاً لم أبال على ما أصبح «ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده» ، «وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده» «وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين» ، «سيجعل الله بعد عسر يسراً» .

(واكثر الاستخارة) اي طلب الخيرة من الله تعالى بالدعاء والصلاة .
وروى الكافي عن الصادق عليه السلام في خبر قال : صل ركعتين واستخر الله ، فوالله ما استخار الله مسلم الا خار له .

وفي آخر : اذا أراد أحدكم شيئاً يصلي ركعتين ثم يحمداً الله ويثني عليه ويصلي على نبيه وآله ثم يقول : اللهم ان كان هذا الامر خيراً لي في ديني ودنياي فيسره لي وأقدره ، وان كان غير ذلك فاصرفه عني .

وفي آخر عنه عليه السلام في أمر يأمر به بعض وينهى عنه بعض : صل ركعتين واستخر الله مائة مرة ومرة ثم انظر أجزم الامرين لك فافعله فان الخيرة فيه -
الخبر .

وروى الفقيه عنه عليه السلام في خبر : اذا أراد الله الشيء اليسير استخار

الله سبع مرات ، فاذا كان جسيماً استخار الله مائة مرة . وفي آخر: ما استخار الله أحد سبعين مرة بهذه الاستخارة «ياأبصر الناظرين وياأسمع السامعين ويااسرع الحاسبين وياأرحم الراحمين وياأحكم الحاكمين صل على محمد وأهل بيته وخرلي في كذا وكذا» الارماه الله بالخيرة .

وفي آخر : يستخير الله في آخر سجدة من ركعتي الفجر مائة مرة ومرة ، ويحمد الله ويصلي على نبيه «ص» ، ثم يستخير الله خمسين مرة ، ثم يحمد الله ويصلي على نبيه ويتم المائة والواحدة .

ونقل عن رسالة أبيه : صل ركعتين واستخر الله مائة مرة ومرة ، فما عزم لك فافعل وقل في دعائك «لااله الا الله الحليم الكريم ، لااله الا الله العلي العظيم ، رب بحق محمد وآله صل على محمد وآله وخرلي في كذا وكذا للدنيا والاخرة خيرة في عافية» .

(وتفهم وصيتي) بالعمل بها (ولا تذهبن عنها) هكذا في المصرية وفي «حد» عنك وليس في «ثم» والخطبة رأساً (صفحاً) والمراد لاتعرض بوجهك عنها .

(فان خير القول مانفع) «الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه» .

(واعلم أنه لاخير في علم لاينفع) عن الكاظم عليه السلام دخل النبي «ص» المسجد فاذا جماعة قد أطافوا برجل فقال : ما هذا . فقيل : علامة . قال : وما العلامة . قالوا : أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية والاشعار والعريية . فقال النبي : ذلك علم لا يضر من جهله ولا ينفع من علمه ، انما العلم ثلاثة : آية محكمة ، أو فريضة عادلة ، أو سنة قائمة وما خلاهن فهو فضل .

(ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه) الذي نهت الشريعة عنه كعلم السحر والكهانة .

ومافى الدعاء «وأعوذبك من علم لاينفع» الظاهر أن المراد عدم نفعه لعدم العمل به لامن حيث هو كما توهمه «ثم» .

(أي بني اني لما رأيتني قد بلغت سنأ) فزاد عليه السلام بعد صفيين على الستين .

(ورأيتني ازداد وهناً) «الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيباً» (بادرت بوصيتي اليك) في الخبر يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع (وأوردت خصالا منها قبل أن يعجل بي أجلي دون أن أفضي) أي أظهر .

(اليك بما نفسي أو انقص في رأبي كما نقصت في جسمي) قال عليه السلام ذلك عاماً ، قال تعالى «والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً» .

(أويسبقني اليك بعض غلبات الهوى) في الفقيه عن الصادق عليه السلام : دع ابنك يلعب سبع سنين ، ويؤدب سبع سنين ، والزمه نفسك سبع سنين ، فان أفلح والا فلاخير فيه .

وعن المحاسن قال النبي «ص» الولد سيد سبع سنين ، وعبد سبع سنين ، ووزير سبع سنين ، فان رضيت خلائقه لاحدى وعشرين سنة والاضربت على جبينه فقد اعذرت .

(أوفتن الدنيا فتكون كالصعب) مركب غير ذلول ، وكان المنذر بن ماء السماء يلقب ذوالقرنين الصعب قال لييد :

والصعب ذوالقرنين أصبح ثاويأ
بالحنوفى جدث اميم ، مقيم
يعنى أصبح المنذر ذاك مقيماً فى قبر فى حنوذى قار يا اميم (النفور) من
نفرت الدابة نفوراً ونفاراً ، قال الشاعر :

إذا المرء أعتسه المروة ناشئاً
فمطلبها كهلا عليه شديد
وقال آخر:

إذا المرء جاز! الأربعين ولم يكن
له دون ما يأتي حياء ولا ستر
فدعه ولا تنفس عليه الذي أتى
ولو جبر أرسان الحياة الدهر
(وانما قلب الحدث كالارض الخالية ما ألقى فيها من شيء قبلته) قال «حد»
كان يقال العلم في الصغر كالنقش في الحجر وفي الكبر كالخط على الماء .
وفي المثل «الغلام كالطين يقبل الختم مادام رطباً» قال الشاعر:

أختم وطينك رطب ان قدرت فكم
قد أمكن الاقوام ختم فما ختموا
قلت : ومما قيل في المعنى
أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلباً خالياً فتمكنا
وقال آخر:

خذ فؤادي فقد أتاك بودٌ
وهو بكر ما افتضه ود قسط
(فبادرتك بالادب قبل أن يقسو قلبك ويشغل لبك) مما قيل في ذلك: وليس
الفتى يرجى اذا ابيض رأسه .
وقال الاخر:

يقوم من ميل الغلام المؤدب
ولا ينفع التأديب والرأس أشيب
وقال آخر:

وتروض عرسك بعد ما هرمت
ومن العناء رياضة الهرم
وقال آخر:

ان الكبير اذا تناهت سنه
اعيت رياضته على الرواض
وقال آخر:

قد ينفع الادب الاحداث في مهل
وليس ينفع بعد الكبرة الادب

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت ولن تلين اذا قومتها الخشب
ولما اراد المهدي العباسي قتل بشار على الزندقة قال : تبت منها . قيل له :
وكيف وانت القائل :

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يسواري في ثرى رسمه
اذا ارعوى عساد الى جهله كذى الضنى عاد الى نكسه
(لستقبل بجدرأيك من الامر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته) أي الفحص
عنه (وتجربته فتكون قد كفيت مؤنة الطلب وعوفيت من علاج التجربة فأتاك
من ذلك ما قد كنا نأتيه) هكذا في النسخ ، وكأنه وقع فيه تصحيف (واستبان
لك ماربما أظلم علينا منه) قال الشاعر :

ستبدي لك الايام ماكنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لسم تزود
(أي بني اني وان لم اكن عمّرت عمر من كان قبلي) في الصحاح «عمر
الرجل» بالكسر عمراً وعمراً على غير قياس ، لان قياس مصدره التحريك ،
أي عاش زماناً طويلاً . ومراده ان مصدر فعل اللازم فعل بفتحين كفرح فرحاً ،
وهنا المصدر بالضم أو الفتح فالسكون .

(فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى
عدت كأحدهم) في رسالة علي بن طاوس الى ولده المسماة بالمحجة: قد بدأ الله
تعالى كتباً كثيرة عندني في تاريخ الخلفاء والملوك وغيرهم من الذين طلبوا سرايا
الدنيا الزائل وسوروا وجوه العقل والفضل بخسران العاجل والاجل ورحلوا
من الدنيا باحمال الذنوب وأثقال العيوب ، وكانوا كأنهم في أحلام ومنام
وباعوا بتلك الايام ما لا يبيعه ذورالهمم العالية الباهرة من سعادة الدنيا والاخرة ،
فأحذرهم على دينك ومولاك ، فالله الله أن تتقرب اليهم أو تقرب منهم مهما
أمكنك ، ففي قربهم السم الناقع والهالك ، وانما ذخرت لك تواريخهم لتنظر أول

أمورهم وآخرها وظاهرها وباطنها ترى ماضروا بنفوسهم بلذات ساعات يسيرة وأعمار قصيرة وكيف خدعهم الشيطان في دنياهم وآخرتهم - الخ .
(بل كأنني بما انتهى السبي من أمورهم قد عمرت مع أولهم الى آخرهم
عرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره) في المعجم قالت الحكماء : الكتاب
يجمع لك الاول والاخر والناقص والوافر والغائب والحاضر والشكل وخلافه
والجنس وضده ، وهو ميت ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء وتعرف منه
في شهر ما لا تعرف من أفواه الرجال في دهر .

وفي الكامل في فوائد التاريخ : فمن دنيويتها أن الانسان يحب البقاء ويؤثر
أن يكون في زمرة الاحياء ، فأى فرق بين ما رآه أمس أو سمعه وبين ما قرأه
فسي الكتب المتضمنة أخبار الماضين ، فاذا طالعها فكأنه عاصرهم واذا علمها
فكأنه حاضرهم ، وان الملوك ومن اليه الامر والنهي اذا وقفوا على ما فيها من سيرة
أهل الجور ورأوا مدونة يروى بها خلف عن سلف ، وما أعقبت من سوء الذكر
وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الاموال وفساد الاحوال استبقحوها وأعرضوا
عنها ، واذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها وما يتبعهم من الذكر الجميل
بعد ذهابهم ، وان ممالكهم وبلادهم عمرت وأموالها درت استحسنا ذلك
ورغبوا فيه وثابروا مضرة الاعداء وخلصوا بها من المهالك واستصانوا نفائس
المدن وعظيم الممالك ، ولو لم يكن فيها غير هذا لكفى به فخراً .

ومنها ما يحصل من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير اليه عواقبها ،
فانه لا يحدث أمر الا قد تقدم هو أو نظيره ، فيزداد بذلك عقلا ويصبح لان يقتدى
به أهلاً .

ومنها ما يتجمل به الانسان في المحافل من ذكر شيء من معارفها وطريقها من
طرائفها ، فترى الاسماع مصغية اليه والوجوه مقبلة عليه .

وأما الفوائد الاخرى فمنها أن اللبيب اذا تفكر فيها ورأى تقلب الدنيا بأهلها وتتابع نكباتها الى أعيان قاطنيتها، وانها سلبت نفوسهم وذخائرهم وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم فلم تبقى على جليل ولا حقير ولم يسلم من نكدها غني ولا فقير، زهد فيها وأعرض عنها وأقبل على التزود للاخرة ورغب في دار تنزهت عن هذه الخسائس .

ومنها التخلق بالصبر والتأسي ، وهما من محاسن الاخلاق ، فان العاقل اذا رأى ان مصائب الدنيا لم يسلم منها نبي مكرم ولا ملك معظم علم أنه يصيبه ما أصابهم ، ولهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد - الخ .

(فاستخلصت) أي عملت الخلاصة (لك من كل أمر نخيله) هكذا في المصرية وفي «حد» جليله ، وفي «ثم» والمخطية نخيلته ، وهو الصحيح من النهج ، وان كان رواية الرسائل أيضاً بلفظ «جليله» وأما «نخيله» كما في المصرية فغلط مطلقاً، ومعنى النخيلة الخيرة قال عمارة :

تبحتهم سخطى فغيرت بحسكم نخيلة نفس كان نصحاً ضميرها
وجمعها النخائل ، وفي الحديث «لا يقبل الله الانخائل القلوب» .

(وتوخيت) أي تحريت (لك جميله وصرفت عنك مجهوله) ببيانه لك .

(ورأيت حيث عناني) أي أهمني (من أمرك ما يعني) أي بهم (الوالد الشفيق) أي الرؤف (وأجمعت) أي عزمت عطف على «عناني» لا «يعني» كما قال «ثم» (عليه من أدبك) أي تعليمك الاداب (أن يكون ذلك) أي تعليمك (وأنت مقبل العمر ومقبل الدهر) أي مستأنفه كأنسه يستأنف الدهر كسل ساعة (وان ابتدئك بتعليم كتاب الله) زاد «حد» و«ثم» والمخطية «عزوجل» ، ففي المصرية سقط ، وفي الكافي عن النبي «ص» : من علم ولده القرآن دعسي في القيامة بالابوين فكسيا حلتين تضيء من نورهما وجوه اهل الجنة .

وروى ابن بابويه عن الأصمغ قال : قال امير المؤمنين عليه السلام : ان الله عزوجل ليهم بعذاب أهل الارض جميعاً لا يحاشى منهم أحداً اذا عملوا بالمعاصي واجترحوا السيئات ، فاذا نظر الى الشيب ناقلي أقدامهم الى الصلاة ، والولدان يتعلمون القرآن رحمهم فأخر ذلك عنهم .

(وتأويله) ونسبته الى التنزيل نسبة المعنى الى اللفظ ولفظ القرآن يعلمه كل أحد ، وأما تأويله فلا يعلمه الا الله والراسخون في العلم .

(وشرائع الاسلام وأحكامه وحلاله وحرامه) في الكافي عن الصادق عليه السلام في الغلام يلعب سبع سنين ويتعلم الكتاب سبع سنين ويتعلم الحلال والحرام سبع سنين (ولا أجاوز لك الى غيره) هكذا في المصرية والصواب «لا اجاوز ذلك بك الى غيره» كما في «حد» و«ثم» والخطية (ثم أشفقت) أي خفت (أن يلتبس) أي يشتهبه (عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم مثل الذي التبس عليهم) كان الصادق عليه السلام يقول لشيعته : بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن يسبقكم اليهم المرجئة .

وقال الشهرستاني في ملله : الاختلافات في الاصول حدثت في آخر أيام الصحابة بدعة ، معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويسونس الاسواري في القول بالقدر ونسج على منوالهم واصل بن عطا - وكان تلميذ الحسن البصري وتلمذ له عمرو بن عبيد وزاد عليه في مسائل القدر والوعيدية من الخوارج والمرجئة من الجبرية والقدرية ، ابتدئت بدعتهم في زمان الحسن ، واعتزل واصل عنهم وعن استاده بالقول بين المنزلتين وسمي هو وأصحابه معتزلة .

ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين فسرت أيام المأمون - الى أن قال - ونبغ رجل متمسك بالزهد من سجستان يقال له ابو عبد الله بن الكرام قليل العلم قد قمش من كل مذهب ضغناً وأثبتته في كتابه وروجه على

أغنام غزنة وغور وسواد بلاد خراسان ، فانتظم ناموسه وصار ذلك مذهباً قد نصره محمود بن سبكتكين السلطان وصب البلاء على أصحاب الحديث والشيعة من جهتهم ، وهو أقرب مذهب الى مذهب الخوارج وهم مجسمة - الخ .
 (فكان احكام ذلك) أي جعله محكماً(على ما كرهت من تنبيهك له) لان كثيراً من غير المستعدين يحصل لهم في هذا الطريق العشرة والزلة (أحب الي من اسلامك) أي تركك وتفويضك (الى امر لا آمن عليك به) هكذا في المصرية والصواب «فيه» كما في «حد» و«ثم» والخطية (الهلكة) بتأثير شبهات أهل الشبهة (ورجوت أن يوفقك الله لرشدك) وفي «حد» والخطية «فيه لرشدك» (وأن يهديك لقصدك) أي عدلك؟ قال الشاعر :

على حكم الماتى يوماً اذا قضى قضيتته أن لا يجور ويقصد
 (فعهدت اليك وصيتي هذه) للوجوه المذكورة (واعلم يا بني ان أحب ما أنت آخذ به الي) متعلق بقوله «أحب» (من وصيتي تقوى الله) «فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الالباب» (والاقتصار على ما فرضه عليك) فعنهم عليهم السلام اسكتوا عما سكت الله عنه .

(والاخذ بما مضى عليه الاولون من آباءك والصالحون من أهل بيتك) وفي رواية ابن ابي شعبة «والصالحون من أهل ملتك» (فانهم لم يدعوا أن نظروا لانفسهم كما أنت ناظر وفكروا كما أنت مفكر) كان عليه السلام يقول : التفكير يدعو الى البر والعمل به - وكان عليه السلام يقول : نبه بالتفكر قلبك وجاف عن الليل جنبك واتق الله ربك (ثم ردهم آخر ذلك الى الاخذ بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا) كان عليه السلام يقول على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً .
 وفي الكافي عن الفتح بن يزيد : سألت أبا الحسن عليه السلام عن أدنى المعرفة فقال : الاقرار بأنه لا اله غيره ولا شبه له ولا نظير ، وأنه قديم موجود

غير فقيده (فان أثبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك
بتفهم وتعلم لا بتورط الشبهات) والورطة الهلكة ، قال :

ان تأت يوماً مثل هذى الخطه تلاق من ضرب نمير ورطه
وأصلها الهوة الغامضة ، ويقال تورطت الماشية أي وقعت في موحل ومكان
لا يتخلص منه (وعلو الخصوصيات) هكذا في المصرية ولكن في «حد» وعلق
الخصومات ، و«ثم» والخطية «وغلوا الخصومات» .

في الكافي عن السجاد عليه السلام سئل عن التوحيد فقال : ان الله تعالى علم
أنه يكون في آخر الزمان أقوام متعمقون، فأنزل «قل هو الله أحد» وأنزل الآيات
في سورة الحديد - الى قوله - «عليم بذات الصدور» فمن راء ذلك هلك.
قلت : وأشار عليه السلام من آيات الحديد الى قوله تعالى «سبح الله ما
في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم * له ملك السماوات والارض يحيى
ويسيت وهو على كل شيء قدير* هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل
شيء عليم* هو الذي خلق السماوات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش
يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو
معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير * له ملك السماوات والارض والى الله
ترجع الامور * يولج الليل في النهار و يولج النهار في الليل وهو عليم
بذات الصدور» .

وعن الصادق عليه السلام : من عبد الله بالتوهم فقد كفر ، ومن عبد الاسم
دون المعنى فقد كفر ، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ، ومن عبد المعنى
بايقاع الاسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه ، فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه
في سر أمره وعلايته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين حقاً .

(وابدء قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بالهك) فان المعونة انما منه تعالى ولا

يستعان الا به نجل وعلا «اياك نعبد واياك نستعين» .

(والرغبة اليه في توفيقك) قال شعيب «وما توفيقسي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب» (وترك كل شائبة) الشوائب الاقدار والادناس (أولجتك) أي أدخلتلك (في شبهة أو أسلمتكم الى ضلالة) ويقال «وقعوا في وادي تضلل» اذا هلكوا «وفلان ضل بن ضل» اذا لم يعرف هو وأبوه ، قال :

فان ابادكم ضل بن ضل وانا من ايسادكم براء
فاذا أيقنت ان صفا قلبك) من الكدورات (فخشع) لقبول الحق (وتم رأيك
فاجتمع) بدون شعث (و كأن همك في ذلك هما واحداً) بلا تفرق (فانظر ما
فسرت لك) لان الذين لا يؤثر فيهم كلام الحق انما هول عدم اجتماع الشرائط
فيهم من صفاء قلبهم واجتماع لبهم .

(وان أنت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك) بصفاء قلبك (وفراغ نظرك
وفكرك) و نظرت في المقاصد العالية والمعاني العلية (فاعلم انك انما تخبط
العشواء) كالناقة العشواء التي في بصرها ضعف فتخبط ولا تتوقى شيئاً في مشيها،
والاصل «تخبط خبط العشواء» فحذف المصدر ، وقد يحذف الفعل قال زهير:
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطيء يعمر فيهمرم
(وبتورط الظلماء) أي في الظلمة (وليس طالب الدين من خبط أو خلط)
«أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات
ليس بخارج منها» .

(والامساك عن ذلك أمثل) أي أقرب الى الحق بحكم العقل في مثله .
(فتفهم يا بني وصيتي واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة) «خلق الموت
والحياة ليلوكم أيكم أحسن عملاً» .

(وان الخالق هو الميت) «ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين * ثم جعلناه

نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * ثم انكم بعد ذلك لميتون» .

(وان المفني هو المعيد) «ثم انكم يوم القيمة تبعثون»، «لا يملكون لانفسهم نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حيوة ولا نشوراً» .

(وان المبتلى هو المعافي) «وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم» .

(وان الدنيا لم تكن لتستقر الا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء) في الكافي : روى ان قوماً من أصحابه عليه السلام خاضوا في التجوير والتعديل فخرج حتى صعد المنبر وقال : أيها الناس ان الله تعالى لما خلق خلقه أراد أن يكونوا على آداب رفيعة واخلق شريفة ، فعلم أنهم لم يكونوا كذلك الا بالامر والنهي ، وهما لا يجتمعان الا بالوعد والوعيد ، وهما لا يكونان الا بالترغيب والترهيب ، وهما لا يكونان الا بما تشتهيهم أنفسهم وتلد أعينهم ، وبضد ذلك فخلقهم في دار الدنيا وأراهم طرفاً من اللذات الخالصة التي لا يشوبها الم الا وهي الجنة واراهم طرفاً من الالام ليستدلوا به على ماورائهم من الالام الخالصة التي لا يشوبها لذة - ألا وهي النار- فمن أجل ذلك ترون نعيم الدنيا مخلوطاً بمحنها وسرورها ممزوجاً بغمومها .

(والجزاء في المعاد أو ما شاء مما لا نعلم) الظاهر كونه اشارة الى قوله تعالى « فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق * خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد * وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ » .

(فان أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به) قال جميل لبثينة :
بشين الزمي «لا» ان «لا» ان لزمته على كثرة السواشين أي معون
فانك أول ما خلقت جاهلاً ثم علمت) «والله أخر جكم من بطون أمهاتكم
لا تعلمون شيئاً» «وما أوتيتم من العلم الا قليلاً» .

وعن ابي جعفر عليه السلام ان موسى قال : يارب رضيت بما قضيت تميت
الكبير وتبقي الطفل الصغير. فقال تعالى : يا موسى أما ترضاني لهم رازقاً وكفيلاً
قال : بلى يارب ، فنعم الوكيل أنت ونعم الكفيل .

وفي المعجم : حضر محمد بن علي الواسطي وهو يرتعش من الكبر عزاء
طفل فتغامز عليه الحاضرون - يشيرون الى موت الطفل وطول حياته - فتفطن
لهم وقال :

إذا دخل الشيخ بين الشباب عزاء وقدمات طفل صغير
رأيت اعتراضاً على الله اذ توفي الصغير وعاش الكبير
فقل لابن شهر وقل لابن دهر وما بين ذلك هذا المصير

وفي توحيد المفضل قال الصادق عليه السلام : اتخذ الناس من الجهال
الافات الحادثة في بعض الازمان ذريعة الى جحود الخلق والخالق والعمد
والتدبير، وانكرت المعطلة والمانوية المكاره والمصائب والموت والفناء ،
فيقال في جواب من انكر هذه الافات كمثّل الوباء والبيرقان والبرد والجراد : انه
ان لم يكن خالق ومدبر فلم لا يكون ما هو اكثر من هذا وأقطع ، فمن ذلك أن
تسقط السماء على الارض وتهوى الارض وتذهب سفلاً وتتخلف الشمس عن
الطلوع أصلاً وتجف الانهار والعيون حتى لا يوجد ماء نلشفة وتركد الريح حتى
تخم الاشياء وتفسد ويفيض ماء البحر على الارض فيغرقها .

ثم هذه الافات التي ذكرناها من الوباء وما أشبهه ما بالها لاتدوم وتمتد

حتى تجتاح كل ما في العالم ، بل تحدث في الاحياء ثم لاتلبث أن ترفع ، أفلا ترى أن العالم يسان ويحفظ من تلك الاحداث الجليلة التي لو حدث عليه شيء منها كان فيه بواره ، ويلذع احياناً بهذه الافات اليسيرة لتأديب الناس وتقويمهم ثم لاتدوم هذه الافات بل تكشف عنهم عند القنوط منهم ، فيكون وقوعها بهم موعظة وكشفها عنهم رحمة .

وانكرت المانية أيضاً المكاره والمصائب التي تصيب الناس ، فكلاهما يقول ان كان للعالم خالق رؤف رحيم فلم تحدث فيه هذه الامور المكروهة ، والقاتل بهذا القول يذهب الى أنه يجب أن يكون عيش الانسان في هذه الدنيا صافياً من كل كدر ، ولو كان هكذا كان الانسان يخرج من العتو والاشر الى ما يصلح له في دين ولا دنياً ، كانذي ترى كثيراً من المترفين ومن نشأ في الجدة والامن يخرجون اليه ، حتى أن أحدهم ينسى أنه بشرواً أنه مربوب أو أن ضرراً يمسه أو أن مكروهاً ينزل به أو أنه يجب عليه أن يرحم ضعيفاً أو يواسي فقيراً أو يرثي لمبتلى أو يتحنن على ضعيف أو يتعطف على مكروب ، فاذا عضته المكاره ووجد مضضها اتعظ وأبصر كثيراً مما جهله وغفل ورجع الى كثير مما كان يجب عليه .

والمنكرون لهذه الامور المؤذية بمنزلة الصبيان الذين يذمون الادوية المرة البشعة ويتسخطون من منعهم من الاطعمة الضارة ويتكروهون الادب والعمل ويحبون أن يتفرغوا للهو والبطالة وينالوا اكل مطعم ومشرب ولا يعرفون ما تؤديهم اليه البطالة من سوء النشو والعادة وما تعقبهم الاطعمة اللذيذة الضارة من الادواء والاسقام ، ومالهم في الادب من الصلاح وفي الادوية من المنفعة .

وقد يتعلق هؤلاء بالافات التي تصيب الناس فتعم البر والفاجر ، أو يتلى به البر ويسلم الفاجر منها ، فقالوا : كيف يجوز هذا في تدبير الحكيم ؟ فيقال لهم : ان هذه الافات وان كانت تنال الصالح والطالح فانه تعالى جعل ذلك صلاحاً

للصنفين كليهما ، أما الصالحون فإن الذي يصيبهم من هذا يزيدهم نعم ربهم عندهم في سالف أيامهم فيحدوهم ذلك على الشكر والصبر ، وأما الطالحون فإن مثل هذا اذناهم كسر شررتهم وردعهم عن المعاصي والفواحش ، وكذلك يجعل لمن سلم منهم من الصنفين صلاحاً في ذلك ، أما الابرار فانهم يفتبطون بماهم عليه من البر والصلاح ويزدادون فيه رغبة وبصيرة ، وأما الفجار فانهم يعرفون رافة ربهم وتطوله عليهم بالسلامة من غير استحقاق ، فيحضهم ذلك على الرافة بالناس والصفح عن أساء اليهم .

ولعل قائل يقول هذه الافات التي تصيب الناس في أموالهم فما قولك فيما يتلون به في أبدانهم ، فيكون فيه تلفهم كمثل الحرق والغرق والسيل والخسف فيقال له : ان الله تعالى جعل في هذا صلاحاً للصنفين جميعاً ، اما الابرار فلما لهم في مفارقة هذه الدنيا من الراحة من تكاليفها والنجاة من مكارهها ، وأما الفجار فلما لهم في ذلك من تمحيص أوزارهم وحبسهم عن الازدياد منها .

وجملة القول ان الخالق تعالى ذكره بحكمته وقدرته قديصرف هذه الامور كلها الى الخير والمنفعة ، فكما أنه اذا قطعت الريح شجرة أخذها الصانع الرفيق واستعملها في ضرور من المنافع ، فكذلك يفعل المدبر الحكيم في الافات التي ينزل بالناس في أبدانهم وأموالهم ، فيصيرها جميعاً الى الخير والمنفعة .

فان قال: ولم تحدث على الناس ؟ قيل له : لكيلا بركنوا الى المعاصي من طول السلامة ، فيبالغ الفاجر في ركوب المعاصي ويفتر الصالح عن الاجتهاد في البر ، فان هذين الامرين جميعاً يغلبان على الناس في حال الخفض والدعة ، وهذه الحوادث التي تحدث عليهم تردعهم وتنبههم على ما فيه رشدهم ، فلو خلوا منها لغلوا في الطغيان والمعصية كما غلوا الناس في اول الزمان حتى وجب عليهم البوار بالطوفان وتطهير الارض منهم .

ومما ينتقده الجاحدون للعمد والتقدير الموت والفناء ، فانهم يذهبون الى أنه ينبغي أن يكون الناس مخلدين في هذه الدنيا مبرئين من هذه الافات ، فينبغي أن يساق هذا الامر الى غاية فينتظر ما محصوله ، أفرأيت لو كان كل من دخل العالم ويدخله يبقون ولا يموت أحد منهم ألم تكن الارض تضيق بهم حتى تعوزهم المساكن والمزارع والمعاش ، فانهم والموت يفنيهم أولاً فسأولا يتنافسون في المساكن والمزارع حتى تنشب بينهم في ذلك الحروب وتسفك منهم الدماء ، فكيف كانت حالهم لو كانوا يولدون ولا يموتون وكان يغلب عليهم الحرص والشهه وقساوة القلوب ، فلو وثقوا بأنهم لا يموتون لما قنع الواحد منهم بشيء يناله ولا أفرج لاحد عن شيء يسأله ولا سأل عن شيء مما يحدث عليه ، ثم كانوا يملون الحياة وكل شيء من أمور الدنيا ، كما قد يمل الحياة من طال عمره حتى يتمنى الموت والراحة من الدنيا .

فان قالوا : انه كان ينبغي أنه يرفع عنهم المكاره والاصاب حتى لا يتمنى الموت ولا يشتاقوا اليه . فقد وصفنا ما كان يخرجهم اليه من العتو والاشرا الحامل لهم على ما فيه فساد الدنيا والدين .

وان قالوا : انه كان ينبغي ألا يتوالدوا كيلا تضيق عنهم المساكن والمعاش . قيل لهم : اذن كان يحرم أكثر هذا الخلق دخول العالم والاستمتاع بنعمه تعالى ومواهبه في الدارين جميعاً اذ لم يدخل الا قرن واحد لا يتوالدون ولا يتناسلون . فان قالوا : انه كان ينبغي أن يخلق في ذلك القرن الواحد من الناس مثل ما خلق ويخلق الى انقضاء العالم . يقال لهم : رجع الامر الى ما ذكرنا من ضيق المساكن والمعاش عنهم .

ثم لو كانوا لا يتوالدون ولا يتناسلون لذهب موضع الانس بالقرابات وذوي الارحام والانتصار بهم عند الشدائد وموضع تربية الاولاد والسرور بهم ، ففي

هذا دليل على أن كل ما تذهب اليه الاوهام سوى ماجرى به التدبير خطا
وسفه من الراي والقول .

ولعل طاعناً يطعن على التدبير من جهة أخرى فيقول : كيف يكون ههنا
تدبير ونحن نرى الناس في هذه الدنيا من عز بز، فالقوي يظلم ويغصب
والضعيف يظلم ويسام الخسف ، والصالح فقير مبتلى والفاسق معافى موسع
عليه ، ومن ركب فاحشة أو انتهك محرماً لم يعاجل بالعقوبة ، فلو كان في
العالم تدبير لجرت الامور على القياس القائم ، فكان الصالح هو المرزوق والطالح
هو المحروم وكان القوي يمنع من ظلم الضعيف والمنتهمك للمحارم يعاجل
بالعقوبة. فيقال في جواب ذلك : ان هذا لو كان هكذا لذهب موضع الاحسان
الذي فضل به الانسان على غيره من الخلق ، وحمل النفس على البر والعمل
الصالح احتساباً للثواب وثقة بما وعد الله تعالى ، ولصار الناس بمنزلة الدواب
التي تساس بالعصا والعلف ويلمع فيها بكل واحد منها ساعة فساعة فتستقيم
على ذلك ، ولم يكن أحد يعمل على يقين بثواب أو عقاب ، حتى كان هذا
يخرجهم عن حد الانسانية الى حد البهائم ، ثم لا يعرف ما غاب ولا يعمل الا
على الحاضر من نعيم الدنيا ، وكان يحدث من هذا أن يكون الصالح انما يعمل
للرزق والسعة في هذه الدنيا ويكون الممتنع من الظلم والفواحش انما يكف
عن ذلك لترقب عقوبة تنزل به من ساعته حتى تكون أفعال الناس كلها تجري
على الحاضر لا يشوبه شيء من اليقين بما عند الله ولا يستحقون ثواب الآخرة
والنعيم الدائم فيها .

مع ان هذه الامور التي ذكرها الطاعن من الغنى والفقير والعافية والبلاء
ليست بجارية على خلاف قياسه ، بل تجري على ذلك أحياناً والامر المفهوم ،
فقد نرى كثيراً من الصالحين يرزقون المال بضروب من التدبير وكيلا يسبق

الى قلوب الناس أن الكفارهم المرزوقون والابرارهم المحرومون فيؤثرون
الفسق على الصلاح ، وتسرى كثيراً من الفساق يعاجلون بالعقوبة اذا تفاقم
طغيانهم وعظم ضررهم على الناس وعلى أنفسهم ، كما عوجل فرعون بالغرق
وبختنصر بالتيه وبلبيس بالقتل ، وان أمهل بعض الاشرار بالعقوبة وآخر بعض
الاخيار بالثواب الى الدار الاخرة لاسباب تخفى على العباد . ولم يكن هذا
مما يبطل التدبير ، فان مثل هذا قد يكون من ملوك الارض ، ولا يبطل تدبير بل
يكون تأخيرهم ما أخروه وتعجيلهم ما عجلوه داخل في صواب الرأي والتدبير .
واذا كانت الشواهد تشهد وقياسهم يوجب أن يكون للاشياء خالق حكيم
قادر فما يمنعه أن يدبر خلقه ، فانه لا يصلح في قياسهم أن يكون الصانع جل صنعته
الاباحدى ثلاث خلال : اما عجز ، واما جهل ، واما شرارة . وكل هذا محال في صفته
عز وجل . وذلك أن العاجز لا يستطيع أن يأتي بهذه الخلائق العجيبة ، والجاهل
لا يهتدي لما فيها من الصواب والحكمة . والشريير لا يتناول لخلقها وانشائها .
واذ كان هذا هكذا وجب أن يكون الخالق لهذه الخلائق يدبرها لامحالة ،
وان كان لا يدرك كنه ذلك التدبير ومخارجه ، فان كثيراً من تدابير الملوك لا تعرفه
العامّة ولا تعرف أسبابه ، لانها لا تعرف دخيلة امر الملوك وأسرارهم ، فاذا عرف
سببه وجد قائماً على الصواب وشاهداً لمحنه .

ولو شككت في بعض الادوية والاطعمة فتبين لك من جهتين أو ثلاث انه
حار أو بارد ، ألم تكن تقضي عليه بذلك وتنفي الشك فيه عن نفسك ، فما بال
هؤلاء الجهلة لا يقضون على العالم بالخلق والتدبير مع هذه الشواهد الكثيرة
واكثر منها مما لا تحصى كثرة .

ولو كان نصف العالم وما فيه مشكلاً بصوابه لما كان من حزم الرأي وسمت
الادب أن يقضي على العالم بالاهمال ، لانه كان في النصف الآخر وما يظهر

فيه من الصواب والاتقان ما يردع الوهم عن التسرع الى هذه القضية ، كيف وكل ما فيه اذا فتش وجد على غاية الصواب ، حتى لا يخطر بالبال شيء الا وجد ما عليه الخلقة أصح وأصوب منه .

واعلم يا مفضل أن اسم هذا العالم بلسان اليونانية الجارية المعروف عندهم قوسموس وتفسيره الزينة ، وكذلك سمته الفلاسفة ومن ادعى الحكمة ، أفكانوا يسمونه بهذا الاسم الا لما رأوا فيه من التقدير والنظام ، فلم يرضوا أن يسموه تقديراً ونظاماً حتى سموه زينة ليخبروا أنه مع ما هو عليه من الصواب والاتقان على غاية الحسن والبهاء .

أعجب يا مفضل من قوم لا يقضون على صناعة الطب بالخطأ وهم يرون الطبيب يخطيء ويقضون على العالم بالاهمال ولا يرون شيئاً مهماً ، بل أعجب من اخلاق من ادعى الحكمة وجهلوا مواضعها في الخلق فأرسلوا ألسنتهم بالدم للخالق جل وعلا ، بل العجب من المخذول حين ادعى علم الاسرار وعمي عن دلائل الحكمة في الخلق حتى نسبه الى الخطأ ونسب خالقه الى الجهل ، تبارك الحكيم الكريم .

(وما أكثر ما تجهل من الامر ويتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك) كما اتفق لموسى عليه السلام من جهله وتحيره وعدم بصره بحكمة اعمال الخضر من خرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار .

في الكافي عن الصادق عليه السلام قال : في كتاب علي « ع » ان داود قال : يا رب أرني الحق كما هو عندك حتى أقضي به . فقال : انك لا تطيق ذلك ، فألح على ربه حتى فعل ، فجاءه رجل يستدعي على رجل انه أخذ ماله ، فأوحى الى داود ان هذا المستدعي قتل أبا هذا وأخذ ماله ، وأمر داود بالمستدعي فقتل وأخذ ماله فدفعه الى المستدعي عليه ، فعجب الناس وتحدثوا حتى بلغ داود ودخل

عليه من ذلك ماكره ، فدعا ربه أن يرفع ذلك ففعل ، ثم أوحى اليه أن احكم بينهم بالبينات واضفهم الى اسمي يحلفون .

وعن أبي جعفر عليه السلام : ان داود سأل ربه أن يريه قضية من قضايا الآخرة فأوحى تعالى اليه ان الذي سألتني لم أطلع عليه أحداً من خلقي ولا ينبغي لاحد أن يقضي به غيري ، فلم يمنعه ذلك أن عاد في سؤاله ، فأتاه جبرئيل وقال له : لقد سألت ربك شيئاً لم يسأله قبلك نبي ولا ينبغي لاحد أن يقضي به غير الله قد أجاب الله دعوتك وأعطاك ما سألت ، ان أول خصمين يردان عليك غداً القضية فيهما من قضايا الآخرة ، فلما أصبح داود عليه السلام أتاه شيخ متعلق بشاب ومع الشاب عنقود من عنب ، فقال الشيخ : ان هذا الشاب دخل بستاني وخرب كرمي وأكل منه بغير اذني وهذا العنقود أخذه بغير اذني . فقال داود للشاب : ماتقول : فأقر الشاب أنه قد فعل ذلك ، فأوحى اليه تعالى اني ان كشفت لك عن قضية من قضايا الآخرة فقضيت بها بين الشيخ والگلام لم يحتملها قلبك ولم يرض بها قومك ، يا داود ان هذا الشيخ اقتحم على أبي هذا الغلام في بستانه فقتله وغصب بستانه وأخذ منه أربعين ألف درهم فدفنها في جانب بستانه فادفع الى الشاب سيفاً وأمره أن يضرب عنق الشيخ وادفع اليه البستان ومره أن يحفر في موضع كذا وكذا ويأخذ ماله ففزع من ذلك داود وجمع اليه علماء أصحابه وأخبرهم الخبر وأمضى القضية على ما أوحى تعالى اليه .

وعن عجائب المخلوقات : ان موسى عليه السلام اجتاز بعين ماء في سفح جبل فنوضاً منها ثم ارتقى الجبل ليصلي اذا قبل فارس فشرب من ماء العين وترك عنده كيساً فيه دراهم وذهب ماراً ، فجاء بعده راعي غنم فرأى الكيس فأخذه ومضى ، ثم جاء بعده شيخ عليه اثر البؤس وعلى رأسه حزمة حطب فوضعها هناك ثم استلقى ليسترىح ، فما كان الا قليلا حتى عاد الفارس فطلب كيسه فلم

بجده ، فأقبل على الشيخ يطالبه به فلم يزل يضربه حتى قتله ، فقال موسى : يارب
كيف العدل في هذه الامور . فأوحى الله تعالى اليه : ان الشيخ كان قتل أبا الفارس
وكان على أبي الفارس دين لابي الراعي مقدار ما في الكيس ، فجري بينهما
القصاص وقضى الدين وأنا حكم عادل .

(فاعتصم بالذي خلقك) « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ،
« واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » ، « يا أيها الناس قد
جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً * فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا
به فسيدخلهم ربهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطاً مستقيماً » ، « ومن
يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم » .

(ورزقك) « الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من
شركائكم من يفعل ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون » .

(وسواك) « ونفس وما سواها * فآلهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من
زكاها * وقد خاب من دساها » .

(وليكن تعبدك واليه رغبتك ومنه شفقتك) ، أي خوفك ، وتقديم الظرف
في الثلاثة المحصر ، وانه لا يجوز التعبد لغيره ولا الرغبة الى غيره ولا الشفقة
من غيره تعالى .

هذا ، وقال الجوهري : قال ابن دريد شفقت واشفقت بمعنى ، وأنكره
أهل اللغة .

قلت : بل نقل ذلك عن بعض وأنكره فقال : زعم قوم أن شفقت وأشفقت
بمعنى ، وأنكره جل أهل اللغة وقالوا لا يقال الا أشفقت فأنا مشفق ، فأما قول الشاعر :

فاني ذو محافظة ابي كما شفقت للزاد العيال

فذاك بمعنى بخلت وضنت .

(واعلم يا بني ان أحداً لم ينبيء) أي لم يخبر (عن الله) هكذا في المصرية
بلازيادة ، والصواب زيادة « سبحانه » كما في « حد » و « ثم » والخطية .
(كما انبأ عنه الرسول) هكذا في المصرية والصواب « نبينا » كما في « حد »
و « ثم » والخطية ، « وما ينطق عن الهوى * ان هو الا وحي يوحى » ، « ولو
تقتول علينا بعض الاقاييل * لاخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين » .
(فارض به رائداً) وفي المثل « لا يكذب الرائداهله » ، والرائد من يرسل
في طلب الكلاء .

(والى النجاة قائداً) « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم
من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله » .

(فاني لم آلك نصيحة) أي لم أقصرلك في النصيحة .
(وانك لن تبلغ في النظر لنفسك وان اجتهدت مبلغ نظري لك) فان من
المعلوم أن ابنه ابن الحنفية - على الاصح في كون الوصيه اليه - كان ناقص
الاستعداد بمراتب عنه عليه السلام حسب الفرق بين الامام وغيره .
الى أن قال (يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فأحب لغيرك
ما تحب لنفسك) في موفقيات زبير بن بكار عن المدائني قال سلمة بن زياد لطلحة
ابن عبد الله الخزاعي: أريد أن أصل رجلا له حق علي وصحبة بألف ألف درهم
فما ترى ؟ قال : أرى أن تجعل هذه العشر . قال : فأصله بخمسمائة ألف . قال :
كثير . فلم يزل حتى وقف على مائة ألف . قال : أفترى مائة ألف يقضي بها
ذمام رجل له انقطاع وصحبة ومودة وحق واجب ، قال : نعم . قال : هي لك
وما أردت غيرك . قال : أقلني . قال : لأفعل والله .

وفي الطبري: ذكر عن عبد الله بن مالك قال : كنت أتولى الشرطة للمهدي
- وكان المهدي يبعث الى ندماء الهادي ومغنيه ويأمرني بضرهم وكان الهادي

يسألني الرفق بهم والترفيه لهم ولا التفت الى ذلك وأمضي لما أمرني به المهدي
 - فلما ولي الهادي الخلافة أيقنت بالتلف، فبعث الي يوماً فدخلت عليه متكفناً
 متحنطاً واذا هو على كرسي والسيف والنطع بين يديه ، فسلمت فقال : لا لم
 الله على الآخر ، تذكر يوماً بعثت اليك في أمر الحراني وما أمر به ابي من ضربه
 وحبسه فلم تجبني - وفي فلان وفلان - وجعل يعدد ندماءه ، فلم تلتفت الي
 قولي ولاأمري . قلت : نعم افتأذن لي في استيفاء الحجة . قال: نعم . قلت :
 ناشدتك بالله أيسرك انك وليتني ما ولاني أبوك فأمرتني بأمر فبعث الي بعض
 بنيك بأمر يخالف به أمرك فاتبعت امره وعصيت أمرك . قال : لا . قال : فكذلك
 أنا لك وكذا كنت لابيك ، فاستدناني فقبلت يده فأمر بخلع فصبت علي وقال:
 وليتك ما كنت تتولاه .

(واكره له ما تكره لها) في عيون القتيبي قال الرياشي : كان ابو ذؤيب
 يهوى امرأة من قومه - وكان رسوله اليها رجلاً يقال له خالد بن زهير - فخانها
 فيها فقال ابو ذؤيب :

تريدن كيما تجمعيني و خالداً وهل تجمع السيفان ويحك في غمد

أخالدا ما راعيت مني قرابة فتحفظني بالغيب أو بعض ماتبدي

وكان ابو ذؤيب خان فيها ابن عم له يقال له مالك بن عويمر ، فأجابه خالد :

فلاتجزعن من سيرة أنت سرتها وأول راض سنة من يسيرها

ألم تنتقدها من ابن عويمر وأنت صفى نفسه و وزيرها

(ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم) في الخبر: أفضل الجهاد من أصبح لايهم

بظلم احد ، والمسلمون من سلم المسلمون من يده ولسانه ، ومن ظلم ظلم ،

«وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون» .

وفي المعجم قال احمد بن عبيد بن ناصح : لما أراد المتوكل أن يعقد

للمعتز ولايته حططته عن مرتبته قليلا وأخرت غداه عن وقته ، فلما كان وقت الانصراف قلت : احمله فضربته من غير ذنب ، فكتب بذلك السى المتوكل ، فأنا في الطريق منصرفاً اذ لحقني صاحب رسالته فقال: الخليفة يدعوك، فدخلت عليه وهو جالس على كرسي والغضب بين في وجهه والفتح قائم بين يديه متكئاً على السيف ، فقال : ما هذا الذي فعلته . قلت : أقول . فقال : انما سألتك لتقول . قلت: لما بلغني ما عزم عليه الخليفة فدعوت ولي عهده وحططت منزلته ليعرف هذا المقدار من الحط فلا يعجل بزوال نعمة أحد، وأخرت غداه ليعرف هذا المقدار من الجوع فاذا شكى اليه الجوع عرف ذلك ، وضربته من غير ذنب ليعرف مقدار الظلم فلا يعجل على أحد . فقال : أحسنت وأمرلي بعشرة آلاف درهم ، ثم لحقني رسول قبيحه بعشرة آلاف أخرى ، فانصرفت بعشرين ألف .

قلت: ونقل نظيره عن معلم انوشروان معه في صباوته .

(وأحسن كما تحب أن يحسن اليك) في الخبر جاء أعرابي الى النبي «ص» فأخذ بغرز راحلته وقال: علمني شيئاً أدخل به الجنة . فقال النبي له : ما أحببت ان يأتيه الناس اليك فأنه اليهم خل سبيل الراحلة «ان الله لا يضيع أجر المحسنين» «ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون» .

(واستقمح من نفسك ما تستقمح من غيرك) قال أبو عبد الله عليه السلام :

أما يخشى الذين ينظرون في أدبار النساء ان يبتلوا بذلك في نساءهم .

(وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك) عن المفضل قال لى أبو عبد الله

عليه السلام: أتدري لم قيل من يزن يوماً يزن به ؟ قلت: لا . قال: كانت بغي في بنى اسرائيل وكان فيهم رجل يكتر الاختلاف اليها ، فلما كان في آخر ما أتاها أجرى الله على لسانها اما انك سترجع الى أهلك فتجد معها رجلاً ، فخرج وهو خبيث

النفس ، فدخل منزله على غير الحال التي كان يدخله قبل دخل بغير اذان فوجد على فراشه رجلا ، فارتفعا الى موسى عليه السلام فنزل جبرئيل وقال : يا موسى من يزن يوماً يزن به . فنظر موسى اليهما فقال : عفواتعف نساؤكم .

وفي الاغاني عن ميمون بن هرون قال : كان محمد بن عبد الملك الزيات يقول : الرحمة خورفي الطبيعة وضعف في المنة ، مارحمت شيئاً قط . فلما وضع في الثقل والحديد قال ارحموني ، فقائلوا له : وهل رحمت شيئاً قط فترحم ، هذه شهادتك على نفسك وحكمك عليها .

وفيه عن الاصمعي : قدم رجل من أهل اليمن مكة فسمع امرأة عبدة الله بن العباس تندب ابنها اللذين قتلها بسر بقولها :

يا من أحس با بنى اللذين هما كالدرتين تشظي عنهما الصدف
فرق لها واتصل ببسر حتى وثق به ثم احتال لقتل ابنه ، فخرج بهما الى وادي أوطاس فقتلها وهرب وقال :

يا بسر بسر بني اوطاس ما طلعت شمس النهار ولا غابت على الناس
خير من الهاشميين الذين همو عين الهدى وسهام الاسوق القاس
ماذا أردت الى طفلي مولهه تبكي وتنشد من أنكلت في الناس
أما قتلتهما ظلماً فقد شرقت من صاحبك قناتي يوم أوطاس
فاشرب بكأسهما نكلا كما شربت أم الصبيين أوداق ابن عباس

وقال تعالى « فليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً » .

(ولا تقل ما لا تعلم وان قل ما تعلم) « أتقولون على الله ما لا تعلمون » .
(ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك) في المعجم كان ابونزار ملك النحاة اذا ذكر عنده أحد النحاة يقول : كلب من الكلاب . فقال له رجل يوماً : فلست اذن ملك النحاة ، انما أنت ملك الكلاب ، فاستشاط غضباً وقال : اخرجوا

عني هذا الفضولي .

وفي الخصال عنه عليه السلام قال لبنيه: اياكم ومعاداة الرجال فانهم لا يخلو
من ضربين من عاقل يمكركم أو جاهل يعجل عليكم ، والكلام ذكر والجواب
أنشى ، فاذا اجتمع الزوجان فلا بد من النتاج ، ثم أنشأ يقول :

سليم العرض من حذر الجوابا و من دارى الرجال فقد أصابا

و من هاب الرجال تهيبوه و من حقر الرجال فلن يهابا

وفي الاغاني : بعث بشار يوماً الى صديق له يقال ابو زيد يطلب منه ثياباً
بنسيئة ، فلم يصادفها عنده ، فقال يهجوهُ :

الا ان أبا زيد زنى في ليلة التندر

ولم يرع تعالى الله ربه حرمة الشهر

و كتبها في رقعة وبعث بها اليه ، ولم يكن ابو زيد ممن يقول الشعر ، فقلبها
وكتب في ظهرها :

ألا ان أبا زيد له في ذلكم عذر

اتته أم بشار و قد ضاق به الامر

فوائبها و جامعها و ما ساعدها الصبر

فلما قرىء على بشار غضب وندم على تعرضه لرجل لانباهة له ، فجعل ينطح
الحائط برأسه غيظاً ثم قال : لاتعرضت لهجاء سفلة مثل هذا أبداً .

وفيه كان عبدالله بن الحسن الاصبهاني يخلف عمرو بن مسعدة على ديوان
الرسائل ، فكتب الى خالد بن يزيد : ان الخليفة المعتصم ينفخ منك من غير
فحم ويخاطب امرءاً غير ذي فهم . فقال محمد بن عبد الملك الزيات : هذا
كلام ساقط سخيف ، جعل الخليفة ينفخ بالزق كأنه حداد وأبطل الكتاب . ثم
كتب ابن الزيات الى عبدالله بن طاهر : أنت تجري أمرك على الاربح فالاربح

والارجح فالارجح ، لاتسعى بنقصان ولا تميل برجحان . فقال الاصبهاني : الحمد لله قد أظهر من سخافة اللفظ ما دل على رجوعه الى صناعته من التجارة بذكره ربح السلع ورجحان الميزان ونقصان الكيل والخسران من رأس المال ، فضحك المعتصم وقال : ما اسرع ما انتصف الاصبهاني منه .

وفي الخبر: ورد الزهري وهو كتيب 'على السجاد عليه السلام فقال له : ما لك ؟ قال : هموم تتوالى علي من جهة حساد نعمتي وممن أحسنت اليه فتخلف ظني . فقال عليه السلام له : احفظ عليك لسانك تملك به اخوانك ، واياك أن تعجب بنفسك ، واياك أن تتكلم بما يسبق الى القلوب انكاره وان كان عندك اعتذاره ، فليس كل من تسمعه نكراً يمكنك أن توسعه عذراً. ثم قال له عليه السلام: من لم يكن عقله من اكمل ما فيه كان هلاكه من ايسر ما فيه ، وما عليك أن تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك، فتجعل كبيرهم بمنزلة والدك وصغيرهم بمنزلة ولدك وتربك بمنزلة أخيك ، فأى هؤلاء تحب أن تظلمه وأي هؤلاء تحب أن تدعوا عليه وأي هؤلاء تحب أن تهتك ستره ، وان عرض لك ابليس بأن لك فضلا على أحد فانظر ان كان أكبر منك فقل سبقني بالايمان والعمل الصالح فهو خير مني ، وان كان أصغر منك فقل ذنبي اكثر منه ، وان كان تربك فقل أنا على يقين من ذنبي وفي شك من أمره فمالي ادع يقيني لشكى .

يا زهري ان رأيت المسلمين يعظمونك فقل هذا فضل أخذوا به ، وان رأيت منهم جفاء وانقباضاً عنك فقل هذا لذنوب أحدثته ، فانك اذا فعلت ذلك سهل الله عيشك وكثر أصدقاؤك وقل أعداؤك وفرحت بما يكون من برهم ولم تأسف على ما يكون من جفائهم .

واعلم ان اكرم الناس على الناس من كان خيره عليهم فائضاً وكان عنهم مستغنياً متعافياً ، واکرم الناس عليهم بعده من كان عنهم متعافياً وان اليهم محتاجاً

فانما أهل الدنيا يعتقون الاموال فمن لم يزاحمهم فيما يعتقونه كرم عليهم ومن لم يزاحمهم فيها ومكّنتهم من بعضها كان الاعز عليهم واكرم .

وعن الصادق عليه السلام : عليكم بتقوى الله والورع والاجتهاد وصدق الحديث وأداء الامانة وحسن الخلق وحسن الجوار، وكونوا دعاة الى أنفسكم بغير ألسنتكم .

وعنه عليه السلام صاحب علي « ع » ذمياً فقال له الذمي : يا عبدالله أين تريد؟ قال : الكوفة ، فلما عدل الطريق بالذمي عدل « ع » معه ، فقال له الذمي ألسنت قلت أريد الكوفة . قال : بلى . قال : فقد تركت الطريق . فقال قد علمت قال : فلم عدلت معي وقد علمت ذلك . قال : من تمام حسن الصحبة أن يشيع الرجل أخاه هنيهة اذا فارقه ، هكذا أمرنا نبينا . فقال : هكذا أمر نبيكم ، لاجرم انما تبعه من تبعه لافعاله الكريمة ، وأنا اشهدك اني على دينك ، فرجع الذمي مع علي « ع » فلما عرفه أسلم .

وعن زكريا بن آدم قلت للصادق عليه السلام : اني كنت نصرانياً وان ابي وامي على النصرانية وامي مكفوفة البصر أكرن معهم و آكل في آنتهم . قال عليه السلام : يأكلون لحم الخنزير؟ قلت : لا ولا يمسونه . فقال : لا بأس ، وانظر أمك فبرها ، ثم ذكر أنه زادني برها على ما كان يفعل وهو نصراني ، فسألته فأخبرها ان امامه أمره بذلك ، فأسلمت .

(واعلم ان الاعجاب) أي العجب بالنفس (ضد الصواب وآفة الالباب) في عيون القتيبي قيل لرجل من بني عبدالدار: ألا تأتي الخليفة . قال أخشى أن لا يحمل الجسر شرفي . وقيل له : ألبس شيئاً فان البرد شديد . فقال : حسبي يدفئني ومد أعرابي يده في الموقف وقال : اللهم ان كنت تسرى يداً اكرم منها

فاقطعها .

وكان جذيمة الابرش سمي بذلك لبرص فيه ، فقالوا الابرش خوفاً منه ،
كان لا ينادم أحداً ذهاباً بنفسه وقال : أنا أعظم من أن أنادم الا الفرقدين ، فكان
يشرب كأساً ويصب لكل واحد منهما في الارض كأساً .
(فاسع في كدحك) قال « حد » الكدح هنا المال الذي كدح في حصوله
والسعي فيه انفاقه ، وهذه كلمة فصيحة .

قلت : هو كما تري ، وكيف كان فقد قال تعالى « يا أيها الانسان انك كادح
الى ربك كدحاً فملاقيه * فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً *
وينقلب الى أهله مسروراً * وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثوراً *
ويصلى سعيراً * انه كان في أهله مسروراً * انه ظن أن لن يحور * بلى ان ربه
كان به بصيراً » .

وقال الزمخشري : الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها
من « كدح جلده » اذا خدشه ، ومنه « كادح الى ربك » جاهد الى لقاء ربك ،
وهو الموت وما بعده .

(ولا تكن خازناً لغيرك) بجمع المال وتركه للوارث ، ولذا اقالوا « الناس
أموال غيرهم أحب اليهم من أموالهم » لان مالهم ما قدموه وأما ما خلفوه فمال غيرهم .
وفي الطبري : لمامات هشام أغلق الخزان الابواب ، فطلبوا قممماً يسخن
فيه الماء لغسله فما وجدوه حتى استعاروا قممماً من بعض الجيران ، فقال بعض
من حضر : ان في هذا لمعتبراً .

وفيه قال عقاب بن شبة : دخلت على هشام وعليه قباء فنك أخضر ، فوجهني
الى خراسان وجعل يوصيني وأنا أنظر الى القباء ، ففتن فقال : هو ذاك مالي قباء
غيره ، وأما ماترون من جمعي هذا المال وصونه فانه لكم .
وفيه كان الوليد بن يزيد أيام هشام خرج فتزل بالازرق على ماء يقال له

« الاغدف » وخلف كاتبه عياض بن مسلم بالرصافة ليكتب له بما يحدث ، فلما أتته البشارة بموت هشام وصيرورته خليفة سأل عن كاتبه عياض فقيل له : لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمر الله ، فلما صار في حد لا ترجى فيه الحياة لمثله أرسل عياض الى الخزان أن احتفظوا بما في أيديكم فلا يصلن أحد منه الى شيء ، وأفانق هشام أفانق فطلب شيئاً فمنعوه ، فقال : أرانا كنا خزاناً للوليد ، ومات من ساعته وخرج عياض من السجن فختم أبواب الخزائن وأمر بهشام فأنزل عن فرشه فما وجدوا له قممًا يسخن له فيه الماء حتى استعاروه ، ولا وجدوا كفنًا من الخزائن فكفنه غالب مولى هشام .

(واذا كنت) هكذا في المصرية والصواب « انت » كما في « حد » و « ثم » والخطية (هديت لقصدي فكأن أخشع ما تكون لربك) في الخبر أوحى تعالى الى موسى عليه السلام : أتدري لم خصصتك بوحىي وكلامي . قال : لا . قال : اني اطلعت الى خلقي اطلاعة فلم أرفيهم أشد تواضعاً منك ، وكان موسى اذا صلى لا يفتل حتى يلصق خده الايمن والايسر بالارض .

(واعلم أن أمامك طريقاً ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة وانه لاغنى لك) هكذا في المصرية والصواب « بك » كما في « حد » و « ثم » والخطية (فيه عن حسن الارتباد) أي طلب الكلاء (وقدر بلاغك من الزاد) .

في عيون ابن قتيبة : أراد قوم سفرأ فحاروا عن الطريق وانتهوا الى راهب منفرد في ناحية ، فنادوه فأشرف عليهم فقالوا : انا ضللنا فكيف الطريق . فقال لهم : ههنا - وأومى الى السماء - فعلموا الذي أراد ، فقالوا : اناسائلوك أفتجبنا أنت . قال : سلوا ولا تكثرؤا ، فان النهار لن يرجع والعمر لن يعود والطالب حثيث في طلبه ذواجتهاد . قالوا : ما الخلق عليه غداً عند مليكهم ؟ فقال : على نياتهم . فقالوا : فالى م المؤمل ؟ قال : الى المقدم . قالوا : أوصنا . قال :

تزدوا على قدر سفركم، فان خير الزاد ما بلغ المحل، ثم أرشدهم الى المحجة وانقمع .

(مع خفة الظهر فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك) والمراد حمل أوزار الذنوب وأنقال الاثام لا حمل المال كما توهمه « حد » ، قال تعالى « ولا تزر وازرة وزر أخرى * » وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى » ، « من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً وساء لهم يوم القيامة حملاً » ، « حتى اذا جائتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم الاساء ما يزون » .

(واذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيامة فيوافيك به غداً حيث تحتاج اليه فاغتنمه وحمله وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه فلعلك تطلبه فلا تجده) والمراد الانفاق في سبيل الله ، وكان جعفر الطيار من كثرة انفاقه على أهل الفاقة يسمى أبا المساكين ، كما أن زينب بنت خزيمة - أحد أزواج النبي - أيضاً لذلك تسمى أم المساكين .

وروى العليل ان الزهري رأى علي بن الحسين عليه السلام في ليلة باردة مطرة وعلى ظهره دقيق وخطب وهو يمشي ، فقال له : يا ابن رسول الله ما هذا؟ قال : أريد سफراً أعد له زاداً أحمله الى موضع حرير . فقال الزهري : فهذا غلامي يحمل عنك ، فأبى فقال : أفأحملك عنه فاني أرفعك عن حمله . فقال عليه السلام : لكنني لا أرفع نفسي عما ينجيني في سفري ويحسن ورودي على ما أرد عليه ، أسألك بحق الله لما مضيت لحاجتك وتركتني ، فانصرف عنه . فلما كان بعد أيام قال له : يا ابن رسول الله لست أرى لذلك السفر الذي ذكرته أثراً . قال : بلى يا زهري ، ليس ما ظننته ولكنه الموت رله أستعد ، والاستعداد

له تجنب الحرام وبذل الندى .

وروى أيضاً أنه عليه السلام لما وضع على السرير ليغسل نظراً الى ظهره
وعليه مثل ركب الابل مما كان يحمل على ظهره الى منازل المساكين .
(واغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك)
في الخبر: اغتنم شبابك قبل هرمك ، وفراغك قبل شغلِكَ ، وصحتك قبل سقمك
وحياتك قبل موتك ، وغناك قبل فقرك .

(واعلم أن أمامك عقبة كؤوداً) أي شاقة المصعد (المخف فيها أحسن حالا
من المثقل والبطيء) هكذا في المصرية والصواب « والمبطيء » كما في « حد »
و« ثم » والخطية (عليها أقبح حالا) هكذا في المصرية والصواب « أمراً » كما
في « حد » و« ثم » (من المسرع وان مهبطك بها) هكذا في المصرية والصواب
« مهبطها بك » كما في « حد » و« ثم » (لا محالة) أي بلا حيلة (على جنة أو على
نار) هكذا في المصرية ولكن في « ثم » أونار ، وفي « حد » اما على جنة أو
على ناسار .

في اعتقادات الصدوق : وأما العقبات التي على الجسر فاسمها اسم فرض
وأمر ونهي ، فمتى انتهى الانسان الى عقبة اسم فرض وكان قد قصر في ذلك
الفرض حبس عندها وطولب بحق الله فيها ، فان خرج منها بعمل صالح قدمه
أوبرحمة تداركته نجا منها الى عقبة أخرى ، فلا يزال يدفع من عقبة الى أخرى
ويحبس عند كل عقبة فيسأل عما قصر فيه من معنى اسمها ، فان سلم من جميعها
انتهى الى دار البقاء فيحیی حياة لا موت فيها أبداً وسعد سعادة لا شقاوة معها
أبداً ، وسكن جوار الله مع أنبيائه وحججه والصديقين والشهداء والصالحين
من عباده ، وان حبس في عقبة فطولب بحق قصر فيه ان لم ينجه عمل صالح
قدمه ولا أدركته من الله رحمة زلت به قدمه عن العقبة وهوى في جهنم .

(فارتد) من راد الكلاء وارتاده أي طلبه (ووطىء المنزل) يقال وطأت الفراش أي جعلته وطياً (قبل حلوله) حتى لا يحصل لك تعب بعده (فليس بعد الموت مستعيب) أي استرضاء «فإن يصبروا فالنار مشوى لهم وإن يستعيبوا فما هم من المعتبين» ، وإنما الاستعاب في الدنيا .

وفي الكافي عن أبي جعفر عليه السلام : إن الشمس لتطلع ومعها أربعة أملاك ، ملك ينادي يا صاحب الخيراتم وأبشر ، وملك ينادي يا صاحب الشر انزع واقصر - الخبر .

(ولا إلى الدنيا منصرف) « قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هوقائلها » .

(واعلم أن الذي بيده خزائن السموات والأرض) « ولله خزائن السموات ولكن المنافقين لا يفقهون » (قد أذن لك في الدعاء وتكلف لك بالاجابة) « ادعوني أستجب لكم » ، « وإذا سئلك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » (وأمرك إن تسأله فيعطيك وتسترحمه ليرحمك) قال النمر بن تولب :

ومتى تصبك خصاصة فارج الغنى والى الذي يهب الرغائب فارغب
وفى الدعاء « الحمد لله الذي أسأله فيعطيني وإن كنت بخيلاً حين يستقرضني » .

وعن النبي «ص» : لا يزيد في العمر إلا البر ، ولا يرد القدر إلا الدعاء .
(ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه) في المروج كتب ابن الحنفية إلى عبد الملك : إن الحجاج قد قدم بلادنا وأحب ألا تجعل له علي سلطاناً بيد ولا لسان . فكتب عبد الملك إلى الحجاج : إن محمد ابن علي كتب الي يستعفينى منك وقد أخرجت يدك عنه فلم أجعل لك عليه سلطاناً بيد ولا لسان فلا تتعرض له ، فلقى الحجاج ابن الحنفية في الطواف

فعض على شفته ثم قال : لم يأذن لي فيك الخليفة . فقال له محمد : ويحك
أوما علمت ان الله تعالى في كل يوم وليلة ثلاثمائة وستين لحظة - أوقال نظرة -
لعله أن ينظر اني منها بنظرة - أوقال بلحظة - فيرحمني فلا يجعل لك علي
سلطاناً بيد ولا لسان. فكتب بها الحمجاج الى عبد الملك ، فكتب بها عبد الملك
الى ملك الروم وقد كان تّوعدّه ، فكتب اليه ملك الروم ليست هذد من سجيتك
ولاسجية آباتك ، ما قالها الا نبي أو رجل من أهل بيت نبي .

(ولم يمنعك ان اسأت من التوبة) « هو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو
عن السيئات » .

(ولم يعاحلك بالنقمة) « ولويؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها
من دابة » .

(ولم يعيرك بالانابة) الباء فيه بمعنى «في» ، أي لم يعيرك وقت انابتك اليه
لم عصيته .

(ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى) هكذا في المصرية والصواب
«حيث تعرضت للفضيحة» كما في «حد» و«ثم» وكذا الخطية .

ورد في الدعاء : يا من أظهر الجميل ، وستر القبيح ، يا من لم يؤاخذ
بالجريرة ولم يهتك الستر .

(وام يشدد عليك في قبول الانابة) «ويهدي اليه من أناب» ، «واتبع سبيل
من أناب الي» .

(ولم يناقشك) في الصحاح المناقشة الاستقصاء في الحساب، وفي الحديث
« من نوقش في الحساب عذب » (بالجريمة) أي بالذنب (ولم يؤيسك من
الرحمة) «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله
يغفر الذنوب جميعاً» ، (ولا تأيسوا من روح الله انه لا يأس من روح الله الا

القوم الكافرون» .

(بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة) «والذين لا يدعون مع الله الهاً آخرو ولا يقتلون النفس التي حرم الله بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهاناً * الا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات» .

(وحسب سيئتك واحدة وحسب حسنتك عشرأ) «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون» .

(وفتح لك باب المتاب) «ومن تاب وعمل صالحاً فانه يتوب الى الله متاباً» (وباب الاستيعاب) هكذا في المصرية والصواب «الاستعتاب» كما في «ثم» ، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات» .

وفي الخبر: ان آدم عليه السلام قال: يارب سلطت علي الشيطان وأجرته مني مجرى الدم ، فقال: يا آدم جعلت لك أن من هم من ذريتك بسيئة لم تكتب عليه فان عملها كتبت عليه . ومن هم منهم بحسنة فان هولم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشرأ . قال : يارب زدني . قال: جعلت لك أن من عمل سيئة ثم استغفر غفرت له. قال: يارب زدني. قال: جعلت لهم التوبة حتى تبلغ النفس هذه . (فاذا ناديته سمع نداءك واذا ناجيته علم نجواك) «يعلم السر وأخفى» ، «قدسمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاور كما ان الله سميع بصير» .

(فأفضيت اليه بحاجتك) أي خصصته باظهار حاجتك له (وابتثته) أي نشرت له (ذات نفسك) أي مقاصدك . وقال السجستاني « ذات الصدور » أي حاجة الصدور .

قلت : وكلامه ليس بمطرد ، فانه لايناسب قوله تعالى «وأصلحوا ذات

بينكم» بل لايناسب أيضاً قوله تعالى «قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور» ، «وليبتلّي الله ما في صدوركم وليمحّص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور» .

(وشكوت اليه همومك) أي أحزانك (واستكشفته كروبك) أي غمومك .

وورد لدفع الظالم في السجود بعد ركعتي المغرب « يا شديد القوى ، يا شديد المحال ، يا عزيز أذلت بعزتك جميع من خلقت ، فصل على محمد وآل محمد واكفني مؤنة فلان بما شئت» ، فدعا به بعضهم على ظالمه فلم يرعه الا الواعية بالليل على الظالم وموته فجأة .

(واستعنته على أمورك) قال الباقر عليه السلام - كما في بيان الجاحظ - اذا أنعم الله عليك نعمة فقل «الحمد لله» واذا أحزنك أمر فقل «لا حول ولا قوة الا بالله» واذا أبطأ عنك الرزق فقل «استغفر الله» .

(وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره من زيادة الاعمار وصحة الابدان وسعة الارزاق) في الاسد عن ابى ذر عن النبي صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله تعالى : يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل انسان ما سأل لا ينقص ذلك من ملكي شيئاً الا كما ينقص البحر أن يغمط فيه المحيط غمسة واحدة .

وفي العميون : احتبس القمر عن بنى اسرائيل فأوحى تعالى الى موسى أن اخرج عظام يوسف من مصر ، ووعدته طلوع الفجر اذا أخرج عظامه ، فسأل موسى عمن يعلم موضعه فقيل له : ان ههنا عجوزاً تعلم علمه ، فبعث اليها فأتي بها مقعدة عمياء ، فقال لها : تعرفين موضع قبر يوسف ؟ قالت : نعم . قال : فأخبريني به . قالت : لاحتى تعطيني أربع خصال تطلق لى رجلي وتعيدلي

شبابي وترد الي بصري وتجعلني معك في الجنة . فكبر ذلك على موسى عليه السلام فأوحى تعالى اليه : أعطها ما سألت فانك انما تعطى علي ففعل فدلته عليه فاستخرجه من شاطئ النيل في صندوق مرمر ، فلما أخرجه طلع القمر فحمله الى الشام ، فلذلك يحمل أهل الكتاب موتاهم الى الشام .

وفي الخبر : ان موسى عليه السلام قال : يا رب انك لتعطيني اكثر من أمني . قال : لانك تكثر من قول «ما شاء الله لا قوة الا بالله» .

(ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مساهلته ، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته) فسي الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام : الدعاء مفاتيح النجاح ومقاليد الفلاح ، وخير الدعاء ما صدر عن صدر تقي وقلب نقي، وفي المناجاة سبب النجاة وبالاخلاص يكون الخلاص ، فاذا اشتد الفزع فالى الله المفزع .

وعن الصادق عليه السلام : الدعاء كهف الاجابة كما أن السحاب كهف المطر ، وما أبرز عبد يده الى الله العزيز الجبار الا استحى أن يردّها صفرأ حتى يجعل فيها من فضل رحمته ما يشاء ، فاذا دعا أحدكم فلا يرديده حتى يمسحها على وجهه ورأسه ، وان العبد اذا عجل فقام لحاجته يقول تعالى أما يعلم عبدي اني انسا الله الذي أقضي الحوائج ، وان الله تعالى كره الحاح الناس بعضهم على بعض في المسألة وأحب ذلك لنفسه ، ان الله تعالى يحب أن يسأل ويطلب ما عنده .

(واستمطرت) أي طلبت عطاء كالمطر ، قال الفرزدق « واستمطروا من قريش كل منخدع » (شأبيب) جمع الشؤبوب الدفعة من المطر (رحمته فلا يقنطنك) أي لا يؤيسنك (ابطاء) أي تأخير (اجابته) .

وفي الكشي قال يونس بن عبد الرحمن : صمت عشرين سنة وسألت

عشرين سنة ثم أجبت .

(فان العطيّة على قدر النية) لابل مجرد لفظ الدعاء .

وفي الكافي فسى باب الاقبال على الدعاء عن الصادق عليه السلام : لما استسقى النبي «ص» وسقى الناس حتى قالوا انه الغرق ، وقال «اللهم حوالينا ولاعلينا» فتفرق السحاب ، قالوا له «ص» استسقيت لنا فلم نسق ثم استسقيت فسقينا . قال : انتي دعوت وليس لى في ذلك منة ثم دعوت ولي في ذلك نيّة .

وعنه عليه السلام ان الله تعالى لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه ، فاذا دعوت فأقبل بقلبك .

(ثم استيقن بالاجابة وربما أخرت عنك الاجابة ليكون ذلك أعظم لاجر السائل وأجزل) أي أعظم واكثر (لعطاء الامل) .

في الخبر بينا ابراهيم عليه السلام في جبل بيت المقدس يطلب مرعى غنمه اذ سمع صوتاً ، فاذا هو برجل قائم يصلي طوله نحو اثني عشر شبراً ، فقال له : يا عبد الله لمن تصلي ؟ قال : لا له السماء . قال : فمن أين تأكل ؟ قال : أجتني من هذا الشجر في الصيف وآكل في الشتاء . قال له : فأين منزلك ؟ فأومى بيده الى جبل ، فقال له ابراهيم : هل لك أن تذهب بي معك فأبيت عندك الليلة . فقال : ان قدامي ماء لا يخاض . قال : كيف تصنع . قال : أمشي عليه . قال : فاذهب بي معك لعل الله يرزقني ما رزقك . فأخذ العابد بيده فمضيا حتى انتهيا الى الماء فمشى ومشى ابراهيم عليه السلام معه حتى انتهيا الى منزله ، فقال له ابراهيم : أي الايام أعظم ؟ فقال العابد : يوم الدين يوم يدان الناس بعضهم من بعض . فقال : هل لك أن ترفع يدك وأرفع يدي فندعو الله أن يؤمننا من شر ذلك اليوم . فقال : وما تصنع بدعوتي ، فوالله ان لي لسدعوة منذ ثلاث سنين ما أجبت فيها بشيء . فقال له ابراهيم : أولاً أخبرك لاي شيء احتبست دعوتك .

قال: بلى. قال: ان الله تعالى اذا أحب عبداً أحببته دعوته ليناجيه ويسأله ويطلب اليه ، واذا أبغض عبداً عجل له دعوته أو ألقى في قلبه اليأس منها . ثم قال له : وما كانت دعوتك ؟ قال : مر بي غنم ومعه غلام له ذؤابة فقلت : يا غلام امن هذا الغنم . قال : لابراهيم خليل الرحمن . فقلت : اللهم ان كان لك في الارض خليل فأرنيه . فقال له ابراهيم: فقد استجاب الله لك أنا ابراهيم خليل الرحمن فعانقه . قال : فلما بعث محمداً جاءت المصافحة .

(وربما سألت الشيء فلا تؤتاه) أي لا تعطاه (وأوتيت) أي أعطيت (خيراً منه عاجلاً أو آجلاً أو صرف) ذلك الشيء (غنك لما هو خير لك) قال الباحثري: والشيء تمنعه تكون بفوته أجسدى من الشيء الذى تعطاه

هذا ، وفي الاغانى قال بعض أصدقاء الحسين بن الصحاك يوماً له: تأخرت أرزاقك ونفقتك كثيرة فكيف يمشي أمرك . فقال له : ما قوام أمري الا ببقايا هبات الامين وهبات جارية له أغنتني للابد لشيء ظريف جرى على غير تعمد ، وهو أن الامين دعاني يوماً فقال : ان جليس الرجل موضع سره ، ان جاريتي فلانة أحسن الناس وجهاً وغناء وهي مني بمحل نفسي ونغصت النعمة علي بتجنيتها علي وادلالها بما تعلم من حبي اياها ، واني محضرها ومحضر صاحبة لها ليست منها في شيء لتغني معها ، فاذا غنت جاريتي فلا تحسن غناها ولا تشرب عليه واذا غنت الاخرى فاشرب واطرب واشقق ثيابك وعلي مكان كل ثوب مائة ثوب فقلت : السمعة والطاعة ، فجلس في الخلوة فأحضرني وسقاني وخلع علي ، فغنت المحسنة وقد أخذ الشراب مني فما تكلمت أن استحسنيت وطربت وشربت فأومى الي وقطب في وجهي ثم غنت الاخرى فجعلت أتكلف ما أقول وأفعله ، ثم غنت المحسنة ثانية فأتت بما لم أسمع مثله ، فما ملكت نفسي أن صحت وشربت وطربت والامين ينظر الي ويعض شفتيه غيظاً وقد زال عقلي ، فما أفكر

فيه حتى فعلت ذلك مراراً ، فغضب وأمر بجر رجلي من عنده ، فجررت وأمر بأن أحجب بعد ثم بعد شهر أمر باحضاري فحضرت وأنا خائف ، فضحك الي وقام وقال اتبعني ، ودخل الي تلك الحجرة بعينها ولم يحضر غيري وغنت المحسنة التي نالني من أجلها مانالني ، فسكنت فقال لي : قل ماشئت ولا تخف لقد خار الله لك بخلافي وجرى القدر بما تحب ، ان هذه الجارية عادت الي الحال التي أريد منها فسألتنني الرضا عنك وقد فعلت ووصلتك بعشرة آلاف دينار ووصلتك هي بدون ذلك لو كنت فعلت ما قلت لك حتى تعود الي مثل هذه الحال ثم تحقد ذلك عليك فتسألني الا تصل الي لاجبتها ، فدعوت له وحمدت الله على توفيقه و انصرفت ، فما كان يمضي أسبوع الا وألطفها تصل الي من الجواهر والثياب والمال ، وما جالست الامين مجلساً بعد ذلك الا سألته أن يصلني ، فكل شيء أنفقته الي هذه الغاية من فضل مالها وما ادخرت من صلاتها .

(فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لسوأوتيته) فكان بنواسرائيل يقولون لموسى عليه السلام «أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ماجئتنا» فقال لهم موسى «عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون» ، فلما اهلك الله تعالى فرعون وصاروا خلفاء الارض صاروا مثل فرعون ، فكانوا يقتلون أنبياء الله وعبدوا العجل .

وفي عيون ابن قتيبة قال عبد الصمد بن يزيد : استخبروا الله ولا تخبروا عليه ، فكم من عبد تخير لنفسه أمراً كان فيه هلاكه ، أما رأيتم من سأل ربه طرسوس فأعطيها فأسر فصار نصرانياً .

وفي الكافي عن النبي صلى الله عليه وآله قال تعالى : ان من عبادي المؤمنين عباداً لا يصلح لهم أمر دينهم الا بالغنى والسعة والصحة فى البدن فيصلح عليهم امر دينهم بها وان من عبادي المؤمنين لعباداً لا يصلح لهم أمر دينهم الا

بالفاقة والمسكنة والسقم فيصلح عليهم أمردينهم فأبلوهم بها ، وان من عبادي
لمن يجتهد في عبادتي فيقوم من رقاذه ولذيد وساده فيتهجد لي الليالي فيتعبد
نفسه في عبادتي فأضربه بالنعاس الليلة والليلتين نظراً مني له وابقاء عليه فينام
حتى يصبح وهو ماقت لنفسه زارعلها ، ولوأخلي بينه وبين ما يريد اسدخله
العجب ، فيأتيه من ذلك ما فيه هلاكه لعجبه .

(فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله وينفى عنك وباله) من المعنويات
والدنيوية التي لاتضربدينك (والمال لايبقى لك) ان بقيت (ولا تبقى له) أن
بقي « وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم » .

الى أن قال (واعلم يقيناً انك لم تبلغ أملك) لعدم حدلامال الانسان (ولن
تعدو) أي لن تجاوز (أجلك) « فاذا جاء أجلهم لايسأخرون ساعة ولايستقدمون »
(وانك في سبيل من كان قبلك) « وكل حي سالك السبيل » .

(فحقتص) أي خفف (في الطلب وأجمل) ولاتسأت بما يستقبح (في
المكتسب ، فانه رب طلب قد جر الى حرب) أي سلب المال ، ومثله قولهم
« رب طمع أدنى الى عطب » أي هلاكه ، وفي ديوان النابغة :

والياس مما فات يعقب راحة ولرب مطمعة تعوذ ذباحا
(فليس كل طالب بمرزوق ولاكل مجمل بمحروم) علةلقوله عليه السلام
« خقتص في الطلب وأجمل في المكتسب » وبدله رواية الكليني بقوله « وليس
كل طالب بناج ولاكل مجمل بمحتاج » . وكيف كان فقال ابن عبدل :

قد يرزق الخافض المقيم وما شد بعنس رحلا و لا قتبنا
ويحرم الرزق ذوالمطية والرحل و من لا يزال مغتربنا
ولاخر :

وليس رزق الفتى من فضل حيلته لكن حظوظ بأرزاق و اقسام

كالصيد يحرمه الرامي المجيد وقد
يرمى فيحرزه من ليس بالرام
وقال :لبحتري :

خفظ اسي عما شاءك طلابه
ما كل شائم بارق يسقاه
وقد تتناهى الاسد من دون صيدها
شباعاً وتغشى صيدها وهي جتوع

وفي المعجم : دخل الناشي الاحصى على سيف الدولة فأنشده قصيدة له
فيه ، فاعتذر سيف الدولة بضيق اليد يومئذ ، فخرج من عنده فوجد على بابه
كلاباً تذبح لها السخال وتطعم لحومها ، فعاد اليه وأنشده :

رأيت بباب داركم كلاباً
تغذيها و تطعمها السخالا
فما في الارض أدبر من أديب
يكون الكلب منه أحسن حالا

ثم اتفق أن حمل الى سيف الدولة أموال من بعض الجهات على بغال ،
فضاع منها بغل بما عليه وهو عشرة آلاف دينار ، وجاء هذا البغل حتى وقف على
باب الناشيء بالاحص ، فسمع حسه فظنه لصاً فخرج اليه بالسلاح فوجده بغلا
موقراً بالمال ، فأخذ ما عليه من المال وأطلقه ، ثم دخل حلب ودخل على سيف
الدولة وأنشد قصيدة يقول فيها :

ومن ظن أن الرزق يأتي بحيلة
فقد كدبته نفسه و هو آثم
يفوت الغني من لا ينام على السرى
و آخر يأتي رزقه و هو نائم

فقال له سيف الدولة : بحياتي وصل اليك مال كان على البغل . قال : نعم .
قال : خذه بجائزتك مباركاً لك فيه ، فقيل لسيف الدولة : كيف عرفت ذلك .
قال : عرفته من قوله «و آخر يأتي رزقه وهو نائم» بعد قوله « يكون الكلب منه
أحسن حالا » ، وقال البحتري :

وعجبت للمحدود يحرم ناصباً
كلفاً وللمجدود يغنم قاعدا
(واكرم نفسك عن كل) صفة (دنية وان ساقتك السى الرغائب) جمع

الرجيية العطاء الكثير.

رأى اعرابي ابل رجل قد كثرت بعد قلة ، فسأل عن العلة قيل له : انه زوج
أمه فجاءته بنافجة . فقال : اللهم انا نعوذ بك من بعض الرزق . قال بالبحثري :
خل الثراء اذا أخزت مغبته واختر عليه على نقصانه العدا
(فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً) قال الشاعر :

ان الهوى دنس النفوس فليتنى طهرت هذى النفس من أدناسها
و مطامع الدنيا تذلل و لا أرى شيئاً اعز لمهجة من ياسها
أيضاً :

اذا اظمأتك اكف اللثام كفتك القناعة شعباً وريا
فكن رجلاً رجله في الثرى و هامة همته في الثريا
أبياً لنائل ذي ثروة تراه بما في يديه أبيا
فان اراقه ماء الحياة دون اراقه ماء المحيا

(ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً) في شعراء ابن قتيبة : أصابت
عروة بن الورد العبسي في الجاهلية في بعض غاراته امرأة من كنانة فاتخذها
لنفسه فأولدها وحج بها ولقيه قومه وقالوا : فادنا بصاحبتنا فانا نكره أن تكون
سبية عندك . قال : على شريطة . قالوا : وماهي ؟ قال: على أن تخيرها بعد الفداء
فان اختارت أهلها أقامت فيهم وان اختارتني خرجت بها . وكان يرى أنها لا
تختار عليه ، فأجابوه الى ذلك وفادوه بها ، فلما خيروها اختارت قومها ، ثم قالت
له : اما اني لا أعلم امرأة ألفت سترأ على خير منك أغفل عيناً وأقل فحشاً وأحمى
لحقيقة ، ولقد أقمت معك وما من يوم يمضي الا والموت أحب الي من الحياة
فيه ، وذلك اني كنت أسمع المرأة من قومك تقول «قالت أمة عروة كذا ، وفعلت
أمه عروة كذا» والله لانظرت في وجه غطفانية فارجع راشداً وأحسن الى ولدك .

وفي أدب كتاب الصولي : كتب رجل الى المهدي كتاباً عنوانه « عبده فلان» فقال : لا أعلمن أحداً نسب نفسه الى عبودة في كتاب فانه ملسق كاذب وليس يقبله الامتكبر أوغبى .

ورأى طاهر بن الحسين رقعة كتبها ابنه عبدالله الى المأمون عليها «عبده» فقال : يا بني سميتك عبدالله وكذلك أنت فلا تشركن في الملك أحداً ، فانه جعلك بانعامه حراً لامولى لك سواه .

وكان أحد العرفاء وزيراً لسلطان ، فاستوحش منه فكتب اليه السلطان يستعطفه ، فأجابه بأني كنت حراً في جبلتي فعبدني احسان السلطان ورجعني استيحاشه الى أصل الفطرة ، فلا أعود بعد الى العبودية لما أنقذني الله منها .
ولبعضهم : لردأمس بالجدال ، وحبس عين الشمس بالعقال ، ونقل ماء البحر بالغربال ، أهون علي من ذل السؤال ، واقفاً على باب مثلي ارتجى منه النوال . وقيل بالفارسية :

گر بخارد پشت من انگشت من خم شود از بار منت پشت من
وكان عارف مقيماً على نهريقتات من الاعلاف التي يجيء بها الماء ، فمر به جندي فقال : لو كنت مثلي تخدم السلاطين لما كان قوتك مثل هذا . فقال له : لو كنت قانعاً مثلي لماصرت عبداً وخادماً للناس .

(وما خير خير لاينال الا بشرويسر لاينال الا بعسر) هكذا في المصرية و«حد» ولكن في نسخة ثم «وما خير خير لا يوجد الا بشر ولاينال الا بعسر» .

وكيف كان ففي أمثال العسكري : كان اهل بيت زرارة حضان الملوك ، فافتخر بذلك حاجب بن زرارة فقال :

حللنا باثناء العذيب ولم تكن تحل باثناء العذيب والركائب
لنكسب مالا او نصيب غنيمة وعند ابتلاء النفس تدنو الرغائب

حضرنا ابن ماء المزن وابن محرق الى ان بدت منهم لحي وشوارب
فغابه الناس وقالوا : ما رأينا من يفتخر بالمعائب ، وذلك أن الظئر خادمة
والخدمة تضع ولا ترفع . وقيل تجوع الحررة ولا تأكل بثديها ، وقالوا العبد
حرماقنع والحرعبد ما طمع .

وقال أخوذي الرمة لمن أراد سفراً : ان لكل رفقة كلباً يشرّكهم في فضلة
الزاد ويهدونهم ، فان قدرت ألا تكون كلب الرفقة فافعل .

(واياك أن توجف) الايجاف السير السريع ، قال تعالى «فما أوجفتّم عليه
من خيل ولا ركاب» (مطابا) أي دواب (الطمع فتوردك مناهل) في الصحاح
المنهل عين ماء ترده الابل في المرعى ، وتسمى المنازل التي في المفازة على
طريق السفار مناهل ، لان فيها ماء (الهلكة) قال الشاعر :

طمعت بليلى ان تريع وانما تقطع اعناق الرجال المطامع
أيضاً :

وارفض دنيئات المطامع انها شين يعرّ وحقها ان ترفضاً
أيضاً :

رأيت مخيلة فطمعت فيها وفي الطمع المذلة للرقاب
وفي الطبري في وقايح سنة (٢٨٧) أسرا سمعيل بن أحمد الساماني عمرو
ابن الليث الصفار ، وكان من خبرهما أن عمراً سأل السلطان أن يوليه ماوراء
النهر ، فولاه ذلك ووجهه اليه وهو مقيم بنيسابور بالخلع واللواء على ماوراء
النهر ، فخرج لمحاربة اسمعيل ، فكتب اليه اسمعيل : انك قد وليت دنياً عريضة
وانما في يدي ماوراء النهر وأنا في ثغرفانقع بما في يدك واتركني مقيماً بهذا
الثغر ، فأبى اجابته ، فذكر له أمر نهر بلخ وشدة عبوره فقال : لو أشاء ان اسكره
بيدر الاموال وأعبره لفعلت . فلما أيس اسمعيل من انصرافه عنه جمع من معه

والتناء والدهاقين وعبر النهر الى الجانب العربى ، وجاء عمرو فنزل بلخ وأخذ عليه اسمعيل النواحي ، فصار كالمحاصر وطلب المحاجزة فيما ذكر فأبى اسمعيل عليه ذلك ، فلم يكن بينهما كثير قتال حتى انهزم عمرو فولى هارباً ومر بأجمة في طريقه قيل له انها أقرب ، فقال لعامة من معه امضوا فسي الطريق الواضح ، ومضى في نفر يسير فدخل الاجمة ، فوحت دابته فوقعت ولم يكن له في نفسه حيلة ، ومضى من معه ولم يلووا عليه ، وجاء أصحاب اسمعيل فأخذوه أسيراً .

(فان استطعت ألا يكون بينك وبين الله ذونعمة فافعل) في القمص لما سلب سليمان عليه السلام ملكه خرج على وجهه فضاف رجلاً عظيماً فأضافه واحسن اليه ونزل منه منزلاً عظيماً لما رأى من صلواته وفضله وزوجه بنته ، فقالت له بنت الرجل : بأبى أنت وأمي ما أطيب ريحك وأكمل خصالك ، لأعلم فيك خصلة آكرها الا أنك في مؤنة ابي ، فخرج سليمان حتى أتى الساحل ، فأعان صياداً ثمة فأعطاه السمكة التي وجد في بطنها خاتمه .

وقال الجاحظ: عليه أصحاب السلطان ومصاصهم وذو البصائر منهم يعترفون بفضيلة التجار ويتمنون حالهم ويحكون لهم بسلامة الدين وطيب الطعمة ويعلمون أنهم أودع الناس بدناً واهناًهم عيشاً وآمنهم سريراً ، لانهم في أفتيتهم كالمملوك على أسرتهم يرغب اليهم أهل الحاجات وينزع اليهم ملتمسوا البياعات ، لا تلحقهم الذلة في مكاسبهم ولا يستعبدهم الضرع لمعاملاتهم ، وليس هكذا من لا بس السلطان بنفسه وقاربه بخدمته ، فان أولئك لباسهم الذلة وشعارهم الملق وقلوبهم ممن هم لهم خول مملوءة ، قد لبسها الرعب وألفها الذل وصحبها ترقب الاجتياح ، وهم مع هذا في تكدير وتنغيص خوفاً من سطوة الرئيس وتنكيل الصاحب وتغير الدولة واعتراض حلول المحن ، فان هي حلت بهم

— وكثيراً ما تحل — فناهيك بهم مرحومين يرق لهم الاعداء فضلاً عن الاولياء ،
فكيف لا يميزين من هذا ثمرة اختياره وغاية تحصيله وبين من قد نال الوفاء
عنه والدعة وسلم من البوائق مع كثرة الاثر وقضاء اللذات من غير منة لاحد
وبين من استرقه المعروف واستعبده الطمع ولزمه ثقل الصنعة وطوق عنقه
الامتنان واسترهن بتحمل الشكر .

(فانك مدرك قسمك و آخذ سهمك) في تاريخ بغداد : قال المأمون يوماً
وهو مقطب لابي دلف : أنت الذي يقول فيه الشاعر :

انما الدنيا ابودلف عند باديه ومحتضره
فاذا ولسى ابودلف ولت الدنيا على أثره

فقال له ابودلف : شهادة زور وقول غرور وملق معتب وطالب عرف ،
وأصدق منه ابن اخت لي حيث يقول :

دعني أجوب الارض التمس الغنى فلا الكرج الدنيا ولا الناس قاسم
فضحك المأمون وسكن غضبه .

(وان اليسير من الله سبحانه أعظم وأكرم) هكذا في المصرية والصواب
« اكرم وأعظم » كما في « حد » و « ثم » والخطية (من الكثير من خلقه وان كان كل
منه) زاد في رواية التحف « ولو نظرت — والله المثل الاعلى — فيما يطلب من
الملوك ومن دونهم من السفلة لعرفت أن لك في يسير ما تصيب من الملوك
افتخاراً وان عليك في كثير ما تصيب من الدناة حاراً» .

سير النواعج في بلاد مضلة يمسي الدليل بها على ملال
خير من الطمع الدنى ومجلس بفناء لاطلق و لامفضال
فاقصد لحاجتك المليك فانه يغنيك عن مرتفع مختال

(وتلافيك ما فرط من صمتك أيسر من ادراكك على ما فات من منطقتك)

هذا أحد الأدلة على أفضلية الصمت على النطق ، وقالوا في مثله «الندم على السكوت خير من الندم على الكلام» ، أيضاً « عي صامت خير من عي ناطق» . هذا ، وزاد في رواية التحف قبله «وفي الصمت السلامة من الندامة» .
(وحفظ ما في الوعاء) أي الظرف والانية (بشد) أي بعقد (الوكاء) قال الجوهري : الوكاء الذي يشد به رأس القربة .

وفي الخبر : ان من أعطاه الله تعالى مالا ولم يقم عليه كما ينبغي فذهب ماله ثم دعا بأن يعطيه ثانياً كان ممن لا يستجاب له ويقال له قد أعطيت فلم لم تحفظ .

وفي الاغانى قال اسحق الموصلي : قال ابوالمحبب - أوغيره - دعنا رجل من الحي يقال له أبا سفيان القتال الكلابى الى وليمة ، فجلس القتال ينتظر رسوله ولا يأكل حتى ارتفع النهار وكانت عنده فقرة من حوار فقال لامرأته:
فان أبا سفيان ليس بمولم فقومي فهاتي فقرة من حوارك
قال اسحق : فقلت له ثم مه . قال : لم يأت بعده بشيء . فقلت له : أفلا أزيدك اليه بيتاً آخر ليس بدونه . قال : بلى . فقلت :

فبيتك خير من بيوت كثيرة وقدرك خير من وليمة جارك
فقال : والله لقد أرسلته مثلاً وما يلام الخليفة أن يدنيك ويؤثرك .

هذا ، وزاد في رواية التحف قبله « ولا تحدث الا عن ثقة فتكون كاذباً والكذب ذل » .

(وحفظ ما في يدك أحب الي من طلب ما في يد غيرك) من أمثالهم « عمك خرجك » ، وأصله أن رجلاً سافر بلا زاد برجاء خرج عمه ، فمنعه منه وقال له عمك خرجك .

وفي الخبر : لو علم الناس ما في السؤال لما سأل أحد أحداً . وقال بعضهم :

احفظ ما لي ويصير بعدى الى أعدائي أحب الي من أن يذهب مالي فأحتاج
الى اصدقائي . وقال :

استغن استغن اومت ولا يغرك ذونشب من ابن ولا عم ولا خال
انى اكب على الزوراء أعمرها ان الكريم على الاقوام ذوالمال
ولابى هلال العسكري :

فلو انى جعلت أمير جيش لما قاتلت الا بالسؤال
فان الناس ينهزمون منه وقد ثبتوا لاطراف العوالي
(ومرارة اليأس خير من الطلب الى الناس) وزاد في رواية التحف «وحسن
التدبير مع الكفاف أكفى لك من الكثير مع الاسراف» قال قتال الكلابى «وفي
الصرم احسان اذا لم ينول» .

وقالوا : دعا حذيفة ابنه عند موته فقال له : اظهر اليأس مما في أيدي الناس
فان فيه الغنى ، واياك وطلب الحاجات الى الناس فانه فقر حاضر .
وقال أعرابى لرجل مطله في حاجته : ان مثل الظفر بالحاجة تعجل اليأس
منها اذا عسر قضاؤها ، وان الطلب وان قل أعظم قدراً من الحاجة وان عظمت .
وقالوا :

وتركك مطلب الحاجات عز ومطلبها يذل عرى الرقاب
لئن طببت نفساً عن ثنائى فاننى لاطيب نفساً عن نذاك على عسى
(والحرفة) قالوا محارف بفتح الراء خلاف مبارك ، قال الراجز :
محارف بالشاء والاباعر مبارك بالقلمى الباتر
(مع العفة خير من الغنى مع الفجور) لان الفجور مستتبع لفقر الاخرة الذي
هو أصل الفقر .

هذا ، وقريب من قوله عليه السلام قولهم « قرب الدار في الاقتار خير من

العيش الموسع في اغتراب .

(والمرء احفظ لسره) وكان عليه السلام - كما في عيون ابن قتبية - يتمثل

بهدين البيتين :

ولا نفس سرك الا اليك فان لكل نصيح نصيحاً

فاني رأيت غواة الرجال لا يتركون أديماً صحيحاً

وقيل لاعرابي : كيف كتمانك للسرك؟ قال : ما قلبي له الا قبر .

وكانت الحكماء تقول : سرك من دمك . وقال الشاعر :

ولو قدرت على نسيان ما شملت منى الضلوع من الاسرار والخبر

لكنت اول من ينسى سرائره اذ كنت من نشرها يوماً على خطر

أيضاً :

اذا ما ضاق صدرك عن حديث فأفشته الرجال فمن تلوم

اذا ما عابت من افشى حديثي وسرى عنده فأنا الظالم

أيضاً :

اذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها فسرك عند الناس أفشى وأضيع

وفيه قرأت في التاج ان بعض منوك العجم استشار وزراءه فقال أحدهم :

ليس للملك أن يستشير منا أحداً الا خالياً به فانه أموت للسرو وأحزم للرأي وأجدر

بالسلامة وأعفى لبعضنا من عائلة بعض ، فان افشاء السر الى رجل واحد أوثق

من افشائه الى اثنين ، وافشائه الى ثلاث كافشائه الى العامة ، لان الواحد رهن

بما أفشى اليه والثاني يطلق عنه ذلك الرهن والثالث علاوة فيه ، واذ كان سر

الرجل عند واحد كان أخرى الا يظهره رهبة منه ورغبة اليه ، واذ كان عند اثنين

دخلت على الملك الشبهة واتسعت على الرجلين المعاريض ، فان عاقبهما عاقب

اثنين بذنب واحد وان اتهمهما اتهم بريئاً بجناية مجرم وان عفا عنهما كان العفو

عن أحدهما ولا ذنب له وعن الآخر ولا حجة معه .

وعن عمرو بن العاص : إذا أنا افشيت سري الى صديق فاذاعه فهو في حل
قيل له : وكيف . قال : لاني كنت أحق بصيانيته .

هذا ، وأما قول جميل بثينة :

أموت وألقى الله يابثن لم أبح بسرك والمستخبرون كثير

فانه وان قال لفظاً انه لا يبوح بسرهما الا أن شعره هذا كان نشرأ لسرها لاهل

عصرها جميعاً ولكل عصر بعد ، فهو أنشر للمسرمن اعرابي قال :

ولا اكنم الاسرار لكن أنمها ولأدع الاسرار تغلي على قلبي

وان قليل العقل من بات ليله تقلبه الاسرار جنباً الى جنب

(ورب ساع فيما يضره) وقالوا «رب طائر بجناحه الى موضع اجتياحه» .

في أذكياء ابن الجوزي : خرج ابن ابي الطيب القلانسي الكاتب النصراني

في سنة نيف وأربعين وثلاثمائة من جنديسابور الى بعض شأنه في الرستاق ،

فأخذته الاكراد وعذبوه وطالبوه أن يشتري نفسه منهم ، فلم يفعل وكتب الى

أهله أنفذوا الي أربعة دراهم أفيون واعلموا أنني اشربها فتلحقني سكتة فلا يشك

الاكراد اني مت ، فيحملوني اليكم فاذا حصلت عندكم فادخلوني الحمام

واضربوني ليحمي بدني وسوكوني بالارياج ، وكان سمع أن من شرب أفيوناً

أسكت فاذا أدخل الحمام وضرب وسوك بالارياج برء ولم يعلم مقدار الشرب

فشرب أربعة دراهم فلم يشك الاكراد في موته فلقوه في شيء وأنفذوه الى أهله

فلما حصل عندهم أدخلوه الحمام وضربوه وسوكوه فماتحرك ، وأقيم في الحمام

أياماً ورآه اهل الطب فقالوا : قد تلف كم شرب؟ قالوا : أربعة دراهم . قالوا :

لوشوى هذا في جهنم ماعاش ، انما يجوز هذا عن شرب أربعة دوانيق أو حوالي

درهم ، فلم يفعل أهله وتركوه في الحمام حتى اراح وتغير ثم دفنوه .

وفيه : روي ان بلال بن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري كان في حبس الحجاج وكان يعذبه ، وكان كل من مات في الحبس رفع خبره الى الحجاج فيأمر بساخرجه وتسليمه الى أهله ، فقال بلال للسجان : خذ مني عشرة آلاف درهم وأخرج اسمي الى الحجاج في الموتى فاذا أمرك بتسليمي الى اهلي هربت في الارض فلم يعرف الحجاج خبري ، وان شئت ان تهرب معي فافعل وعلي غناك أبدأ ، فأخذ السجان المال ورفع اسمه في الموتى ، فقال الحجاج مثل هذا لا يجوز تسليمه الى أهله حتى أراه ، فعاد الى بلال فقال : اعهد ان الحجاج قال كيت وكيت فان لم أحضرك اليه ميتاً قتلني وعلم اني أردت الحيلة عليه ولا بد أن اقتلك خنقاً ، فبكى بلال وسأله ألا يفعل فلم يكن الى ذلك طريق فأوصى فأخذه السجان وخنقه وأخرج الى الحجاج ، فلما رآه ميتاً قال سلمه الى أهله ، فكان اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم .

هذا ، وقال « حد » في شرح هذا الكلام : كتب عبد الحميد الكاتب الى ابي مسلم لو أراد الله بالنملة صلاحاً لما أنبت لها جناحاً . وهو كما ترى ، فالكلام في السعي فيما يضر ونبت الجناح للنمل ليس سعياً منها .

(من أكثر أهجر) قال النبي صلى الله عليه وآله كما في مجازات المصنف : ألا أخبركم بأبغضكم الي أبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون المتفهبون . قال المصنف في شرحه : المراد الذين يكثرون الكلام ويتعمقون فيه طلباً للتكلف وخروجاً عن القصد ، وأصل الثرثار مأخوذ من العين الثرثرة ، وهي الواسعة الارجاء الغزيرة الماء ، و« متفهب » من قولهم فهق الغدير وتفهب اذا كثر ماؤه . ويأتي الاهجار أيضاً بمعنى الهجر والهديان والخناء قال الشماخ :

كما جدة الاعراق قال ابن ضرة عليها كلاماً جار فيه واهجر

(ومن تفكر أبصر) العاقبة ، ولذا ورد فكر ساعة خير من عبادة سنة .

(قارن أهل الخير تكن منهم وباين أهل الشر تبين) أي تنفصل (عنهم) من وصايا لقمان لابنه : يا بني كن عبداً للاخيار ولا تكن سيداً للاشرار .
وفي الكافي عن الصادق عليه السلام : لاتصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم .

قال النبي صلى الله عليه وآله : المرء على دين خليله وقربنه .
(بشئ الطعام الحرام) وعنه عليه السلام - كما في الفقيه - ما من عبد الاوبه ملك موكل يلوي عنقه حتى ينظر الى حدثه ثم يقول له الملك : يا ابن آدم هذا رزقك فانظر من أين أخذته والى ما صار ، فينبغي للعبد عند ذلك ان يقول « اللهم ارزقني الحلال وجنبني الحرام » .

وقال « حد » كلامه هذا من قوله تعالى « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً » وهو كما ترى ، فان الكلام في مطلق طعام الحرام ولو من كبير ، مع أن أكل مال اليتيم الذي يستتبع تلك العقوبة ليس منحصرأ بأكل طعامه ، بل يشمل ما لو غصب مساكنه أو ملبسه أو مراكبه . وبالجملة خصص ما هو غير خاص وعمم ما هو غير عام من الكلام .
(وظلم الضعيف أفحش الظلم) كظلم النساء والصبيان ، فانه أفحش من ظلم الرجال والكبراء .

قال الصادق عليه السلام - كما في الفقيه - اتقوا الله في الضعيفين ، يعني بذلك اليتامى والنساء .

(اذا كان الرفق خرقاً كان الخرق رفقاً) في شعراء القتيبي : أتى نابغة الجعدي النبي صلى الله عليه وآله وأنشده :

ولاخير في حلم اذا لم يكن له	بوادر يحمى صفوه أن يكدره
ولاخير في جهل اذا لم يكن له	حليم اذا ما أورد الامر أصدره

فقال له النبي : لا يفضض الله فاك - فغبرده - لم ينقض له سن - وكان
معمراً نادماً المنذر وأدرك الاخطل .

وفي رجز لبيد على زياد العبسي لما طعن في بني جعفر بن الكلاب - وهم
بنو ابي لبيد - عند النعمان بن المنذر « يا رب هيجاء هي خير من دعه » .

وقال « حد » قال عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهنن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وفي المثل « ان الحديد بالحديد يصلح » ، وقال زهير :

ومن لا يندد عن حوضه بسلاحه يهدم و من لا يظلم الناس يظلم
وهو كما ترى ، فان المثل والبيتين في مقام وكلامه عليه السلام في مقام .
نعم نقله بيت المتنبي :

و وضع الندى في موضع السيف بالاعلا

مضر كوضع السيف في موضع الندى

مربوط .

(ربما كان الدواء داء والداء دواء) في وزراء الجهشيارى : كان للبرامكة عند
الحسن بن عيسى كاتب عمرو بن مسعدة معروف ، فلما حملوا الى الرقة استقبل
الحسن - وهو يسير - يحيى ، فلما بصربه قال لا يراني الله أمنعه من نفسي في هذا
الوقت شيئاً كنت أبذله له قبل ذلك اليوم ، فنزل عن دابته مترجلاً له فصاح به
اياك اياك ، فلم يلتفت الى زجره ، فلما دنا قال له يحيى : أفهم عني ان هذا الامر
لوبيقى فيمن كان قبلنا لم يصل الينا ولوبيقى فينا لم يصل الى من بعدنا ، ولا بد
للاعمال من تصرف وللأمور من تنقل ، قد كنا قبل اليوم دواء فأصبحنا داء ، فلا
تعد . قال : فكنت أراه بعد ذلك فلا أفعل ما أنكره .

وقالوا : الضبع اذا وقعت في الغنم عاثت ولم يكتف بما يكتفي به الذئب
فاذا اجتمع الذئب والضبع في الغنم سلمت ، لان كل واحد منهما يمنع صاحبه

والعرب تقول في دعائها « اللهم ضبعا وذئباً » أي اجمعهما في الغنم لتسلم .
ومنه قول الشاعر :

تفرقت غنمي يوماً فقلت لها يارب سلط عليها الذئب والضبعا
وقالوا : خرج قوم انى الصيد فطردوا ضبعا فتبعوها حتى ألجأوها الى خباء
أعرابي ، فاقتحمه فخرج اليهم فقالوا : صيدنا وطريدتنا . قال : كلا لا تصلون
اليها ما ثبت قائم سيفي في يدي ، فرجعوا وتركوها ، فقام الاعرابي الى لفحله
فحلبها وقرب اليها الحليب وقرب اليها ماء ، فأقبلت مرة تلغ من هذا ومرة تلغ من
هذا حتى سممت ، فبينما الاعرابي نائم اذ وثبت عليه فبقرت بطنه وشربت دمه
وأكلت حشوته وخرجت . فجاء ابن عم له فوجده على تلك الصورة فالتفت الى
موضع الضبع - وكنيتها أم عامر - فأخذ كنانة واتبعها حتى أدركها فقتلها ، وقال :
ومن يضع المعروف مع غير أهله يلاقي الذي لافى مجير أم عامر
ومنه المثل « كمجير أم عامر » .

وفي الطبري : جلس المنصور للمدنيين مجلساً عاماً - وكان وفد اليه منهم
جمع - فقال : لينتسب كل من دخل ، فقام شاب من ولد عمرو بن حزم فانتسب
ثم قال : قال الاحوص فينا شعراً امنعنا أموالنا من أجله منذ ستين سنة . قال :
أنشدني ، فأنشده :

لا تأوين لحزمي رأيت به فقراً وان ألقى الحزمي في النار
الناخسين بمران بندي خشب والداخلين على عثمان في الدار
وكان الاحوص مدح الوليد بن عبد الملك في قصيدة أنشده ، فلما بلغ الى هذا
الموضع قال له الوليد : أذكرتني ذنب آل حزم ، فأمر باستصفاء أموالهم .
فقال له المنصور : أعد علي الشعر ، فأعاد ثلاثاً فقال له المنصور : لاجرم انك
تحتظي بهذا الشعر كما حرمت به ثم امر أن يعطى عشرة آلاف درهم وان

يكتب الى عماله أن يسرد ضياع آل حزم عليهم ويعطوا غلاتها في كل سنة من ضياع بني أمية وتقسم أموالهم بينهم على كتاب الله على التناسخ ومن مات منهم وفر على ورثته ، فانصرف الفتى بمالم ينصرف به أحد .
(وربما نصح غير الناصح وغش المستنصح) أي من تعده ناصحاً لك ،
قال الشاعر :

رب مستنصح يغش ويردى وظنين بالغيب يلقى نصيحها
أيضاً :

ألا رب من تغشه لك ناصح ومؤتمن بالغيب غير امين
هذا ، وفي الاغاني : استودع رجل من عمال ابن هبيرة رجلاً ناسكاً ثلاثين ألف درهم ، واستودع مثلها رجلاً نبيذياً ، فأما الناسك فبنى بها داره وتزوج النساء وأنفقها وجحدها ، وأما النبيذى فأدى الامانة ، فقال ابن بيض :
ألا لا يغرنك ذو سجدة يظل بها دائباً يخدع
كأن بجبهته جلبة يسبح طوراً وبسرجع
وما لللقى لزمة وجهه ولكن ليغتر مستودع
ولا تنفرن من أهل النبيذ وان قيل يشرب لا يقلع

وقال «حد» كان المغيرة يبغض علياً عليه السلام وأشار عليه يوم بويح أن يقر معاوية على الشام ، فاذا خطب له دعاه وصرفه فلم يقبل ، وكان ذلك نصيحة من عدوك اشح .

قلت : المغيرة كان منافقاً داهياً ولم يكن من مبغضيه المخصوصين كبني أمية وجمع آخر ، وانما يصح أن يقال له كان مبغضاً له عليه السلام من حيث أن المنافق والمؤمن متباغضان بالطبع ، والا فالمغيرة اعتزل معاوية كما اعتزله «ع» فلكونه داهياً اعتزلهما حتى يرى أيهما يظهر فيلحق به ، وبعد شهادته «ع» وظهور

معاوية لحق به. وكيف يصح ما قال من كونه مبغضاً وقد قال الطبري: ان المغيرة لما بلغه عن صعصعة أنه يكثر ذكر علي ويعيب عثمان دعاه وقال له : اياك أن يبلغني أنك تعيب عثمان عند أحد من الناس ، واياك أن يبلغني عنك انك تظهر شيئاً من فضل علي علانية ، فانك لست بذاك من فضل علي شيئاً أجعله بل انا أعلم بذلك ، ولكن هذا السلطان قد ظهر وقد أخذنا باظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيراً مما أمرنا به ونذكر الشيء الذي لا نجد بدأ منه ، ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقية .

كما أن ما قاله من كون اشارة المغيرة عليه «ع» نصيحة ليس كذلك ، فلم يكن ذاك الرأي نصيحة دينية بل سياسة دنيوية يعتقدها المغيرة نصيحة لاهو «ع» وقد صرح بأنه قال ذلك عن نصيحة عنده .

وقال «حد» أيضاً : استشار الحسين «ع» ابن الزبير في الخروج عن مكة الى العراق ظاناً أنه ينصحه فغشه وقال له : لا تقم بمكة فليس بها من يبائعك ، ولكن دونك العراق فانهم متى رأوك لم يعدلوا بك أحداً ، فخرج الى العراق فكان من أمره ما كان .

قالت : ما قاله أيضاً غير صحيح ، فلم يستشر الحسين «ع» ابن الزبير ولا ظن أنه ناصحه ولا خرج الى العراق باشارته ، كيف وفسى الطبرى : أتى ابن الزبير الى الحسين «ع» وقال له : ما تركنا هؤلاء القوم وكفنا عنهم ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الامر دونهم ، خبرني ما تريد أن تصنع ؟ قال «ع» لقد حدثت نفسي باتيان الكوفة ولقد كتبت الي شيعتي بها واشراف أهلها واستخبر الله . فقال له ابن الزبير : أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها ، ثم خشي أن يتهمه فقال : أما انك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الامر ماخولف عليك ، ثم قال فخرج فقال الحسين «ع» : ان هذا الرجل ليس شيء يؤتاه من الدنيا

أحب اليه من أن أخرج من الحجاز الى العراق لانه علم أنه ليس له من الامر
معي شيء فود أني خرجت منها لتخلوله - الخ .

وبالجملة ليس واحد مما ذكر شاهداً لكلامه «ع» من نصيح غير الناصح
أحياناً وغش المستنصح ، ومن الشاهد للثاني ما في المروج وغيره ان مروان
الجعدي دعا اسمعيل بن عبد الله القشيري - وقد كان مروان وافى على الهزيمة
الى حران - فقال له : قد ترى ما جاء من الامر وأنت الموثوق به ولا مخبأ بعد
بؤس ، فما الرأي ؟ فقال اسمعيل : على ما أجمعت . قال : على أن ارتحل
بموالي ومن تبعني من الناس حتى أقطع الدرب وأميل الى مدينة من مدن الروم
فأنزلها وأكتب صاحبها وأستوثق منه ، فقد فعل ذلك جماعة من ملوك الاعاجم
وليس هذا عاراً بالملوك - فلا يزال يأتيني الخائف والنهارب والطائع فيكثر
من معي ولا أزال على ذلك حتى يكشف الله أمري وينصرني على عدوي . قال
اسمعيل : فلما رأيت أن ما أجمع عليه هو الرأي ورأيت آثاره ونكايته في قوم من
قحطان قلت : أعينك بالله من هذا الرأي تحكّم أهل الشرك في بناتك وحرملك
وهم الروم ولا وفاء لهم ولا تدري ما تأتي به الايام ، وان حدث عليك حادث
وانت بأرض النصرانية ضاع من بعدك ، ولكن اقطع الفرات ثم استنفر الشام
جنداً فانك في كنف وعزة ولك في كل جند صنایع يسرون معك حتى تأتي
مصر فانها أكثر أرض الله مالا وخيلاً ورجالا ثم الشام أمامك وافريقية خلفك ،
فان رأيت ما تحب انصرفت الى الشام وان كانت الاخرى مضيت الى افريقية .
قال : صدقت . فقطع الفرات ووالله ما قطعه من قيس الارجلان أحدهما أخوه
من الرضاة ولم ينفع مروان تعصبه مع النزارية شيئاً بل غدروا به وخذلوه ،
فلما اجتاز ببلاد قنسرين والحاضر أوقعت تنوخ القاطنة بقنسرين بساقته ووثب
به أهل حمص وسار الى دمشق ، فوثب به الحرث بن عبد الرحمن الحرشي ،

ثم أتى الاردن فوثب به هاشم العنسي والمذحجيون جميعاً ، ثم مر بفلسطين فوثب به الحكيم بن روح بن زنباع لما رأوا من اذبار الامر عنه ، وعلم مروان أن اسمعيل قد غشه في الرأي ولم يمحصه النصيحة وانه فرط في مشورته اياه اذ شاور رجلا من قحطان متعصباً من قومه على أضدادهم من نزار ، وان الرأي هو الذي هم به من قطع الدرب ونزول بعض حصون الروم ومكاتبة ملكها .

(واياك واتكالك) هكذا في المصرية والصواب «والاتكال» كما في « حد » و«ثم» والخطية ، أي الاعتماد (على المنى) أي على التمنيات (فانها) أي المنى (بضائع) قال الجوهري البضاعة طائفة من مالك تبعثها للتجارة (النوكى) بالفتح أي الحمقاء ، وفي المصرية «الموتى» وهو غلط .

في عيون ابن قتبية في كتاب للهند ان ناسكاً كان له عسل وسمن في جرة ، ففكر يوماً فقال : أبيع الجرة بعشرة دراهم واشتري خمسة أعنز فأولدهن في كل سنة مرتين ويبلغ النتاج في سنتين مائتين ، وابتاع بكل أربع بقرة وأصيب بداراً فأزرع وينمي المال في يدي فأخذ المساكن والعبيد والاماء والاهل ويولد لي ابن فأسميه كذا وآخذه بالادب فان هو عصاني ضربت بعصاي رأسه - وكانت في يده عصاً فرفعها حاكياً للضرب - فأصابت الجرة فانكسرت وانصب العسل والسمن على رأسه .

وفيه قال الاصمعي : قال شيخ من بني القحيف تمنيت داراً فمكثت أربعة أشهر مغتماً للدرجة أين أضعها .

وفي بيان الجاحظ : مرض فتى فقال له عمه أي شيء تشتهي ؟ قال : رأس كبشين . قال : هذا لا يكون . قال : فرأس كبش . ومن الشعر في ذلك :
إذا تمنيت بت الليل مغتبطاً ان المنى رأس أموال المقاليس
أيضاً :

أعلل نفسي بما لا يكون كما يفعل المائق الاحمق
هذا ، وقالوا ان الوليد بن عبد الملك قال لبديح المغني : خذ بناقي التمني ،
فوالله لا غلبتك . قال : والله لا تغلبي أبدأ . قال : بلى . قال بديح : فاني أتمنى
كفليين من العذاب وأن يلعنني الله لعناً كثيراً فخذ ضعفى ذلك . قال : غلبتني
لعنك الله .

(والعقل حفظ التجارب) زاد في رواية التحف قبله «زك قلبك بالادب كما
يزكى النار بالمحطب ، ولا تكن كحاطب الليل وغشاء السيل ، وكفر النعمة لؤم
وصحبة الجاهل شؤم» .

عنه عليه السلام : ما عبد الله بشيء أفضل من العقل ، وماتم عقل امرىء
حتى يكون فيه خصال شتى : الكفر والشر منه مأمونان ، والخير والرشد منه
مأمولان ، وفضل ماله مبذول ، وفضل قوله مكفوف ، ونصيبه من الدنيا القوت ،
لا يشبع من العلم دهره ، والذل مع الله أحب اليه من العزم غيره ، والتواضع
أحب اليه من السرف ، يستكثر قليل المعروف من غيره ، ويستقل كثير المعروف
من نفسه ، ويرى الناس كلهم خيراً منه ، وانه شرهم في نفسه وهو تمام الامر .
وعن الصادق عليه السلام : العقل ما عبده الرحمن واكتسب به الجنان .
قيل : فالذي كان في معاوية . قال : تلك النكراء ، تلك الشيطنة ، وليست بالعقل .
وعن بعضهم : العقل الاصابة بالظنون ومعرفة ما لم يكن بما قد كان .
هذا ، وسئل شريك عن ابي حنيفة فقال : أعلم الناس بما لا يكون وأجهل
الناس بما يكون .

(وخير ما جربت ما وعظك) هو نظير قوله عليه السلام المذكور في القصار
« لم يذهب من مالك ما وعظك » ووجه قوله عليه السلام أن التجربة مفيدة
لحصول شيء لك بفهمه ، فاذا كان فهم أمر من أمور الدنيا يكون حسناً ، واذا

كان فهم أمر من الاخرة ووعظاً له كان أحسن .

وزادت رواية الكليني بعده «ومن الكرم لين الشيم» .

(بادر الفرصة قبل أن تكون غصة) في الاغاني قال رجل كان يديم الاسفار:

سافرت مرة الى الشام على طريق البر فجلت أتمثل بقول القطامي :

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

ومعي اعرابي قد استأجرت منه مركبي ، فقال : ما زاد قائل هذا الشعر

أن يشبط الناس عن الحزم فهلا قال بعد بيته هذا :

وربما ضر بعض الناس بطؤهم و كان خيراً لهم لوأنهم عجلوا

هذا وقال «حد» هنا حضر ابن زياد عنده انى عائداً وقد كمن له مسلم وأمره

أن يقتله اذا جلس ، فلما جلس جعل مسلم يؤامر نفسه على الوثب به فلم تطعه

وجعل هانى يترنم «ما الانتظار بسلمى لا يحييها» ويكرر ذلك ، فأوجس عبيدالله

ونهبض وفات مسلماً ما كان يؤمله باضاعة الفرصة .

قلت: ان هانياً لم يأمر مسلماً بقتل عبيدالله بل نهاه في عيادة عبيدالله له وفي

عيادته لشريك بن الاعور الذي كان نازلاً على هانى ، وانما شريك أمره بقتله ،

وهو الذي يترنم وأمره ، ففي الطبري عن أبى مخنف عن المعلى بن كلب عن

ابى الوداك قال : مرض هانى قبل أن يدخل عين عبيدالله على مسلم ، فجاء

عبيدالله عائداً له فقال له عمارة بن عبيدالسلولى : انما جماعتنا وكيدنا قتل هذا

الطاغية فقد أمكنك الله منه فاقتله . قال هانى : ما أحب أن يقتل في داري ، فخرج

فما مكث الا جمعة حتى مرض شريك بن الاعور - وكان كريماً على ابن زياد

وعلى غيره من الامراء وكان شديد التشيع - فأرسل اليه عبيدالله انى رائح اليك

العشية . فقال لمسلم : ان هذا الفاجر عائدي العشية فاذا جلس فاخرج اليه

فاقتله ثم اقعده في القصر ليس أحد يحول بينك وبينه ، فاذا برئت من وجهي

هذا أيامي هذه سرت الى البصرة وكفيتك أمرها ، فلما كان من العشي أقبل
عبيدالله لعيادة شريك ، فقام مسلم ليدخل فقال له شريك : لا يفوتك اذا جلس .
فقام هانى اليه فقال : اني لأحب أن يقتل في داري - كأنه استقبح ذلك - فجاء
عبيدالله وجعل يسأله عن حاله ، فلما طال سؤاله ورأى أن مسلماً لا يخرج خشي
أن يفوته فأخذ يقول :

ما تنظرون بسلامي ان تحيوها اسقونيها وان كانت فيها نفسى
قال ذلك مرتين أو ثلاثاً ، فقال عبيدالله : ماشأنه أترونه يهجر؟ قال له هانى :
نعم - الخ .

هذا ، وزاد في رواية الكليني بعده «ومن الحزم العزم ومن سبب الحرمان
التواني» .

(ليس كل طالب يصيب) قال «حد» قال الشاعر:

ما كل وقت ينال المرء ما طلبا ولايسوغه المقدار ما وهبا
(ولا كل غائب يؤب) أي يرجع ، قال «حد» كقول عبيد :
وكل ذي غيبة يؤب وغائب الموت لا يغيب

قلت : وقالوا في المثل «حتى يؤب القارطان» و«يعود المثلث» والمراد
لا يؤب فلان كما لا يؤب القارطان ولا يرجع فلان كما لا يرجع المثلث ، أما
القارطان فقالوا كانا رجلين من عنزة خرجا لطلب القرظ - أي ورق السلم -
للدباغ فلم يرجعا ، قال ابو ذؤيب :

وحتى يؤب القارطان كلاهما وينشر في القتلى كليب لوائل
وأما المثلث فكان من شرطة عبيدالله بن زياد ، فقتل بأمره خالد السدوسي
من الخوارج - وكان المثلث مغرمأ باشتراء اللقاح - فجاءه رجل من الخوارج
وقال له لك ما تحب فامض معي ، فذهب به الى داره وأغلق عليه الباب وثاروا به

فقتلوه ، فقال ابوالاسود :

آليت لأغدو الى رب لقحة أساومه حتى يعود المثلم
وفي أمثال الكرماني «لأفعله حتى يرجع ضالة غطفان» يعنون سنان بن ابي
حارثة المري ، وكان قومه عنفوه على الجود فقال : لأراني يؤخذ على يدي ،
فركب ناقته ورمى بها الفلاة فلم يربعد .

ثم نفي أوب الكل لايلزم نفي أوب البعض ، وعن الحلبي في سفیان بن
عمينة قال مسعر بن كدام: ان رجلا ركب البحر فانكسرت السفينة فوقع في جزيرة
فمكث ثلاثة أيام لم ير أحداً ولم يأكل ولم يشرب ، فتمثل بقول القائل :
إذا شاب الغراب أتيت أهلي وصار القار كاللبن الحليب
فأجابه صوت :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراؤه فرج قريب
فاذا سفينة قد أقبلت ، فلتوح اليها فأتوه فحملوه .
(ومن الفساد اضاءة الزاد) أي زاد الاخرة (ومفسدة المعاد) «ان تقول نفس
ياحسرتي على ما فرطت في جنب الله» .

هذا ، وليس «مفسدة المعاد» في رواية الكافي والحلي .
(ولكل امرأ عاقبة) هكذا في النسخ والصواب رواية الكليني «ولكل امرئ
عاقبة» .

(وسوف يأتيك ما قدر لك) قال «حد» هذا من قول النبي «ص» : وان يقدر
لاحدكم رزق في قلة جبل أو حضيض بغاء يأتيه .
قلت مورد كلام النبي «ص» الرزق المقدر ، ومورد كلامه «ع» كل أمر
مقدر لا خصوص الرزق كما قيل :

استقدر الله خيراً وارضين به فبينما العسر اذ دارت مياسير

(التاجر مخاطر) قال « حد » هذا الكلام ليس على ظاهره بل له باطن ،
وهو أن من مزج الاعمال الصالحة بالاعمال السيئة مثل قوله تعالى «خلطوا عملاً
صالحاً و آخر سيئاً» فانه مخاطر لانه لا يؤمن أن يكون بعض تلك السيئات تحبط
أعماله الصالحة كما لا يؤمن أن يكون بعض أعماله الصالحة يكفر تلك السيئات،
والمراد أنه لا يجوز للمكلف أن يفعل الا الطاعة أو المباح .

قلت : أين ربط (التاجر مخاطر) بآية «خلطوا عملاً صالحاً و آخر سيئاً»،
وما ذكره من بيان المراد من قبيل ما قيل بالفارسية «لفظ ميگوئي ومعنى زخدا
ميتلبي» مع أن قوله « كما لا يؤمن أن يكون بعض أعماله الصالحة يكفر تلك
السيئات» تعبير غلط ، فقولهم « لا يؤمن » انما يقال في مقام الخوف واحتمال
تكفير السيئة بالعمل الصالح رجاء ، وانما الظاهر والمتبادر من قوله عليه السلام
« التاجر مخاطر » أن التاجر وان يتجر بفصد الربح الا أنه لا يعلم هل يربح
أو يخسر، وكم تاجر خسر حتى هلك رأس ماله ، هذا هو المعنى المتبادر منه .
ويمكن أن يراد به المخاطرة من حيث الاخرة اذا لم يعرف مسائل المعاملة
فتصدر منه معاملات غير مشروعة كالربا وغيره ، أو يحمله الحرص على الخيانة
والكذب والبخس ، ففي الكافي عن الاصبغ سمعت أمير المؤمنين عليه السلام
يقول على المنبر : يا معشر التجار الفقه ثم ائمتجر ، الفقه ثم المتجر ، الفقه
ثم المتجر ، والله للربا في هذه الامة أخفى من ديبب النمل على الصفا ، شوبوا
إيمانكم بالصدق ، التاجر فاجر والفاجر في النار الا من أخذ الحق وأعطى
الحق .

وفيه : ان النبي صلى الله عليه وآله لم يأذن لحكيم بن حزام في تجارته حتى
ضمن له اقالة التادم وانظار المعسر وأخذ الحق وافياً وغير واف .

وفيه : عن النبي « ص » من باع واشترى فليحفظ خمس خصال والا فلا

يشترين ولايبعين : الربا ، والحلف ، وكتمان العيب ، والحمد اذا باع ، والذم اذا اشترى .

(ورب يسير أنمى) أي اكثر نمواً (من كثير) يتفق ذلك في الزرع كثيراً وفي كثير من الاشياء كالتجارة وفي الاغنام والاحشام وفي النسل ، وفي تفسير قوله تعالى «وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً * فأردنا ان يبدلهما ربهما خيراً منه زكوة وأقرب رحماً» أبدل الله والديه به بعد قتل الخضر له بنتاً ولدت سبعين نبياً .

وقد يقع ذلك في الكلام ، ففي تاريخ بغداد رثى مروان بن ابى حفصة واقفاً بباب الجسر كثيراً آسفاً ينكت بسوطه في معرفة دابته فقيل له : ما الذي نراه بك؟ قال أخبركم بالعجب ، فوصفت له ناقتي من خطامها الى خفيها ووصفت الفيافي من اليمامة الى بابه أرضاً أرضاً ورملة رملة حتى اذا أشفيت منه على غناء الدهر ، جاء ابن بياعة النخاخير - يعنى أبا العتاهية - فضعض بهما شعري وسواه في الجائزة بى . فقيل له : وما البيتان ؟ قال :

ان المطايا تشتكيك لانها تطوى اليك سباسباً ورمالا
فاذا رحلن بنا رحلن مخفة واذا رجعن بنا رجعن ثقالا
وقال البحتري :

أصل النزر الى النزر وقد يبلغ الحبل اذا الحبل وصل
من لفا هذا الى محسوس ذا ومن الذود الى الذود ابل
(ولاخير) هكذا في المصرية والصواب « لاخير » كما فى «حد» و«ثم»
والخطية .

(فى معين) بالضم من الاعانة (مهين) بالفتح من المهانة أي الضعف والذلة
(ولافي صديق ظنين) أي متهم ، قال عبدالرحمن بن حسان :

لاخير في الود ممن لاتزال له
مستشعراً أبداً من خيفة وجلا
اذا تغيب لم تبرح نسيء به
ظناً وتسال عما قال او فعلا
وقال المثقب العبدى :

فاما أن تكون أخي بصدق
فأعرف منك غنى من سميني
والا فاجتنبنى واتخذنى
عدواً اتقيك وتتقبنى

ومن شواهد عدم خير في الصديق الظنين ما ذكره المسعودي فى موجه
أنه كان للقاهر فى بعض الحصون بستان من ريحان وغرس من النارنج قد حمل
اليه من البصرة وعمان والهند قد اشتبكت أشجاره ولاحت ثماره كالنجوم من
احمر واصفر وبين ذلك أنواع الغروس والرياحين والزهر ، وقد جعل مع ذلك
فى الصحن أنواع الاطيار من القماري والدبابي والشحاري واللبغا مما جلب
اليه من الممالك والامصار وكان فى غاية الحسن ، وكان القاهر كثير الشرب عليه
والجلوس فى تلك المجالس ، فلما أفضت الخلافة الى الراضى اشتد شغفه
بذلك الموضوع ، فكان يساوم الجلوس والشرب فيه ، ثم ان الراضى رفق
بالقاهر وأعلمه بما هو فيه من مطالبة الرجال بالاموال ولا شىء قبله منها وسأله
ان يسعفه بما عنده منها اذا كانت الدولة له وان يتدبر تدبيره ويرجع فى كل
الامور الى قوله وحلف له بالايمان الوكيدة الا يسعى فى قتله ولا الاضرار به
ولا بأحد من ولده ، فأنعم له القاهر بذلك وقال له : ليس لي مال الا فى بستان
النارنج ، فصار به الراضى الى البستان وسأله عن الموضوع فقال له القاهر : قد
حجب بصري فلست أعرف موضعه ، ولكن مريحفره فانك تظهر على الموضوع
ولا يخفى عليك مكان ذلك ، فحفر الراضى البستان وقلع تلك الاشجار والغرس
والازهار حتى لم يبق منه موضع الا حفرة وبسولخ فى حفرة فلم يجد شيئاً ،
فقال له الراضى فما ههنا شىء مما ذكرت فما الذى حملك على ما صنعت ؟

فقال له القاهر : وهل عندي من المال شيء ، انما كانت حسرتي جلوسك في هذا الموضوع وتمتعك به وكان لذتي من الدنيا فتأسفت على أن يمتع به بعدي غيري فتأسف الراضي على ما توجه عليه من الحيلة في أمر ذلك البستان وندم على قبوله منه ، وأبعد القاهر فلم يكن يدنو منه خوفاً على نفسه أن يتناول بعض أطرافه .

(ساهل الدهر ما ذل لك قعوده) بالفتح البعير الذي يعتقه الراعي في كل حاجة ، قال الجوهري : وهو بالفارسية «رخت» وبتصغيره جاء المثل «اتخذوه قعيد الحاجات» اذا امتهنوا الرجل في حوائجهم ، وجمعه «قعدات» قال الاخطل : فبئس الظاعنون غداة شالت على القعدات اشباه الزباب
قال «حد» ومثل قوله عليه السلام المثل «من ناطح الدهر أصبح اجم» ،
«ودر مع الدهر كيفما دارا» ، وقوله :

ومن قامر الايسام عن ثمراتها فأحر به ان تنجلي ولها القمر
قلت : وهو كما ترى ، فان كلامه عليه السلام في مقام ومانقله في مقام نعم
نقله بيتاً آخر :

اذا الدهر اعطاك العنان فسربه رويداً ولا تعنف فيصبح شامساً
له ربط .

(ولا تخاطر بشيء رجاء اكثر منه) كمن يعطى ماله مضاربة بمن لا يعرفه فيمكن الا يرد عليه رأس مساله فضلاً عن عدم حصول ربح له ، وكمن يبيع نسيئة بأكثر من ثمن المثل ممن لا يثق به (واياك أن تجمخ) من جمخ الفرس براكبه (بك مطية) أي دابة (اللجاج) .

في الخبران موسى عليه السلام حين أراد أن يفارق الخضر قال له : أوصني فكان مما أوصاه ان قال له : اياك واللجاجة أو أن تمشي في غير حاجة .

هذا ، وفي العيون قال معاوية في صفين لما قتل العباس بن ربيعة الهاشمي
 عرار بن أدهم - وكان من فرسان الشام - متى ينطف فحل بمثله أيطل دمه لا والله
 الا رجل يطلب بدمه ، فانتدب له رجلا من لحم فقال لهما : أيكما قتل العباس
 فله كذا ، فأتياه ودعواه الى البراز فقال : ان لي سيداً أريد أن اوامره ، فأتى علياً
 عليه السلام فأخبره ، فقال : لود معاوية أنه ما بقي من هاشم نافخ ضرمة الاطعن
 في نيظه اطفاءً لنور الله ، وأخذ عليه السلام سلاح العباس ووثب على فرس
 العباس وقتل اللخميين ونمي الخبر الى معاوية فقال : قبح الله اللجاج انه ليعود
 ما ركبته قط الا خذلت ، فقال له عمرو بن العاص : المخذول والله اللخميان
 لا أنت .

(احمل نفسك من أخيك عند صرمة) أي قطعه (على الصلوة) عن ابن الانباري:

كم من قائل قد قال دعه	فلم يك وده لك بالسليم
فقلت اذا جزيت الغدر غدرا	فما فضل الكريم على اللثيم
واين الالف يعطفني عليه	واين رعاية الحق القديم

لاخر :

اذا ما صديقي رايني -سوء فعله	ولم يك عما ساءني بمفبق
صبرت على اشياء منه تربييني	مخافة ان ابقى بغير صديق

(وعند صدوده) أي اعراضه (على اللطف) بالضم مصدر لطف بالفتح، قال
 الفيروز آبادي لطف كنصر لطفاً : رفق ودنا ، فقول «حد» اللطف بفتح اللام
 والطاء الاسم من الطفه بكذا في غير محله .

(والمقاربة) قال الشاعر :

نفسك لا تعطيك كل الرضا	فكيف ترجوذاك من صاحب
أجل مصحوب حياة صفت	فهل خلت من هرم عائب

وقال النابغة :

واستبق ودك للصديق ولا تكن
ولبعضهم :

اذا ما خليلي ساءني سوء فعله
صبرت على ما كان من موء فعله

(وعند جموده على البذل وعند تباعده على الدنو وعند شدته على اللين

وعند جرمه على العذر) قال بعضهم :

اني اذا ما صاحبي تعدى
لم أوله بالعذل عدلاً قصدا
فان ابى الا التعدي عمدا
حتى يرى وجه اختياري سدا

وقال «حد» قال الشاعر :

وان الذي بيني وبين بني ابي
فان اكلوا لحمي وفرت لحومهم
وان زجروا طيراً بنحس زجرت
ولا احمل الحقد ! لقديم عليهم
ايضاً :

واني وان كان ابن عمي كاشحاً
لمقاذف من خلفه وورائه

(حتى كأنك له عبد وكأنه ذونعمة عليك) قال ابراهيم الصولي :

اميل مع الصديق على ابن عمي
وافرق بين معروفني ومني
فان ألفتني حراً مطاعاً
واقضي للصديق على الشقيق
واجمع بين مالي والحقوق
فانك واجدى عبداً للصديق

(واياك أن تضع ذلك في غير موضعه أو أن تفعله بغير أهله) فان بعض الناس كالضبع ، ومرت قصة من أجارها وأحسن اليها بعد نجاتها ممن أراد صيدها ، وأشار الى قصتها ابن عم مجيرها فقال :

ومن يصنع المعروف مع غير أهله يلاقي الذي لاقي مجير أم عامر
أدام لها حين استجارت بقربه قراها من البان اللقاح الغزائر
واشبعها حتى اذا ما تملأت فسرته بأنياب لها و اظافر
فقل لذي المعروف هذا جزاء من غدا يصنع المعروف مع غير شاكر
وفي الخبر: اربعة تذهبن ضياعاً : البذر في سبخة ، والسراج في القمر ،
والاكل على الشبع ، والمعروف الى من ليس بأهله .

وفي خبر آخر: اربعة تذهبن ضياعاً : علم عند من لااستماع له ، وسر تودعه عند من لاحصانه له ، ومودة تمنحها من لاوفاء له ، ومعروف عند من لايشكره .
واكثر الشعراء في ذلك ، قال بعضهم :

ولما رأيتك تنسى الذمام ولاقدر عندك للمعدم
وتجفو الشريف اذا ما اخل^(١) وتدني الدني على الدرهم
وهبت اخاءك لسلاعميين وللاثرمين ولم اظلم
وفي اللسان : الاعميين السيل والحريق ، والاثرمين الدهر والموت .

اذا كنت تأتي المرء تعرف حقه ويجهل منك الحق فالترك أجمل
وفي العيش منجاة وفي الهجر راحة وفي الارض عن لا يؤاتيك مرحل
أيضاً :

لانايل منك ولا موعده و لارسول فعليك السلام
أيضاً :

(١) أي صار به خلة وحاجة .

له حق و ليس عليه حق
وقد كان الرسول يرى حقوقاً
ومهما قال فالحسن الجميل
عليه لغيره و هو الرسول
أيضاً :

ودع العتاب اذا استربت بصاحب
ليست تنال مودة بخصام
أيضاً :

اذا كان خراجا اخوك من الهوى
فحل له وجه القراق ولا تكن
موجهة في كل اوب ركائبه
مطية رحال بعيد مذاهبه
يجبك وان عاتبته لان جانبه
لملمة

(لا تتخذن عدو صديقك صديقاً فنعادي صديقك) في الباب الاخير وقال
عليه السلام : اصداؤك ثلاثة وأعداؤك ثلاثة ، فأصدقاؤك صديقك وصديق
صديقك وعدو عدوك ، وأعداؤك عدوك وعدو صديقك وصديق عدوك . وقال
«حد» أكثر وافي المعنى :

اذا صافى صديقك من تعادي فقد عاداك وانقطع الكلام

(وامحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو) هكذا في المصرية والصواب
« أم » كما في « حد » و« ثم » والخطية (قبيحة) وعن النبي عليه السلام : أعن
أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فان كان مظلوماً فخذله بحقه وان كان ظالماً فخذله من نفسه
كان أبو مسلم استشار مالك بن الهيثم حين كتب اليه المنصور في القدم
عليه مريداً لقتله ، فأشار عليه مالك بعدم القدم ، فلما قتل المنصور بأبامسلم اذكر
مالكاً ذلك فقال له مالك : ان اخاك ابراهيم الامام حدث عن أبيه قال : لا يزال
الرجل يزاد في رأيه اذا نصح لمن استشاره واني لكم اليوم كذلك .

وفي الطبري ، كتب زياد الى معاوية اني قد ضبطت لك العراق بشمالي
ويميمني فارغة فأشغلها بالحجاز - الى أن قال - فخرجت طاعة على أصبعه

فأرسل الى شريح - وكان قاضيه - فقال له حدث بي ما ترى وقد أمرت بقطعها فأشرع علي . فقال له : أخشى أن يكون الاجل قد دنا فتموت أجذم أو يكون في الاجل تأخير وقد قطعت يدك فتعيش أجذم وتعير ولدك ، فتركها وخرج شريح فسألوه فأخبرهم بما أشار به فلاموه وقالوا له : هلا أشرت عليه بقطعها ، فقال : قال النبي « المستشار مؤتمن » .

(وتجرع الغيظ فاني لم أرجعة أحلى منها عاقبة ولا الذمغبة) أي عاقبة في العيون عن الرضا عليه السلام : أوحى الله تعالى الى نبي : اذا أصبحت فأول شيء يستقبلك فكله والثاني فاكتمه والثالث فأقبله والرابع فلاتؤيسه والخامس فاهرب منه ، فلما أصبح مضى فاستقبله جبل أسود عظيم فوقف وقال أمرني ربي أن آكل هذا وانه لا يأمرني الا بما أطيق ، فمشى اليه ليأكله ، فكلما دنا منه صغر حتى انتهى اليه فوجده لقمه فأكلها فوجدها أطيب شيء أكله ، ثم مضى فوجد طستاً من ذهب فقال أمرني ربي أن اكتم هذا ، فحفر له حفيرة وجعله فيها وألقى عليه التراب ، ثم مضى فالتفت فاذا الطست قد ظهر فقال قد فعلت ما أمرني ربي فمضى فاذا هو بطير وخلفه بازي فطاف الطير حوله فقال أمرني ربي أن أقبل هذا ، ففتح كفه فدخل الطير فيه ، فقال له البازي أخذت صيدي وأنا خلفه منذ أيام ، فقال أمرني ربي ألا أؤيس هذا ، فقطع من فخذه قطعة فألقاها اليه ، ثم مضى فاذا هو لحم مية ممتن مدود فقال أمرني ربي أن أهرب من هذا فهرب منه ورجع ، ورأى في المنام كأنه قيل له انك قد فعلت ما أمرت به فهل تدري ما ذاك ؟ قال : لا . قيل له : أما العجل فهو الغضب ان العبد اذا غضب لم يرنفسه وجهل قدره من عظم الغضب فاذا عرف نفسه وعرف قدره وسكن غضبه كانت عاقبته كاللحم الطيبة التي أكلها ، وأما الطست فهو العمل الصالح اذا كتمه العبد وأخفاه أبي الله الا أن يظهره ليزينه به مع ما يدخره من ثواب الآخرة ، وأما الطير فهو الرجل

الذي يأتيك بنصيحة فاقبله واقبل نصيحتته ، وأما البازي فهو الرجل الذي يأتيك في حاجة فلا تؤيسه ، وأما اللحم الممتن فهو الغيبة فاهرب منها .

وقال « حد » قال المبرد في كامله : أوصى علي بن الحسين ابنه محمداً فقال : يا بني عليك بتجرع الغيظ من الرجال حمراً ، والحليم أعز ناصراً وأكثر عدداً .

(ولن لمن غالظك فانه يوشك) أي يكاد (أن يلين لك) قال العسكري في أمثاله : كان هذيل بن هبيرة أغار على بني ضبة فأقبل بما غنم فقال أصحابه : أقسم بيننا غنيمتنا . فقال : أخاف الطلب ، فأبوا الا القسم ، فقال « اذا عز أخوك فهن » فصار مثلاً ، ومعناه اذا صعب أخوك فلن فانك ان صعبت أيضاً كانت الفرقة . وأخذ معاوية معنى المثل ، فقال لو أن بيني وبين الناس شعرة ممدودة ما انقطعت ، لاني اذا مددوا أرسلت واذا أرسلوا مددت .

وقال زياد : اياكم ومعاوية فانه اذا طار الناس وقع واذا وقعوا طار . هذا ، وقال العسكري قال الزجاج « هن » في المثل بالضم ، وهو خطأ انما هو بالكسر ، فانه بالضم من الهوان مع أنه من الهون بمعنى الرفق واللين ، قال تعالى « يمشون على الارض هوناً » .

قلت : لم نقف على من قال هان يهين حتى يكون الامر « هن » بالكسر ، وكيف وهو أجوف واوي ولم يجيء الاعلى يفعل بالضم ، وانما الفعل مشترك ويفرق بين المعنيين بالمصدر ، قال الفيروز آبادي : هان هوناً بالضم وهواناً ومهانة ذل وهوناً - أي بالفتح - سهل فهو هين .

هذا ، وفي عيون ابن قتيبة في باب المشورة قال معاوية : لقد كنت ألقى الرجل من العرب اعلم أن في قلبه ضغناً علي فاستشيرته فيشير الي منه بقدر ما يجده في نفسه ، فلا يزال يوسعني شتماً وأوسعته حتماً حتى يرجع صديقاً أستعين به

فيعينني وأستنجده فينجدني .

قلت : نتله في باب المشورة غلط كنتقله « فاستشيره » ، وانما هو « فاستشيره »
بشهادة قوله « فيشير الي منه بقدر ما يجده في نفسه » ولا ربط للمشورة هنا ولا
ربط للخبر بالمشورة .

(وخذ على عدوك بالفضل فانه أحلى الظفرين) قال تعالى « ادفع بالتي
هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » .

وفي مقاتل ابي الفرج : ان رجلا من آل عمر كان يشتم علياً عليه السلام اذا
رأى موسى بن جعفر ويؤذيه اذا لقيه ، فقال له بعض مواليه : دعنا نقتله . فقال :
لا ، ثم مضى راكباً حتى قصده في مزرعة له فتوطأها بحماره ، فصاح لاتدس زرعنا
فلم يصغ اليه وأقبل حتى نزل عنده وجعل يضاحكه وقال له : كم غرمت على
زرعك هذا . قال : مائة دينار . قال : فكم ترجو أن تربح . قال : لأدري . قال :
انما سألتك كم ترجو . قال : مائة أخرى . فأخرج ثلاثمائة دينار فوهبها له ، فقام
فقبل رأسه ، فلما دخل المسجد بعد ذلك وثب العمري فسلم عليه وجعل يقول
« الله أعلم حيث يجعل رسالته » فوثب أصحابه عليه وقالوا : ما هذا فشاتمهم ،
فقال عليه السلام لأصحابه : أيما كان خيراً ما أردتم أو ما أردت .

وقالوا : وقف رجل عليه مقطعات على الاحنف يسبه ، وكان عمرو بن الاثم
جعل له ألف درهم على أن يسفه الاحنف ، فجعل لا يألوان يسبه سباً يغضب
والاحنف مطرق صامت ، فلما رآه لا يكلمه جعل الرجل يعرض ابهاميه ويقول :
يا سواتاه والله ما يمنعه من جوابي الاهواني عليه ، وقال الشاعر :

كم صديق بالعتب صار عدواً وعدو بالحلم صار صديقا

(وان أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية ترجع اليها ان بداله)
هكذا في النسخ والظاهر كونه مصحف « لك » فان القطيعة كانت أولاً منه لا من أخيه

(ذلك يوماً ما) في عيون ابن قتيبة كان يقال : لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً .
وقال الحسن : أحبوا هوناً ، فان أقواماً افرطوا في حب قوم فهلكوا .
وفي ٣/٢٢٦ «احب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغضك يوماً ما ،
وابغض بغضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما» .

وقال «حد» وكان عليه السلام يقول :

إذا هويت فلا تكن غالياً وإذا تركت فلا تكن قالياً

(ومن ظن بك خيراً فصدق ظنه) في تاريخ بغداد : ولى المنصور رجلاً
من بني العباس يقال له قثم ، فأتاه أعرابي فقال :

يا قثم الخير جزيت الجنة اكس بنياتي وامهنة أقسم بالله لتفعلنه

فقال قثم : والله لا أفعل . فقال الاعرابي : لكن لو أقسمت على معن بن

زائد لابر قسمي ، فبلت الكلمة معناً فبعث اليه ألف دينار . وقال الشاعر :

لا تجبهن بالرد وجه مؤمل فبقاء عزك ان ترى مأمولاً

(ولا تضيعن حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه ، فانه ليس لك بأخ من

أضعت حقه) قال البحرني في عتاب بن بسطام :

وكما يسرك لين مسي راضياً فكذاك فاحش خشونتي غضبانا

ومع كون جميل صاحب بشينة من العشاق المعروفين وقال فيها :

خليلي في ما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

دعا عليها لما رأى منها الاذى فقال :

رمى الله في عيني بشينة بالقذى وفي العر من أنيابها بالقوادح

في المعجم قيل لابراهيم بن العباس الصولي : ان فلاناً يحب أن يكون

لك واياً . فقال : أحب أن يكون الناس جميعاً اخواني ولكني لا آخذ منهم الا

من أطبق قضاء حقه والا استحالوا أعداءاً ، وما مثلهم الاكمل النار قليها مقنع

وكثيرها محرق .

وفي كامل المبرد : قال سعيد بن سلم الباهلي : عرض لي أعرابي فمدحني
فبلغ فقال :

ألاقل لساري الليل لا تخش ضلّة سعيد بن سلم ضوء كل بلاد
لنا سيد أربي على كل سيد جواد حثافي وجه كل جواد

فتأخرت عن بره قليلا فهجاني فبلغ فقال :

لكل أخي مدح ثواب يعده وليس لمدح الباهلي ثواب
مدحت ابن سلم والمديح مهزة فكان كصفوان عليه تراب
ومما قيل في ذلك من الشعر :

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف معدل
أحسن صحابتنا فانك مدرك بعض اللبانة باصطناع الصاحب
وإذا جفوت قطعت عنك لبانتني والدر يقطعه جفاء الحالب
وقيل بالفارسية :

گرت روا است که بادوست نگسلی پیوند نگاهدار سر رسته تا نگهدار
(ولا يكن اهلك أشقى الخلق بك) فيتمنون موتك وزوال نعمتك .

هذا ، وفي الاغاني عن الحسين بن الضحاك الشاعر : شربنا يوماً مع الامين
في بستان ، فسقانا على الرقيق وجد بنا في الشرب وتحرز من أن نذوق شيئاً ،
فاشدد الامر علي وقمت لا بول فأعطيت خادماً من الخدم ألف درهم على أن
يجعل لي تحت شجرة أومأت اليها رفاقة فيها لحم ، فأخذ الالف و فعل ذلك
ووثب محمد فقال : من يكون منكم حماري ، فكل واحد منهم قال له أنا لانه
كان يركب الواحد منا عبثاً ثم يصله ، ثم قال : يا حسين أنت أطلع القوم فركبني
وجعل يطوف وأنا أعدل به من الشجرة وهو يمر بي اليها حتى صار تحتها . فرأى

الرفاقه فتطأطأ فأخذها فأكلها على ظهري وقال : هذه جعلت لبعضكم ، ثم رجع الى مجلسه وما وصلني بشيء ، فقلت لاصحابي : انا أشقى الناس ركب ظهري وذهب ألف درهم مني وفاتني ما يمسك رمقي ولم يصلني كعادتي ، ما أنا الا كما قال الشاعر :

ومطعم الصيد يوم الصيد مطعمه أنى توجه والمحروم محروم
(ولا ترغبني في من زهد عنك) هكذا في المصرية والصواب «فيك» كما في «حد» و«ثم» والخطية .

في عيون ابن قتيبة : قال ابن الزبير يوماً : والله لو ددت أن لي بكل عشرة من أهل العراق رجلاً من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم . فقال له ابو حاضر : مثلنا ومثلك كما قال الاعشى :

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً غيري وعلق أخرى غيرها الرجل
أحبك أهل العراق واحببت أهل الشام ، واحب أهل الشام عبد الملك .
وأكثر الشعراء في ذلك ، فقال ابوبكر الخوارزمي :

ولما أن غرست اليك ودي فلم يثمر لديك زكي غرسي
أردت ملالة واردت هجرأ فصنتك عنهما فهجرت نفسي
لان الذنب ذنبي حين أهدي الى من يريد الانس أنسي

وقال «حد» قال العباس بن الاحنف :

ما زلت أزهد في مودة راغب حتى ابتليت برغبة في زاهد
هذا هو الداء الذي ضاقت به حيل الطبيب وطال يأس العائد
وقيل :

وفي الناس ان رثت حبالك واصل وفي الارض عن دار القلى متحول
(ولا يكونن أخوك على مقاطعتك أقوى) هكذا في المصرية والصواب

«ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك» كما في «حد» و«ثم» والمخطبة (منك على صلته ولا يكونن على الاساءة أقوى منك على الاحسان) .

روى ابو الفرج في مقاتله والمفيد في ارشاده والصدوق في عيونه أن الرشيد جعل ابنه في حجر جعفر بن محمد بن الأشعث - وكان يقول بالامامة - فحسده يحيى البرمكي - فقال يوماً لبعض ثقاته أتعرفون لي رجلاً من آل ابي طالب ليس بواسع الحال فيعرفني ما احتاج اليه ، فدل على علي بن اسمعيل بن جعفر ، فحمل اليه مالا وأنفذ اليه يرغبه في قصد الرشيد ويعده بالاحسان اليه . فعمل على ذلك و أحس به عمه موسى بن جعفر عليه السلام فدعاه فقال له : يا ابن أخي الى أين ؟ قال : الى بغداد . قال : وما تصنع ؟ قال : علي دين وأنا مملق فقال له : فأنا أقضي دينك وأفعل بك وأصنع فلم يلتفت الى ذلك وعمل على الخروج ، فاستدعاه موسى «ع» وقال له : أنت خارج . قال : نعم لابدلي من ذلك . فقال له : أنظر يا ابن أخي واتق الله ولا تؤتمن أولادي وامرله بثلاثمائة دينار وأربعة آلاف درهم ، فلما قام من بين يديه قال موسى لمن حضره : والله ليسعين في دمي وليؤتمن أولادي . فقالوا : تعلم هذا من حاله وتعطيه وتصله ، فقال لهم : نعم حدثني ابي عن آبائه عن النبي «ص» ان الرحم اذا قطعت فوصلت فقطعت قطعها الله ، واني أردت أن أصله بعد قطعه لي حتى اذا قطعني قطعه الله ، فخرج علي بن اسمعيل حتى أتى يحيى فعرف منه خبر موسى بن جعفر «ع» ورفع الي الرشيد فسأله عن عمه فسعى به اليه وقال له : ان الاموال تحمل اليه من المشرق والمغرب . فأمر له الرشيد بمائتي ألف درهم يسبب له بها على بعض النواحي فاختار بعض كور المشرق ، ومضت رسله لقبض المال وأقام وصوله فدخل في بعض تلك الايام الى الخلاء فحز حرة خرجت منها حشوته كلها وجهدوا في ردها فلم يقدروا ، وجاءه المال وهو ينزع فقال : ما اصنع به

وأنا في الموت .

وروى الكليني والكشي القصة ناسباً الى محمد بن اسمعيل بن جعفر، والظاهر
أصحية الاول لتضمن السير بقاء محمد بن اسمعيل الى زمان المأمون .

هذا ، وزاد في رواية الرسائل «ولاعلى البخل أقوى منك على الجدل ولا
على التقصير أقوى منك على الفضل» .

(ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانه يسعى في مضرتة ونفعك) فيوم المظلوم
على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم ، وما يأخذ المظلوم مسن دين
الظالم اكثر مما يأخذ الظالم من دنيا المظلوم .

(وليس جزاء من سرك ان تسوءه) فالعقل يحكم بأن جزاء من سرك أن تسره
«هل جزاء الاحسان الا الاحسان» والكلام مستقل وتوهم «حد» كونه تعليلاً
لسابقه .

(واعلم يا بني أن الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تأتته أتاك)
في شعراء ابن قتيبة : وفد عروة بن أذينة على هشام بن عبد الملك فقال له هشام
ألسن القائل :

لقد علمت وما الاشراف من خلقي ان الذي هو حظي سوف يأتيني
أسعى له فيعنيني تطلبه ولو قعدت أتاني لا يعنيني
قال: بلى . قال: فما أقدمك علينا . قال: سأنظر في ذلك، وخرج وارتحل
من ساعته وبلغ هشاماً فأتبعه بجائزة .

ومرت قصة الناشئ الشاعر وأنه مدح سيف الدولة فلم يعطه شيئاً ورأى
انه يطعم كلابه لحوم السخال فقال له : الكلب عندكم أحسن من الاديب ،
ثم ضل بغل موقر بالمال حمل الى سيف الدولة فذهب ليلا على باب الناشئ
فأخذ ماله واطلقه ثم دخل على سيف الدولة وأنشده :

ومن ظن أن الرزق يأتي بحيلة فقد كذبتة نفسه وهو آثم
يفوت الغنى من لا ينام عن السرى وآخر يأتي رزقه وهو نائم

ففظن سيف الدولة من شعره أنه وجد البغلة وأخذ المال. ول بعضهم :

اتق الله لا الاعداء واعلم يقينا بأن الذي لم يقضه لن يصيبك
وحظك لا يعدوك ان كنت قاعداً ولا انت تعدو حين تعدو نصيبك

(ما أقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى) زاد في رواية الكليني
«واعلم أن الدهر ذو صرف فلا تكن ممن يشتد لائمته ويقل عند الناس عذره».

ونظير كلامه عليه السلام ما عن النبي «ص» ما أقبح الفقر بعد الغنى ،
وأقبح الخطيئة بعد المسكنة ، وأقبح من ذلك العابد لله ثم يدع عبادته. ومن
شواهد كلامه «ع» قول بعضهم :

وما الموت قبل الموت غير اننى ارى ضرعا بالعسر يوم ألدى اليسر
ومدح ابراهيم الصولي رجلا بضد ذلك فقال :

يعرف الابدع ان أئسرى ولا يعرف الاذنى اذا ما افتقرا
وقال «حد» قال الشاعر :

خلقان لا أرضا هما للفتى تيه الغنى ومذلة الفقر
فاذا غنيت فلا تكن بطراً واذا افتقرت فته على الدهر

وقال : كلامه عليه السلام من قوله تعالى «حتى اذا كنتم في الفلك وجرين
بهم بريح طيبة وفرحوا بها جائتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان
وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين * فلما نجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق» .

قلت : بل الآية فى مقام وكلامه عليه السلام فى مقام ، فهل الخضوع لله
وقت الاحاطة بهم فى البحر قبيح ، وانما يقبح الخضوع للناس وقت الحاجة ،

والمراد من الآية نقض الناس عهودهم مع الله تعالى في الاضطراب بعد رفعه .
(ان لك من دنياك ما أصلحت به مثواك) أي محل اقامتك ، وزاد في رواية
التحفة والرسائل «فأنفق في حق ولا تكن خازناً لغيرك» .

قال «حد» كلامه عليه السلام مأخوذ من كلام النبي «ص» : يا ابن آدم ليس
لك الا ما أكلت فأفنيته أو لبست فألبيت أو تصدقت فأبقيت . وقال ابو العتاهية :
ليس للمتعب الكادح في دنياه الا الرغيف و الطمران
(وان جزعت) كذا في المصرية والصواب «وان كنت جازعاً» كما في
«حد» و«ثم» والمخطية (على ما تغلت) أي خرج بغتة (من يدريك فاجزع على كل
مالم يصل اليك) لكونه نظيره في عدم تقدير أحدهما له ، وهو أيضاً نظير أن
يخرج الانسان في يقظته على فوت ما حصل بيده في النوم .

(استدل على مالم يكن بما قد كان فان الامور أشباه) فتعرف مالم يكن مما
كان . قال « حد » يقال اذا شئت أن تنظر الى الدنيا بعدك فانظرها بعد غيرك ،
وقال المتنبي في سيف الدولة :

ذكي تظنيه طليعة عينه يرى قلبه في يومه ما يرى غدا

قلت : البيت غير مربوط بكلامه عليه السلام ، فانه في الاعتبار للاتي
بالماضى والبيت وصف الذكاء ، كقول الآخر :

الاعمى الذي يظن بسك الظن كأن قد رأى و قد سمعا

وكيف كان فزاد في رواية الرسائل «ولانكفر ذانعمة فان كفر النعمة من الام
الكفر وأقبل العذر» .

(ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة الا اذا بالغت في ايلامه فان العاقل يتعظ
بالاداب) هكذا في المصرية والصواب «بالادب» كما في «حد» و«ثم» والمخطية
(والبهائم لاتتعظ الا بالضرب) وزاد في رواية الكليني «اعرف الحق لمن عرفه

لك رفيعاً كان أو وضيعاً» ، قال بشار :

الحر يلحى والعصا للعبد وليس للملحف مثل الرد
وقال «حد» كان يقال اللثيم كالعبد والعبد كالبهيمة عتبتها ضربها ، وقال الشاعر :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامه
(اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين) «واصبر على ما
أصابك ان ذلك من عزم الامور» ، قال الشاعر :

خفض عليك من الهموم فانما يحظى براحة دهره من خفضاً
أيضاً :

اذا تضايق أمر فانتظر فرجاً فأضيق الامر ادناه من الفرج
أيضاً :

ان الامور اذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتججا
لا يتأسن وان طالت مطالبه اذا استعنت بصبر أن يرى فرجا
اخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للابواب ان يلجا
أيضاً :

اني رأيت واللايام تجربة للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد في امر يطالبه واستصحب الصبر الا فاز بالظفر
أيضاً :

فصبراً معين الملك ان عن حادث فعاقبة الصبر الجميل جميل
ولا يتأسن من صنع ربك انه ضمين بأن الله سوف يديل
فان الليالي اذ يزول نعيمها تبشر ان النائبات تسزل
ألم تر أن الشمس بعد كسوفها لها منظر يغشى العيون صقيل
وان الهلال النضو يغمر بعد ما بدا وهو شخت الجانبين ضئيل

ولا تحسبن السيف يقصر كلما
ولا تحسبن الدوح يقلع كلما
فقد يعطف الدهر الابي عنانه
ويرتاش مقصوص الجناحين بعدما
ويستأنف الغصن السليب نضارة
وللنجم من بعد الرجوع استقامة
تعاوده بعد المضاء كلول
يمر به نفح الصبا فيميل
فيشفي عليل او يبسل غليل
تساقط ريش واستطار نسيل
فيورق ما لم يعتوره ذبول
وللحظ من بعد الذهاب قفول
(من ترك القصد) أي العدل ، قال الشاعر :

على حكم المأتي يوماً اذا قضى
قضيته ألا يجور و يقصد
(جار) كان غريب بن عمليس مبذراً ، ومن أمثالهم «ومن يطع غريباً يمس
غريباً» ، «من يطع عكباً يمس منكباً» ، «من يطع نمره يفقد ثمرة» .
وزاد في رواية الرسائل «ونعم حظ المرء القنوع ، ومن شر ما صاحب المرء
الحسد ، وفي القنوط التفريط ، والشح يجلب الملامة» .
(والصاحب مناسب) أي يجب أن يكون صاحبك مناسبك ، قال الشاعر :
نسيك من ناسبت بالود قلبه وجارك من صافيته لا المصاقب
وفي عيون ابن قتيبة قال بختيشوع للمأمون : لا تجالس الثقلاء فانا نجد
في الطب مجالسة الثقيل حمى الروح .

وكتب رجل على خاتمه «أبرمت فقم» فكان اذا جلس اليه ثقيل ناوله اياه ،
وقال بعضهم :

اني أجالس معشراً
قوم اذا جالستهم
لا يفهموني قولهم
فهم كثير بي واعلم
نوكي أخفهم ثقيل
صدأت بقربهم العقول
ويدق عنهم ما أقول
انسي بهم قليل

أيضاً :

ألا ان خير الود ود تطوعت به النفس لاوداتي وهو متعب

أيضاً :

ذوالود مني وذوالقربى بمنزلة
عصابة جاورت آدابهم ادبي
أرواحنا في مكان واحد وغدت
واخوتي أسوة عندي واخواني
فهم وان فرقوا في الارض جيرانني
ابداننا بشام او خراسان

أيضاً :

ابن لي فكن مثلي أو اتبع حاصباً
عزير اخائي لا ينال مودتي
وما يلبث الاخوان ان يتفرقوا
كمثلك اني مبتغ صاحباً مثلي
من القوم الا مسلم كامل العقل
اذا لم يؤلف روح شكل الى شكل

وكتب رجل الى صديقه : اني صارفت منك جوهر نفسي ، فأنا غير محمود
على الانقياد لك بغير زمام ، لان النفس يتبع بعضها بعضاً ، وقالوا «طير السماء
على الفه من الارض يقع» وقيل :

وقائل كيف تهاجرتما
لم يك من شكلي فتاركته
فقلت قولاً فيه انصاف
والناس اشكال والاف

هذا ، وفي تاريخ بغداد : اجتمع ثمامة بن اشرس و يحيى بن اكنم عند
المأمون ، فقال ليحيى : العشق ماهو؟ فقال : سوانح تسنح للعاشق يؤثرها ويهتهم
بها . فقال ثمامة : أنت بمسائل الفقه أبصر منك بهذا ونحن بهذا أحذق . فقال
له المأمون : فهات ما عندك . قال : اذا امتزجت جواهر النفس بوصل المشاكلة
نتجت لمح نور ساطع يستضيء به بواصر العقل وتهز لاشراقه طبائع الحياة ،
ويتصور من ذلك اللمح نور خاص بالنفس متصل بجوهرها يسمى «عشقاً» .
فقال له المأمون : هذا وأبيك الجواب .

وفيه : ان الرشيد لما غضب على ثمامة دفعه الى سلام الابرش و أمره أن يضيق عليه ويدخله بيتاً ويطين عليه ويترك فيه ثقباً ، ففعل دون ذلك وكان يدس اليه الطعام ، فجلس سلام عشية يقرأ في المصحف فقرأ «ويل يومئذ للمكذبين» بالفتح ، فقال له ثمامة انما هو «للمكذبين» وجعل يشرحه ويقول المكذبون هم الرسل والمكذبون الكفار . فقال : قد قيل لي انك زنديق ولم أقبل . ثم ضيق عليه أشد الضيق ، ثم رضي الرشيد عنه وجالسه فقال ولمن معه : أخبروني عن أسوأ الناس حالا ، فقال كل واحد شيئاً ، فقال ثمامة : أسوأ الناس حالا عاقل يجري عليه حكم جاهل . فتبين الغضب في وجهه فقال ثمامة : ما أحسب وقعت بحيث أردت . قال : فاشرح ، فحدثه بحديث سلام ، فجعل يضحك حتى استلقى وقال : صدقت والله لقد كنت أسوأ الناس حالا .

(والصديق من صدق غيبه) .

واين الشريك في المرابنا	خير اخوانك المشارك في المر
وان غبت كان اذنا و عيننا	الذي ان شهدت سرك في القوم
جلاه الجلا فاز داد زينا	مثل تبر العقبان ان مسه النار

في تاريخ بغداد قال الواقدي : أضقت مرة وأنا مع يحيى البرمكي وحضر عيد فاجاءتني جارية فقالت لي : ليس عندنا شيء ، فمضيت الى صديق لي من التجار فعرفته حاجتي الى القرض ، فأخرج الي كيساً مختوماً فيه ألف ومائتا درهم ، فأخذته وانصرفت الى منزلي ، فما استقررت فيه حتى جاءني صديق لي هاشمي فشكا الي تأخر غلته وحاجته الى القرض ، فدخلت الي زوجتي فقالت : أي شيء عزمتم ؟ قلت : على ان أقاسمه الكيس . قالت : ما صنعت شيئاً أتيت رجلاً سوقة فأعطاك ألفاً ومأتي درهم وجاءك رجل له من النبي «ص» رحم ماسة تعطيه نصف ما أعطاك السوقة اعطه الكيس كله ، فأخرجت الكيس كله فدفعتة

اليه ، ومضى صديقي التاجر الى الهاشمي - وكان له صديقاً ، فسأله القرض فأخرج اليه الهاشمي الكيس ، فلما رأى خاتمه عرفه وانصرف الي فخببرني بالامر وجاءني رسول يحيى يقول : انما تسأخر رسولي عنك لشغلي بحاجات الخليفة ، فركبت اليه فأخبرته بخبر الكيس فقال : يا غلام هات تلك الدنانير ، فجاءه بعشرة آلاف فقال : خذ ألفي دينار لك وألفين لصديقك وألفين للهاشمي واربعة آلاف لزوجتك فانها أكرمكم .

(والهوى شريك العناء) هكذا في المصرية والصواب « العمى » كما في « حد » و « ثم » والخطية ، بل وفي رواية الكليني - وزاد في روايته « ومن التوفيق الوقوف عند الحيرة ، ونعم الطارد للهموم اليقين ، وعاقبة الكذب الندم ، وفي الصدق السلامة » .

والمراد أنه كما أن ذا العمى لا يبصر كذلك ذوالهوى في شيء . قال أبو العتاهية :

يا عتب ما أنا من صنيعك بي أعمى ولكن الهوى أعماني
وفال « حد » هذا مثل قولهم « حبك الشيء يعمي ويصم » ، وقال الشاعر :
وعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدي المساويا
(رب قريب أبعد من بعيد ورب بعيد أقرب من قريب) هكذا في المصرية
والصواب « رب بعيد أقرب من قريب وقريب أبعد من بعيد » كما في « حد »
و « ثم » والخطية .

في تاريخ بغداد - في محمد بن علي الانباري - أن علياً كان يقول « القريب من قرّبه المودة وأن بعد نسبه ، والبعيد من بعدته العداوة وان قرب نسبه » .
وفيه - في كلثوم بن عمرو العتابي - كتب طوق بن مالك الى كلثوم يستزيره ويدعوه الى أن يصل القرابة بينه وبينه ، فرد عليه كلثوم : ان قريبك من قرب

اليك خيره ، وان عمك من عمك نفعه ، وان عشيرتك من أحسن عشرتك ، وان
أخص الناس اليك أجداهم بالمنفعة عليك ، ولذلك أقول :

ولقد بلوت الناس ثم سبرتهم وخبرت ما فتلوا من الاسباب
فاذا القرابة لا تقرب قاطعاً واذا المودة اكبر الاسباب
وقال ابو الاسود :

فلا تشعرن النفس ياساً فانما يعيش بجد حازم وبليد
ولا تطمعن في مال جار لقربه فكل قريب لا ينال بعيد
وفى المعمرين لابي حاتم قال الاضبط بن قريع :

وصل وصال البعيد ما وصل الحبل واقص القريب ان قطعه
وقال « حد » ما قاله عليه السلام معنى مطروق ، قال الاحوص :
اني لا منحك الصدود واننى قسماً اليك مع الصدود لاميل
وقال البحترى :

ونازحة والدار منها قريبة وما قرب ثاوفي التراب مغيب
وقال الشاعر :

لعمرك ما يضر البعيد يوماً اذا دنت القلوب من القلوب
قلت: معنى ما نقل غير كلامه عليه السلام ، وانما يصح جعله قريباً من كلامه
(والغريب من لم يكن له حبيب) وقالوا أيضاً « الغريب من لم يكن له مال »
وقيل بالفارسية :

منعم بكوه ودشت وبيابان غريب نيست

هرجا كه رفت خيمه زد وبارگاه كرد

(من تعدى الحق ضاق مذهبه) فان الحق كالجادة ومتعديه كالمتعدي من
الجادة ، وفي المثل « من سلك الجدد أمن العثار » ، وقال تعالى « وان هذا

سبيلي فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله .

(ومن اقتصر على قدره كان أبقى له) قال « حد » هذا مثل قوله « رحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد طوره » وقال « من جهل قدره قتل نفسه » .
قلت : الظاهر أن معنى كلامه عليه السلام « من اقتصر على قدره كان أبقى له »
ان من اقتصر على قدر ماله في انفاقاته ووجوه مصارفه كان أبقى له من أن يتلف كل ماله ، فالأقتصر على قدره غير عرفان قدره وجهله كما فهم .
وفي العميون : دخل مالك بن دينار على رجل محبوس قد أخذ بمال عليه وقيد ، فقال له : أما ترى ما نحن فيه من هذه القيود ، فرفع مالك رأسه فرأى سلة فقال : لمن هذه ؟ فقال : لي ، فأمر بها أن تنزل ، فأنزلت واذا دجاج واخبصة فقال له : هذه وضعت القيود في رجلك .

(وأوثق سبب أخذت به سبب) الاصل في معنى السبب الحبل والسوسيلة (بينك وبين الله) هكذا في المصرية وفيها سقط فزاد « حد » والخطية « سبحانه » ولكن في نسخة « ثم » « تعالى » . قال « حد » هو مأخوذ من قوله تعالى « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها » .

قلت : وكذا قرأه تعالى « ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم » .
والسبب بين الخلائق والخالق كان أولا النبي « ص » وكتابه تعالى وبعده كتابه تعالى وعترته نبيه ، فقال النبي - كما في مسند أحمد بن حنبل - اني تارك فيكم الخليفتين كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض .

وبمعنى آخر الفصل عن غيره تعالى والوصل به عز وجل ، ففي الكافي :
أوحى تعالى الى داود ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نبيته ثم تكيده السماوات والارض ومن فيهن الا جعلت له المخرج

من بينهم ، وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيته الا
قطعت أسباب السماوات من بين يديه وأسخت الارض من تحته ولم أبال من أي
واد هلك .

وفي خبر آخر: ومن اعتصم بالله عصمه الله ومن عصمه لم يبال لو سقطت
السما على الارض أو كانت نازلة نزلت على اهل الارض فشمئلتهم بلية كان في
حرز الله تعالى بالتقوى من كل بلية ، أليس الله تعالى يقول « ان المتقين في
مقام أمين » .

وفي آخر عن الحسين بن علوان : كنا في مجلس نطلب فيه العلم وقد نفدت
نفقتي في بعض أسفاري ، فقال لي بعض أصحابنا : من تؤمل بما قد نزل بك .
فقلت : ولانأ . فقال : اذن والله لا يسعف حاجتك . قلت : وما علمك ؟ قال : ان
أبا عبد الله عليه السلام حدثني انه قرأ في بعض الكتب ان الله تعالى يقول :
وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لا قطعن أمل كل أمل غيري باليأس
ولا كسونه ثوب المذلة عند الناس ، ولانحينه من قربي ولا بعدنه من وصلي ،
أيؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي ، ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب
غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني ، فمن ذا الذي
أملني لنوائبه فقطعته دونها ، ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني ،
جعلت آمال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي ، وملأت سماواتي ممن
لا يمل من تسيحي وأمرتهم أن لا يغلقوا الابواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا
بقولي ، ألم يعلم من طرفته نائبة من نوائبي انه لا يملك كشفها أحد غيري الا من
بعد اذني ، فمالي أراه لاهياً عني أعطيته بجودي مالم يسألني ثم انتزعت منه فلم
يسألني رده وسأل غيري ، افترانني ابدأ بالعتاء قبل المسألة ثم اسأل فلا أجيب
سألني ، أبخيل أنا فيبخلني عبدي ، أوليس الكرم لي ، أوليس العفو والرحمة

بيدي ، أوليس أنا محل الامسال فمن يقطعها دوني ، أفلم يخش المؤمنون أن يؤملوا غيري ، فلو أن اهل سماواتي وأهل أرضي أملوا جميعاً ثم أعطيت كل واحد منهم مثل ما أمل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة ، وكيف ينقص ملك أنا قيمه ، فيا بؤساً للقانطين من رحمتي وبابؤساً لمن عصاني ولم يراقبني .

(ومن لم يبالك فهو عدوك) قال ابو العيناء :

لعمرك ما حق امرىء لا يعدلي على نفسه حقاً علي بواجب
وما انا للنائي علي بوده بودي و صافي خلتي بمقارب
ولكنه ان مال يوماً بجانب من الصد والهجران ملت بجانبي

هذا ، وفي الاغاني نهق حمار ذات يوم بقرب بشار فخطر بباله بيت فقال:
ما أيرحمار فامتلا شعباً الا تحرك عرق في است تسنيم
ولم يرد تسنيماً بالهجاء ولكنه لما بلغ الى قوله «الا تحرك عرق» قال في
أست من ، ومر به تسنيم وكان صديقه فسلم عليه فقال : في أست تسنيم . فقال:
أيش ويحك ، فأنشده البيت . فقال له : عليك لعنة الله ، فما عندك فرق بين
صديقك وعدوك ، أي شيء حملك على هذا ؟ ألا قلت «في است حمار» الذي
فضحك وأعياك وليست قافيتك على الميم فأعذرک . قال : صدقت والله في هذا
كله ولكن ما زلت أقول «في أست من في أست من» ولا يخطر ببالي أحد حتى
مررت وسلمت فرزقته . فقال له تسنيم : اذا كان هذا جواب التسليم عليك فلا
سلم الله عليك ولا علي حين سلمت عليك . وجعل بشار يضحك ويصفق بيديه
وتسنيم يشتمه .

(قد يكون اليأس ادراكاً اذا كان الطمع هلاكاً) قال امرؤ القيس :

وقد سافرت في الافاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب
البحثري :

إذا بدا بخلاء الناس عارفة
يتبعها المن فالمرزوق من حرما
آخر :

الليل داج والكباش تنتطح
فمن نجا برأسه فقد ربح
(ليس كل عورة تظهر ولا كل فرصة تصاب) ولو كان كل عورة - والعورة
موضع خلل يتخوف منه - تظهر لا يمكن لكثير من الناس استيصال أعدائهم ،
ولو كان كل فرصة تصاب لاصح الناس كثيراً من أمور دينهم ودنياهم .
(وربما اخطأ البصير قصده ، وأصاب الاعمى رشده) وقالوا : لكل جواد
كبوة ، ولكل صارم نبوة ، ولكل عالم هفوة . وقال محمد بن بشير :
تخطي النفوس مع العيان وقد تصيب مع المظنه
كم من مضيق في الفضا و مخرج بين الا سنه
ولابي العتاهية :

وقد يهلك الانسان من باب أمنه
وينجواذن الله من حيث يحذر
ومن أمثالهم «رب رمية من غير رام» . قال الكرمانى : وأول من قاله الحكيم
ابن عبد يغوث المنقري - وكان ارمى أهل زمانه - آلى يميناً ليدجن على الغيب
مهارة - أي يقطع عرق ماتدلى تحت حنك بقرة وحشية بالرمي - فحمل قوسه
وكنانته فلم يصنع يومه ذلك شيئاً ، فرجع كثيراً وبات ليلته على ذلك ، ثم خرج
الى قومه فقال : ما أنتم صانعون ، فاني قاتل نفسي ان لم أدجها اليوم . فقال له
أخوه : دج مكانها عشرة من الابل ولا تقتل نفسك . قال : واللات والعزى لا
أظلم عاترة ولا أترك نافرة . فقال له ابنه : احملني معك أرفدك . فقال له أبوه :
وما أحمل من رعش وهل وجبان فشل . فضحك الغلام وقال : أن لم تر
أوداجها يخالط أمشاجها فاجعلني وداجها . فانطلقا فاذا هما بمهارة فرماها الحكم
فأخطأها ثم رمت به أخرى فأخطأها ثم رمت به أخرى فرماها فأخطأها ، فقال له

ابنه : اعطني القوس ، فأعطاها فرماها ولم يخطئها فقال ابوه «رب رمية من غير رام» يضرب لصدور الفعل من غير أهله .

(آخر الشر فانك اذا شئت تعجلته) قريب من كلامه عليه السلام قول هذبة

العذري :

ولا أتمنى الشر والشر تاركي ولكن متى أحمل على الشر أركب
ويجب العمل بكلامه عليه السلام في المتهم بالقتل وغيره فما لم يتبين جرمه
لم تجز عقوبته ، فلعله كان بريئاً فلا تترد العقوبة ، فان تحقق جرمه عاقبه عقبيه .
(وقطية الجاهل تعدل صلة العاقل) في عيون ابن بابويه قال عمير بن يزيد:
كنت عند الرضا عليه السلام فذكر محمد بن جعفر بن محمد فقال : اني جعلت
على نفسي ألا يظلني واياه سقف بيت أبداً . فقلت في نفسي : هذا يأمرنا بالبر
والصلة ويقول هذا لعمه . فنظر الي فقال : هذا من البر والصلة ، انه متى يأتي
ويدخل علي فيقول في صدقه الناس ، واذا لم يدخل علي ولم أدخل عليه لم
يقبل قوله اذن .

وفي المروج قال المتوكل لابي العيناء : بلغنا عنك بذاء . فقال : قد مدح
الله تعالى وذم ، فقال تعالى « نعم العبد انه أواب » وقال جل وعلا « هماز مشاء
بنميم * عتل بعد ذلك زنيم » ، فان لم يكن البذاء بمنزلة العقرب يلدغ النبي
«ص» والذمي فلا ضير فيه . قال الشاعر:

اذا أنا بالمعروف لم اك صادقا
ولم اشتهم النكس اللئيم المذمما
فقيم عرفت الخير والشر باسمه
وشق الى الله المسامع والقما
والاخر:

ابا حسن ما أقبح الجهل بالفتي
واللحلم احيانا من الجهل اقبح
اذا كان حلم المرء عون عدوه
عليه فان الجهل اعفى واروح
(من أمن الزمان خانسه) عن اكثم بن صيفي : الدهر لا يغتر به ومن مأمنه

يؤتى الحذر .

(ومن أعظمه أهانه) في الخبر: ما من أحد عظم الدنيا فقرت عينه فيها ولم يحقرها الا انتفع بها .

(ليس كل من رمى أصاب) وقالوا «ماكل رامى نمرض يصيب» .

(اذا تغير السلطان تغير المزمان) وقالوا «الناس على دين ملوكهم» .

وكان الناس في زمان الوليد بن عبد الملك حريصين على العمارات مثله ، وفي زمان سليمان أخيه على أكل الطيبات مثله ، وفي زمان يزيد أخيه على قضاء الوطر من الشهوات مثله ، وفي زمان هشام أخيه على الشح وترك الاطعام وسد باب المضيغات مثله .

وفي العقد : اطلع مروان بن الحكم على ضيعته بالغوطة فأنكر منها شيئاً فقال لو كيله : ويحك اني لاظنك تخونني . قال : أتظن ذلك ولا تستيقنه . قال وتفعل . قال : نعم والله اني لاخونك وانك لتخون الخليفة والخليفة ليخون الله فلعن الله شر الثلاثة .

وقالوا : صنفان اذا صلحا صلح الناس الامراء والفقهاء ، اذا فسدا فسد الناس .

وقال «حد» جمع انوشروان عمال السواد ويده درة يقلبها فقال : أي شيء أضرب ارتفاع السواد وأدعى الى محقه وايكم قال ما في نفسي جعلت هذه الدرّة في فيه ، فقال بعضهم انقطاع الشرب ، وقال بعضهم احتباس المطر ، وقال بعضهم استيلاء الجنوب وعدم الشمال . فقال لوزيره : قل أنت فاني أظن عقلك يزيد عقول الرعية كلها أوبزید عليها . فقال : تغير رأي السلطان في رعيته واضمار الحيف لهم والجور عليهم . فقال : لله أبوك بهذا العقل أهلك آبائي لما أملاك ، وجعل الدرّة في فيه .

(سل عن الرفيق قبل الطريق) في الاستيعاب قال خفاف الغفاري : أتيت

النبي « ص » فقلت : أين تأمرني ان أنزل على قرشي أم أنصاري أم أسلم أم غفار. فقال : ياخفاف ابتغ الرفيق قبل الطريق ، فان عرض لك أمر نصرك وان احتجت اليه رددك .

(وعن الجار قبل الدار) في تاريخ بغداد : كان لمحمد بن ميمون ابي حمزة السكري جار اراذ أن يبيع داره ، فقيل له : بكم . قال : بألفين عن الدار وألفين ، جوار ابي حمزة فبلغ ذلك ابا حمزة فوجه اليه بأربعة آلاف فقال : خذ هذه ولا تبع دارك .

وفيه : كان اذا مرض الرجل من جيرانه تصدق بمثل نفقة المريض لما صرف عنه من العلة .

وفيه : كان اذا مرض عنده من قد رحل اليه ينظر الي ما يحتاج اليه من الكفاية فيأمر بالقيام به .

كان لرجل جار حسن فاحتاج الي بيع داره فلما نقده المشتري الثمن قال له : هذامن الدار فأين ثمن جاري ، فسمع ذلك جاره فبعث اليه بمال لثلاثيبيع داره .

ويضربون المثل بجار ابي دواد ، يعنون كعب بن مامة ، قالوا كان كعب اذا جاوره رجل فمات وداه وان هلك له بغير أوشاة أخلف عليه ، فجاوره أبو دواد فكان يفعل به ذلك فقال قيس بن زهير :

أطوف ما أطوف ثم آوي الى جار كجار ابي دؤاد

كما انهم يضربون المثل بجار لا يحميه جاره بلحم ظبي ، قال الشاعر :

فجارك عند بيتك لحم ظبي و جاري عند بيتي لا يرام

هذا ، وفي الاذكياء في خبر - قال رجل للنبي « ص » ان لي جاراً يؤذيني فقال : انطلق وأخرج متاعك الى الطريق ، فانطلق فأخرج متاعه فاجتمع الناس عليه فقالوا : ما شأنك . قال : لي جار يؤذيني فذكرت ذلك للنبي فقال لي انطلق

وأخرج متاعك الى الطريق ، فجعلوا يقولون « اللهم العنه اللهم اخزه » فبلغه
فأناه فقال : ارجع الى منزلك فوالله لا نوذيك .

(اياك أن تذكر من الكلام ما كان مضحكاً وان حكيت ذلك عن غيرك) لان
ذلك يحطّ الرجل الجليل عن منزلته بل من كان له مضحكة تسقط هيئته .

وفي تاريخ الجزري : كان للسلطان ملكشاه مسخرة يعرف بجعفر كبحاكي
نظام الملك ويذكره في خلواته مع السلطان ، فبلغ ذلك جمال الملك بن نظام
الملك - وكان يتولى مدينة بلخ وأعمالها - فسار من وقته يطوي المراحل الى
والده والسلطان وهما باصبهان ، فاستقبله أخواه فخر الملك ومؤيد الملك ، فأغظ
لهما القول في اغضائهما على ما بلغه عن « جعفر ك » ، فلما وصل الى حضرة
السلطان رأى جعفر ك يساره ، فانتهره وقال : ملك يقف هذا الموقف وينبسط
بحضرة السلطان في هذا الجمع ، فلما خرج من عند السلطان امر بالقبض على
جعفر ك و امر باخراج لسانه من فواه وقطعه فمات ، ثم أمر السلطان سراً بقتل جمال
الملك لقتله مضحكته .

وفيه : قتل في سنة (٥٥٦) سليمان شاه بن السلطان محمد بن ملك شاه ، كان
يجمع المساخرو لا يلتفت الى الامراء ، فأهمل العسكر أمره وصاروا لا يحضرون
بابه - وكان قد رد جميع الامور الى (كردبازو) من مشائخ خدمهم - فكان الامراء
يشكون اليه وهو يسكنهم ، فاتفق ان السلطان شرب يوماً بظاهر همدان فسي
الكشك ، فحضر عنده (كردبازو) ولامه ، فأمر من عنده من المساخرة فعبثوا بكرد
بازو حتى أن بعضهم كشف له سواته - الى أن قال - فأحضر كردبازو الامراء -
و كانوا كارهين لسليمان - فاستحلفهم على طاعته فحلفوا له ، فأول ما عمل أن
قتل المساخرة الذين لسليمان وقال له : انما أفعل ذلك لملكك ، ثم عمل دعوة
عظيمة حضرها السلطان والامراء ، فلما صار السلطان في داره قبض عليه ثم أرسل

اليه من خنقه - الخ .

(وايناك ومشاوره النساء) ففي الخبر كان النبي « ص » اذا اراد الحرب دعا

نساءه فاستشارهن ثم خالفهن .

وقالوا : لاتستشروا معلماً ولا راعي غنم ولا كثير القعود مع النساء .

وقال « حد » قال الفضل بن الربيع - يصف الامين بالعجز أيام محاربتهم مع

المأمون - ان هذا الرجل قد ألقى بيده لقاء الامه الوكعاء ويشاور النساء ويعتزم

على الرؤيا .

(فان رأيهن الى أفن) بفتح تين أي الضعف (وعزمهن الى وهن) قال كعب

ابن زهير :

كما تلتون في أثوابها الغول

و ماتدوم على العهد الذي زعمت

الا كما تمسك الماء الغرايبيل

ولا تمسك بالوعد الذي زعمت

و ما مواعيدها الا الاباطيل

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً

وقال آكل المرار :

بعد هند لجاهل مغرور

ان من غره النساء بشيء

ومر كل شيء يجن منها الضمير

حلوة العين واللسان

آية الحب حبها خيتعور

كل انثى وان بدالك منها

وقال طفيل الغنوي :

فانه واجب لا بسد مفعول

ان النساء متى ينهين عن خلق

وقال نهشل بن حري :

ونت عنه الجعائل مستذاق

و عهد الغانيات كعهد قين

ولا يغنى الحرائم من لماق

كبرق لاح يعجب من بعيد

وقال آخر :

فلا تحسبن هنداً لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانية هند
وفي الاغاني : بلغ ملك ضيزن الخزاعي صاحب الحضر - والحضر قصر
بحيال تكريت بين دجلة والفرات - الشام وأغار فأصاب اختاً لسابور ذي الاكتاف :
فجمع له سابور وسار اليه ، فأقام على الحضر أربع سنين لا يستغل منهم شيئاً .
ثم ان النصيرة بنت ضيزن - وكانت من أجمل أهل دهرها - حاضت فأخرجت
الى الربض - وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم اذا حضن - وكان سابور من أجمل
أهل زمانه ، فرآها ورأته وعشقها وعشقتة فأرسلت اليه ما تجعل لي ان دلتك
على ما تهدم به هذه المدينة وتقتل ابي ، قال : أحكمك وأرفعك على نسائي
وأخصك بنفسي دونهن . قالت : عليك بحمامة مطوقة ورقاء فأكتب في رجلها
بحيض جارية بكر تكون زرقاء ثم أرسلها فانها تقع على حائط المدينة فتتداعى
- وكان ذلك طلسمها لايهدمها الا هو - ففعل وتأهب لهم وقالت له : انا أسقي
الحرس الخمر فاذا صرعوا فاقتلهم وادخل المدينة ، ففعل فتداعت المدينة وفتحها
سابور عنوة ، فقتل الضيزن وأخرب المدينة واحتمل النصيرة بنت الضيزن
فأعرس بها بعين التمر ، فلم تزل ليلتها تنصور من خشونة في فرشها وهي من
حرير محشو بالقز ، فالتمس ما كان يؤذيها فاذا هي ورقة آس ملتصقة بعكنة من
عكنتها قد أثرت فيها ، وكان ينظر الى مخها من لين بشرتها ، فقال لها سابور :
ويحك بأي شيء كان أبوك يغذيك ؟ قالت : بالزبد والمخ وشهد الابكار من
النحل وصفوة الخمر . فقال : وكيف آمنتك وقد فعلت بأبيك الذي غذاك بما
تذكرين ما فعلت . فأمر رجلاً فركب فرساً جموحاً وضفر غدائرها بذنبه ثم
استر كضه فقطعها قطعاً ، فذلك قول الشاعر :

أفقر الحضر من نصير فالمر باع منها فجانب الثرثار
وقال عدي بن زيد في أبيها :

و أخو الحضرة اذ بناه و اذ دجلة تجبى اليه و العبابور
شاده مرمرأ و جلله كاسأ فللطير فى ذراه و كور
لم يهبه ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور
وفى العقد قال الهيثم بن عدي: غزا الحارث بن عمرو والغساني آكل المرار
الكندي فلم يصبه فى منزله فأخذ ما وجد له واستاق امرأته ، فلما أصابها اعجبت
به فقالت له : انج فوالله لكأنى انظر اليه يتبعك فاغراً فاه كأنه بعير آكل مرار ،
فاتبعه حتى لحقه فقتله واخذ امرأته فقال لها : هل أصابك ؟ قالت : نعم والله
ما اسملت النساء على مثله قط ، فأمر بها فأوقفت بين فرسين ثم استحضرهما حتى
تقطعت ثم قال :

كل أنثى وان بدالك منها آية الود حبها خيتعور
(و اكفف عليهن من أبصارهن بحجابك اياهن فان شدة الحجاب أبقي
عليهن) وفى رواية الرسائل « فان شدة الحجاب خير لك ولهن من الارتياب » .
قيل لابنة الخس : لم زيت وأنت سيدة نساء قومك ؟ قالت : لقرب الوساد
وطول السواد .

وعن الصادق عليه السلام : ما أخذ النبى «ص» على النساء فى بيعتهن الا
يحببن ولا يعقدن مع الرجال فى الخلاء .

و عن امير المؤمنين عليه السلام : انما هلك نساء بنى اسرائيل مسن قبل
القصص ونقش الخضاب .

و قال عليه السلام : يا أهل العراق نبئت ان نساءكم يدافعن الرجال فى
الطريق أما تستحون .

وعن ابي جعفر عليه السلام استقبل شاب من الانصار امرأة بالمدينة وكانت
النساء يتقعن خلف آذانهن ، فنظر اليها وهي مقبلة فلما جازت نظر اليها ودخل
فى زقاق فجعل ينظر خلفها واعترض وجهه عظم فى الحوائط أوزجاجة فشق

وجهه ، فلما مضت المرأة فاذأ السدماء تسيل على صدره وثوبه ، فقال : والله
لا تين النبي «ص» ولا خبرنه ، فأتاه فهبط جبرئيل بأية «قل للمؤمنين يغضوا من
أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون» .

(وليس خروجهن بأشد من ادخالك من لا يوثق به عليهن) وفي الخبر: ان
أحسن شيء للنساء أن لا يراهن الرجال ولا يرين الرجال .

(وان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل) عن بعضهم لئن يرى حرمتي ألف
رجل على حال تكشف منها وهى لا تراهم أحب الي من أن ترى رجلا واحداً
غير متكشف .

هذا ، وفي الاغاني : كان في جوار أبان اللاحقي رجل من ثقيف يقال له
محمد بن خالد تزوج بعمارة الثقفية - وكانت موسرة - وكان محمد عدواً
لابان ، فقال أبان يحذرهما منه :

لما رأيت البز والشاره	والفرش قدضاقت به الحاره
واللوز والسكر يرمى به	من فوق ذي الدار وذي الداره
وأحضر واللهين لم يتركوا	طبلا ولا صاحب زماره
قلت لما ذا قيل اعجوبة	محمد زوج عمارة
لا عمر الله بها بيته	ولارأته مدركا ثاره
ماذا رأته فيه وماذا رجته	وهى من النسوان مختاره
اسود كالسفود ينسى	لدى التنور بل محراك قياره
يجرى على اولاده خمسة	ارغفة كالريش طياره
واهلكه في الارض من خوفه	ان افرطوا في الاكل سياره
ويحك فرى واعصبي ذاك بى	فهذه اختك فراره
اذا غفا بالليل فاستيقظى	ثم اطفرى انك طفساره

فلما بلغت قصيدته عمارة هربت وخرم من جهتها مالا عظيماً ، وقال أبان
في فرارها :

فصعدت نائلة سلماً تخاف أن تصعده الفاره
(ولا تملك المرأة ما جاوز نفسها) -في الاغاني بلغ دريد بن الصمة ان
امراته سبت أخاه فطلقها وقال :

معاذ الله ان يشتمن رهطى وان يملكن ابرامى ونقضى
(فان المرأة ريحانة) وقد عبر النبي «ص» عنهن بالقوارير ، فقال لانجسه
لما حدا بأزواجه في حجة الوداع فأسرعت الابل «رفقاً بالقوارير» .
هذا ، ورأى رجلا امرأة فأنشد :

ان النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين
فأنشدت المرأة :

ان النساء رياحين خلقن لكم لا بد للناس من شم الرياحين
وفي الاغاني عن علي بن يحيى قال الحسين بن الضحاك : أنشدت ابن
مناذر قصيدتي التي أقول فيها « لعتدك ريحانة العسكر» وكانت أول ماقلته من
الشعر ، فأخذ رداه ورمى به الى السقف وتلقاه برجله وجعل يردد هذا البيت ،
فقلنا له : أتراه فعل ذلك استحساناً لما قلت ، انما فعله طنزاً بك فشمه وشمنا
وكنا بعد ذلك نسأله إعادة هذا البيت فير مي بالحجارة ويجدد شتم ابن مناذر
بأقبح مايقدر عليه .

قلت : وجه عيب بيته أنه لا مناسبة لاضافة الريحانة الى العسكر .
(وليست بقهرمانه) في النهاية فسي الخبر « كتب الى قهرمانه» أي المخازن
والوكيل الحافظ لما تحت يده والقائم بأمر الرجل بلغة الفرس .
في تنبيه المسعودي : كانت في أيام المقتدر أمور لم يكن مثلها في الاسلام ،
منها غلبة النساء على الملك والتدبير ، حتى أن جارية لامة تعرف بشمل القهرمانه

كانت تجلس للنظر في مظالم الخاصة والعامة ويحضرها الوزير والكاتب والقضاة وأهل العلم .

وفي كامل الجزري في سنة (٣١٠) قبض المقتدر على أم موسى القهرمانه بسبب أنها زوجت ابنة اختها من احمد بن محمد بن اسحق بن المتوكل ، واكثرت من النثار والدعوات وصرفت أموالا جلييلة ، فسعت أعداؤها بها الى المقتدر وقالوا له قد سعت في الخلافة لاحمد ، فقبض عليها وأخذ منها أموالا عظيمة وجواهر نفيسة .

هذا ، وفي عيون القتيبي قال خالد الحذاء : خطبت امرأة من بني أسد فجيئت لانظر اليها وبينها رواق يشف ، فدعت بجفنة مملوة ثريداً مكنلة باللحم فأنت على آخرها ، وأتيت باناء مملولبناً أو نبيذاً فشربته حتى كفأته ، ثم قالت : يا جارية ارفعي السجف فاذا هي جالسة على جلد أسد واذا شابة جميلة فقالت : يا عبد الله أنا اسدة من بني أسد على جلد أسد وهذا مطعمي ومشربي ، فان أحببت ان تتقدم فافعل ، فقلت : أنظر فخرجت ولم أعد .

(ولاتعد) تضم الدال ، اي لاتتجاوز (بكرامتها نفسها ولا تطعمها في أن تشفع لغيرها) و«بغيرها» في المصرية غلط . في الطبري قيل ان وفاة الهادي كانت من قبل جوارلامه الخيزران كانت أمرتهن يقتله ، فذكروا أن الهادي نابذأمه وناقرها لما صارت اليه الخلافة ، فصارت «خالصته» اليه يوماً فقالت : ان أمك تستكسيك فأمر لها بخزانة مملوة كسوة - ووجد للخيزران في منزلها من قراقر الوشي ثمانية عشر ألف قرقر - وكانت الخيزران في أول خصالفة ابنها تفتت عليه في أموره وتسلك به مسلك أبيه من قبل في الاستبداد بالامر والنهي ، فأرسل اليها ألا تخرجي من خفر الكفاية الي بذاعة التبذل فانه ليس من قدر النساء الاعتراض في أمر الملك وعليك بصلاتك وتسبيحك وتبتلك ولك بعد هذا طاعة مثلك فيما يجب

لك ، وكانت كثيراً ما تكلمه في الحوائج فكان يجيبها الى كل ما تسأله حتى مضت أربعة أشهر من خلافته واثال الناس عليها وطمعوا فيها ، فكانت المواكب تغدو الى بابها ، فكلمته يوماً في أمر لم يجد الى اجابتها فيه سبيلاً ، فاعتل بعلقة فقالت : لا بد من اجابتي . قال : لا أفعل . قالت : فاني قد تضمنت هذه الحاجة لعبد الله ابن مالك ، فغضب موسى وقال : ويل على ابن الفاعلة قد علمت أنه صاحبها والله لا قضيتها لك . قالت : اذن والله لأسألك حاجة أبداً . قال : اذن والله لا أبالي وحمي وغضب ، فقامت مغضبة فقال : مكانك تستوعبي كلامي ، والله لن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادي أو أحد من خواصي أو خدمي لأضربن عنقه وأقبضن ماله فمن شاء فليلزم ذلك ، ما هذه المواكب التي تغدو وتروح الى بابك كل يوم ، أمالك مغرل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك ، اياك ثم اياك ما فتحت بابك لملي ولازمي . فانصرفت ما تعقل ماتطاً ، فلم تنطق عنده بحلوة ولا مرة بعدها .

وقال بعض الهاشميين : ان سبب موته أنه لما جد في خلع هرون والبيعة لابنه جعفر خافت الخيزران على هرون منه ، فدست اليه من جواربها لما مرض من قتله بالغم والجلوس على وجهه ، ووجهت الى يحيى بن خالد أن الرجل قد توفي فاجدد في أمرك ولا تقصر .

هذا ، وقد أخذ الحجاج اكثر فقرات كلامه عليه السلام في قصة له مع الوليد ففي المروج : وقد الحجاج على الوليد فوجده في بعض نزهه فاستقبله ، فلما رآه ترجل له وجعل يمشي وعليه درع وكنانة وقوس عربية ، فقال له الوليد : اركب . فقال : دعني أستكثر من الجهاد ، فان ابن الزبير وابن الاشعث شغلاني عنك ، فعزم عليه الوليد حتى ركب ودخل الوليد داره وتفضل في غلاله ثم أذن للحجاج فدخل عليه في حاله تلك وأطال الجلوس عنده ، فبينما هو يتحدث اذ

جاءت جارية فسارت الوليد ومضت ثم عادت فسارته ثم انصرفت ، فقال الوليد
 للحجاج : أتدري ما قالت هذه ؟ قال : لا . قال : بعثتها الي ابنة عمي أم البنين
 بنت عبدالعزيز تقول ما مجالستك لهذا الاعرابي المتسلح وأنت في غلالة ،
 فأرسلت اليها انه الحجاج ، فراعها ذلك وقالت : والله ما أحب أن يخلوبك
 وقد قتل الخلق . فقال له الحجاج : دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فانما
 المرأة ربحانة وليست بقهرمانة ، ولا تطلعهن على شرك ولا مكيدة عدوك ، ولا
 تطمعهن في غير أنفسهن ولا تشغلهن بأكثر من زينتهن ، وايباك ومشاورتهن في
 الامور فان رأيهن الي أفن وعزمهن الي وهن ، واكف عليهن من أبصارهن
 بحجبك ولا تملك الواحدة منهن من الامور ما تجاوز نفسها ، ولا تطمع أن تشفع
 عندك لغيرها ولا تطل الجلوس معهن فان ذلك أوفر لعقلك وأبين لفضلك . ثم
 نهض فخرج ودخل الوليد على أم البنين ، فقالت : احب ان تأمره غداً بالتسليم
 علي . فقال : افعل . فلما غدا الحجاج عليه قال له : سر الي أم البنين فسلم عليها
 فقال : اعفني من ذلك . فقال : لا بد من ذلك ، فمضى اليها فحجبتة طويلاً ثم
 أذنت له فأقرته قائماً ولم تأذن له في الجلوس ، ثم قالت له : أيه يا حجاج أنت
 الممتن بقتل ابن الزبير وابن الاشعث ، أما والله لولا أن الله جعلك أهون خلقه
 ما ابتلاك برمي الكعبة . وقالت له فيما قالت : لقد استعلى عليك ابن الاشعث
 حتى عجمجت ووالي عليك الهرار حتى عويت ، فلولا أن الخليفة نادى في
 أهل اليمن وأنت في أضيق من القرن فأظلتك رماحهم وعلاك كفاحهم لكنك
 مأسوراً قد اخذ الذي فيه عيناك ، وعلى هذا فان نساء الخليفة قد نفضن العطر عن
 غدائرهن وبعنه في أعطية أوليائه ، وأما ما أشرت على الخليفة من قطع لذاته
 وبلوغ أوطاره من نسائه فان ينفرجن عن مثل الخليفة فغير مجيبك الي ذلك وان
 ينفرجن عن مثل ما انفرجت به أمك البظراء عنك من قبح المنظر بالكع فما

أحقه أن يقتدي بقولك ، قاتل الله الذي يقول :

أسد علي و في الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفيير الصافر
هلا برزت الي غزالة في الوغى اذ كان قلبك في جناحي طائر
ثم أمرت جارية لها فأخرجته ، فلما دخل على الوليد قال له : ما كنت فيه ؟
قال : والله ما سكنت حتى كان بطن الارض أحب الي من ظهرها . قال : انها
بنت عبدالعزیز .

هذا ، ولما تخاصم الفرزدق وامرأته الي ابن الزبير استشفع خبيب بن
عبدالله بن الزبير للفرزدق عند أبيه واستشفعت امرأة ابن الزبير لامرأة الفرزدق
عنده ، فقضى ابن الزبير لامرأة الفرزدق ، فقال الفرزدق :

ليس الشفيع الذي يأتيك متزراً مثل الشفيع الذي يأتيك عربانا
وقال آخر :

و نبئت لبلى أرسلت بشفاعة الي فهلا نفس لبلى شفيعها
(واياك والتغاير في غير موضع غيرة فان ذلك يدعو الصحيحة الي السقم
والبريئة الي الريب) في عيون ابن قتيبة قال الخريمي :

ما أحسن الغيرة في حينها وأقبح الغيرة في غير حين
من لم يزل متهماً عرسه مناصباً فيها لرجم الظنون
يوشك أن يغريها بالذي يخاف أو ينصبها للعيون

هذا ، ونسب عيون ابن قتيبة كلامه عليه السلام في هذه الوصية في النساء
من أوله الي هنالي ابن المقفع ، وهل ذلك الاجهل منه أو عناد ، فان كون ذلك
كلامه « ع » ثبت بالاسانيد المستفيضة كما عرفت ، ثم كيف كون الاصل فيه ابن
المقفع وقد عرفت أن الحجاج استعمل أكثره في قصته مع الوليد .

(واجعل لكل انسان من خدمك عملاً تأخذه به فانه أحرى الا يتواكلوا في

خدمتك) قال «حد» قال ابرويز لولده شيرويه : أنظر الى كتابك فمن كان منهم
ذا ضياع أحسن عمارتها فوله الخراج ، ومن كان منهم ذاعبيد قد أحسن سياستهم
وثقيفتهم فوله الجند ، ومن كان منهم ذا السراري والضرائر قد أحسن القيام عليهن
فوله النفقات والقهرمة ، وهكذا فاصنع في خدم دارك ولا تجعل أمرك فوضى
بين خدمك فيفسد عليك ملكك .

(واكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير وأصلك الذي اليه تصير
ويدك التي بهاتصول) هكذا في المصرية و« حد » ولكن ليس في « ثم » والخطبة
فقرة « وأصلك الذي اليه تصير » .

وكيف كان فزاد في رواية الكافي والحلي بعدها « وبهم تطول وهم العدة
عند الشدة ، اكرم كريمهم وعد سقيمهم واطر كههم في أمورهم وتيسر عند معسورهم »
قال « حد » روى ابو عبيدة ان الفرزدق كان لا ينشد بين يدي الخلفاء والامراء
الا قاعداً ، فدخل على سليمان يوماً فأنشده شعراً فخر فيه بأبائه وقال من جملته :
تالله ما حملت من ناقة رجلا مثلي اذا الريح لفتني على الكور

فقال سليمان : هذا المدح لي أولك ؟ قال : لي ولك ، فغضب سليمان وقال :
قم فأتمم ولا تنشد بعده الا قائماً . فقال : لا والله أو تسقط على الارض أكثر شعراً
فقال سليمان : ويلى على الاحمق ابن الفاعلة ، لا يكني وارتفع صوته ، فسمع
الضوضاء بالباب فقال : ما هذا . قيل : بنو تميم على الباب يقولون : لا ينشد
الفرزدق قائماً وأيدينا في مقابض سيوفنا . قال : فلينشد قاعداً .

قال : وروى المرزباني قال : كان الوليد بن جابر بن ظالم الطائي ممن
وفد على النبي « ص » فأسلم ثم صحب علياً « ع » وشهد معه صفين وكان من
رجال المشهورين ، ثم وفد على معاوية في الاستقامة وكان معاوية لا ينسبه معرفة
بعينه ، فدخل عليه في جملة الناس ، فلما انتهى اليه انتسبه فانتسب له فقال : أنت

صاحب ليلة الهرير؟ قال : نعم . قال : والله ما تخلو مسامعي من رجرك تلك الليلة
- وقد علا صوتك أصوات الناس - وأنت تقول :

شدوا فداءً لكم أمي و أب فانما الامر غدا لمن غلب
هذا ابن عم المصطفى والمنتجب تنميه للعلباء سادات العرب
ليس بموصوم اذا نص النسب اول من صلى و صام واقترب

قال : نعم أنا قائلها . قال : فما ذا قلتها . قال : لانا كنا مع رجل لا يعلم
خصلة توجب المخلافة ولا فضيلة تصير الى التقدم الا وهي مجموعة فيسه ، كان
أول الناس سلماً واكثرهم علماً وأرجحهم حلماً ، فات الجياد فلا يشق غباره
ويستولي على الامد فلا يخاف عثاره وأوضح منهج الهدى فلا يبيد مناره وسلك
القصد فلا تدرس آثاره ، فلما ابتلانا الله تعالى بافتقاده وحول الامر الى من شاء
من عباده دخلنا في جملة المسلمين فلم ننزع يسداً عن طاعة ولم نصدع صفاة
جماعة ، على أنك منا مظهر وقلوبنا بيد الله وهو أملك بها منك ، فاقبل صفونا
وأعرض عن كدرنا ولا تثر كوامن الاحقاد فان النار تقدح بالزناد . فقال له معاوية:
وانك تهددني يا أخاطي بسأوباش العراق أهل النفاق ومعدن الشقاق . فقال :
يا معاوية هم الذين أشرقوك بالريق وحبسوك في المضيق وذادوك عن سنن
الطريق حتى اذت منهم بالمصاحف ودعوت اليها من صدق بها وكذبت وآمن
بمنزلها وكفرت وعرف من تأويلها ما انكرت . فغضب معاوية وأدار طرفه في
من حوله فاذا جلهم من مضرون وفر قليل من اليمن فقال : أيها الشقي الخائن اني
لاخال ان هذا آخر كلام تفوه به ، وكان غفيرين سيف بن ذي يزن بباب معاوية
حينئذ ، فعرف موقف الطائي ومراد معاوية فخافه عليه فهجم عليه الدار وأقبل
على اليمانية فقال : شامت الوجوه ذلا وقلاكشم الله هذه الانوف كشمأ مرعباً
ثم التفت الى معاوية فقال : اي والله يا معاوية ما أقول قولي هذا حباً لاهل

العراق ولا جنوحاً اليهم ولكن الحفيظة تذهب الغضب ، ولقد رأيتك بالامس
خاطبت أخوا ربيعة - يعني صعصعة بن صوحان - وهو أعظم جرماً عندك من هذا
وأذكى لقلبك وأصدع لصفاتك وأجد في عداوتك ثم أثبتته وسرحته وأنت الان
مجمع على قتل هذا زعمت استصغاراً لجماعتنا وانا لا نمرو ولا نخلى ، ولعمري
لو وكنتك أبناء قحطان الى قومك لكان جدك العاثر وذكرك الدائر وحدثك المفلول
وعرشك المثلول، فأربع على ظلمك واطو زاعلي بلالتنا ليسهل لك حزننا ويتظامن
لك شاردنا فانا لانرثم بو الضيم ولانتملظ جرع الخسف ولانغمز بغماز الفتن
ولا نذر على الغضب . فقال معاوية : الغضب شيطان فأربع نفسك أيها الانسان
فانا لم نأت الى صاحبك مكروهاً فدونكه فانه لم يضق عنه حلمنا ويسع غيره
فأخذ عفيرييد الوليد الى منزله وقال له : والله لتؤبن بأكثر مما آب به معدي من
معاوية وجمع من بدمشق من اليمانية وفرض على كل رجل دينارين في عطائه
فبلغت أربعين ألفاً فتعجلها من بيت المال ودفعها الى الوليد ورده الى العراق.
قلت: وفي الطبري - بعد ذكر أن زياداً بعث حجر بن عدي والارقم الكندي
وشريك الحضرمي وصيفي وقبيصة العبسي وكريم الخثعمي وعاصم البجلي
وورقاء البجلي وكدام العنزي وعبدالرحمن العنزي ومحرز المنقري وابن حوية
السعدي وعتبة الاخنس وسعد بن نمران الى معاوية ليقتلهم - فقام يزيد بن أسد
البجلي الى معاوية وقال له : هب لي ابني عمي - يعني عاصم البجلي وورقاء
البجلي - وقد كان جرير بن عبدالله كتب فيهما ان امرأين من قومي من أهل الجماعة
والرأي الحسن سعى بهما ساع ظنين الى زياد ، فبعث بهما في النفر الكوفيين
الذين وجه بهم زياد وهما ممن لا يحدث حدثاً في الاسلام ولا بغياً على الخليفة
فليضعهما ذلك ، فلما سأل لهما يزيد ذكر معاوية كتاب جرير ، فقال : قد كتب
الي فيهما ابن عمك جرير محسناً عليهما الثناء وهو أهل أن يصدق قوله - وقد

سألتنى ابني عمك فهما لك - وطلب وائل بن حجر في الارقم فتركه له ، وطلب ابن الاعور السلمي في عتبة بن الاخنس فوهبه له ، وطلب حمزة بن مالك الهمداني في سعد بن نمران الهمداني فوهبه له ، وكلمه حبيب بن مسلمة في ابن حنوية فخلّى سبيله .

الى أن قال بعد ذكر قتل حجر ومن أبى من أصحابه التبرى منه عليه السلام حتى قتلوا ستة : فقال عبد الرحمن العنزي وكريم الخثعمي ابعثوا بنا الى معاوية فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته ، فبعثوا بهما اليه فقال معاوية للخثعمي : ما تقول في علي ؟ قال : أقول فيه قولك تبرأ من دين علي الذي كان يدين الله به ، فسكت معاوية وكره أن يجيبه ، فقال له شمر بن عبد الله : هب لي ابن عمي . قال : هولك غير أنني حابسه شهراً . ثم قال لعبد الرحمن العنزي : يا أخاربيعة ما قولك في علي ؟ قال : دعني ولا تسألني فإنه خير لك . قال : والله لأدعك حتى تخبرني عنه . قال : أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيراً ومن الامرين بالحق والقائمين بالقسط والعافين عن الناس . قال : فما قولك في عثمان ؟ قال : هو أول من فتح باب الظلم وارتج أبواب الحق . قال : قتلت نفسك . قال : بل اياك قتلت ولا ربيعة بالوادي . قال : هذا حين كلم شمر الخثعمي في كريم الخثعمي صاحبه فسلم ولم يكن له أحد من قومه يكلم فيه ، فبعث به معاوية الى زياد وكتب اليه ان هذا العنزي شر من بعثت فعاقبه واقتله شر قتلة ، فبعث به زياد الى قس الناطف فدفن حياً .

(استودع الله دينك ودينك) حتى يحفظهما لك .

(واسأل الله خيرا القضاء لك في العاجلة والاجلة) زاد في رواية الكليني والحلي «واستعن بالله على أمورك فإنه اكفى معين» (والسلام) هكذا في المصرية والصواب ما في «حد» و«ثم» «انشاء الله تعالى» .

هذا وزاد الرسائل والتحف في مطاوى الفقرات فقرات آخر لم نستقصها
وانما نقلنا بعضها من أروادها راجعها .

٥٣/٣ / ومن كتاب له عليه السلام كتبه للاشتر النخعي لما ولاه
على مصر وأعمالها حين اضطرب امر محمد بن ابي بكر، وهو
أطول عهد واجمع كتبه للمحاسن :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أمر به عبدالله على أمير
المؤمنين مالك بن النحرث الاشرقي عهده اليه حين ولاه مصر
جبابة خراجها وجهاد عدوها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها ،
أمره بتقوى الله وإيثار طاعته واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه
وسننه التي لا يسعد أحد الا باتباعها ولا يشقى الا من جحودها
واضعتها ، وان ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه ، فانه جل
اسمه قد تكفل بنصر من نصره واعزاز من أعزه ، وأمره ان يكسر
نفسه من الشهوات ويزعها عند الجمحات ، فان النفس أمانة
بالسوء الا ما رحم الله .. الخ .

أقول: رواه ابن ابي شعبة في تحفه مرسلًا والشيخ والنجاشي في فهرستيهما
مسنداً . قال الشيخ - في عنوان الاصبغ - روى عهد مالك الاشر ، أخبرنا
ابن ابي جيد عن محمد بن الحسن عن الحميري عن هارون بن مسلم عن الحسين
ابن علوان عن سعد بن طريف عن الاصبغ .

وقال النجاشي - في الاصبغ - روى عهد مالك الاشر ، أخبرنا ابن
الجندي عن علي بن همام عن الحميري عن هارون بن مسلم عن الحسين بن
علوان عن سعد بن طريف عن الاصبغ بالعهد .

قول المصنف (ومن كتاب له عليه السلام) هكذا في المصرية والصواب

«ومن عهد له» كما في الخطبة و«حد» و«ثم» .

(كتبه للاشتر النخعي) المذحجي ، قال «ثم» روي ان الطرماح لما دخل على معاوية قال له : قل لابن ابي طالب اني جمعت من العساكر بعدد حب جاورس الكوفة وها أنا قاصده . فقال له الطرماح : ان لعلي ديكاً اشتر يلتقط جميع ذلك ، فانكسر معاوية .

قلت : خبر الطرماح خبر رواه الاختصاص لكنه خبر منكر .

(لما ولاه) هكذا في المصرية والكلمتان زائدتان فليستا في الخطبة و«حد» و«ثم» (على مصر وأعمالها) أي توابعها (حين اضطرب أمر محمد بن ابي بكر) هكذا في المصرية والصواب «أمر أميرها محمد بن ابي بكر»، وزاد «ثم» والخطبة «رحمه الله» .

(وهو أطول عهد وأجمع كتبه للمحاسن) والصواب «وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن» كما في «حد» و«ثم» والخطبة .

قوله عليه السلام (بسم الله الرحمن الرحيم) حيث أن هذا العهد كان ككتاب مستقل افتتحه بالبسملة والا فليس في باقي كتبه ووصاياه وعهوده بسملة (هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحرث) بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع من مذحج كما في ذيل الطبري .

(في عهده اليه) وايسائه اليه (حين ولاه مصر جباية) هكذا في المصرية و«حد» ولكن في «ثم» والخطبة «جبوة» وكلاهما صحيح، فالجباية مصدر جبيت الخراج والجبوة مصدر «جبوت الخراج» (وجهاد عدوها) العثمانية (واستصلاح أهلها) بالرفق مع المخالفين (وعمارة بلادها) بافشاء الزرع والغرس .
(أمره بتقوى الله) قال تعالى «واتقون يا أولي الالباب» .

هذا ، وفي كامل الجزرى : كان عبد الملك أول من نهى عن الامر بالمعروف فقال بعد قتل ابن الزبير : ولا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا الا ضربت عنقه .

(وايثار) أي اختيار (طاعته) على طاعة الناس لانهم عبيده وتحت يده .
(واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه) الفريضة والسنة تأنيان بمعان :
أحدها الفريضة ما علم وجوبه من القرآن والسنة ما علم وجوبه من النبي «ص»
قال الصدوق في الفقيه : وقد يجزي الغسل من الجنابة عن الوضوء لانهما فرضان
اجتمعا فأكبرهما يجزي عن أصغرهما ، ومن اغتسل لغير الجنابة فليبدأ بالوضوء
ثم يغتسل ولا يجزيه الغسل عن الوضوء لان الغسل سنة والوضوء فرض ولا
تجزئ سنة عن فرض وهما بهذا المعنى في معنى الكتاب والسنة .

وثانيها الفرض الواجب والسنة المسنون ، وهما بهذا المعنى في معنى
الواجب والمستحب .

وثالثها الفرض الواجب العظيم كتاباً وسنة والسنن الواجبات التي ليست
بتلك الدرجة كتاباً وسنة ، ولعلمها بهذا المعنى وردا في كلامه عليه السلام .
(التي لا يسعد أحد الا بتابعها) «ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين
أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين وحسن أولئك
رفيقاً * ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً» ، «ومن يطع الله ورسوله يدخله
جنت تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم» .

(ولا يشقى الامع جحودها واضاعتها) «ومن يعص الله ورسوله فقد ضل
ضلالاً بعيداً» ، «ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله
عذاب مهين» ، «فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة و اتبعوا الشهوات
فسوف يلقون عياً» .

(وان ينصر الله سبحانه بقلبه ويد) هكذا في المصرية والصواب «بيده وقلبه»

كما في « حد » و« ثم » والخطية (ولسانه) حتى يكون نصره كاملاً بانكار قلبه
للمنكر ومقال لسانه في النهي عن المنكر وجهاد يده لرفعه ، قال تعالى « وجاهدوا
في الله حق جهاده » .

(فانه جل اسمه قد تكفل بنصر من ينصره واعزاز من أعزه) « ان تنصروا
الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

(وأمره ان يكسر نفسه من الشهوات) هكذا في المصرية و الصواب « من
نفسه عند الشهوات » كما في « حد » و« ثم » والخطية . عنهم عليهم السلام : اذكروا
انقطاع اللذات وبقاء التبعات .

(ويزعها) أي يكفها (عند الجمحات) من جمع الفرس براكبه : اعتزه
على رأسه وذهب جرياً غالباً لا يملكه ، يقال « دابة ما بها رمحة ولا جمحة » قال
الشاعر :

خلعت عذارى جامحاً ما يردني عن البيض أمثال الدمى زجر زاجر
قال تعالى « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة
هي المأوى » .

(فإن النفس أمارة بالسوء الا ما رحم الله) زاد في رواية التحف « ان ربي
غفور رحيم » وان يعتمد كتاب الله عند الشبهات فان فيه تبيان كل شيء وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون ، وان يتحرى رضا الله ولا يتعرض لسخطه ولا يبصر على
معصيته فانه لاملجأ من الله الا اليه .

(ثم اعلم يا مالك اني قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من
عدل و جور) في المروج : الذي اتفقت عليه التواريخ - مسع تباين ما فيها -
ان عدة ملوك مصر من الفراعنة وغيرها اثنان وثلاثون فرعوناً ، ومن ملوك بابل
ممن تملك على مصر خمسة ، ومن العماليق الذين ظهوروا اليها من بلاد الشام

أربعة ، ومن الروم سبعة ، ومن اليونانيين عشرة ، وذلك قبل المسيح عليه السلام
وملكها من الفرس من قبل الاكاسرة ، و كانت مدة من ملك مصر من الفراعنة
والروم والعماليق واليونانيين ألف سنة وثلاثمائة .

هذا ، وفي الانواران الخضر عليه السلام سئل عن أعجب شيء رآه فقال:
اني مررت على مدينة - ولم أر على وجه الارض أحسن منها - فسألت بعضهم
متى بنيت هذه المدينة فقالوا : سبحان الله ما تذكر آباؤنا ولا أجدادنا متى
بنيت ، ثم غبت عنها نحواً من خمسمائة سنة وعبرت عليها بعد ذلك فاذا هي
خاوية على عروشها ولم أر أحداً أسأله ، واذا رعاة غنم فسألتهم عنها فقالوا :
لانعلم ، فغبت نحواً من خمسمائة سنة ثم انتهيت اليها فاذا موضع تلك المدينة
بحرو و اذا غواصون يخرجون منها اللؤلؤ ، فقلت لبعضهم : منذكم هذا البحر
ههنا ؟ فقالوا : سبحان الله ما يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا ان هذا البحر ههنا ،
ثم غبت عنه نحواً من خمسمائة سنة ثم انتهيت اليه فاذا ذلك البحر قد غاض
و اذا مكانه أجمة ملتفة بالقصب و البردي والسباع ، واذا صيادون يصيدون
السماك في زوارق صغار ، فقلت لبعضهم : أين البحر الذي كان ههنا . فقالوا :
سبحان الله ما يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان بحر ههنا قط ، فغبت عنه نحواً
من خمسمائة سنة ثم انتهيت اليه فاذا هو مدينة على حالتها الاولى و الحصون
والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الاجمة التي كانت ، فقال : سبحان
الله ما يذكر آباؤنا ولا اجدادنا الا ان هذه على حالها ، فغبت عنها نحواً من
خمسمائة سنة فاذا هي عاليها سافلها وهي تدخن بدخان شديد و لم أر أحداً الا
راعياً ، فسألته أين المدينة التي كانت ههنا ومتى حدث هذا الدخان ، فقال :
سبحان الله ما يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا ان هذا الموضع كان هكذا .

(وان الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية

قبلك) من حسن وقبيح (ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم) من خير وشر .
ولابى عبيدة كتاب فى «من شكر من العمال وحمد» ، وفى ميزان الذهبى
قال ابو حاتم : كان عنبة بن خالد الايلى على خراج مصر و كان يعلق النساء
بشديهن .

وفى السيران الفضل بن مروان وزير المعتمصم جلس يوماً لاشغال الناس ،
فرفعت اليه قصص العامة مكتوباً فيها هذه الابيات :

تفرعت يا فضل بن مروان فاعتبر فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة امسلاك مضوا لسبيلهم ابادتهم الاقياد والحبس و القتل
وانك قد أصبحت فى الناس ظالماً ستودى كما أودى الثلاثة من قبل
أراد بقوله «فقبلك كان الفضل والفضل والفضل» الفضل بن يحيى البرمكى
والفضل بن الربيع والفضل بن سهل ، وذكروا أن الفضل بن مروان هذا هو
الذي أخذ البيعة للمعتمصم و المعتمصم بالروم فاستوزره لذلك و غلب عليه ،
فكان المعتمصم يأمر باعطاء المغنى والتديم فلا ينفذ الفضل ذلك ، فحقد المعتمصم
عليه لذلك ونكبه وأهل بيته وجعل مكانه ابن الزيات ، فسمت به الناس لرداءة
أفعاله فقالوا :

لتبك على الفضل بن مروان نفسه فليس له باك من الناس يعرف
وقال المعتمصم : عصى الله فى طاعتى فسلطنى عليه .

وفى كامل الجزري : و فى سنة (٤١٣) قتل المعز بن باديس صاحب
افريقية وزيره وصاحب جيشه أباعبدالله محمد بن الحسن ، ويحكى عن وزيره
قال: سهرت ليلة أفكر فى شىء أحدثه فى الناس وأخرجه عليهم من التى التزمتها ،
فتمت فرأيت عبد الله بن محمد الكاتب - وكان و زير والد المعز وكان عظيم القدر
- وهو يقول لى : اتق الله فى الناس كافة وفى نفسك خاصة فقد أسهت عينيك

وأبرمت حافظيك وقد بدا لي منك ما خفي عليك وعن قليل تردنا ووردنا وتقدم
على ما قدمنا فاكتب عني ما أقول - ولا أقول الا حقاً - فأملى علي :

وليت و قد رأيت مصير قوم هم كانوا السماء و كنت أرضا
سمو ادرج العلا حتى اطمأنوا ومد بهم فعاد الرفع خفضا
واعظم أسوة لك بي لاني ملكت ولم أعش طولا وعرضا
فلا تغتر بالدنيا واقصر فان اوان امرك قد تقضى

فانتبهت مرعوباً ورسخت الابيات في حظي - ولم يبق بعد هذا المقام
غير شهرين حتى قتل .

(وانما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده) يقال
«ألسنة الخلق أقلام الحق» ، واما ما يتفق من ثناء الناس لبعض أمراء الباطل
والعلماء المرأئين المتصنعين فانما هو على لسان العوام ومن في قلبه مرض وأما
العارفون المستقيمون فحاشا وكلا .

(فليكن أحب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح) قال تعالى «المال والبنون
زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً» .

(فاملك هوالك) قال تعالى «وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هي المأوى» .

(وشح نفسك عما لا يحل لك) وفي رواية التحف «ولتسخ نفسك عما لا
يحل لك» .

(فان الشح بالنفس الانصاف منها فيما أحببت أو كرهت) هكذا في المصرية
والصواب «و كرهت» كما في «حد» و«ثم» والخطية .

روى الخصال ان عمر بن عبد العزيز دخل المدينة فأمر منادياً ينادي من
كانت له ظلامة فليأت الباب ، فدخل عليه الباقر عليه السلام فقال له : انما الدنيا

سوق من الاسواق منها خرج قوم بما ينفعهم ومنها خرج قوم بما يضرهم، وكم من قوم قد ضرهم بمثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فخرجوا من الدنيا ملومين لمالهم يأخذوا لما أحبوا من الآخرة عدة ولأما كرهوا منه جنة، قسم ما جمعوا من لا يحمدهم وصاروا السى من لا يعذرهم، ونحن والله محقوقون ان ننظر الى تلك الاعمال التي كنا نغبطهم بها فنوافقهم فيها وننظر الى تلك الاعمال التي كنا نتخوف عليهم منها فنكف عنها، فاتق الله واجعل في قلبك اثنتين تنظر الذي تحب أن يكون معك اذا قدمت على ربك فقدمه بين يديك وتنظر الذي تكرهه أن يكون معك اذا قدمت على ربك فابتغ فيه البدل، ولا تذهبن الى سلعة قد بارت على من كان قبلك ترجو أن تجوز عنك واتق الله وافتح الابواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم ورد الظالم. ثم قال: ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله، فجثا عمر على ركبتيه ثم قال: ايه يا أهل بيت النبوة. فقال: نعم من اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرج غضبه من الحق، ومن اذا قدر لم يتناول ما ليس له. فدعا عمر بدواة وقرطاس وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما رد عمر بن عبد العزيز ظلامة محمد بن علي فدك الخ. (وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم) روى الفقيه خبيراً عن السجاد عليه السلام في الحقوق - الى أن قال - وأما حق رعيته فان تعلم انهم صاروا رعيته لضعفهم وقوتك، فيجب أن تعدل فيهم وتكن لهم كالوالد الرحيم فتغفر لهم جهلهم ولا تعاجلهم بالعقوبة وتشكر الله عز وجل على ما آتاك من القوة عليهم.

(ولا تكونن سبعا ضارياً) معتاداً للصيد (تغتم أكلهم) قال ابن قتيبة في عيونته: دخل مالك بن دينار على بلال بن ابي بردة - وهو أمير البصرة - فقال له: أيها الاميراني قرأت في بعض الكتب من أحقق من السلطان ومن أجهل ممن عصاني

ومن أغرمن أغرنى ، أباراعي السوء دفعت اليك غنماً سماناً سحاحاً فأكلت اللحم وشربت اللبن واثتمت بالسمن ولبست الصوف وتركتها عظاماً تنقعق . فانهم صنفان اما أخ لك في الدين) اذا كان مؤمناً قال تعالى «انما المؤمنون أخوة» .

(او) هكذا في المصرية والصواب « واما » كما في « حد » و« ثم » والخطية (نظير لك في الخلق) ان لم يكن بمؤمن والسباع لا تؤذي نوعها فكيف يسوغ لبني آدم أن يؤذوا نوعهم (يفرط) أي يصدر(منهم الزلل وتعرض لهم العلل) أي العوارض (ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ) أي يحصل خبط مسن أيديهم اما عمداً واما خطأ لعدم كمال عقولهم .

وقال « حد » قوله عليه السلام « يؤتى على أيديهم » مثل قولك « ويؤخذ على أيديهم » أي يهدبون ويثقفون ، يقال أخذ الحاكم على يده - الخ . وهو كما ترى ضد المراد ، فانه عليه السلام ذكر ذلك علة لقوله « وأشعر قلبك الرحمة للرعية ولا تكونن سبعا ضارياً عليهم » وذكره في رديف « يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل » فكيف يكون المعنى ما قال .

(فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم ووالي الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفك امرهم وابتلاك بهم) في عيون ابن قتيبة : اسر معاوية في صفين رجلا من أصحاب علي عليه السلام فلما أقيم بين يديه قال: الحمد لله الذي أمكنني منك . قال: لا تقل ذلك فانها مصيبة . قال معاوية : وأية نعمة أعظم من أن يكون الله أظفري برجل قتل في ساعة واحدة جماعة من أصحابي اضربا عنقه . فقال السرجل : اللهم اشهد ان معاوية لم يقتلني فيك ولا لانك ترضى قتلي ولكن قتلني في الغلبة على حطام هذه الدنيا ، فان فعل فافعل به ما هو أهله وان لم يفعل فافعل به ما أنت

أهله . فقال: قاتلك الله لقد سببت فأوجعت في السب ودعوت فأبلغت في الدعاء
خلياً سبيله .

(ولا) هكذا في المصرية و« حد » وفي « ثم » والخطيئة « لا » (تنصبن
نفسك لحرب الله) بظلم عباده . وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال النبي
صلى الله عليه وآله : لما أسري بي وأوحى تعالى الي من وراء الحجاب ما أوحى
وشافهني - الى أن قال - لي يا محمد من أذل لي ولياً فقد أُرصدني بالمحاربة،
ومن حاربني حاربه . قلت : يارب ومن وليك هذا؟ قال : من أخذت ميثاقه
لك ولوصيك وذريتكما بالولاية .

(فانه لا يدي لك) أي لا طاقة لك ، يحذفون النون من اليمين في مثله
تحقيقاً ، ومن أمثالهم «لا يدي لواحد بعشرة» (بنقمته) ولا يدي للسماء والأرض
بنقمته فكيف لإنسان ضعيف (ولا غنى بك عن عفوه ورحمته) فلا بد أن يعفو
عن عباد الله الذين تحت يده ويرحمهم حتى يعفو الله تعالى عنه ويرحمه .
(ولا تندمن على عفوه) فالعفو أقرب للتقوى .

(ولا تبحجن) بتقديم الجيم أي تباهن ولا تفاخرن (بعقوبة) فانه كالاتخار
بنقص والافتخار انما يكون بالكمال .

(ولا تسرعن الى بادرة) أي حدة ، والمراد ما توجهه الحدة من العقوبة
(وجدت منها) هكذا في المصرية والصواب «عنها» كما في « حد » و « ثم » و
الخطيئة ، ولان المندوحة انما تستعمل مع عن (مندوحة) يقال لي عن هذا الامر
مندوحة أي سعة ، وانما نهى عليه السلام عن الاسراع الى بادرة لانه يؤدي غالباً
الى كشف الخلاف فيتبعه الندم والانفعال .

(ولا تغلاني مؤمر أمراً فاطاع فان ذلك) الخيال (ادغال) أي فساد (في القلب
ومنهكة) من «نكهته الحمى» اذا أضنته ونقصت لحمه (للدين وتقرب من الغير)

أي التغيرات والحوادث .

في العقد قال الاصمعي : لما ولي بلال بن ابي بردة البصرة بلغ ذلك خالد ابن صفوان فقال :

* سحابة صيف عن قليل تقشع *

فبلغ ذلك بلالا فقال: أنت القائل «سحابة صيف عن قليل تقشع» ، أما والله لاتقشع حتى يصيبك منها شؤبوب برد ، فضربه مائة سوط - وكان خالد يقول ما في قلب بلال من الايمان الا ما في بيت ابي الزرد الحنفي من الجوهر - وابوالزرد رجل مفلس .

(واذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانتك أبهة) أي عظمة (أو مخيلة) أي كبيراً ، يقال فلان ذوخال وذومخيلة ، قال العجاج «والخال ثوب من ثياب الجهال» (فانظر الى عظم ملك الله فوقك) .

في الكافي : دخل جعفر بن ابي طالب في الحبشة على النجاشي وهو في بيت له جالس على التراب وعليه خلقان الثياب ، فقال له جعفر : أيها الملك اني أراك جالسا على التراب وعليك هذه الخلقان . فقال : يا جعفر انا نجد فيما أنزل تعالى على عيسى عليه السلام ان من حق الله على عباده أن يحدثوا له تواضعاً عند ما يحدث لهم من نعمة ، فلما أحدث الله لي نعمة - الخبر .

وفي المروج : أخرج المنصور محمد بن مروان من حبسه و سأله عن قصته مع ملك نوبة - لما كان هرب مع عدة من بني أمية اليه - فقال : أتاني ملكها فقعده على الارض وقد أعددت له فراشاً فقلت له : ما منعك من القعود على فراشنا ؟ فقال : لاني ملك وحق لكل ملك أن يتواضع لعظمة الله تعالى اذا رفعه - الخبر .

وفيه : انه سأله لم تشربون الخمر وتلبسون الحرير وتفسدون في الارض

وكل ذلك حرام عليكم في دينكم .

(وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك) في سنن ابي داود عن ابي مسعود الانصاري : كنت أضرب غلاماً ابي ، فسمعت من خلفي صوتاً مرتين « لله أقدر عليك منك عليه » ، فالتفت فاذا هو النبي «ص» فقلت : هو حر لوجه الله . فقال : أما لو لم تفعل للفتك النار .

وفي كتابة ابي هلال قال بعض الولاة لاعرابي : قل الحق والا أوجعتك ضرباً . فقال الاعرابي : وأنت أيضاً فاعمل بالحق فوالله لما أوعدك الله به منه أعظم مما أوعدتنني به منك .

وفي عبون القتيبي : كان أردشير الملك دفع الى رجل كان يقوم على رأسه كتاباً وقال له : اذا رأيتني قد اشتد غضبي فادفعه الي ، وفي الكتاب «أمسك فلست باله انما انت جسد يوشك أن أكل بعضه بعضاً ويصير عن قريب للدود والتراب» وفيه : و كان للسندي و الى الجسر غلام صغير قد أمره بأن يقوم اليه اذا ضرب الناس بالسياط فيقول له : ويلك ياسندي أذكر القصاص .

وفي تاريخ بغداد : كان شريك القاضي لا يجلس للقضاء حتى يخرج رقعة مسن قمطره فينظر فيها ثم يدعو بالخصوم ، وانما كان يقدمهم الاول فالاول ، فقيل لابن شريك : نحب أن نعلم ما في هذه الرقعة ، فأخرجها اليها فاذا فيها «يا شريك بن عبدالله أذكر الصراط وحدته ، يا شريك بن عبدالله أذكر الموقف بين يدي الله تعالى» .

(فان ذلك بطمان) أي يسكن اليك (من طماحك) أي ارتفاعك وابعادك ، من «طمح بصره الى الشيء» .

(ويكف عنك من غربك) أي حدثك . في الكافي عن ابي جعفر عليه السلام : مكتوب في التوراة فيما ناجى الله تعالى به موسى : يا موسى امسك غضبك

عمن ملكتك عليه أكف عنك غضبي .

وفي تاريخ بغداد عن مبارك بن فضالة قال : دخل ابن سوار في وفد من أهل البصرة على المنصور ذات يوم وأنا عنده إذ أتني برجل فأمر بقتله ، فقلت في نفسي : يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر . فقلت : إلا أحدثك بحديث . قال : وما هو؟ قلت : قال الحسن البصري قال النبي «ص» : إذا كان يوم القيامة جمع الله تعالى الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر ، فيقوم مناد من عند الله فيقول : ليقومن من له على الله يد ، فلا يقومن إلا من عفا ، فأقبل المنصور علي فتال : الله سمعته من الحسن . قلت : الله سمعته من الحسن . قال : خليا عنه .

(ويفيء) من فاء أي يرجع ، وقال «حد» من أفاء ، ولاوجه له بعد تعديته بالباء (بما عزب) أي خفي وبعد (عنك من عقلك) والافكيف يحصل له مخيلة ، وهو انسان ضعيف مكتوم الاجل مكنون العلل محفوظ العمل تقتله الشارقة وتنتنه العرقة وتؤلمه البقة ، ولو كان سلطان كل وجه الارض .

(اياك ومساماة الله) أي مقابلته في العلو (في عظمته والتشبه به في جبروته) قاهرته التي لاتنال (فان الله يذل كل جبار) أي متناول (ويهين كل مختال) أي متكبر يخال انه عظيم .

وفي الخبر : الكبر رداء الله فمن نازع الله رداءه لم يزد الله تعالى الا سفالا ، ان النبي «ص» مر في بعض طريق المدينة و سوداء تلتقط السرقين ، فقيل لها تنحي عن طريق النبي ، فقالت : ان الطريق لمعرض ، فهم بعض القوم أن يتناولها فقال «ص» دعوها فانها جبارة .

وفي خبر آخر : العزراء الله والكبر ازاره ، فمن تناول شيئا منهما اكبه الله في جهنم .

وفي آخر: ان المتكبرين يجعلهم الله في صور الذر يتوطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب .

وفي آخر: ما من عبد وفي رأسه حكمة وملك بمسكها فاذا تكبر قيل له اتضع وضعك الله ، فلا يزال أعظم الناس في نفسه وهو أصغر الناس في أعين الناس ، فاذا تواضع رفعه الله . ثم قال : انتعش نعشك الله فلا يزال أصغر الناس في نفسه وارتفع الناس في أعينهم .
وفي آخر : الكبر أدنى الاحاد .

(انصف الله وانصف الناس من نفسك) في الاغانى : جلس ابن الزيات يوماً للمظالم، فلما انقضى المجلس رأى جالساً فقال له ألك حاجة ؟ قال : نعم تدنيني اليك ، فأدناه فقال : اني مظلوم و قد أعوزني الانصاف . قال : و من ظلمك . قال : أنت و لست أصل اليك فأذكر حاجتي . قال : و من يحجبك عنى و قد ترى مجلسي مبذولا . قال: يحجيني عنك هبتي لك و طول لسانك و اطراد حجبك . قال : فيم ظلمتك ؟ قال : ضيعتي الفلانية أخذها و كيلك غصباً بغير ثمن ، فاذا وجب عليها خراج أدبته باسمي لثلا يثبت لك اسم في ملكها فيبطل ملكي ، فو كيلك يأخذ غلتها وأنا أوذي خراجها و هذا مما لم يسمع في الظلم مثله . فقال له : هذا قول تحتاج عليه الى بينة و شهود و أشياء . فقال الرجل : أيؤمنني الوزير من غضبه حتى أجيب . قال: نعم . قال : البينة هم الشهود و اذا شهدوا فليس يحتاج معهم الى شيء ، فما معنى قولك بينة و شهود و أشياء ، أيش هذه الاشياء الا الغي و التغطرس . فضحك ابن الزيات و قال: صدقت - ثم وقع له برد ضيعته .

(من خاصة أهلك و من لك فيه هوى من رعبتك فانك الاتفعل تظلم و من ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده) في المروج قال انوشروان لبزرجمهر:

من يصلح من ولدي للملك فأظهر ترشحه . فقال : لا أعرف ذلك ، ولكني
أصف لك من يصلح للملك ، أسماهم للمعالي وأطلبهم للادب وأجزعهم من
العامه وأرأفهم بالرعية وأوصلهم للرحم وأبعدهم من الظلم ، فمن كانت هذه
صفته فهو حقيق بالملك .

وفي تاريخ بغداد: وجهت الخيزران رجلاً نصرانياً على الطراز، فخرج يوماً
عليه جبة خبز وطيلسان على برزون فاره ومعه جماعة من أصحابه وبين يديه
مكتوف وهو يقول : واغوثاه بالله ثم بالقاضي واذا آثار سيات في ظهره ، فسلم
على شريك و جلس الى جانبه وقال : أنا رجل أعمل هذا الوشي وكراء مثلي
مائة في الشهر أخذني هذا مذ أربعة أشهر فاحتبسنى في طرازيجري علي القوت
ولي عيال قد ضاعوا فأفلت منه اليوم فلحقني ففعل بظهري ما ترى . فقال
شريك للنصراني: قم يا نصراني فاجلس مع خصمك . فقال: أصلحك الله هذا
من خدم السيدة مر به الى الحبس . قال : قم وملك فاجلس معه كما يقال لك ،
فجلس معه فقال : ماهذه الاثار التي بظهر هذا الرجل . قال : انما ضربته بيدي
أسواطاً وهو يستحق اكثر من هذا ، مر به الى الحبس فألقى شريك كساه ودخل
داره فأخرج سوطاً ربيدياً ثم ضرب بيده الى مجامع ثوب النصراني وقال للرجل:
رح الى أهلك ، ثم رفع السوط فجعل يضرب به النصراني، فهم أعوانه أن
يخلصوه فقال : مهنا خذوا هؤلاء الى الحبس، فهربوا وأفردوه، فضربه أسواطاً
فجعل النصراني يبكي ويقول ستعلم ، وقام الى البرزون يركبه فاستعصى عليه
ولم يكن له من يأخذ بركابه ، فقال له شريك : ارفق به وملك فانه أطوع لله
منك ، فمضى الى موسى بن عيسى فقال : من فعل بك هذا ؟ فقال : شريك . قال:
لا والله لا أتعرض لشريك .

وفيه أيضاً : اتت شريك يوماً امرأة من ولد جرير البجلي فقالت : أنا بالله

ثم بالقاضي امرأة من ولد جرير صاحب النبي «ص» ورددت الكلام - فقال :
ايها عنك الان من ظلمك . قالت : الامير موسى بن عيسى ، كان لي بستان على
شاطىء الفرات لي فيه نخل ورثته عن آبائي وقاسمت اخوتي وبنيت بيني وبينهم
حائطاً وجعلت فيه فارسياً يحفظ النخل ويقوم ببستاني ، فاشترى الامير موسى
ابن عيسى من جميع اخوتي و ساومني وأرغبني فلم أبعه ، فلما كان في هذه
الليلة بعث بخمسمائة فاعل فاقتلعوا الحائط فأصبحت لأعرف من نخلي شيئاً
واختلط بنخل اخوتي . فقال : يا غلام طينه فختم ثم قال لها : امضي الى بابي
حتى يحضر معك ، فذهبت الى بابي فدخل الحاجب على موسى وقال : أعدي
شريك عليك ، فدعا بصاحب الشرط وقال : امض الى شريك وقل له : ما رأيت
أعجب من امرك امرأة ادعت دعوى لسم تصب أعديتها علي . فقال صاحب
الشرط : ان رأى الامير ان يعفني . قال : ويلك امض ، فخرج - وأمر غلماناه
أن يتقدموا الى الحبس بفراش وغيره من آلة الحبس ، ثم ذهب الى شريك
فأدى الرسالة فأمر أن يحبس ، فقال : قد عرفت أنك تفعل بي هذا فقدمت ما
يصلحني الى الحبس . وبلغ الخبر موسى بن عيسى فوجه الحاجب الى شريك
وقال له : قل له هذا من ذلك ر مول أي شيء عليه . فلما أدى الرسالة قال :
الحقوه بصاحبه ، فحبس أيضاً . فبعث موسى الى جماعة من أصدقاء شريك
فقال : امضوا اليه وأبلغوه السلام وأعلموه أنه استخف بي واني لست كالعامية ،
فلما أدوا الرسالة قال : مالي لأراكم جئتم في غيره من الناس كلمتموني من
ههنا ، فيأخذ كل واحد بيد رجل فيذهب به الى الحبس لاينم والله الا فيه - وكان
بعد العصر - قالوا أجاد أنت . قال : حقاً حتى لاتعودوا برسالة ظالم ، فحبسهم .
وركب موسى بن عيسى في الليل الى باب الحبس ففتح الباب وأخرجهم
جميعاً ، فلما كان الغد وجلس شريك للقضاء جاء السجنان فأخبره ، فدعا بمظمر

فختمها ووجه بها الى منزله وقال لغلامه : ألحقني بثقلي الى بغداد ، والله ما طلبنا هذا الامر منهم ولكن أكرهونا عليه ولقد ضمنوا لنا الاعزاز فيه ، ومضى نحو قنطرة الكوفة الى بغداد وبلغ الخبر موسى بن عيسى فركب في موكبه فلحقه وجعل يناشده الله ويقول تثبت انظر اخوانك تحبسهم دع اخواني . قال : نعم لانهم مشوا لك في أمر ام يجب عليهم المشي فيه ولست ببارح أو يردوا جميعاً الى الحبس والا مضيت الى الخليفة فاستعفيت منه ، فأمر موسى بردهم جميعاً الى الحبس وشريك واقف مكانه حتى جاءه السجنان وقال: رجعوا الى الحبس . فقال شريك لاعوانه وقوده بين يدي جميعاً الى مجلس الحكم ، فمر وابه بين يديه حتى أدخل المسجد وجلس مجلس القضاء قال: أين الجويرية المتظلمة من هذا ، فجاءت فقال : هذا خصمك وهو جالس معها بين يديه . فقال موسى : أو لئلك يخرجون من الحبس قبل كل شيء . فقال شريك : أما الان فنعم أخرجهم ، ثم قال : ما تقول فيما تدعيه هذه . قال: صدقت . قال : فرد جميع ما أخذت منها وابن حائطها سرياً . قال: أفعل بقي شيء . قال: تقول المرأة بيت الفارسي ومتاعه . قال: ويرد ذلك بقي شيء . قالت المرأة : لا . قال لها شريك: فقومي ، ثم وثب شريك من مجلسه فأخذ بيد موسى بن عيسى فأجلسه مجلسه ثم قال : السلام عليك أيها الامير تأمر بشيء . قال : أي شيء أمر -- وضحك .

وفيه : تقدم الى شريك وكيل لمؤنسه مع خصم له ، فجعل يستطيل خصمه ادلالاً بموضعه من مؤنسه ، فقال له شريك : كف لا بألك . قال : اتقول هذا وأنا وكيل مؤنسه ، فأمر شريك به فصفع عشر صفعات .

(ومن خاصمه الله أدحض حجته) أي أبطالها (وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب) .

في الكافي : صعد أمير المؤمنين عليه السلام المنبر فحمد الله وأثنى عليه

ثم قال أيها الناس ان الذنوب ثلاثة -- ثم أمسك -- فقال له حبة العرني : قلت الذنوب ثلاثة ثم أمسكت. فقال عليه السلام : ما ذكرتھا الا وانا أريد أن أفسرها ولكن عرض لي بهر حال بيني وبين الكلام ، نعم الذنوب ثلاثة : فذنب مغفور ، و ذنب غير مغفور ، و ذنب يرجى لصاحبه و يخاف عليه . قال حبة : فيبينها لنا . قال : نعم أما الذنب المغفور فبعد عاقبه الله تعالى على ذنبه في الدنيا والله تعالى أحلم وأكرم من أن يعاقب عبده مرتين ، وأما الذنب الذي لا يغفر فظلم العباد بعضهم لبعض ان الله تعالى اذا برز للخلیقة أقسم قسماً على نفسه فقال و عزتي و جلالی لا يجوزني ظلم ظالم ولو كفاً بكف ولو مسحة بكف ولو نطحة ما بين القرناء الى الجماء فيقتص للعباد بعضهم من بعض حتى لا يبقى لاحد على أحد مظلمة ثم يبعثهم الله للحساب، وأما الذنب الثالث فذنب ستره الله تعالى على خلقه ورزقه التوبة منه فأصبح خائفاً من ذنبه راجياً لربه فنحن له كما هو لنفسه نرجوه الرحمة ونخاف عليه العقاب .

(وليس شيء أدعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم فان الله سمیع دعوة المظطهدين) هكذا في المصرية والصواب «المظلومين» كما في «حد» و«ثم» .

في كامل الجزري - بعد ذكر قتل المقتدر لابن الفرات - لم يكن في ابن الفرات عيب الا أن أصحابه كانوا يفعلون ما يريدون ويظلمون فلا يمنعهم ، فمن ذلك ان بعضهم ظلم امرأة في ملك لها، فكتبت اليه تشكومه غير مرة وهو لا يرد لها جواباً، فلقيته يوماً وقالت له اسألك بالله ان تسمع مني كلمة ، فوقف لها فقالت قد كتبت اليك في ظلامتي غير مرة ولم تجبني فتركتك وكتبتها الى الله تعالى ، فلما كان بعد أيام ورأى تغير حاله قال لمن معه من أصحابه : ما اظن الا جواب رقعة تلك المرأة المظلومة قد خرج ، فكان كما قال .

وفي الطبري : لما رأى وجوه الفرس وأشرفهم أن يزدجرد الاثيم ابى الا

تتابعاً في الجور اجتمعوا فشكوا ما نزل بهم من ظلمه و تضرعوا الى ربهم و ابتهلوا اليه بتعجيل انقاذهم منه ، فزعموا أنه كان بجرجان فرأى ذات يوم في قصره فرساً عائراً لم يرمثه في الخيل في حسن صورة و تمام خلق اقبل حتى وقف على بابه ، فتعجب الناس منه لانه كان متجاوز الحال ، فأخبر يزدجرد خبره فأمر به أن يسرح ويلجم ويدخل عليه ، فحاول صاحب مراكيبه ذلك فلم يمكن أحداً منهم من ذلك ، فأنهى اليه امتناع الفرس عليهم ، فخرج بنفسه فألجمه بيده وألقى لبدأ على ظهره و وضع فوقه سرجاً و شد حزامه و لبد ، فلم يتحرك الفرس بشيء من ذلك حتى اذا رفع ذنبه لينفره استدبره الفرس فرمحه على فؤاده رمحة هلك منها مكانه ، ثم لم يعاين ذلك الفرس . و يقال ان الفرس ملأ فوجهه جرياً فلم يدرك ولم يوقف على السبب فيه و خاضت الرعية بينها وقالت : هذا من صنع الله لنا و رأفته بنا .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام : أوحى الله تعالى الى نبي من الانبياء في مملكة جبار من الجبابرة ان أثمت هذا الجبار و قتل له : انى لم استعملك على سفك الدماء و اتخاذ الاموال و انما استعملتك لتكف عني أصوات المظلومين ، و انى لم ادع لظلامتهم و ان كانوا كفاراً .

وفي تاريخ بغداد عن بعض ولد يحيى البرمكي قال لابيهم وهم في القيود و الحبس : يا أبة بعد الامر و النهي و الاموال العظيمة أصارنا الدهر الى القيود و لبس الصوف و الحبس . فقال له أبوه : يا بني دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها و لم يغفل الله عنها ، ثم انشأ يقول :

رب قوم قد غدوا في نعمة زمناً و الدهر ريان غدى
سكت الدهر زماناً عنهم ثم أبكاهم دماً حين نطق

وفي الكافي عن النبي «ص» : ان اعجل الشر عقوبة البغي .

وعن الصادق عليه السلام : يقول ابليس لجنوده ألقوا بينهم الحسد والبغي فانهما يعدلان عند الله تعالى الشرك .

(وليكن أحب الامور اليك أوسطها) أي أعدلها (في الحق وأعمها في العدل) «اعدلوا هو أقرب للتقوى» .

(وأجمعها الرضى الرعية) فحيث لا يمكن جلب رضا الجميع ينتخب الاوفق برضا اكثرهم .

(فان سخط العامة) وعدم رضاهم بأمر (بجحف) من أجحف به ذهب (برضى الخاصة) لاقليتهم (وان سخط الخاصة يغتفر) ولا يضر (مع رضى العامة) لانهم الاكثرون والاقل يترك للاكثر .

(وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤنة في الرخاء و اقل معونة له في البلاء و اكروه للانصاف و اسأل بالالاحاف و اقل شكراً عند الاعطاء و ابطأ عذراً عند المنع و أضعف صبراً عند ملمات الدهر) أي نوازله (من أهل الخاصة) و كل ذلك يوجب عدم الاكتراث بهم .

أما ثقل مؤنتهم في الرخاء فمثله مثل مؤنة ابي دلامة عند السفاح ، ففي الاغاني ان السفاح قال له يوماً : سلني حاجتك . قال : كلب أتصيد به . قال : أعطوه اياه . قال : ودابة أتصيد عليها . قال : اعطوه . قال : و غلام يصيد بالكلب و يقوده . قال : اعطوه غلاماً . قال : و جارية تصلح لنا الصيد و تطعمنا منه . قال : أعطوه جارية . قال : هؤلاء عبيدك و اماؤك فلا بدلهم من دار يسكنونها . قال : أعطوه داراً تجمعهم . قال : فان لم تكن ضيعة فمن أين يعيشون . قال : قد أعطيتك مائة جريب عامرة و مائة جريب غامرة . قال : و ما الغامرة . قال : ما لانبات فيه . فقال للسفاح : قد أقطعتك أنا خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافي بني أسد . فضحك و قال : اجعلوها كلها عامرة .

وأما قلة معونتهم في البلاء فمثلهم ما فيه أيضاً عن ابي دلامة قال : اتى بي المنصور أو المهدي وأناسكران ، فحلف ليخرجني في بعث حرب ، فأخرجني مع روح بن حاتم المهلبى لقتال الشراة ، فلما التقى الجمعان قلت لروح : أما والله لو أن تحتي فرسك ومعني سلاحك لاثرت في عدوك اليوم أثراً ترتضيه ، فضحك وقال : والله العظيم لادفعن ذلك اليك و لاخذنك بالوفاء بشرطك . ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما الي ودعا بغيرهما فاستبدل به ، فلما حصل ذلك في يدي وزال عني حلاوة الطمع قلت : أيها الامير هذا مقام المائذ بك وقلت :

اني استجرتك أن أقدم في الوغى	لتطاعن و تنازل و ضراب
فهب السيوف رأيتها مشهورة	فتركتها و مضيت في الهراب
ماذا تقول لما يجيء و ما يرى	من واردات الموت في النشاب

فقال : دع عنك هذا وبرز رجل من الخوارج فقال : اخرج اليه . فقلت : أشدك الله أيها الامير في دمي . قال : والله لتخرجن . فقلت : أيها الامير فانه أول يوم من الآخرة و آخر يوم من الدنيا وأنا والله جائع ماشبعت مني جارحة من الجوع فأمر لي بشيء آكله ثم أخرج ، فأمر لي برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف ، فلما رأني الشاري أقبل نحوي وأسرع ، فقلت له : على رسلك يا هذا كما أنت . فوقف فقلت : أتقتل من لا يقاتلك . قال : لا . قلت : أتقتل رجلا على دينك . قال : لا . قلت : أفتستحل ذلك قبل أن تدعومني تقتله الى دينك . قال : لا فاذهب عني الى لعنة الله . قلت : لا أفعل أو تسمع مني قال : قل . قلت : هل كانت بيننا عداوة قط أو ترة أو تعرفني بحال تحفظك علي أو تعلم بين أهلي وأهلك وترأ . قال : لا والله . قلت : ولا أنا والله لك ال جميل الرأي ، واني لاهواك وانتحل مذهبك وأدين دينك وأريد السوء لمن أرادك

قال : يا هذا جزاك الله خيراً فانصرف . قلت : ان معي زاداً أحب ان آكله معك وأحب مؤاكلتك لتتأكد المودة بيننا ويرى أهل العسكر هوانهم علينا . قال : فافعل ، فتقدمت اليه حتى اختلف أعناق دوابنا وجمعنا أرجلنا على معارفها والناس قد غلبوا ضحكاً ، فلما استوفينا ودعني ثم انصرف وانصرفت ، فقلت لروح : انا فقد كفيتك قرني فنل لغيري ان يكفيك قرنه كما كفيتك - الخ .

وفيه ان عبد الله بن علي عم المنصور لما أظهر الخلاف عليه بناحية الشام أمر المنصور أبا دلامة أن يخرج اليه في الجند ، فقال له : اني أعيدك بالله أن أخرج معهم ، فوالله اني المشموم . فقال : امض فان يمني يغلب شوئك . فقلت : والله ما أحب لك أن تجرب ذلك مني على مثل هذا العسكر ، فاني لا أدري أيهما يغلب أيمنك أم شوئي الا أني بنفسي أوثق وأعرف وأطول تجربة . قال : دعني من هذا فمالك في الخروج بد . فقلت : الان أصدقك أنا شهدت والله تسعة عشر عسكراً كلها هزمت وكنت سببها فان شئت الان أن يكون عسكرك العشرين فافعل فاستغرب ضحكاً وأعفاه .

وأما مثل اكرهيتهم للانصاف ففيه أيضاً قال المدائني : شهد أبو دلامة بشهادة لجارة له عند ابن ابي ليلى على أتان نازعها فيها رجل ، فلما فرغ من الشهادة قال : اسمع ما قلت قبل أن آتيك ثم اقض ماشئت . قال : هات فأنشده :

ان الناس غَطُونِي تَغَطَّيْتِ عَنْهُمْ و ان بَحَثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحِثُ
و ان حَفَرُوا بِثَرِي حَفَرْتِ بِثَارِهِمْ لِيَعْلَمَ يَوْمًا كَيْفَ تَلِكِ النَّبَائِثُ
فقال ابن ابي ليلى للمرأة : اتبيعيني الاتان . قالت : نعم . قال : بكم . قالت : بمائة درهم . قال : ادفعوها اليها ، ففعلوا وأقبل على الرجل فقال : قد وهبت الاتان لك ، وقال لابي دلامة : قد أمضيت شهادتك ولم أبحث عنك وابتعت ممن شهدت له ووهبت ملكي لمن رأيت أرضيت . قال : نعم وانصرف .

ولما طوّل البحري بمال التقيط قال :

وما أنا والتقيط اذ تكتبونني وتكتب قبلي جلة القوم أو بعدى
سبيلي ان اعطى الذي تطلبونه وشرطى أن يجدى علي ولا أجدى
صحبت أناساً اطلب المال عندهم فكيف يكون المال مطلباً عندى
وأما أسأليتهم بالالحاف فمثله ما فيه أيضاً ان مروان بن ابي حفصة أنشد
الهادي :

تشابه يوماً بأسه و نواله فما أحد يدري لايهم الفضل
فقال له : أيهما أحب اليك أثلاثون ألفاً معجلة أم مائة ألف تدون في الدواوين
فقال له : أنت تحسن ما هو خير من هذا ولكنك نسيته ، أفأذن لي ان اذكرك .
قال : نعم . قال : تعجل لي الثلاثين ألفاً وتدون لي المائة ألف في الدواوين
فضحك وقال : بل يعجلان جميعاً فحمل المال اليه أجمع .

وأما أقلية شكرهم عند الاعطاء فمثله مثل قلعة شكر الحطيئة عطاء عتبية بن
النهاس العجلي ، ففي شعراء ابن قتيبة : دخل الحطيئة على عتبية فسأله فقال :
ما أنا في عمل فأعطيك من مدده وما في مالي فضل عن قومي فأعطيك من فضله
فخرج من عنده فقال له رجل من قومه : أتعرفه . قال : لا . قال هذا الحطيئة ،
فأمر برده فلما رجع قال : انك لم تسلم تسليم السلام ولا استأنست استيناس الجار
ولا رحبت ترحيب ابن العم . قال : هو ذلك . قال : اجلس فلك عندنا ما تحب
وقال لغلامه اذهب به الى السوق فلا يشيرن الى شيء الا اشتريته له ، فانطلق به
الغلام فجعل يعرض عليه الحبرة واليمنة وبياض مصر وهو يشير الى الكرايس
والاكسية الغلاظ ، فاشترى له بمائتي درهم وأوقر راحلته برأ وتمراً ، فقال له
الغلام : هل من حاجة غير هذا . قال : لا حسبي . قال : انه قد أمرني ألا أجعل
لك علة فيما تريد . قال : حسبك لاحاجة لي أن يكون لهذا يد على قومي أعظم
من هذه ثم ذهب فقال :

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلاً فسيان لازم عليك و لا حمد
وانت امرؤ لا الجود منك سجيبة فتعطي وقد يعدو على النائل الوجد

وأما اضعفية صبرهم عند الملمات فمثله فعل حسان بن ثابت في خير، وفي الطبرى كانت صفية بنت عبدالمطلب في فارح حصن حسان - وكان حسان فيه مع النساء والصبيان . قالت صفية : فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين النبي « ص » ليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا والنبي والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا الينا عنهم ان أتانا آت ، فقلت : يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن واني والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من ورائنا من يهود وقد شغل عنا النبي وأصحابه فانزل اليه فاقتله . فقال : يغفر الله لك يا بنت عبدالمطلب ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا . قالت : فلما قال ذلك ولم أر عنده شيئاً احتجرت ثم أخذت عموداً ثم نزلت اليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت : يا حسان أنزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا أنه رجل . قال : يا بنت عبدالمطلب مالي بسلبه حاجة .

(وانما عماد) هكذا في المصرية والصواب « عمود » كما في « حد » و « ثم »
والخطية (الدين وجماع المسلمين) أي مجمعهم (والعدة للاعداء) أي القوة
في قبالتهم (العامة من الامة فليكن صغوك) أي ميلك (لهم وميلك معهم) .
في المروج : كان هرمزين انوشروان متحاملا على خواص الناس مائلا الى
عوامهم مقويماً لهم ، وقيل انه قتل في مدة ملكه - وكان ملكه اثنتى عشرة سنة -
ثلاثة عشر ألف رجل المذكور من خواص الفرس .

(وليكن أبعد رعيتك منك وأشنائهم عندك أطلبهم لمعائب الناس ، فان في
الناس عيوباً الوالي احق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها) في عيون

القتيبي قال بعض ملوك المعجم : اني انما أملك الاجساد لالنيات ، وأحكم بالعدل
لابالرضا ، وأفحص عن الاعمال لاعن السرائر .

وعن الصادق عليه السلام قال النبي « ص » الا أنبئكم بشراركم ؟ قالوا :
بلى . قال : المشاؤون بالنميمة ، والمفرقون بين الاحبة ، والباغون للبرئاء العيب
(فانما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك) كما في الحدود
فاذا ظهرت للوالي بالبينة أو الاقرار فاحشته كان عليه تطهيره بالحد وما لم يظهر
كذلك ليس له سبيل عليه بل جعل الحد على من نسبها اليه ، قال تعالى « والذين
يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا
لهم شهادة أبداً وأولئك عند الله هم الكاذبون » .

(فاسترا العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره) في الخبر : أشرف
أفعال الكريم غفلته عما يعلم .

وفي عيون ابن قتيبة كانت جامات كسرى التي يأكل فيها من ذهب ، فسرق
رجل من أصحابه جاماً وكسرى ينظر اليه ، فلما رفعت الموائد أفتقد الطباخ الجام
فرجع يطلبها فقال كسرى : لانتعن فقد أخذها من لايردها ، ورآه من لايفشي
عليه . ثم دخل عليه الرجل بعد وقد حلى سيفه رمنطقته ذهباً ، فقال له كسرى :
هذا - وأشار الى سيفه - وهذا - وأشار الى منطقته - من ذلك . قال : نعم .

(أطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر) زاد التحف
بعده « واقبل العذر وادء الحدود بالشبهات » .

في السيراما أعيد المقتدر الى الخلافة وخلع ابن المعتز أمر وزيره ابن الفرات
بقبض ما في دور الذين بايعوا ابن المعتز وكانت أمتعتهم تقبض وتحمل فيراها
وينفذها الى خزائن المقتدر ، فجأؤه يوماً بصندوقين فقالوا له : هذان وجدناهما
في دار ابن المعتز . فقال : أعلمتم ما فيهما . قالوا : نعم جرائد من بايعه الناس

بأسمائهم وأنسابهم . فقال : لا تفتح . ثم قال : يا غلمان ها تواترنا ، فجاء الفراشون
بفحم وأمرهم فأججوا النار ، فأقبل على من حضر فقال : والله لورأيت من هذين
الصندوقين ورقة واحدة لظن كل من له فيها اسم انى عرفته فتفسد نيات العالم
كلهم علي وعلى الخليفة وما هذا رأي حرقوهما ، فطرحا بساقفالهما في النار ،
فلما احترقا بحضرته أقبل على ابن مقله - وكان كاتبه - فقال له : قد آمنت كل
من بايع ابن المعتز امرني بذلك الخليفة فاكتب للناس الامان مني . ثم قال لمن
حضر : أشبعوا هذا الخبر ، فأشاعوه فطلب المستترون الامان فكتب في ذلك
مائة ألف أو نحوها .

(وتغاب) أي تغافل (عن كل ما لا يصح لك ولا تعجلن الى تصديق ساع
فان الساعي غاش وان تشبه بالناصحين) والتحرز من الغاش المتشبه بالناصح
واجب .

في العقدان المأمون اذا ذكر عنده الساعة قال : ما ظنكم يقوم يلعنهم الله
على الصدق .

وقال ذو الرياستين : قبول النميمة شر من النميمة لان النميمة دلالة والقبول
اجازة وليس من دل على شيء كمن قبله .

وعاتب مصعب بن الزبير يوماً الاحنف بن قيس في شيء فأنكره ، فقال :
أخبرني الثقة . قال : كلا ان الثقة لا يبلغ ، وقد جعل الله السامع شريك القائل
فقال « سماعون للكذب أكالون للسحت » .

وفي سير العجم : ان رجلاً وشى برجل الى الاسكندر فقال : أتحب أن يقبل
منه عليك ومنك عليه . قال : لا . قال : فكف الشرعنه يكف عنك الشر وقال شاعر :
اذا الواشي بغى يوماً صديقاً فلا تدع الصديق لقول واش
أيضاً :

لا تقبلن نميمة بلسغتها و تحفظن من الذي أنباكها
لا تنقشن برجل غيرك شوكة فتقى برجلك رجل من قدشاكها
ان الذي أنباك عنه نميمة سيدب عنك بمثل ماقد حاكها

هذا ، وفي الطبري : لما نقض اصبهيد طبرستان العهد بينه وبين المسلمين
وجه اليه المنصور خازم بن خزيمة وروح بن حاتم وأبا الخصيب مولاة ،
فأقاموا على حصنه محاصرين له وهويقاتلهم حتى طال عليهم المقام ، فاحتال
ابوالخصيب وقال لاصحابه : أضربوني واحلقوا رأسي ولحيتي ، ففعلوا ذلك
به فلحق بالاصبهيد وقال له : ركب مني أمرعظيم ضربت وحلق رأسي ولحيتي
وانما فعلوا ذلك تهمة مني لهم أن يكون هواي معك ، وأخبره أنه معه وأنه دليل
على عورة عسكريهم ، فقبل منه ذلك الاصبهيد وجعله في خاصته وألطفه ، وكان
باب مدينتهم من حجريلقى القاءاً يرفعه الرجال وتضعه عند فتحه واغلاقه وجعل
ذلك نوباً بينهم ، فقال له أبو الخصيب : ما أراك وثقت بي ولاقبلت نصيحتي
قال : وكيف ظننت ذلك ؟ قال : لتركك الاستعانة بي فيما يعينك وتوكيلي فيما
لاثق به الا بثقاتك ، فجعل يستعين به بعد ذلك فيرى منه مايجب الى أن وثق
به فجعله فيمن ينوب في فتح باب مدينته واغلاقه ، فتولى ذلك حتى أنس به
ثم كتب الى روح وخازم وصيرالكتاب في نشابة ورمائها اليهم وأعلمهم أن قد
ظفر بالحيلة ووعدها ليلة سماها لهم في فتح الباب ، فلما كان في تلك الليلة فتح
لهم ، فقتلوا من فيها من المقاتلة وسبوا السدراري وظفر بالبحترية وهي أم
المنصور بن المهدي وبشكلة أم ابراهيم بن المهدي ، فمض الاصبهيد خاتماً له
فيه سم فقتل نفسه .

(ولاتدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر) كالشيطان
في الكافي ان امير المؤمنين عليه السلام بعث الى رجل بخمسة أوساق من تمر

البغيغة - وكان الرجل ممن يرجونوافله عليه السلام ويؤمل رفته ونائله وكان لايسأل أحداً - فقال رجل له « ع » : والله ما سألك فلان ولقد كان يجزيه من خمسة الاوساق وسق واحد . فقال له : لاكثر الله في المؤمنين ضربك ، أعطي أنا وتبخل انت اذا انا لم أعط الذي يرجوني الا بعد المسأله فلم أعطه ثمن ما أخذت منه ، وذلك لانني عرضته أن يبذل لي وجهه الذي يعرفه في التراب لربه عند تعبد له وطلب حوائجه اليه ، فمن فعل هذا بأخيه المسلم وقد عرف أنه موضع لصلته ومعروفه فلم يصدق الله تعالى في دعائه له حيث يتمنى له الجنة بلسانه ويبخل عليه بالحطام من ماله فيقول في دعائه « اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات » فاذا دعاهم بالمغفرة فقد طلب لهم الجنة ، فماأنصف من فعل هذا بالقول ولم يحققه بالفعل .

وفي العمدة قال ابوالاسود : لوأطعمنا المساكين لكننا أسوأ منهم . وقال لبنيه : لاتطمعوا المساكين في أموالكم فانهم لايقنعون منكم حتى يرونكم مثلهم ولاتجاودواالله فانه لوشاء أن يغني الناس كلهم لفعل ، ولكنه علم أن قومألايصلحهم الغنى ولايصلح لهم الا الفقير . وقال : مايبذك خير من طلب مايبذ غيرك ، وأنشد :
يلومونني في البخل جهلا وضلة و للبخل خير من سؤال بخيل
(ولاجباناً يضعفك عن الامور) في أخبار جبناء عيون ابن قتيبة : شهد ابو

دلامة حرباً مع روح بن حاتم المهلبى فقال له : تقدم فقاتل ، فقال :

اني أعوذ بروح أن يقدمني الى القتال فتحزى بى بنوأسد
ان المهلب حب الموت أورثكم ولم أورث حب الموت عن أحد

وقال آخر :

أضححت تشجعني هند وقد علمت أن الشجاعة مقرون بها العطب
لا والذي منع الابصار رؤيته مايشتهي الموت عندي من له أدب

للحرب قوم أضل الله سعيهم اذا دعتهم الى حوبائها وثبوا
ولست منهم ولا أبغي فعالهم لا القتل يعجبني منها ولا السلب
وقيل لاعرابي : ألا تغزوا؟ قال : اني لا بغض الموت على فراشي فكيف
أمضى اليها ركضاً .

وارسل ابن زياد رجلاً مع ألفين الى مرداس بن أدبه - وهو في أربعين -
فهزمه مرداس فعنفه ابن زياد وأغلظ له فقال : يشتمني الامير وأنا حي أحب الي
من أن يدعولي وأنا ميت .

وكان خالد القسري من الجبناء ، خرج عليه المغيرة بن سعيد صاحب
المغيرة فقال من الدهش : أطعموني ماء . فقال بعضهم :

عاد الظلوم ظليماً حين جدّ به واستطعم الماء لما جد في الهرب
وقال ابن زياد : اما للكنة فيه أولجبن أولدهشة افتحوا سيوفكم ، فقال فيه
أبومفرغ :

ويوم فتحت سيفك من بعيد اضعته وكل امرئ للضياح
وقال ابن المقفع : الجبن مقتلة فانظر فيما رأيت وسمعت أمن قتل في الحرب
مقبلاً أكثر أم من قتل مدبراً .

(ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور) قال ابن المقفع : الحرص محرمة
أنظر من يطلب اليك بالاجمال والتكرم أحق أن تسخونفسك له بالعطية أم من
يطلب اليك بالشره والحرص .

وقالوا : لا يكثر الرجل الحوائج على أخيه ، فان العجل اذا أفرط في مص
أمه نطحته ونحته ، وقال :

كم من حريص على شيء ليدركه و عل ادراكه يدني الى عطبه
(فان البخل والجبن والحرص غرائز) أي طبائع (شتى) أي مختلفة (يجمعها

سوء الظن بالله) أما كون منشأ البخل سوء الظن بالله في عدم اخلافه ما ينفعه فواضح
وفي العقد : كتب رجل من البخلاء الى رجل من الاسخياء يأمره بالابقاء
على نفسه ويخوفه بالفقر ، فرد عليه « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء
والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً » واني أكره أن أترك أمراً قد وقع لامرله لا يقع
وفي الطبري قيل لجعفر بن محمد « ع » : ان المنصور يعرف بلباس جبة
هروية مرقوعة وانه يرقع قميصه . فقال : الحمد لله الذي لطف له حتى ابتلاه
بالفقر في ملكه .

وفيه قرأ الهيثم عند المنصور « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل »
فقال : لولا أن الاموال حصن السلطان ودعامة للدين والدنيا وعزهما وزينهما
ما بت ليلة وأنا أحرز منه درهماً ولاديناراً لما أجد من اللذاذة لبذل المال ولما
أعلم في أعطائه من جزيل المثوبة ، وقال الشاعر :

من ظن بالله خيراً جاء مبتدأً والبخل من سوء ظن المرء بالله

وأما كون الجبن منشأ سوء الظن بالله ، انه يخال ان لم يحضر الجهاد
لا يموت وقد رد تعالى عليهم في قوله « قل لن ينفعكم الفرار من الموت أو القتل
واذن لا تمتعون الا قليلاً * قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوء
او اراد بكم رحمة » .

وكان كسرى يقول : عليكم بأهل السخاء والشجاعة ، فانهم أهل حسن الظن
بالله ، ولو أن أهل البخل لم يدخل عليهم من ضرر بخلهم ومدممة الناس لهم
واطباق القلوب على بغضهم الا سوء ظنهم بربهم في الخلف لكان عظيماً .

وأما كون منشأ الحرص سوء الظن بالله ، فلانه لو تيقن أنه لا يصل اليه من
الرزق الا ما قدر الله تعالى له لم يحرص بل الحرص كالחסد والكبر احد أصول
الكفر بالله .

وفي عيون ابن قتبية : لما قتل كسرى بزرجمهر وجد في منطقته كتاباً : اذا كان القدر حقاً فالحرص باطل . وقال عدي بن زيد :

قد يدرك المبطل من حظه والرزق قد يسبق جهد الحرص

(ان شر وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيراً ومن شركهم في الاثام فلا يكونن لك بطانة) في وزراء الجهشيارى : سأل عمر بن عبدالعزيز عن يزيد بن ابي مسلم كاتب الحجاج فقيل له : انه غزا الصائفة ، فأمر بالكتاب اليه برده وقال : لا أستنصر بجيش هو فيهم ، فرده من الدرب .

وقال « حد » : أتى الوليد بن عبد الملك برجل من الخوارج فقال له : ما تقول في الحجاج ؟ قال : وما عسيت أن أقول فيه ، هل هو الا خطيئة من خطاياك وشر من نارك ، فلعنك الله ولعن الحجاج معك . فالتفت الوليد الى عمر بن عبدالعزيز فقال : ما تقول في هذا ؟ فقال : ما أقول فيه هذا رجل يشتمكم فاما أن تشتموه كما شتمكم واما أن تعفوه عنه . فغضب الوليد وقال لعمر : ما أظنك الا خارجياً . فقال عمر : وما أظنك الا مجنوناً . وقام وخرج مغضباً ولحقه خالد ابن الريان صاحب شرطة الوليد فقال له : ما دعاك الى ما كلمت به الخليفة ، لقد ضربت بيدي الى قائم سيفي أنتظر متى يأمرني بضرب عنقك . قال : أو كنت فاعلاً لو أمرك . قال : نعم ، فلما استخلف عمر جاءه خالد فوقف على رأسه متقلداً سيفه ، فنظر اليه وقال له : يا خالد ضع سيفنا فانك مطيعنا في كل أمر نأمرك به - وكان بين يديه كاتب كان للوليد أيضاً - فقال له : وضع أنت أيضاً قلمك فانك كنت تضربه وتنفع وقال « اللهم اني وضعتهما فلا ترفعهما » ومازالا وضيعين حتى ماتا .

(فانهم أعوان الاثمة) وقد قال تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا

تعاونوا على الاثم والعدوان » .

(واخوان الظلمة) في الطبري : أقطع هشام أرضاً يقال لها «دورين» فأرسل في قبضها فإذا هي خراب ، فقال لذويد - كاتب كان بالشام - ويحك كيف الحيلة . قال : ما تجعل لي . قال : اربعمائة دينار ، فكتب « دورين وقرها » ثم أمضاها في الدواوين ، فأخذ شيئاً كثيراً ، فلما ولى هشام دخل عليه ذويد فقال له هشام : دورين وقرها ، لاتلي لى ولاية أبداً ، وأخرجه من الشام .

في الكافي عن ابن ابي يعفور قال : كنت عند الصادق عليه السلام اذ دخل عليه رجل من أصحابنا فقال له : انه ربما أصاب الرجل منا ضيق فيدعى الى البناء يبنيه أو النهريكره أو المسناة يصلحها فماتقول في ذلك ؟ فقال عليه السلام : ما أحب اني عقدت لهم عقدة أو وكيت لهم وكاء وان لي ما بين لابتيتها ، لا ولا مدة بقلم ، ان أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نارحتى يحكم الله عز وجل بين العباد .

وعن ابي بصير سألت ابا جعفر عليه السلام عن اعمالهم فقال : لا ولا مسدة قلم ، ان أحدكم لا يصيب من دنياهم شيئاً الا أصابوا من دينه مثله .
(وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفادهم) في الامور (وليس عليه مثل آصارهم) أي ذنوبهم (وأوزارهم) أي أثقالهم وأحمالهم من الاثام ، قال تعالى « ولا تزر وازرة وزر أخرى » قال الاخفش : اي لاتأثم ائمة باثم أخرى .

في وزراء الجهشيارى لماتوفي سليمان بن عبد الملك كتب عمر بن عبد العزيز وهو على قبره بعزل أسامة بن زيد ويزيد بن ابي مسلم ، فقال الناس لأصبر حتى يدفن الرجل . فقال : اني خفت الله تعالى واستحييته أن أقرهما يحكما في أمور الناس طرفة عين وقدوليت أمورهم .

(ممن لايعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على ائمه) في العقد قال ابو عوانة :

بعث الي الحجاج فقال: اني اريد ان أستعين بك في عملي . قلت : ان تستعن بي تستعن بكبير أخرق ضعيف يخاف أعوان السوء وان تدعني فهو أحب الي وان تقمني أقحم . قال : ان لسم أجد غيرك أقممتك . قلت : واخرى اني علمت الناس هابوا أميراً قط هيبتهم لك ، والله اني لاتعار من الليل فما يأتيني النوم من ذكرك حتى أصبح ولست لك على عمل . قال: كيف ؟ قلت : فأعدت عليه . فقال : اني والله لأعلم على وجه الارض خلقاً هو أجراً على دم مني ، انصرف . فقممت فعدلت عن الطريق كأنني لا أبصر فقال أرشدوا الشيخ .

وفي الجهشياري : كان الرشيد بعد صرف الفضل بن يحيى عن خراسان قلد علي بن عيسى بن ماهان ليكثر على الفضل في الاموال ، فقتل وجوه أهل خراسان وملوكها وجمع أموالاً جليلاً فحمل الي الرشيد ألف بكرة معمولة من ألوان الحرير وفيها عشرة آلاف ألف درهم . فسر بها وقال ليحيى : أين كان الفضل عن هذا . فقال يحيى : ان خراسان سبيلها أن تحمل اليها الاموال ولا تحمل منها والفضل أصلح نيات رؤسها واستجلب طاعتهم وعلي بن عيسى قتل صنائدهم وطراختهم وحمل أموالهم ، ولو قصدت لدرب من دروب الصيارف بالكرخ لوجدت فيه أضعاف هذه وستنفق مكان كل درهم منها عشرة . فثقل هذا القول على الرشيد ، فلما انتفض أمر خراسان وخرج رافع بن الليث واحتاج الرشيد السى النهوض اليها بنفسه جعل يتذكر هذا الحديث ويقول : صدقني والله يحيى لقد أنفقت مائة ألف ألف وما بلغت شيئاً .

(اولئك أخف عليك مؤنة وأحسن لك معونة) في عيون ابن قتبية قال بعض الخلفاء : دلوني على رجل استعمله على أمر قد أهمني . قالوا : كيف تريده . قال : اذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم ، واذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم . قالوا : لانعلمه الا الربيع بن زياد الحارثي . قال : صدقتم

هو لها .

وفي المقاتل : انه عليه السلام اما ضرب أتاها صعصعة عائداً وقال للاذن قل له «ع» : يرحمك الله حياً وميتاً ، فوالله لقد كان الله في صدرك عظيماً ولقد كنت بذات الله عليمًا ، فأبلغه الاذن مقالة صعصعة فقال عليه السلام : قل لصعصعة وأنت يرحمك الله لقد كنت خفيف المؤنة كثير المعونة .

(وأحنى) أي أشفق (عليك عطفاً) أي توجهاً (وأقل لغيرك القأ) في المعجم : كان صاحب خراسان نوح بن منصور الساماني قد أرسل الى صاحب بن عباد - وزير فخر الدولة بن ركن الدولة - يستدعيه الى حضرته و يرغبه في خدمته وبذل البذول السنية ، فكان من جملة اعتذاره أن قال : كيف يحسن لي مفارقة قوم بهم ارتفع قدري وشاع بين الانام ذكرى ، ثم كيف لي بحمل أموالي مع كثرة أثقالي وعندي من كتب العلم خاصة ما يحمل على أربعمئة جمل أو اكثر .

(فاتخذوا لثلك خاصة لخلواتك وحفلاتك) أي اجتماعاتك (ثم ليكن آثرهم) أي اكثرهم مختاراً (عندك أقولهم بمرالحق لك) في العقد قال مالك بن أنس : بعث المنصور الي والى ابن طاوس ، فأتيناه ودخلنا عليه فاذا هو جالس على فرش قد نضدت وبين يديه نطاع قد بسطت وجلالوزة بأيديهم السيوف يضربون الاعناق ، فأومى الينا ان أجلسا ، فجلسنا فأطرق عناقليلا ثم رفع رأسه - والتفت الى ابن طاوس - فقال له : حدثني عن أبيك . قال : نعم ، سمعت ابي يقول : قال النبي صلى الله عليه وآله : ان أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه فأدخل عليه الجور في عدله ، فأمسك ساعة ، قال مالك : فضممت ثيابي من ثيابه مخافة أن يملأني من دمه . ثم التفت اليه فقال : عظني . قال : نعم ان الله تعالى يقول « ألم تركيف فعل ربك بعاد * ارم ذات العماد * التي

لم يخلق مثلها في البلاد * وثمرود الذين جابوا الصخر بالواد- الى- ان ربك
 لبالمرصاد». قال مالك فضمامت ثيابي من ثيابه مخافة أن يملأ ثيابي من دمه ،
 فأمسك ساعة حتى اسود ما بيننا و بينه ، ثم قال : يا ابن طاوس ناولني هذه
 الدواة ، فأمسك عنه ثم قال ناولني هذه الدواة ، فأمسك فقال : ما يمنعك أن
 تناولنيها ، قال : أخشى أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها . فلما سمع
 ذلك قال: قوما عني . فقال ابن طاوس: ذلك ما كنا نبغي منذ اليوم . قال مالك :
 فمازلت أعرف لابن طاوس فضله .

(وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لاوليائه واقعاً ذلك من هواك
 حيث وقع) وزاد في رواية التحف « فانهم يقفونك على الحق وبيصرونك
 ما يعود عليك نفعه» .

في العقد قال الشعبي : ان زياداً كتب الى الحكم بن عمرو الغفاري- وكان
 على الصائفة - ان معاوية كتب الي أن أصفى له الصفراء والبيضاء فلا تقسم
 بين الناس ذهباً ولافضة ، فكتب اليه : وجدت كتاب الله قبل كتاب معاوية ،
 ولوان السماوات والارض كانتا على عبد رتقاً فاتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً
 ثم نادى في الناس فقسم لهم ما اجتمع من الفيء .

وفيه : أرسل ابن هبيرة الى الحسن البصري والشعبي ، فقال للحسن : ما
 ترى في كتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعض ما فيها ، فاذا أنفذتها
 وافقت سخط الله وان لم أنفذها خشيت على دمي . فقال له الحسن : هذا
 الشعبي فقيه الحجاز عندك . فسأله فرفق له الشعبي و قال له : قارب وسدد ،
 فانما أنت عبد مأمور . فالتفت ابن هبيرة الى الحسن و قال : ما تقول أنت ؟
 فقال له : يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله ، يا ابن هبيرة
 ان الله مانعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله ، يا ابن هبيرة لاطاعة لمخلوق

في معصية الخالق ، فانظر ما كتب اليك فيه يزيد فأعرضه على كتاب الله فما وافقه فأنفذه وما خالفه فلا تنفذه ، فان الله أولى بك من يزيد وكتاب الله أولى بك من كتابه . فضرب ابن هبيرة بيده على كتف الحسن وقال : هذا صدقني ورب الكعبة ، وأمر له بأربعة آلاف وللشعبي بألفين ، فأما الحسن فأرسل الى المساكين فلما اجتمعوا فرقها وأما الشعبي فقبلها وشكر عليها .

وفيه : شاور معاوية الاحنف بن قيس في استخلاف ابنه يزيد، فسكت عنه فقال : ان صدقناك أسخطناك وان كذبتناك أسخطنا الله وسخطك أهون علينا من سخط الله . فقال له معاوية : صدقت .

وفيه : ودخل الزهري على الوليد بن عبد الملك فقال له : ما حديث يحدثنا به أهل الشام . قال: وما هو؟ قال : يحدثوننا أن الله اذا استرعى عبداً رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب عليه السيئات . قال : باطل أنبي خليفة الله أكرم على الله أم خليفة غير نبي . قال : بل خليفة نبي . قال : فان الله تعالى يقول لنبيه داود عليه السلام «يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب» فهذا وعيد لنبي خليفة فما ظنك بخليفة غير نبي . قال : ان الناس ليغروننا عن ديننا .

(و الصق بأهل الورع والصدق) زاد في رواية التحف « وذوي العقول والاحساب » .

وفي عيون ابن قتيبة : استشار عمر بن عبدالعزيز في قوم يستعملهم فقال له بعض أصحابه : عليك بأهل العذر. قال: ومن هم؟ قال : هم الذين ان عدلوا فهو ما رجوت منهم وان قصروا قال الناس قد اجتهد عمر .

(ثم رضهم) من راض المهربروضه رياضة ورياضاً (على ألا يطروك) أي

لا يمدحوك (ولا يبجحوك) بتقديم الجيم وتشديدها ، أي لا يفرحوك (بباطل لم تفعله فان كثرة الاطراء) والمدح (تحدث الزهو) أي الكبر (وتدني) أي تقرب (من الغرة) أي الاغترار ، وزاد في خبر التحف «والاقرار بذلك يوجب المقمت من الله» قالوا المدح وافدالكبر .

و في عيون ابن قتيبة قال ابن المقفع : اياك اذا كنت والياً أن يكون من شأنك حب المدح والتزكية وان يعرف الناس ذلك منك، فتكون ثلثة من التلم يقتحمون عليك منها وبأباً يفتتحونك منه وغيبة يغتابونك بها ويضحكون منك لها ، واعلم أن قابل المدح كما دح نفسه ، والمرء جدير أن يكون حبه المدح هو الذي يحمله على رده ، فان الرادله ممدوح والقابل له معيب .
(ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فان في ذلك تزهيداً لاهل الاحسان في الاحسان وتدريباً لاهل الاساءة على الاساءة) قال الجوهري درب بالشيء اذا اعتاده .

(والزم كلا منهم ما ألزم نفسه) من الاحسان والاساءة «من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها» . وزاد في رواية التحف «أدباً منك ينفعك الله به وتنفع به أعوانك» .

في المعجم قال المتوكل لابي العيناء : بلغني عنك بذاء في لسانك . فقال: قد مدح الله تعالى وذم فقال «نعم العبدانه أواب» وقال «هماز مشاء بنميم» وقال الشاعر :

إذا أنا بالمعروف لم اثن صادقاً ولم أستم النكس اللثيم المذمما
فقيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله المسامع و الفما
وقيل لابي العيناء : الى متى تمدح الناس وتهجوهم ؟ فقال: ما دام المحسن يحسن والمسيء يسيء ، وأعوذ بالله ان أكون كالعقرب تلسب النبي والذمي .

(واعلم أنه ليس شيء بأدعى الى حسن ظن راع برعيته من احسانه اليهم
و تخفيفه المؤنات عنهم) في عيون ابن قتيبة : قام رجل من مجلس خالد
القسري ، فقال خالد : اني لا بغض هذا الرجل وماله الي ذنب . فقال رجل :
أوله ايها الامير معروفاً ، ففعل فما لبث أن خف على قلبه وصار أحد جلسائه .
وفي وزراء الجهشيارى : قال المنصور لابى العباس الطوسي وعيسى بن
علي والعباس بن محمد وغيرهم من خواصه : اني قد عزمت على تقليد المهدي
السواد وكور دجلة ، فاستصوب جميعهم رأيه خلا الطوسي فانه استخلاه ثم
قال له : ارأيت ان سلك المهدي غير سيرتك واستعمل التسهيل أترضى بذلك؟
قال : لا والله . قال : فأنت تريد أن تحببه الى الرعية وتقليدك اياه يبغضه اليهم
لاسيما ما قرب منك ، ولكن تولى هذه الولاية عيسى بن موسى وتجعل المهدي
الناظر في ظلمات الناس و تأمره بأخذه بانصافهم ، فضحك منه حتى فحوص
برجليه .

وفي الطبري : كان المنصور لا يولي أحداً ثم بعزله الا ألقاه في دار خالد
البطين على شاطئ دجلة ملاصقاً لدار صالح المسكين فيستخرج من المعزول
مالاً فما أخذ من شيء أمر به بعزل و كتب عليه اسم من أخذ منه وعزل في بيت
مال و سماه بيت مال المظالم ، فكثير ما في ذلك البيت من المال والمتاع ، ثم
قال للمهدي : اني قد هيأت لك شيئاً ترضى به الخلق ولا تغرم من مالك شيئاً ،
فاذا أنامت فادع هؤلاء الذين أخذت منهم هذه الاموال التي سميتها مظالم فاردد
عليهم كل ما أخذ منهم فانك تستحمد اليهم والى العامة ، ففعل ذلك المهدي
لما ولي .

(وترك استكراهه اياهم على ما ليس له قبلهم) هكذا في نسختي « حد »
و « ثم » ولا يبعد أن الاصل « به قبلهم » فقال الجوهري : ومالي به قبل أي

طاقة .

في عيون ابن قتيبة قالت العجم : أسوس الملوك من قاد أبدان الرعية الى طاعته بقلوبها ، ولا ينبغي للوالي أن يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة كرهاً ، ولكن في التي يستحقها بحسن الاثر وصواب الرأي والتدبير .

(فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فان حسن الظن بقطع عنك نصباً) أي شراً وبلاء (طويلاً) زاد في رواية التحف «فاعرف هذه المنزلة لك وعليك ولتزدك بصيرة في حسن الصنع واستكثار حسن البلاء عند العامة مع ما يوجب الله لك بها في المعاد» .

في العيون كان ابن عباس يقول : ما رأيت رجلاً أوليته معروفاً الا اضاء ما بيني وبينه ، ولا رأيت رجلاً أوليته سوء الا أظلم ما بيني وبينه .

(وان أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلائك عنده وان احق من اساء ظنك به لمن ساء بلائك عنده) في العيون في كتب العجم : قلوب الرعية خزائن ملوكها ، فما أودعتها من شيء فليعلم أنه فيها .

وفي الطبرى قال المنصور لاسماعيل بن عبد الله : أي الولاة أفضل؟ قال : البازل للطاء والمعرض عن السيئة . قال : فأيهم أحرق؟ قال : أنهمكهم للرعية واتبعهم لها بالخرق والعقوبة . قال : فالطاعة على الخوف أبلغ في حاجة الملك أم الطاعة على المحبة؟ قال : الطاعة عند الخوف تسر الغدر وتبالغ عند المعاينة ، والطاعة على المحبة تضرر الاجتهاد وتبالغ عند الغفلة . قال : فأأي الناس أولى بالطاعة؟ قال : أولاهم بالمضرة والمنفعة . قال : ما علامة ذلك؟ قال : سرعة الاجابة وبذل النفس .

وفي وزراء الجهشباري : لما غضب المنصور على أبي أيوب المورباني قال صالح بن سليمان : انه سيقتل أبا أيوب وجميع أسبابه لانه سمعه يتحدث

أن ملكاً من الملوك كان يساير وزيراً له فضربت دابة الوزير رجل الملك فغضب وأمر بقطع رجل الوزير فقطعت ثم ندم فأمر بمعالجتته حتى برء ثم قال الملك في نفسه : هذا لا يحبني أبداً وقد قطعت رجله فقتله ، ثم قال : وأهل هذا الوزير لا يحبونني وقد قتلته فقتلهم جميعاً . قال صالح : فعلت أنه سيفعل ذلك في المورباني ففعله ، وما عدا ظني فقتله وأخاه بالضعطة والعذاب وقتل بني أخيه صبراً .

(ولانتقض سنة صالحه عمل بها صدور هذه الامة واجتمعت بها الالفه وصلحت

عليها الرعية) فان سنن النبي « ص » كفرأئض الله تعالى العمل بها واجب .

(ولاتحدثن سنة تضر بشيء من ماضى تلك السنن فيكون الاجر لمن سنها

والوزر عليك بما نقضت منها) وقد أحدث الثلاثة سنناً كذلك مذكورة في محلها

وأما من جاء بعدهم من اتباعهم فأحدثهم أكثر من أن تحصى ، ولولا أن أصل

الاسلام كان معلوماً لجعلته اردل الملل كما أنهم أنفسهم صاروا بها أخس الامم

من حيث العمل .

قال الطبري في تاريخه : ولما خرجت الخوارج من الكوفة أتى علياً عليه

السلام أصحابه وشيعته فبايعوه وقالوا نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت

فشرط لهم فيه سنة النبي « ص » فجاءه ربيعة بن ابي شداد الخثعمي - وكان شهد

معه الجمل وصفين ومعه راية خثعم - فقال له : بايع على كتاب الله وسنة رسوله

فقال ربيعة : على سنة ابي بكر وعمر . قال له علي : ويلك لو أن ابا بكر وعمر عملا

بغير كتاب الله وسنة رسوله لم يكونا على شيء من الحق . فبايعه فنظر اليه علي

عليه السلام وقال : أما والله لكأنني بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت ،

و كأنني بك وقد وطئت الخيول بحوافرها ، فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة -

الخ .

وفي الخبر : من سن سنة حسنة كان له مثل أجر من عمل بها ، ومن سن سنة

سيئة كان عليه مثل وزر من عمل بها .

وفي الخبر: أبي الله لصاحب البدعة بالتوبة . قيل: وكيف ذلك؟ قال: لانه قد شرب قلبه جبهها، ومن مشى الى صاحب بدعة فوقره فقد مشى في هدم الاسلام (واكثر مدارس العلماء) في الطبري قال المنصور الممهدي : لا تجلس مجلساً الا ومعك من أهل العلم من يحدثك ، فان محمد بن شهاب الزهري قال «الحديث ذكر ولا يحبه الا ذكور الرجال ولا يبغضه الا مؤنثوهم » وصدق اخو زهرة .

(ومناقشة الحكماء) أي الاستقصاء في استخراج ما عندهم من الحكمة (في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك واقامة ما استقام به الناس قبلك) - زاد في رواية التحف « فان ذلك يحق الحق ويدفع الباطل ويكتفى به دليلاً ومثلاً ، لان السنن الصالحة هي السبيل الى طاعة الله » ، فأقام ارسطاطاليس الحكيم لاسكندر خارج ملكه ودخله .

ففي أخبار طوال الدينوري قال الاسكندر لمؤدبه ارسطاطاليس : اني قد وترت أهل الارض جميعاً لقتلي ملوكهم واحتوائى على بلادهم وأخذى أموالهم ، وقد خفت أن يتظافروا على أهل أرضي من بعدي فيقتلونهم ويبيدونهم لحنقهم علي ، وقد رأيت أن أرسل الى كل نبيه وشريف ومن كان من أهل الرياسة في كل ارض والى أبناء الملوك فأقتلهم . فقال له مؤدبه : ليس ذلك رأي أهل الورع والدين ، مع أنك ان قتلت أبناء الملوك وأهل النباهة والرياسة كان الناس عليك وعلى أهل أرضك أشد حنقاً من بعدك ، ولكن لو بعثت الى أبناء الملوك وأهل النباهة فجمعهم اليك فتتوجههم بالتيجان وتملك كل رجل منهم كورة واحدة وبلداً واحداً فانك تشغلهم بذلك بتنافسهم في الملك وحرص كل واحد منهم على أخذ ما في يدي صاحبه عن أملاك بلادك ، فتلقي بأسهم بينهم وتجعل شغلهم بأنفسهم ، فقبل الاسكندر ذلك منه وفعله وهم الذين يقال لهم ملوك الطوائف

وفي وزراء الجهشيارى: كان أرسطاطاليس أدب الاسكندر، فلما نشأ الاسكندر وعلا وعرف من ارسطاطاليس ما عرفه من الحكمة كان شبه الوزير له وكان يعتمد عليه في الرأي والمشورة ، فكتب اليه يخبره أنه قد كثرفي خواصه وعسكره قوم ليس يأمنهم على نفسه لما يرى من بعد همهم وشجاعتهم وشذوذ آلتهم وليس يرى لهم عقولا تفي بهذه الفضائل التي فيها بقدر همهم ، فكتب اليه ارسطاطاليس : فهمت ما ذكرت عن القوم الذين ذكرت ، فأما همهم فمن الوفاء بعد الهمة ، وأما ما ذكرت من شجاعتهم مع نقص عقولهم فمن كانت هذه حاله فرفهه في العيش واخصه بحسان النساء ، فان رفاهية العيش يوهى العزم وان حب النساء يحجب السلامة ويباعد من ركوب المخاطرة ، وليكن خلقك حسناً تستدعي به صفو النيات واخلاص المقالات ، ولا تتناول من لذيد العيش ما لا يمكن أو ساطأصحابك مثله ، فليس مع الاستيثار محبة ولا مع المواساة بغضة وفي عيون ابن قتيبة : قرأت كتاباً من ارسطاطاليس الى الاسكندر: املك الرعية بالاحسان اليها تظفر بالمحبة منها ، فان طلبك ذلك منها باحسانك هو أدموم بقاء منه باعتسافك، واعلم أنك انما تملك الابدان فتخطها الى القلوب بالمعروف واعلم أن الرعية اذا قدرت على أن تقول قدرت على أن تفعل ، فاجهد أن لاتقول تسلم من أن تفعل .

وفيه : كان انوشروان اذا ولى رجلا امر الكاتب أن يدع في العهد موضع أربعة أسطر ليوثق فيه بخطه ، فاذا أتى بالعهد وقع فيه «س خيار الناس بالمحبة وأخرج للعامة الرغبة بالرهبة ، وسس سفلة الناس بالاخافة» . وفي المروج : كتب ملك الروم الى سابور الجنود بن اردشير: بلغني من سياستك لجندك وضبطك ما تحت يدك وسلامة أهل مملكتك بتدبيرك ما أحببت ان أسألك فيه طريقتك وأركب منهاجك . فكتب اليه سابور: نلت ذلك بشمان

خصال : لم أهزل في أمر ولا نهى قط ، ولم أخلف وعداً ولا وعيداً قط ، و حاربت
للغنى لا للهوى ، واجتلبت قلوب الناس مقة بلاكره و خوفاً بلامقت ، و عاقبت
للذنب لا للغضب ، و عممت بالقوت ، و حسمت الفضول .

وفيه : أحضر يزدرجر بن بهرام جورر جلامن حكماء عصره في أقاصي مملكته
وقال له : ايها الحكيم الفاضل ما صلاح الملك ؟ فقال : الرفق بالرعية ، وأخذ
الحق منهم من غير مشقة ، والتودد اليهم بالعدل ، وأمن السبل ، وانصاف المظلوم
من الظالم . فقال له : فما صلاح أمر الملك ؟ فقال : وزرأود وأعوانه ، فانهم
ان صلحوا صلح وان فسدوا فسد . فقال له : فما الذي يشب الفتن وينشئها وما
الذي يسكنها ويدفنها ؟ قال : يشبها ضغائن وجرأة العامة والاستخفاف بالخاصة
وانبساط اللسان بضمائر القلوب واشفاق مؤسروأمل معسر وغفلة ملتذ ويقظة
محروم ، والذي يسكنها أخذ العدة لما يخاف قبل حلوله وابتار الجد حين يلتذ
الهزل والعمل بالحزم في الغضب والرضا .

(واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى ببعضها عن
بعض) كأعضاء الانسان ، فالرأس لا يصلح الا بالبدن مثلاً والعينان لا تغنيان عن
الاذنين ولا يغني الانف عن الفم واليدان عن الرجلين .

في مطالب سؤل ابن طلحة الشافعي قال عليه السلام : العالم حديقة سباجها
الشريعة ، والشريعة سلطان تجب له الطاعة ، والطاعة سياسة تقوم بها الملك ،
والملك راع يعضدها الجيش ، والجيش أعوان يكفلهم المال ، والمال رزق
يجمعه الرعية ، والرعية سواد يستعبدهم العدل ، والعدل أساس به قوام العالم .
(فمنها جنود الله ، ومنها كتاب العامة والخاصة ، ومنها قضاة العدل ، ومنها
عمال الانصاف والرفق ، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة
الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة

والمسكنة) .

في وزراء الجهشياري : كان أول من صنف طبقات الناس وصنف طبقات الكتاب وبنى منازلهم جمشيد ، وكان لهراسب أول من دون الدواوين وحصن الاعمال والحسابات وانتخب الجنود وجد في عمارة الارضين وجباية الخراج لارزاق الجيش وبنى مدينة بلخ .

(وكلا قد سمى الله سهمه ووضع على حده فريضة) هكذا في المصرية والصواب « وفريضة » كما في « حد » و « ثم » والخطبة (في كتابه أوسنة نبيه) وضع على حد الطبقة السابعة - وهي الاخيرة - فريضة في كتابه فقال عزوجل «انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل » وعلى حد الطبقة الست الاولى فريضة في سنة نبيه .

(عهداً منه عندنا محفوظاً) لما لم يوضع في السنة على حد كثير من الطبقات الست الاولى شيء يعرفه الناس قال عليه السلام انه «ص» خص بعلم ذلك عترته عليهم السلام .

وفي بصائر درجات محمد بن الحسن الصفار مسنداً أن النبي «ص» قال في مرضه الذي توفي فيه : ادعوا لي خليلي ، فأرسلنا الى ابويهما ، فلما رأهما أعرض عنهما بوجهه ، ثم قال «ص» ادعوا لي خليلي ، فأرسلوا الى علي ، فلما جاء اكب عليه فلم يزل يحدثه ويحدثه . فلما خرج من عنده قالتا له عليه السلام : ما حدثك ؟ قال : حدثني بباب يفتح ألف باب كل باب يفتح ألف باب .

(فالجنود باذن الله حصون الرعية وزين الولاية وعزالدين وليس تقوم الرعية الا بهم) في عيون ابن قتبية : كان يقال لا سلطان الا برجال ، ولا رجال الا بمال ولا مال الا بعمارة ، ولا عمارة الا بعدل وحسن سياسة .

وفي المروج : كانت سياسة يعقوب بن الليث الصفار لجيوشه سياسة لم يسمع بمثلهما فيمن سلف من الملوك ، لما كان قد شملهم من احسانه وغمهم من بره وملاً قلوبهم من هيئته ، كان بأرض فارس وأباح للناس أن يرتعوا ثم حدث امرأاد الرحيل فنادى مناديه بقطع الدواب عن الرتع . فرأى في أصحابه رجل أخرج الحشيش من فم الدابة مخافة أن تلوكة بعد سماع النداء وخاطب الدابة قائلاً بالفارسية « أمير دواب را از تريريد » أي أمر بقطع الدواب عن الرطوبة . ورثي أيضاً في عسكره رجل من قواده ذو مرتبة والدرع الحديد على بدنه لاثوب بينه وبين بشرته ، فقيل له في ذلك فقال : نادى مناد الامير بسوا السلاح وكنت اغتسل من الجنابة فلم يسعني التشاغل بلبس الثياب عن السلاح . (ثم لاقوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذين يقوون به في جهاد عدوهم ويعتمدون عليه في ما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم) في العيون كان جعفر بن يحيى يقول: الخراج عماد الملك ، وما استغزربمثل العدل ولا استنزربمثل الظلم .

وفي وزراء الجهشيارى - فى عهد سابور بن اردشير الى ابنه - واعلم ان قوام أمرك بدور الخراج ، ودور الخراج بعمارة البلاد ، وبلوغ الغاية في العمارة يكون باستصلاح أهله بالعدل عليهم والمعونة لهم ، فان بعض الامور لبعض سبب وعوام الناس لخواصهم عدة ولكل صنف منهم الى الاخر حاجة ، فاختر لذلك أفضل من تقدر عليه من كتابك وما يكونوا من أهل البصر والعفاف والكفاية ، وأسند الى كل امرئ منهم شقياً يضطلع به ويمكنه الفراغ منه ، فان اطلعت على ان أحداً منهم خان أو تعدى فنكل به وبالغ في عقوبته .

(ثم لاقوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب) في الطبرى قال المنصور: ما أحو جني الى أن يكون على بابى اربعة نفر لا يكون

على بساىبى أعف منهم . قيل له : من هم ؟ قال : هم أركان الملك ولا يصلح الملك الابههم كما ان السرير لا يصلح الا بأربع قوائم ان نقصت واحدة وهى ، اما احدهم ففاض لا تأخذه فى الله لومة لائم ، والاخر صاحب شرطة ينصف الضعيف ، والثالث صاحب خراج يستقصى ولا يظلم الرعية .

(لما يحكمون من المعاهد) وفي رواية التحف «لما يحكمون من الامور ويظهرون من الانصاف» ، وكيف كان فالاحكام للقضاة .

(ويجمعون من المنافع) جمع المنافع عمل العمال (ويؤتمنون عليه من خواص الامور وعوامها) الايمان على ما قال للكتاب ، ثم عدم قوام الجند والخراج الا بالعمال والكتاب واضح ، وأما بالقضاة فللفصل بينهم مع حصول الاختلاف .

(ولا اقوام لهم جميعاً الا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم) وفي رواية التحف «فيما يجتمعون من مرافقهم» (ويقيمونه من أسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم) وفي رواية التحف «مما لا يبلغه رفق غيرهم» .

عن النبى صلى الله عليه وآله : لا يلتقى أحدكم تجارة خارجاً من المصر ولا يبيع حاضر لباد ، والمسلمون يرزق الله بعضهم من بعض .

وعن الصادق عليه السلام : الكيمياء الاكبر الزراعة ، والزارعون يدعون المباركين . وقال النبى «ص» لعلي : لا يظلم الفلاحون بحضرتك .

وعنه عليه السلام : اتت الموالي أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا : نشكو اليك هؤلاء العرب ان النبى «ص» كان يعطينا معهم العطايا بالسوية وزوج سلمانا وبلالا وصهيباً وأبوا علينا هؤلاء وقالوا لانفعل ، فكلمهم فيهم فصاح الاعارب أيينا ذلك يا أبا الحسن أيينا ذلك ، فخرج وهو مغضب بجرداءه وهو يقول :

بامعشر الموالي ان هؤلاء قد صيروكم بمنزلة اليهود والنصارى يتزوجون اليكم ولا يزوجونكم ولا يعطونكم مثل ما يأخذون ، فاتجروا ببارك الله لكم فاني سمعت النبي «ص» يقول: الرزق عشرة أجزاء تسعة أجزاء في التجارة وواحدة في غيره .

(ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق ردهم) أي اعطائهم (ومعونتهم) وهو حكم عقلي ولذا قال به جميع الامم وبقضيه كرم الاخلاق ولذا كان كل كريم ملتزماً به حتى في الجاهلية .

فقالوا : مرحاتم في سفرله على عنزة وفيهم أسير فاستغاث به فلم يحضره فكاكه فساومهم وأقام مكانه في القيد حتى أدى فدااه .

(وفي الله لكل سعة) في نقل المصنف سقط والاصل « وفي في الله لكل سعة » كما في التحف ، ويدل عليه سياق الكلام .

روى الكافي عن ابي جعفر الاحول قال : سألتني رجل من الزنادقة فقال : كيف صارت الزكاة كل ألف درهم خمسة وعشرين . فقلت له : انما ذلك مثل الصلاة ثلاث وثمان وأربع فقبل ذلك مني ، ثم لقيت بعد ذلك ابا عبد الله عليه السلام فسألته عن ذلك فقال : ان الله تعالى حسب الاموال والمساكين فوجد ما يكفيهم من كل ألف خمسة وعشرين ولو لم يكفهم لزادهم ، فرجعت اليه فأخبرته فقال : جاءت هذه المسألة على الابل من الحجاز ، لو أني أعطيت أحداً طاعة لا أعطيت صاحب هذا الكلام .

(ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه) قال الشاعر :

فلو كنت تطلب شأوا الكرام فعلت كفعل ابي البختری
تتبع اخوانه في البلاد فأغنى المقل عن المكثر

وروى الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام قال لعمر بن عبيد لما كان يدعو

الى امامة محمد بن عبدالله الحسيني ما تقول في آية « انما الصدقات للفقراء
والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل
الله وابن السبيل » كيف تقسم الصدقة ؟ قال : أقسمها على ثمانية اجزاء فأعطي
كل جزء من الثمانية جزء . قال : وان كان صنف منهم عشرة آلاف وصنف منهم
رجلا واحداً أو رجلين أو ثلاثة جعلت لهذا الواحد ما جعلت للعشرة آلاف ؟
قال : نعم . قال : وتجمع صدقات أهل الحضر وأهل البوادي فتجعلهم فيها
سواء ؟ قال : نعم . قال : فقد خالفت النبي صلى الله عليه وآله في كل ما قلت
في سيرته ، كان النبي يقسم صدقة أهل البوادي في أهل البوادي وصدقة أهل
الحضر في أهل الحضر ، ولا يقسمها بينهم بالسوية وانما يقسمها على قدر ما يحضرها
منهم وما يرى وليس في ذلك شيء موقت موظف .

(وليس يخرج الوالي من حقيقة ما الزمه الله من ذلك الا بالاهتمام والاستعانة
بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل) هكذا في
المصرية الا أن الكلام بجملته ليس في النهج لخلو « حد » و « ثم » والخطبة
عنه ، وانما هو في رواية تحف العقول ، فالظاهر أن بعضهم أحق به بالنهج حاشية
والمصرية أو النسخة التي نقلت المصرية عنها خلطت الحاشية بالمتن ، وبالجملة
الكلام كلامه الا أنه ليس من النهج .

وكيف كان ففي الخصال عن الصادق عليه السلام : ثلاثة هم أقرب الخلق
الى الله تعالى يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب : رجل لم تدعه قدرته في
حال غضبه الى أن يحيف على من تحت يده ، ورجل مشى بين اثنين فلم يمل
مع أحدهما على الاخر بشعيرة ، ورجل قال الحق في ماله وعليه .

و عنه عليه السلام : أشد الاعمال ثلاثة : انصاف الناس من نفسك حتى
لا ترضى لها منهم بشيء الارضيت لهم منها بمثله ، ومواساتك الاخ في المال ،

وذكر الله على كل حال، ليس «سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر» فقط ولكن اذاورد عليك شيء من أمر الله أخذت به واذا ورد عليك شيء نهى الله تعالى عنه تركته .

وروى عقاب الاعمال عن انس من النبي «ص» : من ولي عشرة فلم يعدل فيهم جاء يوم القيامة يداه ورجلاه ورأسه في ثقب .

وعن امير المؤمنين عليه السلام : أيما وال احتجب عن حوائج الناس احتجب الله عز وجل عنه يوم القيامة وعن حوائجه وان أخذ هدية كان غلولا وان اخذ رشوة فهو مشرك .

(قول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولا مامك) كان المتقدمون عليه عليه السلام انما يولون من كان ناصحاً لهم دون الله ورسوله، فكان أبو بكر يولي مثل خالد بن الوليد الذي قتل مالك بن نويرة مؤمناً متعمداً غادراً به وزناً بامرأته حتى أنكر ذلك عمر عليه وكان عمرو يولي مثل المغيرة بن شعبة الذي كان منافقاً باعتراف عثمان لما اعترض عليه بتولية المنافقين وباعتراف عبدالرحمن بن عوف لما هان المغيرة عثمان بعد اختياره له وقد زنا المغيرة محصناً بالبصرة وقام عليه الشهود ومنع عمر الشاهد الرابع من أداء شهادته ثم ولاه الكوفة ، وعثمان كان يولي مثل الوليد بن عقبة الذي كان يصلي بهم أربعاً سكران ويتغنى في صلاته ويقول لهم في صلاته لو شئتم أزيد صلاة صبحكم على الاربع ، وكان يولي مثل ابن عامر الذي نزل القرآن بكفره كالوليد بفسقه ، وكان النبي «ص» أهدر دمه ولو كان لاصقاً بثوب الكعبة ، مع أن مقتضى الديانة الا يولى الامن كان متديناً ناصحاً لله والرسول .

(وأنقاهم جيئاً) أي أكثرهم أمانة (وأفضلهم حلاماً ممن يبطن عن الغضب ويستريح الى العذر) هكذا نقل المصنف ، والصواب «ويسرع الى العذر» كما

فى التحف وبشهد له السياق .

فى العبر قال رجل للنبي «ص» أوصني . قال : لاتغضب ، ثم أعاد فقال :
لاتغضب ، ثم أعاد فقال : لاتغضب .

وعن النبي «ص» : ليس الشديد بالصرعة ، انما الشديد من يملك نفسه
عند الغضب .

وقالوا : سمى الله يحيى سيداً بالحلم .

وشتم رجل الاحنف وألح عليه : فلما فرغ قال له : يا ابن أخي هل لك
فى الغذاء فانك منذ اليوم تحذو بجمل ثقال .

واستطال رجل على أحدهم فقال : استغفر الله من الذنب الذي سلطت به
علي .

وفى العيون نزل رجل بتغلبى فأتاه بقرى فما انفلت منه أن قال :

و التغلبى اذا تنحج للقرى حك أسته و تمثل الامثالا
فانقبض فقال : كل أيها الرجل فانما قلت كلمة مقولة .

و قال رجل لاخر : والله لئن قلت واحدة لتسمعن عشرأ . فقال الاخر :
لكنك ان قلت عشرأ لم تسمع واحدة .

وكان يقال : اياك وعزة الغضب فانها مصيرتك الى ذل الاعتذار .

هذا ، وكان المنصورولى سلم بن قتيبة البصرة وولى مولى له كورالبصرة ،
فورد كتاب مولاه أن سلمأ ضربه بالسياط ، فاستشاط المنصوروقال : علي تجرأ
سلم لاجعلنه نكالا . فقال له ابن عياش - وكان عليه جريثأ - ان سلمأ لم يضرب
مولاك بقوته ولاقوة أبيه ولكنك قلدته سيفك وأصعدته منبرك وأراد مولاك أن
يطأطىء منه مارفعت ويفسد ما صنعت فلم يحتمل ذلك ، ان غضب العربى فى
رأسه فاذا غضب لم يهدأحتى يخرجه بلسان أويد ، وان غضب النبطى فى أسته

فاذا غضب خرىء وذهب غضبه . فضحك المنصور وقال: فعل الله بك يا منتوف
وفعل - وكف عن سلم .

(ويرأف بالضعفاء وينبو) من نبا السيف : اذا لم يعمل فى الضريبة ، ومن
نبا عليه صاحبه : اذا لم ينفذله ، قال :

أنا السيف الا أن للسيف نبوة ومثلى لاتنبو عليك مضاربه
(على الاقوياء) والاصل في قوله عليه السلام «ويرأف بالضعفاء وينبو على
الاقوياء» قوله تعالى فى أهل الايمان « أشداء على الكفار رحماء بينهم » وكان
هذا وصفه عليه السلام يعرفه منه كل ولي وعدو .

(وممن لا يثيره العنف ولا يقعده الضعف) قالوا قال عمر : ان هذا الامر
لا يصلح له الا اللين في غير ضعف والقوي في غير عنف .

قلت : الا أن عمر نفسه كان فى غاية العنف حتى كلم الناس - كما فى عيون
ابن قتيبة - عبدالرحمن بن عوف أن يكلمه فى أن يلين لهم فانه قد أخافهم حتى
أنه قد أخاف الابكار فى خمدورهن . فقال : اني لا أجد لهم الا ذلك ، انهم لو
يعلمون مالهم عندي لاخذوا ثوبي عن عاتقي . وقالوا: كان سوط عمر أهيب من
سيف الحجاج .

(ثم انصق بذى (المروات) الاحساب) هكذا فى المصرية أخذ كلمة
« المروات » من « حد » حيث جعلتها بين قوسين كما هو دأبها ، لكن ليست
الكلمة فى « ثم » ولا فى رواية التحف ، فالظاهر زيادتها وان كانت فى « حد » مع
أنه قال « والاحساب » فكان على المصرية ان تأخذ منه الواو أيضاً .

(وأهل البيوت الصالحة والسوابق المحسنة) فى العيون قال عدي بن ارطاة
لاياس بن معاوية : دلني على قوم من القراء أولهم . فقال له : القراء ضربان
ضرب يعملون للاخرة فهم لا يعملون لك وضرب يعملون للدنيا فما ظنك بهم اذا

أنت وليتهم فمكنتهم منها . قال : فما أصنع ؟ قال : عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فولهم .

(ثم أهل النجدة) أي النصره قال الشاعر :

إذا استنجدتهم ودعوت بكرأ
لنصرتنا كسرت بهم همومي

(والشجاعة والسخاء والسماحة) قال الجوهري السماحة الجود ، الآن

الظاهر أن الاصل فيها المسامحة ، قال المتلمس :

صبا من بعد سلوته فؤادي
و سمح للقربة بانقياد

في عيون ابن قتيبة كتب انوشروان الى مرزبته : عليكم بأهل الشجاعة والسخاء فانهم أهل حسن الظن بالله .

وكان الاحنف على جيش خراسان ، فبيتهم العدو و فرقوا جيوشهم أربع فرق وأقبلوا معهم الطبل ، ففزع الناس فكان أول من ركب الاحنف فأخذ سيفه ومضى نحو الصوت وهو يقول :

ان على كل رئيس حقاً
أن يخضب الصعدة أو تندقا

ثم حمل على صاحب الطبل فقتله ، فلما فقد أصحاب الصوت الطبل انهزموا ففتح مرو الروذ .

(فانهم جماع من الكرم وشعب من العرف) زاد في رواية التحف « يهديان الى حسن الظن بالله والايمان بقدره » .

(ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد) هكذا في المصرية والصواب « يتفقد » كما في « حد » و « ثم » والخطية (الولدان من ولدتهما) في العقد كتب الحسن البصري الى عمر بن عبدالعزيز : الامام العدل كالام الشفيقة البرة الرفيعة بولدها حملته كرهاً ووضعته كرهاً وربته طفلاً ، تسهر بسهره وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة وتقطمه أخرى ، وتفرح بعافيته وتعتم بشكاته .

وفي كامل الميبرد : ان المهلب لما قتل عبد ربه الخارجي واستولى على
عسكره بعث رسولا بالفتح الى الحجاج فسأله الحجاج فيما سأله : كيف كان
لكم المهلب وكنتم له ؟ قال : كان لنا منه شفقة الوالد ولنا منه بر الولد .

(ولا يتفاقم) أي لا يعظم (في نفسك شيء قويتهم به ولا تحقرن اطفالاً
تعاهدتهم به) أي جددت عهدهم به ، وقال الجوهري التعهد التحفظ بالشيء
وتجديد العهد به ، وتعهدت فلاناً وتعهدت ضيعتي ، وهو أفصح من قولك
« تعاهدته » لان التعاهد انما يكون بين اثنين .

قلت : ان سلم كون « تعهدت ضيعتي » أفصح من « تعاهدتها » فلا نسلم
أفصحية « تعهدت فلاناً » من « تعاهدته » ، بسدليل كلامه عليه السلام ، وليس
التفاعل مطلقاً بين اثنين كقوله تعالى « تساقط عليك رطباً جنياً » وكقولهم تجاهل
زيد وتمارض عمرو .

(وان قلّ فانه داعية لهم الى بسذل النصيحة لك وحسن الظن بك) في
عيون ابن قتيبة سئل بعض الحكماء عن أشد الامور تديرباً للجنود وشحذاً لها
فقال : استعادة القتال وكثرة الظفر وأن تكون لها مواد من ورائها وغنيمة فيما
أمامها ، ثم الاكرام للجيش بعد الظفر والابلاغ بالمجتهدين بعد المناصب
والتشريف للشجاع على رؤس الناس .

وفي الطبري : أراد معن بن زائدة أن يوفد الى المنصور قوماً يسلون سخيمته
ويستعطفون قلبه عليه وقال : قد أنيت عمري في طاعته وأنيت رجالي في حرب
اليمن ثم يسخط علي أن أنفقت المال في طاعته ، فانتخب جماعة من عشيرته
من أفناء ربيعة ، فكان فيمن اختار جماعة بن الازهر - الى أن قال - فقال جماعة
للمنصور : معن عبدك وسيفك وسهمك رميت به عدوك فضرب وطعن ورمى حتى
سهل ما حزن وذل ما صعب واستوى ما كان معوجاً من اليمن فأصبحوا من خولك

فان كان في نفسك هنة من ساع أو واش أو حاسد فأنت أولى بالتفضل على عبده
ومن أفنى عمره في طاعته . فقبل العذرن من معن ، فلما صار الى معن وقرأ الكتاب
بالرضى قبّل بين عينيه فقال مجاعة :

آليت في مجلس من وائل قسماً الا أبيعك يا معن باطماع
يا معن انك قد أوليتني نعماً عمت لجيماً وخصت آل مجاع
فلا أرا لك الدهر منقطعاً حتى يشيد بهلكى هتفة الناعى

وكانت نعم معن على مجاعة أنه سأله ثلاث حوائج : منها أن كانه يتعشق
امرأة من أهل بيته سيدة - يقال لها زهراء لم يتزوجها أحد بعد - وكانت اذا
ذكر لها قالت بأي شيء يتزوجني أبجبتة الصوف أم بكسائه فلما رجع الى معن
كان أول شيء سأله ان يزوجه بها وكان أبوها في جيش معن فقال أريد زهراء
وابوها في عسكريك فزوجه أياها على عشرة آلاف درهم وأمهرها من عنده ، ومنها
أنه قال له الحائط الذي فيه منزلي صاحبه فني عسكريك فاشتره منه وصيره له ،
ومنها انه أمر له بثلاثين ألف درهم وصرفه .

وفي كامل المبرد قال المحجاج للمهلب بعد ظفره بالخوارج : أذكر لي القوم
الذين أبلوا وصف لي ببلاءهم ، فوصف جمعاً ذكر في جملتهم الرقاد ، فقال
المحجاج : فأين الرقاد ، فدخل رجل طويل فقال المهلب : هذا فارس العرب .
فقال الرقاد للمحجاج : اني كنت أقاتل مع غير المهلب ، فكنت كبعض الناس ،
فلما صرت مع من يلزمني الصبر ويجعلني أسوة نفسه ووالده ويجازيني على
البلاء صرت فارساً .

(ولاتدع تفقد اطياف أمورهم اتكالا على جسيمها فان ليسير من لطفك موضعاً
ينتفعون به) في العيون لم يكن لخالد بن برمك أخ الابنى له داراً على قدر
كفايته ، ووقف على أولاد الاخوان ما يعيشهم أبداً ، ولم يكن لاخوانه ولد الا

من جارية وهبها هولهم .

(وليكن آثر رؤس جندك عندك) أي أكثرهم مختاراً عندك (من واساهم)
قال في الجمهرة يقال: آسيت الرجل وواسيت مواساة (في معونته وأفضل)
أي تفضل (عليهم من جدته) في سرعربية الثعالبي « وجد » كلمة مبهمة ليس
للعرب كلمة مثلها فيختلف معانيها باختلاف مصدرها ، ففي ضد السعدم يقال
« وجوداً » وفي الغضب « موجدة » وفي الضالة « وجداناً » وفي الحزن « وجداً »
وفي المال « وجداً » و« جدة » .

(بما يسعهم ويسع من ورائهم من خلوف) بالفتح (أهليهم) قال ابن دريد
حي خلوف : اذا غزا الرجال وبقى النساء (حتى يكون همهم همأ واحداً في
جهاد العدو) قال المنصور لبعض قواده : صدق الذي قال « أجمع كلبك يتبعك
وسمته يأكلك » فقال له ابوالعباس الطوسي : ان اجعته يلوح له غيرك برغيف
فيتبعه ويدعك .

(فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك) زاد قبله في رواية التحف « ثم
واتر أعلامهم ذات نفسك في ايثارهم والتكرمة لهم والارصاد بالتوسعة وحقق
ذلك بحسن الفعال والاثروالعطف » .

في العقد قالت الحكماء : أسوس الناس لرعيته من قاد أبدانها بقلوبها
وقلوبها بخواطرها وخواطرها بأسبابها من الرغبة والرغبة .

(وان أفضل قرة عين الولاية استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية
وانه لا تظهر مودتهم الا بسلامة صدورهم) هذا الكلام بجملته من « وان » الى
« صدورهم » نظير ما مر من قوله « وليس يخرج الوالي - الى - في ما خف
عليه أو نقل » في كونه من كلامه عليه السلام لكن ليس من النهج بشهادة « حد »
و« ثم » والخطية به لخلوها عنه وهي النسخ الصحيحة من النهج ، وانما أخذه

بعضهم من رواية التحف فألحقه حاشية بالنهج فخلطت المصرية أو من قبلها الحاشية بالمتن مع تحريف « الاستفاضة » بالاستقامة .

وكيف كان ففي تاريخ اليعقوبى قال الزهري : دخلت يوماً على عمر بن عبد العزيز فبينما أنا عنده إذ أتاه كتاب من عامل ان مدينته قد احتاجت الى مرمة فقلت له : ان بعض عمال علي بن ابي طالب عليه السلام كتب اليه بمثل هذا ، فكتب «ع» اليه « أما بعد فحصنها بالعدل ونق طرقها من الجور » فكتب بذلك الى عامله .

(ولا تصح نصيحتهم الا بحيطتهم على ولاة الامور) هكذا في المصرية والصواب « امورهم » كما في « حد » و « ثم » والخطية .

في العقد قال أردشير لابنه : ان الملك والعدل لا غنى بأحدهما عن صاحبه فالملك أس والعدل حارس ، ومالم يكن له أس فمهدوم ومالم يكن له حارس فضائع . يا بني اجعل حديثك مع أهل المراتب ، وعطيتك لاهل الجهاد ، وبشرك لاهل الدين ، وسرك لمن عناه ماعناك من ذوي العقول .

وقالت الحكماء : مما يجب على السلطان العدل في ظاهر أفعاله لاقامة أمر سلطانه ، وفي باطن ضميره لاقامة أمر دينه ، فاذا فسدت السياسة ذهب السلطان ومدار السياسة كلها على العدل والانصاف لا يقوم سلطان لاهل الكفر والايمان الا بهما ، ولا يدور الا عليهما مع ترتيب الامور مراتبها وانزالها منازلها .

وخطب سعيد بن سويد بحمص فقال : أيها الناس ان الاسلام حائط منيع وباب وثيق ، فحائط الاسلام الحق وبابه العدل ، ولا يزال الاسلام منيعاً ما اشتد السلطان ، وليس اشتداد السلطان قتلاً بالسيف ولا ضرباً بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذاً بالعدل .

(وقلة استئقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم) في العقد كتب أبرويز

لابنه شيرويه يوصيه : ليكن من تختاره نولايته امرء أكان في ضعة فرفته أوذا شرف كان مهملاً فاصطنعته ، ولا تجعله امرء أصبته بعقوبة فاتضع لها ولا أحداً ممن يقع بقلبه ان ازالة سلطانك أحب اليه من ثبوته .

وفي الاغاني : لما ظفر ابن الزبير بالعراق وأخرج عنها عمال بني أمية خرج ابن عبدل معهم الى الشام ، وكان ممن يدخل على عبد الملك ويسمر عنده فقال له ليلة :

ياليت شعري - وليت ربما نفعت - هل أبصرون بنى العوام قد شملوا
بالذل والاسر والتشريد انهم على البرية حتف حيثما نزلوا
أم هل أراك بأكتاف العراق وقد ذلت لعزك أقوام وقد نكلوا
فقال عبد الملك :

أيمكن الله من قيس ومن جرش ومن جذام ويقتل صاحب الحرم
نضرب جماجم اقوام على حنق ضرباً ينكل عنا ساير الامم
(فأفسح) أي أوسع (في آمالهم وواصل في حسن الثناء عليهم) أي آدم
حسن الثناء عليهم وصل ثاني الثناء بالاول وهكذا (وتعيد ما أبلى ذو البلاء
منهم) أي تفصل بالعد أفعالهم الحسنة .

في كامل المبرد : قدم المهلب بعد ظفره بالخوارج على الحجاج فأجلسه الى جانبه وأظهر اكرامه وبره وقال : يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب ، ثم قال : انت والله كما قال لقيط الايادي :

و قلدوا أمركم لله دركم و رحب اندراع بأمر الحرب مضطلعا
لا يطعم النوم الاريث يبعثه هم يكاد حشاه يقضم الضلعا
لا مترفاً ان رخاء العيش ساعده ولا اذا عض مكروه به خشعا
ما زال يحلب هذا الدهر اشطره يكون متبعاً طوراً و طوراً متبعاً

حتى استمرت على شزر مريته مستحكم الرأي لاقحماً ولاضرعاً
فقام اليه رجل فقال للحجاج : والله لكأني أسمع الساعة قطرياً وهو يقول
المهلب كما قال لقيط الايادي ، ثم أنشد هذه الاشعار فسر الحجاج به حتى امتلأ
سروراً .

(فان كثرة الذكر لحسن أفعالهم) هكذا في المصرية والصواب « فعالهم »
كما في « حد » و « ثم » والخطية (تهز) أي تحرك (الشجاع) في مقاتل الطالبين
في حرب ابراهيم بن عبدالله الحسنی قال المفضل الضبي : لما التحمت الحرب
واشتدت بينه وبين عسكري المنصور قال لي حركني بشيء ، فذكرت أبياتاً
لعويف القوافي :

أجدت يسيراً انما أنت حالم	ألا يا أيها الناهي فزارة بعد ما
ويمنع منه النوم اذ انت نائم	ترى كل حر أن يببت بوتره
على الجرد في أفواههن الشكائم	أقول لفتيان كرام تروحوا
و من يخترم لا تتبعه اللوائم	قفوا وقفه من يحيى لا يخز بعدها
لتسلم في ما بعد ذلك سالم	وهل أنت ان باعدت نفسك منهم

فقال : أعدوتبينت في وجهه أنه سيسقتل فتنبهت وقلت : أو غير ذلك ؟ قال :
لا بل أعد الابيات ، فأعدتها فتمطى في ركابه فقطعهما وحمل فغاب عني وأتاه سهم
غائر فقتله وكان آخر عهدي به .

(وتحرض) أي ترغب (الناكل) أي الجبان الضعيف (انشاء الله) زاد
بعده في رواية التحف « ثم لاتدع أن يكون لك عليهم عيون من أهل الامانة
والقول بالمحق عند الناس فيثبتون بلاء كل ذي بلاء منهم يشق أولئك بعلمك
ببلائهم » .

(ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى) في كامل المبرد : لما ظفر المهلب

بالخوارج وجه كعب بن معدان الاشقري الى الحجاج فقال له الحجاج : أخبرني عن بني المهلب . قال : المغيرة فارسهم وسيدهم وكفى بيزيد فارساً وشجاعاً وجوادهم وسخيتهم قبيصة ، ولايستحيي الشجاع أن يفر من «مدرك» ، وعبدالمك سم نافع ، وحبیب موت زعاف ، ومحمد ليث غاب ، وكفالك بالمفضل نجدة قال : فكيف كانوا فيكم ؟ قال : كانوا احماة السرح نهاراً فاذا الليلوا ففرسان البيات قال : فأيهم كان أنجد ؟ قال : كانوا كالحلقة المفرغة لايدري أين طرفها .

(ولاتضيفن) هكذا في المصرية والصواب « ولاتضمنن » كما في « حد » و« ثم » والخطية بل وفي رواية التحف (بلاء امرىء الى غيره) فتكون ظلمت ذا البلاء (ولاتقصرن به دون غاية بلائه) زاد في رواية التحف « وكاف كلامهم بما كان منه واخصمه منك بحظه » .

في كامل المبرد : ان الحجاج قال للمهلب - بعد ظفروه بالخوارج وقدومه عليه - اذكر لي القوم الذين أبلوا وصف لي بلاءهم ، فذكرهم على مراتبهم في البلاء وتفاضلهم في الغناء ، وقدم بنيه المغيرة ويزيد ومدركا وحبیباً وقبيصة والمفضل وعبدالمك ومحمداً وقال : انه والله لو تقدمهم أحد في البلاء لقدمته عليهم ولولا أن أظلمهم لاخرتهم . قال الحجاج : صدقت وما أنت بأعلم بهم مني وان حضرت وغبت انهم لسيوف من سيوف الله .

(ولا يدعونك شرف امرىء الى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً ولاضعة امرىء الى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً) هذا الكلام في غاية النفاسة ، فان اكثر الناس ينظرون الى مراتب الرجال لا الى مقادير الاعمال ، وهو من سخافة عقولهم .

هذا وزاد في رواية التحف « ولايفسدن أمرءاً عندك علة أن عرضت له ولا نبوة حديث له قدكان له فيها حسن بلاء ، فان العزة لله يؤتیه من يشاء والعاقبة

للمتقين ، وان استشهد أحد من جنودك وأهل النكاية في عدوك فاخلفه في عياله بما يخلف به الوصي الشفيق الموثوق به حتى لا يرى عليهم أثر فقده ، فان ذلك يعطف عليك قلوب شيعتك ويستشعرون به طاعتك ويستسلمون لركوب معاريض التلف الشديد في ولايتك » .

(و اردد الى الله ورسوله ما يضلحك) أي يثقلك ثقلا يميلك ، قال الاعشى :
عنده البر والتقى وأسى الصدع و حمل لمضلع الانقال
(من الخطوب) أي الامور العظيمة ، قال ابن دريد الخطب الامر العظيم
(ويشتهه عليك من الامور فقد قال الله تعالى) هكذا في المصرية والصواب «سبحانه»
كما في « حد » و « ثم » والخطبة (لقوم أحب ارشادهم : يا أيها الذين آمنوا
أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم في شىء فردوه الى
الله والرسول) الاية في ٥٩ / من النساء ، وبعده « ان كنتم تؤمنون بالله واليوم
الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » .

وزاد في رواية التحف « وقال تعالى : ولوردوه الى الرسول والى أولى
الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم
الشیطان الا قليلا » .

(فالرد الى الله الاخذ بمحكم كتابه والرد الى الرسول الاخذ بسنته الجامعة
غير المفرقة) وزاد في رواية التحف « ونحن أهل للرسول » ص « الذين نستنبط
المحكم من كتابه ونميز المتشابه منه ونعرف الناسخ مما نسخ الله ، فسر في عدوك
بمثل ما شاهدت منافي مثلهم من الاعداء » .

ويظهر من كلامه عليه السلام أن الحججة تنحصر في محكم الكتاب والسنة
المجمع عليها وان اجماع الناس على شىء من غير احراز كونه سنة لا عبرة به .
(ثم اختر للمحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك) في تاج الجاحظ :

يقال ان سابور ذاالاكتاف لما مات موبدان موبسد وصف له رجل من كورة
اصطخر أنه يصلح لقضاء القضاة في العلم والتأله والامانة ، فوجه اليه فلما قدم
دخل عليه ودعا بالطعام ودعا اليه فدنا فأكل معه ، فأخذ سابور دجاجة فنصفها
ووضع نصفها بين يدي الرجل ونصفها بين يديه وأومى اليه أن كل من الدجاجة
ولاتخلط بها طعاماً فانه امرأ لطعامك وأخف على معدتك ، وأقبل سابور على
النصف فأكل كنهوما كان يأكل ، ففرغ الرجل من النصف قبل سابور ثم مد يده
الى طعام آخر وسابور يلحظه ، فلما رفعت المائدة قال له : ودع وانصرف الى
بلدك فان سلفنا من الملوك كانوا يقولون من شره بين يدي الملوك الى الطعام
كان الى أموال الرعية والسوقة والوضعاء أشد شراً .

(ممن لا يضييق به الامور ولا تمحكه الخصوم) أي يحملونه على اللجاج .

في العقد : تنازع ابراهيم بن المهدي وبختيشوع الطيب بين يدي أحمد
ابن ابي دؤاد القاضي في مجلس الحكم في عقار بناحية السواد ، فزرى عليه
ابراهيم وأغلظ له ، فأحفظ ذلك القاضي فقال: يا ابراهيم اذا نازعت أحداً في
مجلس الحكم فلا تعلقين ما رفعت عليه صوتاً ولا تشراليه بيد وليكن قصدك أمماً
وطريقك نهجاً وريحك ساكنة ووف مجالس الحكومة حقوقها .

وفي العيون قال علقمة بن مرثد لمحارب بن دثار - وكان على القضاء -

الى كم تردد الخصوم ؟ فقال : اني والخصوم كما قال الاعشى :

أرقت و ما هذا السهاد المؤرق و ما بى من سقم وما بى معشق

ولكن ارانى بحال لأزال بحادث أغادي بما لم يمس عندي وأطرق

وسأل رجل اياس بن معاوية عن مسألة فطول فيها فقال له اياس : ان كنت

تريد الفتيا فعليك بالحسن معلمي ومعلم ابسى ، وان كنت تريد القضاء فعليك

بعبد الملك بن يعلى - وكان على قضاء البصرة يومئذ - وان كنت تريد الصلح

فعلبك بحميد الطويل - وتدرى مايقول لك يقول لك حظ شيئاً ويقول لصاحبك زده شيئاً حتى نصلح بينكما ، وان كنت تريد الشغب فعليك بصلح السدوسي وتدرى ما يقول يقول لك أجدد ما عليك ويقول لصاحبك ادع ما ليس لك وادع بينة غيباً .

وقال «حسد» ارتفعت جميلة بنت عيسى - وكانت جميلة كاسمها - مع خصم لها الى الشعبي وهو قاضي عبدالملك فقضى لها فقال هذيل الاشجعي :

رفع الطرف اليها	فتن الشعبي لمتاً
و قوسي حاجبيها	فتنته بشناياها
ثم هزت منكبيها	و مشت مشياً رويداً
و لم يقض عليها	فقضى جوراً على الخصم

فقبض الشعبي عليه وضربه ثلاثين سوطاً ثم انصرف يوماً من مجلس القضاء وقد شاعت الابيات وتناشدها الناس وجمع معه ، فمّر بخادم تغسل الثياب وتقول «فتن الشعبي لما» ولا تحفظ تمة البيت ، فوقف عليها ولقنها «رفع الطرف اليها» ثم ضحك وقال : أبعد الله والله ما قلت لها الا الحق .

قلت : وفي العقد ان المرأة لما أدلت بحجتها قال الشعبي للزوج : هل عندك من مدفع ، فأنشأ «فتن الشعبي» الابيات - ثم دخل الشعبي على عبدالملك فلما نظر اليه تبسم وقال «فتن الشعبي لما رفع الطرف اليها» ثم قال له : ما فعلت بقائل هذه الابيات ؟ فقال : أوجعته ضرباً بما انتهك من حرمتي في مجلس الحكومة وبما افتري به علي . قال : أحسنت .

(ولا يتمادى في الزلة) في مختلف أخبار ابن قتيبة قال حماد بن يزيد : شهدت أبا حنيفة وقد سئل عن محرم لم يجد أزاراً فلبس سراويل . فقال : عليه الفدية . فقلت : سبحان الله حدثنا عمرو بن دينار عن جابر بن يزيد عن ابن

عباس قال سمعت النبي «ص» يقول في المحرم: اذا لم يجد أزاراً لبس سراويل،
واذا لم يجد نعلين لبس خفين . فقال : دعنا من هذا حدثنا حماد عن ابراهيم
قال عليه الفدية .

(ولا يحصر) أي لا يضيق صدرأ (من الفيء) أي الرجوع (الى الحق اذا عرفه)
روى ابن قتيبة أيضاً عن ابى عوانة قال : كنت عند أبى حنيفة فسئل عن رجل
سرق ودياً . فقال: عليه القطع . فقلت له : حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن حبان
عن رافع بن حديج عن النبي «ص» قال : لا تقطع في ثمر ولاكثر . فقال :
بلغنى هذا . فقلت : فالرجل الذي أفتيته رده . قال : دعه فقد جرت به البغال
الشهب .

(ولا تشرف نفسه على طمع) قال ابو عبدالله عليه السلام : الرشاء في
الحكم هو الكفر بالله .

(ولا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه) في الموضوعات والاحكام، قال بعضهم:
اذا أتاك الخصم وفقد ففقت عينه فلا تحكم له حتى يأتي خصمه فلعله قد فقت
عيناه جميعاً .

(وأوقفهم في الشبهات وآخذهم في الحجج) عن الشعبي قال : كذت
جالساً عند شريح اذ دخلت عليه امرأه تشتكي زوجها وهو غائب وتبكي بكاءً
شديداً . فقلت : ما أراها الا مظلومة . قال : وما علمك . قلت : لبكائها . قال :
لاتفعل فان اخوة يوسف جاؤا أباهم عشاءً ليكون وهم له ظالمون .

(وأقلهم تبرماً) أي ضجرأ وملا لا (بمراجعة الخصم) في العيون قدم أبياس
الشام وكان غلاماً فقدم خصماً له شيخاً كبيراً الى قاض لعبد الملك ، فقال له
القاضي : أتقدم شيخاً كبيراً الي . فقال أبياس : الحق اكبر منه . قال : أسكت . قال :
فمن ينطق بحجتي . قال : ما أظنك تقول حقاً حتى تقوم . قال : أشهد الا اله الا

الله . فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر فقال : اقض حاجته وأخرجه من الشام لا يفسد علي الناس .

(وأصبرهم على تكشف الامور) في اذكياء ابن الجوزي قال ابو السائب : كان ببلدنا همدان رجل مستور فأحب القاضي قبول قوله ، فسأل عنه فزكي له سرأً وجهرأً ، فراسله في حضور المجلس ليقبل قوله وأمر بأخذ خطه في كتب ليحضر فيقيم الشهادة فيها ، وجلس القاضي وحضر الرجل مع الشهود ، فلما أراد اقامة الشهادة لم يقبله القاضي ، فسئل عن سبب ذلك فقال : انكشف لي أنه مرأ فلم يسعني قبول قوله ، فقيل له : وكيف ؟ قال : كان يدخل الي في كل يوم فأعد خطواته من حيث تقع عيني عليه من داري الى مجلسي ، فلما دعوته اليوم للشهادة جاء فعددت خطاه من ذلك المكان فاذا هي قد زادت خطوتين أو ثلاثاً فعلمت انه متصنع فلم أقبله .

(وأصبرهم) أي أقطعهم (عند اتضاح الحكم) في الاذكياء أيضاً : باع رجل من أهل خراسان جمالا بثلاثين ألف درهم من وكيل زبيدة فمطله بثمنها ، فأتني بعض أصحاب حفص بن غياث فشاوره فقال له : اذهب اليه فقل له اعطني ألف درهم وأحيل عليك بالمال الباقي وأخرج الي خراسان ، فاذا فعل هذا فأتني حتى أشاور عليك . ففعل فأعطاه ألف درهم فرجع فأخبره ، فقال : عداليه فقل له : اذا ركبت غداً فطريقك على القاضي فأحضر وأوكل رجلا بقبض المال وأخرج فاذا جلس الي القاضي فادع عليه بما بقي لك . ففعل فحبسه القاضي فقالت زبيدة لهرون : قاضيك حبس وكيلي فمره لا ينظر في الحكم فأمر لها بالكتاب وبلغ حفصاً الخبر فقال للرجل : أحضر لي شهوداً حتى أسجل لك على الوكيل قبل ورود كتاب الخليفة ، فحضر فقال للرجل : مكانك فلما فرغ من السجل أخذ الكتاب فقرأه فقال للخادم : قل للخليفة ان كتابه ورد وقد أنفذت الحكم .

(ممن لا يزدهيه) أي لا يستخفه ، قال عمر بن ابي ربيعة :

فلما توافقنا وسلمت أقبلت وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

(اطراء) أي مدح ، في الجهشيارى : كان يحيى بن خالد يقول : لست ترى

أحداً تكبر في امارة الا وقد دل على أن الذي نال فوق قدره ، ولست ترى أحداً
تواضع في امارة الا وهوفي نفسه أكثر مما نال في سلطانه .

(ولا يستميله اغراء) أي تحضيض وتحريص ، في العيون كان المغيرة بن

عبيدالله الثقفي قاضياً على الكوفة فأهدى اليه رجل سراجاً من شبه وبلغ ذلك
خصمه فبعث اليه ببغلة ، فلما اجتمعا عنده جعل يحمل على صاحب السراج وجعل
صاحب السراج يقول ان أمرى أضوء من السراج ، فلما أكثر عليه قال : ويحك
ان البغلة رمحت السراج فكسرتة .

(وأولئك قليل) وفي رواية التحف « فول قضاءك من كان كذلك وهم قليل »

وكلامه عليه السلام مأخوذ من قوله تعالى « وان كثيراً من الخطاء ليبغى

بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم » .

(ثم أكثر تعاهد) وفي رواية التحف « تعهد » قضائه وافسح) أي أوسع

(له في البذل ما يزيل) وفي رواية التحف « يزيح » (علته) زاد في التحف

« ويستعين به » (وتقلّ معه حاجته الى الناس ، واعطه من المنزلة لديك ما لا

يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال) أي شرهم (له عندك

فانظر في ذلك نظراً بليغاً فان هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الاشرار يعمل فيه

بالهوى ويطلب به الدنيا) .

قال « حد » : هذه اشارة الى قضاة عثمان وحكامه وانهم لم يكونوا يقضون

بالحق عنده بل بالهوى ولطلب الدنيا ، وأما أصحابنا فيقولون ان عثمان كان

ضعيفاً واستولى عليه أهله قطعوا الامور دونه فاثمهم عليهم وعثمان برىء منهم .

قلت : لم يعلم ارادته عليه السلام لمخصوص زمان عثمان ، ومن أين انه لم يرد زمان جميع المتقدمين عليه ، ويشهد له كلماته « ع » فيهم في غير مقام ، ومنها في الشقشقية ، كما أن المسلم من ضعف عثمان عدم قدرته الدفع عن نفسه لما أجمع المهاجرون والانصار على قتله واستحلوا دمه وخذله معاوية لوجهه صيرورة دمه وسيلة لنيل الامر اليه ، واما استيلاء أهله عليه فلا فمن ولاهم وكان راضياً بأفعالهم حتى بفعل أخيه لانه الوليد بن عقبة الذي شرب وصلى بالناس الصبح أربعاً في سكره وغنى في صلواته وتكلم فيها فقال للناس : ان شئتم أزيدكم الصبح على الاربع ، فلم يرد اقامة الحد عليه بعد اقامة أهل الكوفة الشهود على شربه حتى اقامه أمير المؤمنين « ع » عليه رغماً لانفه .

وقال ابن عبد البر في استيعابه قال الحسن البصري : ان أباسفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة اليه فقال : قد صارت اليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بني امية فانما هو الملك ولأدري ما جنة ولانار الخ . وقد قبل منه عثمان ذلك فعلا وان رووا أنه أنكروا له في الظاهر مقالا .

وقال « حد » نفسه في موضع آخر : مر ابوسفيان أيام عثمان بقبر حمزة فضربه برجله وقال : يا ابا عمار ان الامر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس في يد غلماننا اليوم يلتعبون به .

وأما ما نقله عن أصحابه من كون ائمتهم عليهم وعثمان لائم عليه ، فقد قال محمد بن أبي بكر لمعاوية بن حديج لما أراد قتله وقال له أقتلك بعثمان : ما أنت وعثمان ، ان عثمان عمل بالجور ونبذ حكم القرآن وقد قال تعالى « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » فتمنا ذلك عليه فقتلناه وحسنت أنت له ذلك ونظراؤك فقد برأنا الله تعالى انشاء الله من ذنبه وأنت شريكه في عظم ذنبه وجاعلك على مثاله .

(ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً) في العيون عن معمر قال والي اليمن لابن شبرمة : قد دعيت لامر عظيم للقضاء . قال : ما أيسر القضاء . فقال له ابن شبرمة : فنسألك عن شيء يسير منه . قال : سل . قال : ما تقول في ضرب بطن شاة حامل فألقت مافي بطنها . فسكت الرجل فقال له : انا بلونك فما وجدنا عندك شيئاً . قال : فما القضاء فيها . فقال : تقوّم حاملا وحائلا ويغرم قدرا مابينهما هذا ، وفيه أيضاً كان يحيى بن اكنم يمتحن من يريدهم للقضاء فقال لرجل : ما تقول في رجلين زوج كل واحد منهما الاخرأمه فولد لكل واحد امرأته ولد ما قرابة بين الولدين ، فلم يعرفها فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عم الاخر لامه .

(ولاتولهم محاباة) قال الجوهري : الحباء العطاء ، قال الفرزدق « واليه كان حبا جفنة ينقل » وحابيته في البيع محاباة (وأثرة) بفتح تين ، أي استبداداً في العيون : السلطان الحازم ربما أحب الرجل فأقصاه واطرحه مخافة ضره فعل الذي يلسع الحية اصبعه فيقطعها لئلا ينتشر سمها في جسده ، وربما أبغض الرجل فأكره نفسه على توليته وتقريبه لغناه يجده عنده كتنكاره المرء على الدواء البشع لنفعه .

وفي العقد - في مجاوبة ابن عباس ومعاوية - قال معاوية لابن عباس : استعملك علي على البصرة وقد استعمل أخاك عبيدالله على اليمن واستعمل أخاك قثمأ على المدينة ، فلما كان من الامر هنأتكم مافي أيديكم ولم أكشفكم عما وعت غرائزكم - الى أن قال - فقال له ابن عباس : وأما استعمال علي « ع » ايانا فلنفسه دون هواه ، وقد استعملت أنت رجالاته لئلا يفسدك منهم ابن الحضرمي على البصرة فقتل وبسرين أرطاة على اليمن فخان والضحاك بن قيس الفهري على الكوفة فحصب ولوطلبت ما عندنا وقينا اعراضنا .

(فانهم) هكذا في المصرية وهو غلط والصواب « فانهما » كما في « حد »
و « ثم » والخطية ، والضمير راجع الى المحاباة والاثرة ، وبه صرح في رواية
التحف ففيه « فان المحاباة والاثرة » .

(جماع من شعب الجور والخيانة) وفي رواية التحف « جماع الجور
والخيانة وادخال الضرورة على الناس وليست تصلح الامور بالادغال » .
في العميون قدم بعض عمال السلطان من عمل فدعا قوماً فأطعمهم وجعل
يحدثهم بالكذب ، فقال بعضهم : نحن كما قال عز وجل « سماعون للكذب الكالون
للسحت » .

وفيه : ولي حارثة بن بدر « سرق » فكتب اليه انس الدولي :
أحار بن بدر قد وايت ولاية فكن جرداً فيها تخون وتسرق
وبارتميماً بالغنى ان للغنى لساناً به المرء الهيوبه ينطق
فان جميع الناس اما مكذب يقول بما يهوى و اما مصدق
يقولون أقوالا و لا يعلمونها وان قيل هاتوا حققوا لم يحققوا
ولا تحقرن يا حارث شيئاً اصبته فحظك من ملك العراقين سرق
فقال حارثة : لا يعنى عليك الرشد .

وكان عبيدالله بن ابي بكرة قاضياً و كان يميل في الحكم الى اخوانه ، فقيل
له في ذلك فقال : وما خير رجل لا يقطع من دينه لاخوانه .

وفي كامل الجزري : ان أهل أفریقیة كانوا أطوع أهل البلدان الى زمن هشام
وكانوا يقولون لانخالف الائمة بما يجني العمال ، فقال لهم أهل العراق الذين
دبوا فيهم : انما يعمل هؤلاء بأمر أولئك ، فقالوا : حتى نختبرهم ، فخرج ميسرة
في بضع وعشرين رجلا فقدموا على هشام فلم يؤذن لهم ، فدخلوا على الابرش
فقالوا : ابلغ الخليفة أن اميرنا يغزونا و بجنده فاذا غنمنا نفلهم و حرمانا و يقول

هذا أخلص لجهادكم واذا حاصرنا مدينة قدمنا وأحرقهم ويقول هذا ازدياد في
الاجر، ثم انهم عمدوا الى ماشيتنا فجعلوا يبقرون بطونها عن سخالها يطلبون
الفراء الابيض للخليفة فيقتلون ألف شاة في جلد فاحتملنا ذلك ، ثم انهم سامونا
أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا : لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن
مسلمون ، فأحببنا أن نعلم عن رأي الخليفة هذا ؟ فطال عليهم المقام ونفدت
نفقاتهم فرجعوا وخرجوا على عامل هشام فقتلوه واستولوا على أفريقيا .

وفي المروج : ركب احمد بن الخصيب وزير المنتصر ذات يوم فتظلم
اليه متظلم بقصة ، فأخرج رجله من الركاب فزج بها في صدر المتظلم فقتله ،
فتحدث الناس بذلك فقال بعض الشعراء :

قل للخليفة يا ابن عم محمد اشكل وزيرك انه ركال

وفيه : كان المنصور جالساً في مجلسه المبني على طاق باب خراسان من مدينته
مدينة المنصور مشرفاً على دجلة . وكان بنى على كل باب من أبواب المدينة في
الاعلى من طاقه المعقود مجلساً يشرف منه على ما يليه من البلاد أولها باب الدولة
باب خراسان ثم باب الشام ثم باب الكوفة ثم باب البصرة كل تلقاء بلده - يوماً
اذ جاءه سهم عائر حتى سقط بين يديه ، فدعراً فأخذه فاذا عليه مكتوب « همدان
منها رجل مظلوم في حبسك » فبعث من فوره ففتشوا الحبوس فوجدوا شيخاً
في بنية من الحبس فيه سراج يسرج وعلى بابه بارية مسبلة ، واذا الشيخ موثق
بالحديد متوجه نحو القبلة يردد « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » فسألوه
عن بلده فقال « همدان » فحمل ووضع بين يدي المنصور فسأله فقال : أنا رجل
من أرباب نعم همدان ولي ضيعة في بلدي تساوي ألف ألف درهم أراد واليك
أخذها مني فامتنعت فكبلني في الحديد وحملني وكتب اليه انه عاص فطرح
في هذا المكان . فقال : منذكم ؟ قال : منذ أربعة أعوام ، فأمر بلك الحديد عنه

وقال له : رددت عليك ضيعتك بخراجها ماعشت وعشت .

(وتوخ) اي تحر (منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة) صفة القدم بفتحيتين فانها مؤنث ، قال ذوالرمة : لكم قدم لا ينكر الناس انها مع الحسب العادي طمت على البحر في ابن خلكان : لما ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة كتب اليه طاوس : ان أردت أن يكون عملك خيراً أكله فاستعمل أهل الخير . فقال عمر : كفى بي موعظة . (فانهم اكرم أخلاقاً وأصح أعراضاً وأقل في المطامع اشرافاً وأبلغ في عواقب الامور نظراً) زاد في رواية التحف « من غيرهم فليكونوا أعوانك على ما تقلدت » .

في المعيون : أحضر الرشيد رجلاً ليوليه القضاء فقال له : اني لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه . فقال له : فيك ثلاث خصال : لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة ، ولك حلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطأه ، وأنت رجل تشاور في أمرك ومن شاور أكثر صوابه ، وأما الفقه فسينضم اليك من تتفقه به - فولي فما وجدوا فيه مطعناً .

وفي الجهشيارى : كان يحيى بن خالد يقول لولده : لا بد لكم من كتّاب وعمال وأعوان فاستعينوا بالاشراف ، واياكم وسفلة الناس فان النعمة على الاشراف أبقى وهي بهم أحسن والمعروف عندهم أشهر والشكر منهم أكثر . وفي الطبرى : قال اسحق بن ابراهيم الموصلي قال لي المعتصم : في قلبي أمرانا مفكر فيه منذ مدة طويلة . فقلت : ياسيدي فاني انما عبدك وابن عبدك قال : نظرت الى أخي المأمون وقد اصطنع أربعة أنجبوا واصطنعت أنا أربعة لم يفلح أحد منهم . قلت : ومن الذين اصطنعهم أخوك . قال : طاهر بن الحسين فقد رأيت وسمعت وعبد الله بن طاهر فهو الرجل الذي لم ير مثله وأنت فأنت والله

لا يعترض السلطان منك أبداً واخوك محمد وابن مثل محمد ، وانا اصطنعت
الافشين فقد رأيت الى ماصار أمره واشناس ففشل ايه وايتاخ فلاشيء ووصيف
فلا مغنى فيه . فقلت : أجب على أمان من عضبك . قال : قل . قلت : نظر
أخوك الى الاصول فاستعملها فأنجبت فروعها واستعملت فروعاً لم تنجب اذ
لا أصول لها . قال : يا اسحق لمقاساة ما مربى من طول هذه المدة أسهل علي
من هذا الجواب .

(ثم أسبغ) أي أكمل (عليهم الارزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح
انفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجة عليهم ان خالفوا أمرك
أو ثلموا) أي أوقعوا خلافاً (أمانتك) في العيون كان بعض ملوك العجم اذا شاور
مرازبته فقصر في الرأي دعا الموكلين بأرزاقهم فعاقبهم فيقولون تخطيء مرازبتك
وتعاقبنا ، فيقول : نعم انهم لم يخطأوا الا لتعلق قلوبهم بأرزاقهم واذا اهتموا
اخطأوا - وكان يقول ان النفس اذا احرزت قوتها اطمأنت .

(ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاهدك
في السر لا مورهم حدوة) أي سوق لهم (على استعمال الامانة والرفق بالرعية)
في تاريخ اليعقوبي : كتب امير المؤمنين الى كعب بن مالك : أما بعد فاستخلف
على عملك وأخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض كورة السواد فتسأل
عن عمالي وتنظر سيرتهم فيما بين دجلة والعذيب ، ثم ارجع الى البهجة اذا ذات
فتول معونتها واعمل بطاعة الله في ما ولاك منها ، واعلم أن كل عمل ابن آدم
محفوظ عليه مجزي به ، فاصنع خيراً - صنع الله بنا وبك خيراً - وأعلمني
الصدق فيما صنعت .

(وتحفظ) بلفظ الامر من التحفظ (من الاعوان فان أحد منهم بسط يده الى
خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه

العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله) شرط عليه السلام اجتماع أخبار
العيون ليأمن بذلك من التصنع .

وفي وزراء الجهشباري : صرف المنصور خالد بن برمك عن الديوان
وقلده أبا أيوب وقلد خالداً فارس ، فأقام بها خالد سنين وأبوأيوب يسعى عليه
ويحض المنصور على مكروهه ويسعى به ليسقطه من عينه لانه كان يعرف مافيه
من الفضل فيه يتخوفه على محله وان يرده المنصور الى الديوان الذي كان يتقلده
فلما كثر ذلك على المنصور صرف خالداً عن فارس ونكبه وألزمه ثلاثة الف الف
درهم فلم يكن عنده الا سبعمائة ألف درهم ، فصدقه عن ذلك فلم يصدقه وأمر
بمطالبتة بالمال فأسغفه صالح صاحب المصلى بخمسين ألف دينار وأسغفه مبارك
التركي بألف ألف درهم ووجهت الخيزران بجوهر قيمته ألف ألف ومائتا ألف
درهم رعاية للرضاع بين الفضل ابن ابنه وبين هرون ابنها ، واتصل ذلك
بالمنصور فتحقق عنده قوله انه لا يملك الا ما حكى ، فصفح له عن المال فشق
ذلك على ابي أيوب وأحضر بعض الجهابذة ودفع اليه مالا وأمره أن يعترف
انه لخالد ودس الى المنصور من سعى بالمال ، فأحضر الجهبذ فسئل عن المال
فاعترف به فأحضر خالداً فسأله عن ذلك فحلف أنه لم يجمع مالا قط ولا ادخره
وانه لا يعرف هذا الجهبذ ودعا الى كشف الحال . فتركه المنصور بحضرتة
وأحضر النصراني فقال له : أتعرف خالداً ان رأيتة . قال : نعم . فالتفت المنصور
الى خالد وقال : قد أظهر الله براءتك وهذا مال أصبناه بسببك . ثم قال للنصراني :
هذا الجالس خالد فكيف لم تعرفه . فقال : الامان وأخبره الخبر ، فكان بعد ذلك
لا يقبل من ابي أيوب شيئاً في خالد - الخ .
وأما مع الاجتماع فلا يحصل التوطئة .

في الجهشباري : كان موسى بن عيسى الهاشمي يتقلد للرشيذ وكثر التظلم

منه واتصلت السعايات به ، وقيل انه قد استكثر من العبيد والعدة ، فقال الرشيد ليحيى : أطلب لى كاتباً عفيفاً يكمل لمصر ويسترخبره فلا يعلم موسى حتى يفجأه قال : قد وجدته . قال : من هو . قال : عمر بن مهران - وكان يكتب للخيزران ولم يكتب لغيرها قط وكان من عينيه أحول مشوه الخلق خسيس اللباس - فأمر باحضاره فعرفه يحيى ماجرى وراح به الرشيد . قال : فاستدنانى ونحى الغلمان وأمرني ان استرخبري حتى افاجيء موسى فأتسلم العمل منه . فأعلمته انه لا يقرأ لي ذكراً في كتب أصحاب الاخبار حتى ادانى مصر . ثم كتب لي كتاباً بخطه الى موسى بالتسليم ، فعدت الى منزلي فخرجت منه من غد بكرة على بغلة لي ومعى غلام أسود على بغل استأجرته معه خرج فيه قميص ومبطنة وطيلسان وشاشية وخف ومفرش صغيرة ، واكترت لثلاثة من أصحابي أثق بهم ثلاثة أبغل مياومة وليس يعرف أحد خبري من أهل البلدان التي أمر بها في نزولي ونفوذى ، حتى وافيت الفسطاط فنزلت جناباً وخرجت منه وحدى في زي متظلم تاجر ، فدخلت دار الامارة وديوان البلد وبيت المال وسألت وبحثت عن الاخبار وجلست مع المتظلمين وغيرهم ، فمكثت ثلاثة أيام أفعل ذلك حتى عرفت جميع ما احتجت اليه ، فلما نام الناس في ليلة اليوم الرابع دعوت أصحابي فقلت للذي أردت استكتابه على الديوان : قد رأيت مصر وقد استكبتك على الديوان فبكر اليه فاجلس فيه ، فإذا سمعت الحركة فاقبض على الكاتب ووكل به وبالكتاب والاعمال ولا يخرج أحد من الديوان حتى أوافيك ، ودعوت بأخر فقلدته بيت المال وأمرته بمثل ذلك ، وقلدت الاخر عملاً بالحضرة ، وبكرت فلبست ثيابى ووضعت الشاشية على رأسي ومضيت الى دار الامارة ، فأذن موسى للناس اذنأ عاماً فدخلت فيمن دخل ، فأذا موسى على فرش والقواد وقوف عن يمينه وشماله والناس يدخلون فيسلمون ويخرجون وأنا جالس بحيث يراني ويقمني حاجبه

ساعة بساعة ويقول لي تكلم بحاجتك ، فأعتل عليه حتى خف الناس ، فدنوت منه وأخرجت اليه كتاب الرشيد فقبله ووضع على عينه ثم قرأه فامتقع لونه وقال: السمع والطاعة تقرىء أبا حفص السلام وتقول له ينبغي أن نقيم بمنزلك حتى نعد لك منزلاً يشبهك ويخرج غداً أصحابنا يستقبلونك فتدخل مدخل مثلك فقلت له : أنا عمر بن مهران وقد أمرني الخليفة باقامتك للناس وانصاف المظلوم منك وأنا فاعل ذلك ، فمن أوضح ظلامته ووجب له عليك حق غرمته عنك من مالك ومن وجدته كاذباً عاملته بحسب ما يستحقه . فقال : أنت عمر بن مهران . قلت : نعم . فقال : لعن الله فرعون حيث يقول «أليس لي ملك مصر» واضطرب الصوت في السدار فقبض كاتبى على السديران وصاحبى الآخر على بيت المال وختما عليهما ووردت عليه رقايع أصحاب أخباره بذلك ، فنزل عن فرشه وقال : لا اله الا الله هكذا تقوم الساعة ، ما ظننت ان أحداً بلغ من الحزم والحيلة ما بلغت ، قد تسلمت الاعمال وأنت في مجلسي . ثم نهضت الى الديوان فقطعت أمور المتظلمين منه وأزلت ظلاماتهم .

(ثم نصبته) أي أقمته (بمقام الذلة ووسمته) من وسم دابته بالميسم ، قال

الفرزدق :

لقد قلدت جلف بنى كليب مواسم في السوالف ثاببات

أيضاً :

اني امرؤ اسم الفصائد للعدى ان الفصائد شرها اغفالها

(بالخيانة وقلدته) أي جعلته كقلادة في عنقه (عار التهمة) فى العيون : قرأت

فى كتاب ابرويز الى ابنه اجعل عقوبتك على اليسير من الخيانة كعقوبتك على

الكثير منها ، فاذا لم يطمع منك فى الصغير لم يجترىء عليك فى الكبير .

وقرأت ان ابرويز قال لصاحب بيت المال : اني لا أحتملك على خيانة

درهم ولا أحمدك على حفظ ألف ألف درهم لانك انما تحقن بذلك دمك
وتعمر به أمانتك فانك ان خنت قليلا خنت كثيراً .

وفي وزراء الجهشباري : حكى ان الجور كثرفي أيام أنوشروان ، فقال له
موبدان : أيها الملك اني سمعت فقهاءنا يقولون : انه متى لم يغمر العدل الجور
في بلدة ابتلي أهلها بعدويغزوهم وخيف تتابع الافات وقد خفنا ذلك بشيء فشا
من الجور، فنظر أنوشروان في ذلك فاستقر عنده ان ظلماً وجوراً قد جرى ،
فصلب ثمانين رجلا من الكتاب خمسين ومن العمال ثلاثين .

هذا ، وصديقهم كان بالضد من ذلك ، فان سيفه خالد بن الوليد قتل مسلماً
ظلماً وزنا بامرأته فابلى الى صديقهم بعض من مع خالد هذه الخيانة العظيمة
التي لاخيانة أعظم منها ، فغضب على المبلغ وردده الى الخائن . وحتى أن عمر
مع كونه كنفس واحدة مع أبي بكر أنكر ذلك عليه وألح عليه في مؤاخذه خالد
فلم يفعل ابوبكر وقال : لأشيم هذا السيف .

ففي الطبري : ان خالداً لما قتل مالك بن نويرة وقال له ابوقتادة هذا عمك
زبره خالد فغضب ابوقتادة وأتى ابابكر فغضب عليه أبوبكر حتى كلمه عمر فيه
فلم يرض الا أن يرجع الى خالد ، فرجع الى خالد حتى قدم المدينة مع خالد
- الى أن قال - وأقبل خالد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صده
الحديد معتجراً بعمامة له قد غرز في عمامته أسهماً ، فلما أن دخل المسجد قام
اليه عمر فانتزع الاسهم من رأسه فحطمها ثم قال له : قتلت امرأ مسلماً ثم نزوت
الي امرأته ، والله لا رجمنك بأحجارك ، وخالد لا يكلمه ولا يظن الا ان رأي
أبي بكر على مثل رأي عمر فيه ، حتى دخل على أبي بكر فلما أن دخل عليه أخبره
الخبر واعتذر اليه فعدره ابوبكر وتجاوز عما كان في حربه تلك ، فخرج خالد
حين رضي ابوبكر عنه وعمر جالس في المسجد فقال لعمر : هلم الي يا ابن أم سلمة ،

فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلمه ودخل بيته .

(وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله في صلاحه وصلاحهم عملاً لمن سواهم ولاصلاح لمن سواهم إلا بهم لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله) في العيون قرأت في كتاب ابرويزالى ابنه شيرويه : انتخب لخراجك احد ثلاثة اما رجلا يظهر زهداً في المال ويدعي ورعاً في الدين فان كان كذلك عدل على الضعيف وانصف من الشريف ووفر الخراج واجتهد في العمارة ، فان هو لم يرع ولم يعف ابقاء على دينه ونظراً لامانته كان حربياً أن يخون قليلاً ويوفر كثيراً استساراً بالرياء واكتتماً بالخيانة ، فان ظهرت على ذلك منه عاقبته على ما خان ولم تحمده على ما وفر ، وان هو جلع في الخيانة وبارز بالرياء نكلت به في العذاب واستنظفت ماله مع الحبس ، واما رجلاً عالماً بالخراج غنياً في المال موهوناً في العقل فيدعوه علمه بالخراج الى الاقتصاد في الجلب والعمارة للراضين والرفق بالرعية ويدعوه غناه الى العفة ويدعوه عقله الى الرغبة فيما ينفعه والرهبة مما يضره ، واما رجلاً عالماً بالخراج مأموناً بالامانة مقترماً من المال فتوسع عليه في الرزق فيغتنم لحاجته الرزق ويستكثر لفاقته اليسير ويزجي بعلمه الخراج ويعف بامانته عن الخيانة .

هذا ، وفي كتاب فضل هاشم على عبد شمس للجاحظ قال هاشم : لو لم يكن من بركة دعوتنا الا أن تعذيب الامراء لعمال الخراج بالتعليق والرهق والتجريد والتسهير والمسال والنورة والجورتين والعذراء والجماعة والتشطيب قد ارتفع لكان ذلك خيراً كثيراً .

(وليكن نظرك في عمارة الارض أبلغ من نظرك فسي استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره الا قليلاً) في الجهشيارى : في عهد سابور بن اردشير الى

ابنه : واعلم أن قوام الملك بدرور الخراج ودروره بعمارة البلاد وبلوغ الغاية في ذلك يكون باستصلاح أهله بالعدل عليهم والمعونة لهم، فان بعض الامور لبعض سبب وعوام الناس لخراصهم عدة وبكل صنف منهم الى الاخر حاجة فاختر اذلك أفضل من تقدر عليه من كتابك وما يكونوا من أهل البصر والعفاف والكفاية وأسد الى كل امرئ شقصاً يضطلع به - الخ .

وفي المروج : أقبل بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير في أول ملكه على القصف واللذات والصيد والنزاهة لا يفكر في مهلكه ولا ينظر في أمور رعيته ، وأقطع الضياع لخواصه ومن لاذبه من خدمه وحاشيته ، فخربت الضياع وخلت من عمارها فقلت العمارة الا ما أقطع من الضياع و سقطت عنهم المطالبة والخراج بمماثلة الوزراء وخواص الملك ، وكان تدبير الملك مفوضاً الى وزرائه ، فخربت البلاد وقل ما في بيوت الاموال فضعف القوي من الجنود وهلك الضعيف منهم ، فلما كان في بعض الايام ركب الملك الى بعض متنزهاته وصيده فجنه الليل وهو يسير نحو المدائن - وكانت ليلة قمراء - فدعا بالموبدان لامر خطر به فلهحق به وسابره وأقبل على محادثته مستخبراً له عن سير أسلافه ، فتوسطوا في مسيرهم خرابات كانت من أمهات الضياع قد خربت في مملكته ولا أنيس بها الا البوم ، واذا بوم يصيح وآخر يجاوبه من بعض تلك الخرابات ، فقال الملك للموبدان : أترى أحداً من الناس أعطي فهم منطق هذا الطير المصوت في هذا الليل الهاديء . فقال له الموبدان : أنا ممن خصه الله بفهم ذلك . فقال له : فما يقول هذا الطائر وما الذي يقول الاخر . قال الموبدان : هذا بوم ذكر يخاطب بومة و يقول لها : أمتعيني من نفسك حتى يخرج منا أولاد يسبحون الله ويبقى لنا في هذا العالم عقب يكثرون ذكرنا والترحم علينا ، فأجابته البومة ان الذي دعوتني اليه هو الحظ الاكبر الا اني اشترط

عليك خصالا . قال : وماتلك . قالت : أولاها أن تعطيني من خرابات أمهات الضياع عشرين قرية مما قد خرب في أيام هذا الملك السعيد . فقال له الملك : فما الذي قال لها الذكر؟ قال : قالت ان دامت أيام هذا الملك السعيد أعطيتك مما يخرب من الضياع ألف قرية فما تصنعين بها . قالت : نقطع كل واحد من أولادنا قرية من هذه الخرابات . قال لها : هذا أسهل أمر فهاتي ما بعد ذلك . فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبدان استيقظ من نومه وفكر فيما خوطب به ، فنزل من ساعته وخلا بالموبدان فقال له : أيها القيم بالدين والناصح للملك اكشف لي عن هذا الغرض الذي رميت . قال : أيها الملك ان الملك لا يقيم عزه الا بالشريعة والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره ونهيه ، ولاقوام للشريعة الا بالملك ، ولاعز للملك الا بالرجال ، ولاقوام للرجال الا بالمال ، ولا سبيل للمال الا بالعمارة ، ولاسبيل للعمارة الا بالعدل ، والعدل الميزان المنصوب بين الخلق نصبه الرب . قال الملك : أما ما وصفت فحق فأبن لي عما تقصد وأوضح لي في البيان . قال نعم أيها الملك عمدت السى الضياع فانزعتهما من أربابها وعمارها وهم أرباب الخراج ومن يؤخذ منهم الاموال فأقطعتهما الحاشية والخدم وأهل البطانة ، فعمدوا الى ماتعجل من غلاتها وتركوا العمارة والنظر في العواقب وما يصنع الضياع وسومحوها في الخراج لقربهم من الملك ووقع الحيف على من بقي من أرباب الخراج وعمار الضياع فانجلوا عن ضياعهم ورحلوا عن ديارهم وآووا الى ماتعزز من الضياع بأربابه فسكنوه ، فقلت العمارة وخربت الضياع وقلت الاموال فهلكت الجنود والرعية وطمع في ملكنا من طاف بها من الامم لعلمهم بانقطاع المواد التي بها تستقيم دعائم الملك . فلما سمع الملك ذلك أقام في موضعه ثلاثاً وأحضر الوزراء والكتاب وأرباب الدواوين وأحضرت الجرائد فانزعت الضياع من أيدي الخاصة

والحاشية وردت على أربابها على رسومهم السالفة وأخذوا في العمارة فأخصب البلاد وكثرت الاموال عند جباية الخراج وقويت الجنود وقطعت مواد الاعداء وشحنت الثغور وأقبل الملك يباشر الامور بنفسه في كل وقت ، فحسنت أيامه حتى كانت تدعى عيداً لما عم الناس من الخصب وشملهم من العدل .

وقال « حد » : رفع الى انوشروان أن عامل الاهواز قد حمل من مال الخراج ما يزيد على العادة - وربما يكون ذلك قد أجحف بالرعية - فوقع برد هذا المال على من استوفى منه فان تكثير الملك ماله بأموال رعيته بمنزلة من يحصن سطوحه بما يقتلعه من قواعد بنيانه .

(فان شكوا ثقلاً في الخراج أو علة أو انقطاع شرب أو بالية) أي قلة شرب ، يقال ما في سقائه بلال ، وهو ما يبيل به ، ويقال « لا يملك عندي بالة » أي لا يصيبك منى شيء حتى قليل ، وفسره « حد » بالمطر فلا بد أنه قرأها مجرورة عطفاً على « شرب » ولم نقف على من فسر البالية بالمطر .

وكيف كان فرواية التحف خالية من الكلمة كما أنها بدلت « او انقطاع شرب » بقوله « من انقطاع شرب » وهو الاصح حتى يكون انقطاع الشرب كما بعده « احالة الارض » بياناً للعلة ، ففي الرواية « فان كانوا شكوا ثقلاً أو علة من انقطاع شرب أو احالة أرض » .

(أو احالة أرض) أي تغييرها عن سابقها (اغتمرها غرق أو أجحف) أي أضر وذهب (بها عطش خفت) جواب « فان شكوا » (عنهم بما ترجوا أن يصلح به أمرهم) وزاد في رواية التحف « وان سألوا معونة على اصلاح ما يقدرون عليه بأموالهم فاكفهم مؤنته فان في عاقبة كفايتك اياهم صلاحاً » .

وفي تاريخ اليعقوبي : انه عليه السلام كتب الى قرظة بن كعب الانصاري : أما بعد فان رجالا من أهل الذمة من عملك ذكروا نهراً فسي أرضهم قد عفى

وإذ فن وفيه لهم عمارة على المسلمين فانظروا أنت وهم وأعمار وأصلح النهر ،
فلعمري لئن يعمر وأحب إلينا من أن يخرجوا وان يعجزوا أو يقصروا في واجب
من صلاح البلاد .

في وزراء الجهشيارى : زاد الماء في أيام الرشيد - وكان غائباً في بعض
متصيداته - ويحيى البرمكي ببغداد ، فركب يحيى ومعه القواد ليفرقهم على
المواضع المخوفة من الماء يحفظونها ، ففرق القواد وأمر بأحكام المسنيات وصار
إلى الدور فوقف ينظر إلى قوة الماء وكثرته ، فقال قوم : ما رأينا مثل هذا المد
فقال يحيى : قد رأيت مثله في سنة كان أبو العباس أبي قد وجهني إلى عمارة بن
حمزة في أمر رجل كان يعنى به من أهل خراسان وكانت له ضياع بالري ، فورد
عليه كتابه يعلمه أن ضياعه تحيفت فخربت وان نعمته قد نقصت وان صلاح أمره
في تأخيرته بخراجه لسنته - وكان مبلغه مائتي ألف درهم - ليتقوى بها على
عمارة ضيعته ويؤديه في السنة المقبلة ، فلما قرأ الكتاب غمه وبلغ منه وكان
بعقب ما ألزمه المنصور من المال الذي خرج عليه فخرج به عن كل ما يملكه
واستعان بجميع إخوانه فيه فقال لي يا بني من ههنا يفرع إليه في أمر هذا الرجل
فقلت : لأدري . فقال : بلى عمارة بن حمزة فصر إليه وعرفه حال الرجل ، فصرت
إليه وقد مدت دجلة وكان ينزل الجانب الغربي ، فدخلت عليه وهو مضطجع
على فراشه ، فأعلمته ذلك فقال : قف لي غداً بباب الجسر - ولم يزد على ذلك
فنهضت ثقيل الرجلين وعدت إلى أبي بالخبر . فقال : يا بني تلك سجيته ، فإذا
أصبحت فاغد لموعده ، فعدوت فوقف بباب الجسر وقد جاءت دجلة تلك الليلة
بمدعجيب قطع الجسور وانتظم الناس من الجانبين جميعاً ينظرون إلى زيادة
الماء ، فبيناً أنا واقف أقبل زورق والموج يخفيه مرة ويظهره أخرى والناس يقولون
غرق غرق نجاً نجاً . حتى دنا من الشاطئ فإذا عمارة وملاح معه وقد خلف غلمانه

ودوابه في الموضع الذي ركب منه، فلما رأته نبل في عيني وملاً صدري، فنزلت فغدوت اليه وقلت : جعلت فداك في هذا اليوم وأخذت بيده . فقال : أكنت أعدك وأخلف يا ابن أخي ، أطلب لي برزونا اتكراه . فقلت له : فاركب برزوني قال : فأني شيء تركب . قلت : برزون الغلام . فقال : هات فركب وتوجه يريد أبا عبيد الله وهو اذ ذاك على الخراج والمهدي ببغداد خليفة للمنصور والمنصور في بعض أسفاره ، فلما طلع عمارة على حاجب ابي عبيد الله دخل بين يديه الى نصف الدار، فلما رآه أبو عبيد الله قام من مجلسه وأجلسه فيه وجلس بين يديه، فأعلمه عمارة حال الرجل وسأله اسقاط خراجه وهو مائتا الف درهم واسلامه من بيت المال مائتي ألف درهم يردها في العام المقبل . فقال : هذا لا يمكنني ولكنني أوخره بخراجه الى العام المقبل . فقال : لست أقبل غير ما سألت . فقال له : فاقنع بدونه لتوجد لي السبيل الى قضاء الحاجة ، فأبى عمارة وتلوم أبو عبيد الله قليلا ، فنهض عمارة فأخذ ابو عبيد الله بكمه وقال : اني أتحمّل ذلك من مالي ، فعاد لمجلسه وكتب ابو عبيد الله الى عامل الخراج باسقاط خراج الرجل لسنته والاحتساب به على أبي عبيد الله واسلافه مائتي ألف درهم ترتجع منه الى العام المقبل ، فأخذت الكتاب وخرجنا ، فقلت : لو أقمتم عند أخيك ولم تعبر في هذا المد . فقال : لست أجد بداً من العبور، فصرت معه الى الموضع ووقفت حتى عبر .

(ولا يثقلن عليك شيء خفت به المؤنة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك) بتقديم الجيم أي تفاخره ، يقال «النساء يتباجن فيما بينهن» اذا تفاخرن بينهن بعد حظوتهن (باستفاضة) أي شيوع العدل (فيهم) .

في الجهشياري : قال الجاحظ قال ثمامة : كان أصحابنا يقولون لم يكن

يرى لجلس خالده البرمكي دارالا وخالده بناها له ولا ضيعة الا وخالده ابتاعها له ولا ولد الا وخالده ابتاع أمه ان كانت أمة أو أدى مهرها ان كانت حرة ولادابة الا وخالده حملة عليها امن نتاجه أو من غير نتاجه ، وكان اول من سمي المستمحين الزوار ، وكانوا من قبل يسمون السؤال ، فقال استقبح لهم هذا الاسم وفيهم الاحرار والاشراف ، فقال بعضهم :

حذا خالده في جوده حذو برمك فوجود له مستطرف واثيل
وكان بنو الاعلام يدعون قبله باسم على الاعدام فيه دليل
فسماهم الزوار سترأ عليهم فأستاره في المجتدين سدول
(معتمداً وفضل قوتهم) الظاهر كون « معتمداً » حالاً من « خففت » (بما
ذخرت عندهم من اجمامك) أي اراحتك ، من أجم الفرس اذا ترك أن يركب
أو من « استجم البثر » اذا تركها حتى يجمع ماؤها .
(والثقة منهم) الظاهر كونه عطفاً على « فضل قوتهم » (بما عودتهم من
عدلك عليهم في رفقك بهم) .

في وزراء الجهشياري : كان أهل الخراج قبل خلافة المهدي يعذبون بصنوف
من العذاب من السباع والزنابير والسنائر ، فلما تقلد الخلافة شاور محمد بن مسلم
- وكان خاصاً به - فيهم فقال له : هذا موقف له ما بعده وهم غرما المسلمين
فالواجب أن يطالبوا مطالبة الغرما ، فتقدم المهدي الى وزيره أبي عبيد الله
بالكتاب الى جميع العمال برفع العذاب عن أهل الخراج .

(فر بما حدث من الامور ما اذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم
به) لتخفيفك المؤنة عنهم وافاضة العدل فيهم وتسيبك عمران بلادهم (فان
العمران محتمل ما حملته) من الاثقال .

وفي المروج في مكاتبات أردشير التي حفظت هذه : من أردشير بن بهمن

ملك الملوك الى الكتاب الذين بهم تدبير المملكة والفقهاء الذين هم عماد الدين
والاساورة الذين هم حماة الحرب والحراث الذين هم عمرة البلاد ، سلام
عليكم قد رفعنا أتاوتنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا ورحمتنا ، ونحن كاتبون اليكم
بوصية فاحفظوها ، لاتستشعروا الحقد فيكم فيدهمكم العدو ، ولاتحبوا الاحتكار
فيشملكم القحط ، وكونوا لابناء السبيل مأوى ترووا غداً في المعاد ، وتزوجوا
في الاقارب فانه أمس للرحم وأقرب للنسب ، ولا تركنوا للدنيا فانها لا تدوم
لاحد ، ولاتهتموا لها فلم يكن الا ماشاء الله ، ولاترفضوها مع ذلك فان الاخرة
لا تنال الا بها .

(وانما يؤتى خراب الارض من اعواز) أي افتقار (أهلها وانما يعوز أهلها
لاشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء) على العمل (وقلة انتفاعهم
بالعبر) من الدنيا .

وزاد في رواية التحف « فاعمل فيما وليت عمل من يحب أن يدخر حسن
الثناء من الرعية والمثوبة من الله تعالى والرضا من الامام ولا قوة الا بالله » .

في الطبري : كتب عمر بن عبدالعزيز الى عبدالحميد ان أهل الكوفة قد
أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله وسنة خبيثة استنها عليهم عمال السوء ،
وان قوام الدين العدل والاحسان فلا يكونن شيء أهم اليك من نفسك فانه
لا قليل من الاثم ولاتحمل خراباً على عامر ولا عامراً على خراب ، أنظر الخراج
فخذ منه ما أطاق وأصلحه حتى يعمر ، ولا يؤخذ من العامر وظيفة الخراج الا
في رفق ، ولاتأخذن في الخراج الا وزن سبعة ليس لها آيين ولا أجور الضرايين
ولا هدية النيروز والمهرجان ولا ثمن الصحف ولا أجور الفيوج ولا أجور
البيوت ولا دراهم النكاج ولا خراج على من أسلم .

وفي الجهشيارى : كان الحجاج حمل الى عبدالملك هدية ومالا عظيماً ،

فلما نظر الى المال والهدية قال: هذا والله الامانة والحزم والنصيحة. اني استعملت هذا - وأشار الى خالد بن عبدالله بن أسيد - على البصرة فاستعمل كل فاسق فجبى عشرة واختان تسعة ورفع الى هذا درهماً ودفع هذا من الدرهم الي سدساً ، واستعملت هذا - وأشار الى أخيه أمية - على خراسان وسجستان فبعث الي بمفتاح من ذهب زعم أنه مفتاح مدينة وبقييل وبردونين حطيمين ، واستعملت الحجاج ففعل كذا فان استعملتكم ضيعتم واذا عزلتكم قلتكم قطع ارحامنا. فقال خالد : استعملتني على البصرة وأهلها رجلاً مطيع ناصح ومخالف مشايخ، فأما المطيع فاني جزيته بطاعته فازداد رغبة، وأما المخالف فاني داويت عداوته واستللت ضغيخته وحشوت صدره ودأ ، وعلمت اني متى أصلح الرجال أجب الاموال، واستعملت الحجاج فجبى لك الاموال وكنز العداوة في قلوب الرجال فكأنك بالعداوة التي كنزها قد ثارت وأنفقت الاموال ولا مال ولا رجال. فسكت عبد الملك، فلما كان هيج الجماجم جلس عبد الملك على باب ذي الاكارع ومعه خالد يندب الناس الى الفريضة ويتأمل خالداً ويذكر قوله ويضحك .

(ثم انظر في حال كتابك) زاد في رواية التحف « فاعرف حال كل امرئ

منهم فيما يحتاج اليه واجعل لهم منازل ورتباً » .

(قول على أمـورك خيرهم واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائيدك واسرارك بأجمعهم) اي اكثرهم جمعاً متعلق بقوله «واخصص» (لوجود صالح الاخلاق) وفي رواية التحف «صالح الادب» وزاد بعده «ممن يصلح للمناظرة في جلائل الامور من ذوي الرأي والنصيحة والذهن وأطواهم عندك لمكنون الاسرار كشحاً » .

(ممن لا تبطره) أي لا تحمله على شدة المرح (الكرامة) منك له ، وزاد

في رواية التحف « ولا تمحق به الدالة » (فيجتريء بها عليك في خلاف لك

بحضرة ملاء) في رواية التحف « فيجترىء بها عليك في خلاً أو يلمس اظهارها في ملاء » وروايته أنسب من رواية النهج ، والظاهر أن « في خلاف » في النهج محرف « في خلاء » وان « لك بحضرة » مصحف « أو يلمس اظهارها في » كما لا يخفى .

في الطبري : ظفر المنصور برجل من كبار بني أمية فقال له : من اين اتى بنو أمية حتى انتشر أمرهم . قال : من تضييع الاخبار .

وقالوا : الملوك تحتمل كل شيء الا التعرض للحرمة والقدح في الملك وافشاء السر .

في وزراء الجهشباري : كان عبد الله بن سعد بن ابي سرح يكتب للنبي «ص» ثم ارتد ولحق بالمشركين وقال ان محمداً ليكتب بما شئت ، فسمع بذلك رجل من الانصار فحلف بالله ان أمكنه الله منه ليضربنه ضربة بالسيف ، فلما كان يوم فتح مكة جاء به عثمان الى النبي «ص» - وكان بينهما رضاع - وقال أقبل تائباً والانصاري يطيف به ومعه سيفه ، فأعاد عليه عثمان القول فمد النبي يده فبايعه وقال للانصاري : لقد تلومتك أن توفي بنذكرك . فقال : هلا أو مضت الي . فقال صلى الله عليه وآله وسلم : لا ينبغي لي ان أومض .

وفي الاستيعاب انه لما ارتد قال لقريش بمكة : اني كنت أصرف محمداً حيث أريد ، كان يملى علي « عزيز حكيم » فأقول أو « عليم حكيم » فيقول : نعم كل صواب .

(ولا تقصر به الغفلة عن ايراد مكاتبات عمالك عليك واصدار جواباتها علي الصواب عنك فيما يأخذك) من الناس (ويعطي منك) لهم (ولا يضعف عقداً اعتقده) أي عقده (لك ولا يعجز عن اطلاق) أي حل (ما عقد عليك ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الامور فان الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل) .

ففي وزراء الجهشباري : كانت ملوك فارس تسمى كتاب الرسائل تراجمة الملوك ، وكانوا يقولون لهم لاتحملكم الرغبة وتخفيف الكلام على حذف معانيه وترك ترتيبه والابلاغ فيه وتوهين حججه ، وكان الرسم جارياً في أيام الفرس ان تجتمع أحداث الكتاب من نشأتهم بباب الملوك متعرضين للاعمال ، فيأمر الملك رؤساء كتابه بامتحانهم والتفتيش عن عقولهم ، فمن ارتضى منهم عرض عليه اسمه وأمر بملازمة الباب ليستعان به ، ثم يأمر الملك بضمهم الى العمال وتصريفهم في الاعمال وتنقلهم على قدر آثارهم وكفاياتهم من حال الى حال حتى ينتهى بكل واحد منهم الى ما يستحقه من المنزلة ، ولم يكن يتهياً لاحد ممن عرفه الملك وعرض عليه اسمه أن يتصرف مع أحد من الناس الا عن أمر الملك واذنه وكانت الملوك تقدم الكتاب وتعرف فضل صنعة الكتابة وتحظى أهلها لما يجمعونه من فضل الرأي الى الصناعة وتقول هم نظام الامور وكمال الملك وبهاء السلطان وهم اللسنة الناطقة عن الملوك وخزان أموالهم وأمنائهم على رعيتهم وبلادهم وكان ملوك فارس اذا أنفذوا جيشاً أنفذوا معه وجهاً من وجوه كتابهم وأمروا صاحب الجيش ألا يحل ويسرتحل الا برأيه يبتغون بذلك فضل رأي الكاتب وحزمه ، ثم يقول الملك للكاتب المندوب للنفوذ معه : قد علمت أن الاساورة سباع الانس وانه لاعقوبة عليهم الا في خلع يد عن طاعة أو فشل عن لقاء أو هرب من عدووما سوى ذلك فلا لوم عليهم فيه ، وعليك اعتمد في تدبير هذا الجيش . فينفذ الكاتب مديراً له فاذا احتاج الى مكاتبة باعذار أو اذار أو اخبار أو استخبار كتب فيه عن صاحب الجيش .

(ثم لا يکن اختيارك اياهم على فراستك) بكسر الفاء الاسم من قولك « تفرست فيه خيراً » (واستنامتك) أي سكونك سكون النائم (وحسن الظن منك فان الرجال يتعرفون لفراسات الولاية بتصنعهم وحسن خدمتهم وليس وراء

ذلك من النصيحة والامانة شيء) .

في الطبري : لما هزم ابو مسلم عبدالله بن علي وجمع ما كان في عسكره من الاموال صيره في حظيرة - وكان أصاب عيناً ومتاعاً وجوهرأ كثيراً - فكان منشوراً في تلك الحظيرة و وكل بحفظها قائداً من قواده ، قال أبو حفص الأزدي : فكنت في أصحابه فجعلها نوايب بيننا ، فكان اذا خرج رجل من الحظيرة فتشه ، فخرج أصحابي يوماً من الحظيرة وتخلفت ، فقال لهم الامير : ما فعل ابو حفص . فقالوا : هو في الحظيرة ، فجاء فاطلع من الباب وفطنت له فنزعت خفي وهو ينظر فنفضتها وهو ينظر ونفضت سراويلي وكمي ثم لبست خفي وهو ينظر ، ثم قام وقعد في مجلسه وخرجت فقال : ما حبسك ؟ قلت : خير ، فخلابى فقال : قد رأيت ما صنعت فلم صنعت هذا . قلت : ان في الحظيرة لؤلؤاً منشوراً ودراهم منشورة ونحن نتقلب عليها ، فخفت أن يكون قد دخل في خفي منها شيء ، فنزعت جوربي وخفي فأعجبه ذلك وقال انطلق ، فكنت أدخل الحظيرة مع من يحفظ فأخذ من الدراهم فاجعل بعضها في خفي ويخرج أصحابي فيفتشون ولا أفتش حتى جمعت مالا .

وفي وزراء الجهشيارى : كان سليمان بن عبد الملك ولى الخراج بمصر رجلاً من موالي معاوية يقال له أسامة بن زيد من أهل دمشق - وكان كاتباً بليغاً - فبلغه أن عمر بن عبدالعزيز يغمض عليه في سيرته ، فقدم على سليمان بمال اجتمع عنده وتوخى وقتاً يكون فيه عمر عند سليمان ، فقال لسليمان : اني ما جئتك حتى نهكت الرعية وجهدت ، فان رأيت أن ترفق بها وترفه عليها وتخفف من خراجها ماتقوى به على عمارة بلادها وصلاح معاشها فافعل فانه يستدرك ذلك في العام المقبل . فقال له سليمان : هبلتك أمك احلب الدر فاذا انقطع فاحلب الدم . فخرج أسامة فوقف لعمر حتى خرج فقال له : بلغني انك تدمني ، سمعت

مقاتلي لابن عمك ومسارد علي . فقال : سمعت كلام رجل لا يغني عنك من الله شيئاً ، فلما توفي سليمان كتب عمرو وهو على القبر بعزله .

(ولكن اختبرهم بما ولواللصالحين قبلك فاعمد) أي اقصد (لاحسنهم كان في العامة أثراً وأعرفهم بالامانة وجهاً فان ذلك) أي عمدك لمن وصف (دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره) .

قال « حد » قالوا : ليس الحرب الغشوم بأسرع فسي اجتياح الملك من تصييع مراتب الكتاب حتى يصيبها أهل النذالة ويزهد فيها أولوالفضل .

(واجعل لرأس كل امر من أمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها) في الوزراء كان لملوك فارس ديوانان احدهما ديوان الخراج والاخر ديوان النفقات . ومن عهد سابور بن اردشير الى ابنه « واسند الى كل امرىء من كتابك شقياً يضطلع به ويمكنه الفراغ منه » .

(ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت) أي تغافلت (عنه ألزمته) يعني يصير ذلك العيب لازماً لك دون كاتبك .

في الجهشيارى - في عهد سابور بن اردشير الى ابنه - ليس شيء أفسد لسائر العمال والكتاب الى خراب أماناتهم وهلاك ماتحت أيديهم من جهالة الملك وقلة معرفته بحالهم وتركه مكافأة المحسن باحسانه والمسيء باسائه فأكثر الفحص .

و فيه : كان الفضل والحسن ابنا سهل - والمأمون ولي عهد - عند بعض الخدم المتقلدين للاعمال من قبل الرشيد ، فدخل على الخادم فتى كان يلي له شيئاً ، فلما رآه ضحك ثم قال له : هذه مشية تعلمتها بعدك فانظر أهى احسن أم ما كنت أمشي حتى انتقل عنها ، ثم غير مشيته وجاء فجلس فأتى برعونات كثيرة ، فلم يزل الخادم يحتال له حتى خرج ثم قال لهما : ان بعض الناس

يحب أن يظهر خاصية ليست له ، فلما خرجا من عنده قال الحسن للفضل :
تعذب نفسك ثلاثين سنة من ذي قبل بالصيانة والمروة وطلب الادب ومثل هذا
يلبي الاعمال . فقال له الفضل : لو حمل هذا على الصلاح وضرب استه بالدرة
خرج منه عون صدق ، ان الناس جميعاً لو حملوا على صلاح صلحوا ولكنهم
يؤتون من قلة التفقد والترك بغير أدب .

وحكي ان الفضل ولي انساناً شيئاً فأساء فيه فأمر بحمله فضرب استه بالدرة
ثم قال له : ادبتك بهذا فان صلحت والا اطرحنك .

هذا ، وفيه أمر الرشيد لحمدونة باقطاع غلّة مائة الف درهم وألف ألف
درهم صلّة ، فصار كاتبها بالتوقيع الى ديوان الضياع ففارقهم على بردافعهم
عنه ولم يف لهم بحمله ، فزاد بعضهم في التوقيع عند موضع الواو من « وألف
ألف درهم » ألفاً فصارت « أو الف ألف درهم » فذكر الكاتب ذلك لحمدونة
فشكته الى الرشيد فقال لها : أحسب ان كاتب هذا لجاهل لم يبر الكتاب -
واعاد التوقيع وامرها أن ترضيهم .

وفيه دخل الرشيد على ام جعفر فقال لها : قد تهتك كاتب سعدان فاعزليه .
قالت : وبأي شيء تهتك . قال : بالمرافق والرشا حتى قال فيه الشاعر :

صب في قنديل سعد مع النسليم زيتا وقنديل بنيه قبل أن تحفى الكميّتا

قالت : وقال الشاعر في كاتبك ابي صالح أشنع . قال : وما قال ؟ قالت :

قال :

قنديل سعد على ضوئه خرج لقنديل ابي صالح

تراه في مجلسه أخصاً من لمحّه للدرهم اللائح

فقال لها : كذب علي كاتبى وكاتبك .

وقيل : انها قالت هذا الشعر في تلك الساعة .

(ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات) كالحدادين والصفارين والصائغين والنساجين والخياطين والندافين وغيرهم (وأوص بهم خيراً المقيم منهم والمضطرب بماله) وأصل المضطرب المضطرب فقلب التاء طاء كما هو القاعدة في الافتعال من مثله ، والمراد منه الضرب في الأرض بماله ، ولذا جعل مقابل المقيم ، ومنه مال المضاربة .

(والمترفق ببذنه) كعملة البناء الذين يحصلون ببذنههم مرافق الانسان في سكناه ، وقال تعالى في الجنة والنار «وحسنت مرتفقاً» «وسائت مرتفقاً» .

(فانهم) أي التجار و ذوي الصناعات والمترفقين بأبدانهم (مواد المنافع وأسباب المرافق) وقال تعالى حاكياً عن اهل الكهف « فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقاً» .

في الكافي عنه عليه السلام : ان الله تعالى يحب المحترف الامين .

وان سدير الصيرفي قال للباقر عليه السلام : بلغني أن الحسن البصري كان يقول لو غلى دماغه من حر الشمس ما استظل بحائط صيرفي ، ولو تفرث كبده عطشاً لم يستسق ماء من دار صيرفي - واني الصرف عملي وتجارتي وفيه نبت لحمي ودمي ومنه حجتي وعمرتي . فقال عليه السلام : كذب الحسن خذ سواء واعط سواء ، فاذا حضرت الصلاة فدع ما بيدك وانهض الى الصلاة ، أما علمت أن أصحاب الكهف كانوا صيارفة .

وعن الصادق عليه السلام : التجارة تزيد في العقل ، وتسعة أعشار الرزق في التجارة .

(وجلابها) أي جلاب المرافق (من المباعد) جمع المبعد المكان البعيد (والمطارح) جمع المطرح ، والاصل فيه المكان الخفض ، وهو كناية عن المكان الصعب ويمبر عنه في الفارسية بقولهم «پرتگاه» وقال ذو الرمة :

الما بمي قبل أن تطرح النوى بنا مطرحاً أو قبل بين يزيها
(في برك وبحرك) في الخبر ان معلى بن خنيس سأل الصادق عليه السلام
عن سفر البحر فقال : كان ابى يقول انه يضربدينك هوذا الناس يصيبون أرزاقهم
ومعيشتهم .

(وسهلك وجبلك) وفي الخبر : ان رجلا قال للباقر عليه السلام : انا نتجر
الى هذه الجبال فنأتي منها على أمكنة لانقدر أن نصلي الا على الثلج . فقال :
ألا تكون مثل فلان يرضى بالدون ولا يطلب تجارة لا يستطيع أن يصلي الا
على الثلج .

(وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترؤن عليها) زاد في رواية التحف
«من بلاد أعدائك من أهل الصناعات التي أجرى الله الرفق منها على أيديهم ،
فاحفظ حرمتهم وآمن سبلهم وخذلهم بحقوقهم» .

قال ابن بطوطة في رحلته - والعهد عليه - وبين بلغاروأرض الظلمة أربعون
يوماً والسفر اليها لا يكون الا في عجالات صغار تجرها كلاب كبار ، فان تلك
المفازة فيها الجليد فلا يثبت قدم الادمي ولا حافر الدابة فيها و الكلاب لها
الاذفار فتثبت أقدامها في الجليد ، ولا يدخلها الا الاقوياء من التجار الذين يكون
لأحدهم مائة عجلة أو نحوها موفرة بطعامه وشرابه وحطبه فانها لاشجر فيها ولا
حجر ولا مدر ، والدليل بتلك الارض هو الكلب الذي قد سار فيها مراراً كثيرة ،
وتنتهى قيمته الى ألف دينار ونحوها ، وتربط العربية الى عنقه ويقرن معه ثلاثة
من الكلاب و يكون هو المقدم و تتبعه سائر الكلاب بالعربات ، فاذا وقف
وقفت ، وهذا الكلب لا يضربه صاحبه ولا ينهره واذا حضر الطعام أطعم الكلاب
أولا قبل بني آدم والا غضب الكلب وفر وترك صاحبه للتلف .

فاذا كملت للمسافرين بهذه الفلاة أربعون مرحلة نزلوا عند الظلمة وترك

كل واحد منهم ما جاء به من المتاع هنالك وعادوا الى منزلهم المعتاد ، فاذا كان من الغد عادوا لتفقد متاعهم ، فيجدون بأزائفة من السمور و السنجاب والقاقم ، فان رضي صاحب المتاع ما وجده أزاء متاعه أخذه وان لم يرضه تركه فيزيدونه وربما رفعوا - أي أهل الظلمة - متاعهم وتركوا متاع التجار وهكذا بيعهم وشراؤهم ولا يعلم الذين يتوجهون الى هنالك من يبيعهم ويشاريهم أمن الجن هو أم من الانس ولا يرون احداً . والقاقم هو أحسن انواع الفراء وتساوي الفروة منهم ببلاد الهند ألف دينار، وصر فيها من ذهبنا مائتان وخمسون، وهي شديدة البياض من جلد حيوان صغير في طول الشبر وذنبه طويل يتركونه في الفروة على حاله . والسمور دون ذلك تساوي الفروة منه اربعمائة دينار فما فوقها، ومن خاصية هذه الجلود أنه لا يدخلها القمل، وأمرء الصين وكبارها يجعلون منه الجلد الواحد متصلًا بفرواتهم عند العنق وكذلك تجار فارس والعراقيين .

(فانهم سلم لا تخاف بانقته) أي شره (وصلح لا تخشى غائلته) أي داهيته ومنكريته بخلاف سلم الدول وصلحهم فقد يتفق فيهما بائقة وغائلة .

(فتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي) أي جوانب (بلادك واعلم مع ذلك) أي مع ما يترتب على وجودهم من الفوائد (ان في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً) أي بخلاً (قبيحاً واحتكاراً) أي حبساً (للمنافع وتحكماً في البياعات) من دون رعاية ميزان للربح (وذلك باب مضرة للعامة) أي العموم (وعيب على السوالة) .

روى الكافي أن ابا عبد الله عليه السلام اعطى مولى له يقال له مصادف ألف دينار وقال له تجهز حتى تخرج الى مصرفان عيالي قد كثروا ، فتجهز بمتاع وخرج مع التجار الى مصر، فلما دنوا منها استقبلتهم قافلة خارجة منها، فسألوهم

عن المتاع الذي معهم ما حاله في المدينة - وكان متاع العامة - فأخبروهم أنه ليس بمصر منه شيء ، فتحالفوا على أن لا ينقصوا متاعهم من ربح الدينار ديناراً فلما انصرفوا دخل مصادف عليه عليه السلام ومعه كيسان في كل واحد ألف دينار، فقال له عليه السلام : هذا رأس المال وهذا الاخر ربح . فقال : ان هذا الربح كثير ولكن ما صنعتم في المتاع ، فحدثه كيف صنعوا وكيف تحالفوا ، فقال : سبحان الله تحلفون على قوم مسلمين ألا تبيعوهم الا بربح الدينار ديناراً . ثم أخذ أحد الكيسين وقال : هذا رأس مالي ولا حاجة لي في هذا الربح ، ثم قال : يا مصادف مجالدة السيوف أهون من طلب الحلال .

(فامنع من الاحتكار فان رسول الله «ص» منع منه) روى الكافي ان حكيم ابن حزام كان اذا دخل الطعام المدينة اشتراه كله ، فمر عليه النبي «ص» فقال له : اياك أن تحتكر . وقال «ص» الجالب مرزوق والمحتكر ملعون .

وروى عن الصادق عليه السلام : الحكرة في الخصب أربعون يوماً وفي الشدة ثلاثة أيام ، فما زاد على الأربعين في الخصب وعلى الثلاثة في الشدة فصاحبه ملعون . وليس الحكرة الا في الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسمن . في وزراء الجهشيارى : كان ابن مهران كاتب الخيزران يأمر الوكلاء والعمال الذين يعملون معه أن يكتبوا على الرشوم التي يرشمون بها الطعام «اللهم احفظ ممن يحفظه» .

(وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين العدل وأسعار لا تجحف) بتقديم الجيم أي لا تضر (بالفريقين من البائع والمبتاع) كلامه عليه السلام أعم من التقويم ، روى توحيد ابن بابويه ان النبي «ص» مر بالمحتكرين فأمر بحكرتهم أن تخرج الى بطون الاسواق وحيث تنظر الابصار اليها ، فقيل له «ص» : لوقومت عليهم فغضب حتى عرف في وجهه وقال : انا أقومت عليهم انما السعر الى الله عز وجل

يرفعه اذا شاء ويخفضه اذا شاء .

وقيل له «ص» : لو أسعرت لنا سعراً فان الأسعار تزيد وتنقص . فقال : ما كنت لالقي الله تعالى ببدعة لم يحدث لى فيها شيئاً ، فدعوا عباد الله يأكل بعضها من بعض .

وروى كافي الكليني ان الطعام نفذ على عهد النبي «ص» الا عند رجل ، فقال المسلمون له : مره بيعه . فقال له : يا فلان ان المسلمين ذكروا ان الطعام قد نفذ الا شيئاً عندك فأخرجه وبعه كيف شئت ولا تحبسه .

وروي ان يوسف لما صارت الاشياء له جعل الطعام فى بيوت وأمر بعض وكلائه فكان يقول بع بكذا والسعر قائم . فلما علم أنه يزيد في ذلك اليوم كره أن يجري الغلاء على لسانه ، فذهب الوكيل فجاء أول من اكنال فلما كان دون ماكان بالامس بمكيال قال : حسبك انما أردت بكذا وكذا ، فعلم الوكيل أنه قد غلا بمكيال ، ثم جاء آخر فقال له «كل لي» فكال فلما كان دون الذي كال للاول بمكيال قال له المشتري حسبك انما أردت بكذا وكذا ، فعلم الوكيل انه قد غلا بمكيال حتى صار الى واحد بواحد .

هذا ، وفصل الصدوق تفصيلاً فقال : الغلاء هو الزيادة فى أسعار الاشياء حتى يباع الشيء بأكثر مما كان يباع فى ذلك الموضع ، والرخص هو النقصان فى ذلك ، فما كان من الرخص والغلاء عن سعة الاشياء وقتها فان ذلك من الله تعالى يجب الرضا به والتسليم له ، وما كان من الغلاء والرخص مما يؤخذ به الناس لغير قلة الاشياء وكثرتها من غير رضى منهم به أو كان من جهة شراء واحد من الناس جميع طعام بلد فذلك من المسعر والمتعدي بشراء طعام المصر كما فعله حكيم بن حزام - الخ .

(فمن قارف) أي ارتكب (الحكرة بعد نهيك اياه فنكل به وعاقب في غير

اسراف) زاد في رواية التحف « فان رسول الله فعل ذلك » .

هذا ، وفي الطبري كان في عهد المنصور ولاة البريد في الافاق كلها يكتبون اليه كل يوم يسعر القمح والحبوب والادم و يسعر كل مأكول وبكل ما يقضى به القاضي في نواحيهم وبما يعمل به الوالي وبما يرد بيت المال من المال وكل حدث كانوا اذا صلوا المغرب يكتبون اليه بما كان في اليوم واذا صلوا الغداة يكتبون بما كان في كل ليلة ، فاذا وردت كتبهم فان رأى الاسعار على حالها أمسك وان تغير شيء منها عن حاله كتب الى الوالي والعامل هناك وسأل عن العلة التي نقلت ذلك عن سعره ، فاذا ورد الجواب بالعلة تلتف لذلك برفقه حتى يعود سعره الى حاله ، وان شك في شيء مما قضى به القاضي كتب اليه وسأل من يحضرته فان أنكر شيئاً كتب اليه يوبخه .

(ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لاحيلة لهم من المساكين والمحتاجين) فقد قال تعالى في وصف أهل الجحيم « ولا يحض على طعام المسكين » وقال في المكذبين بالدين « فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين » وحكى عن اهل سقر في علل انسلاهم فيها « وام نك نطعم المسكين » .
(وأهل البؤسى) وفي رواية التحف « وذوي البؤس » .

وعن الصادق عليه السلام : الفقير الذي لا يسأل ، والمسكين أجهد منه ،
والبائس أجهدهم .

(والزمنى) جمع الزمن ، وعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى « فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » البائس الفقير الزمن الذي لا يستطيع أن يخرج من زمانته .

(فان في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً) وقد قال تعالى « والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا

منها وأطعموا القانع والمعتر» والقانع الذي يقنع بمارزق ولا يعترى لك، قال:
وقالوا قد زهيت فقلت كلا ولكن أعزني القنوع
والمعتر الذي يعترض لك لتعطيه ولا يسأل .

(واحفظ لله ما استحفظك) أي طلب منك الحفظ (من حقوقهم) أي المساكين
ومن ذكر بعدهم ، وفي رواية التحف « من حقه فيهما » فيكون المعنى من حق
الله تعالى في القانع والمعتر، ومر قوله تعالى « وأطعموا القانع والمعتر» .

(واجعل لهم قسماً من بيت مالك) يمالك يمكن أن يراد به من بيت المال
الذي بيدك وقد فرض الله تعالى لهم سهماً في بيت المال ، فقال تعالى « انما
الصدقات للفقراء والمساكين » - الآية . ويمكن ان يراد به من مال شخصك .
وفي وزراء الجهشيارى : أنفذ ملك الروم رسولا الى المنصور فورد عليه
عند فسراغه من الجانبين من مدينة السلام ، وأمر المنصور عمارة بن حمزة أن
يركب معه الى المهدي وهو نازل بالرصافة ، فلما صار الى الجسر رأى رسول
الروم من عليه من الزمنى والسؤال ، فقال لترجمانه : قل لهذا - يعني عمارة -
اني أرى عندكم قسوماً يسألون وقد كان يجب على صاحبك أن يرحم هؤلاء
ويكفيهم مؤنتهم وعيالاتهم . فقال له عمارة : ان الاموال لاتسعهم ، ومضى الى
المهدي وعاد فخبّر المنصور بذلك فقال له : كذبت الاموال واسعة فأحضرني ،
فأحضر فقال له : بلغنى ما قلت لصاحبنا وما قال لك وكذب لان الاموال واسعة
ولكني أكره ان استأثر على أحد من رعيتى وأهل سلطاني بشيء من حظ أو فضل
في دنيا أو آخرة ، وأحب أن يشركونى في ثوابى السؤال والزمنى وان يسأواهم
من ذوات أيديهم ليكون ذلك نجاة لهم فى آخرتهم .

قلت : ولكن كما كذب عمارة كذب المنصور ، ولكن عذره فى عدم كفايته
لأؤلئك المساكين بخله الشديد ، ومن بخله أنه ولى رجلا - كما فى الطبرى -

باروسماً فلما انصرف أراد أن يتعلل عليه لئلا يعطيه شيئاً ، فقال له : أشركتك في أمانتي ووليتك شيئاً من فيء المسلمين فخنثه . فقال : أعينك بالله ماصحبنى من ذلك شيء الا درهم منه مثقال صررته في كمي اذا خرجت من عندك أكريت به بغلا الى عيالي فادخل بيتي ليس معي شيء لامن مال الله ولا من مالك . فقال له : ما أظنك الا صادقاً هلم درهما ، فأخذه منه فوضعه تحت لبدته فقال : ما مثلي ومثلك الا مجير أم عامر - وذكر قصة الضبع ومجيرها لئلا يعطيه شيئاً .

(وقسماً من غلات صوافي الاسلام في كل بلد) الظاهر أن المراد بها غلات الاراضي المفتوحة عنوة .

وفي رواية حماد « والارضون التي أخذت عنوة نخيل ورجال موقوفة متروكة في يدي من يعمرها على ما يصلحهم الوالي - الى أن قال بعد ذكر عشر الصدقات - ويؤخذ بعد ما بقي من العشر فيقسم بين الوالي وبين شركائه الذين هم عمال الارض واكرتها فيدفع اليهم أنصباؤهم على ما يصلحهم عليه ويؤخذ الباقي فيكون بعد ذلك أرزاق أعوانه على دين الله وفي مصلحة ما ينوبه من تقوية الاسلام في وجوه الجهاد وغير ذلك مما فيه مصلحة العامة ليس لنفسه من ذلك قليل ولا كثير » - الخبر .

وضبط « حد » فقال : صوافي الاسلام الارضون التي لم توجف عليها بخيل ولا ركاب كانت صافية للنبي « ص » فلما قبض صارت لفقراء المسلمين ولما يراه الامام من مصالح الاسلام ، كما انه خبط فقال : وانهم من الاصناف المذكورين في قوله تعالى « واعلموا انما غنمتم من شيء فان الله خمسته والرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين » الا أنه استند في مقاله الى فعال أئمته في تصرفهم لفدك والخمس باسم مصالح الاسلام ومصرف المساكين .

(فان للاقصى منهم) عن بلد الغلة (مثل الذي للادنى وكل) من الادنى

والأقصى (قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر) أي شدة المرح ، وفي رواية التحف « نظر» وهو الانسب (فانك لاتعذر بتضييعك التافه) أي الحقير اليسير (لاحكامك) بكسر الهمزة أي جعله محكماً (الكثير المهم فلا تشخص) أي لا تذهب (همك عنهم) فمن أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم (ولا تصعّر) أي لاتمل من الكبير (خدك لهم) وزاد في رواية التحف « وتواضع لله يرفعك و اخفض جناحك للضعفاء » .

(وتفقد أمور من لا يصل اليك منهم ممن تفتحهمه) أي تنظره نظر الهوان (العيون وتحقره الرجال) ويمكن أن يكون عند الله جليلاً (ففرغ لاؤلك ثقتك من أهل الخشية والتواضع) حتى يهتم في الفحص عنهم (فليرفع اليك أمورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار) أي تعمل معهم عملاً يكون عذرک بعده مقبولاً (الى الله) هكذا في المصرية وفيها سقط فزاد « حد » و « ثم » والمخطية بعد الجلالة « سبحانه » (يوم تلقاه) يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم (فان هؤلاء من بين الرعية) لضعفهم وعدم اكثراث الناس بهم (أحوج الى الانصاف من غيرهم) من الاقوياء (وكل) من الضعيف والقوي (فاعذر الى الله في تأدية حقه اليه) لوجوب أن يؤتى كل ذي حق حقه .

قال « حد » : كان بعض الاكاسرة يجلس للمظالم بنفسه ولا يثق الى غيره ويقعد بحيث يسمع الصوت ، فاذا معه أدخل المتظلم فأصيب بصمم في سمعه فنادى مناديه ان الملك يقول أيها الرعية ان أصبت بصمم في سمعي فلم أصب في بصري كل ذي ظلامة فليلبس ثوباً أحمر، ثم جلس لهم في بيت مستشرف . وكان لامير المؤمنين عليه السلام بيت سماه بيت القصص يلقي الناس فيه رفاعهم وكذلك فعل الواثق .

(وتعهد أهل اليتيم وذوي الرقة) أي الضعف ، قال الشاعر :

* ولم تلق في عظمها وهناً ولا رقفاً *

(ممن لاحيلة له ولا ينصب نفسه للمسألة) لانه ذل في الدنيا وحساب طويل في العقبى ، قال تعالى « للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافاً وما تنفقوا من خير فان الله به عليم » .

(وذلك على الولاة ثقيل) لتوليد الولاية فيهم كبراً (والحق كله ثقيل) كما أن الباطل كله خفيف (وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة) « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » .

(فصبروا) أي حملوا على الصبر (أنفسهم) وفي رواية التحف « نفوسهم » وهو أقرب (ووثقوا بصدق موعود الله لهم) وفي رواية التحف « لمن صبر واحتسب » وهو أنسب ، وزادت تلك الرواية « فكن منهم واستعن بالله »

(واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم شخصك) زاد في رواية التحف « وذهنك من كل شغل ثم تأذن لهم عليك » .

في وزراء الجهشيارى : قال علي بن الجنيد كانت بينى وبين يحيى البرمكي مودة وأنس ، فكنت أعرض عليه الرقاع في الحوائج ، فكثرت رقاع الناس عندي واتصل شغله ، فقصدته يوماً وقلت له : ياسيدى قد كثرت الرقاع وامتلأ خفي وكمي فاما تطول بالنظر واما رددتها ، فقال لي : أقم عندي حتى أفعل ما سألت فأقمت عنده وجمعت الرقاع في خفي وأكلنا وغسلنا أيدينا وقمنا الى النوم واستحييت من اذكاره اياها لانني قد علمت أنا نقوم فنتشاغل بالشرب فنمت ودعا هو بالرقاع من خفي فوَقَّع في جميعها وردها اليه ونام وانتبه ودخلت اليه وهو في مجلس الشرب وقد أعدت آله فيه ، فلم استعجز ذكر الرقاع له وشربت وانصرفت بالعشي ، فبكرت الي أصحاب الرقاع لما وقفوا على اقامتي عنده فاعتذرت

اليهم وضاق صدري بهم ، فدعوت بالرقاع لاميها وأخفف منها ما ليس بهم
فوجدت التوقيع في جميعها فلم يكن لي هم إلا تفريقها والركوب اليه لشكره
فلما رأته قلت : قد تفضلت فلم لم تعرفني حتى يتكامل سروري . فقال : سبحان
الله أردت مني أن أمن عليك بأن أخبرك بما لم يكن يجوز أن يخفى عنك .
(وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك) وفي رواية التحف
« رفعتك » وهو الانسب بقوله « فتتواضع » .

وفي العقد : ذكر عن النجاشي أمير الحبشة انه أصبح يوماً جالساً على
الارض والتاج على رأسه ، فأعظم ذلك أسأفته فقال : اني وجدت فيما انزل تعالى
على عيسى « اذا أنعمت على عبدي نعمة فتواضع لي أتممها عليه » واني ولدلي
الليلة غلام فتواضعت لذلك شكراً لله تعالى .

(وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك) بالضم فالفتح جمع
شرطة ، قال الجوهري قال الاصمعي : سمي الجند شرطاً لانهم جعلوا لانفسهم
علامة يعرفون بها .

في عيون ابن قتبية : بينما المنصور يطوف ليلا اذ سمع قائلاً يقول « اللهم
اني أشكو اليك ظهور البغي والفساد وما يحول بين الحق وأهله من العدل » فخرج
المنصور وجلس ناحية من المسجد وأرسل الى الرجل يدعوه ، فأقبل فقال له :
ما الذي سمعتك تذكر ؟ قال : ان آمنتني على نفسي انبأتك بالامور من أصولها
فقال له : أنت آمن . فقال : ان الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر
من الفساد لانت . قال : ويحك وكيف ؟ قال : وهل دخل أحداً من الطمع ما
دخلك ، ان الله تعالى استرعاك المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم وأهممت
بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والاجر وأبواباً من
الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سترت نفسك فيها عنهم وبعثت عمالك في

في جباية الاموال وجمعها وقويتهم بالرجال والسلاح والكراع وأمرت ألا يدخل
 عليك الا فلان وفلان -- نفر سميتهم -- ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف
 ولا الجائع العاري ولا الضعيف الفقير ولا أحد الاونه في هذا المال حق ، فلما
 رآك هؤلاء نفر الذين استخلصتهم لنفسك تجبى الاموال وتجمعها ولا تقسمها
 قالوا : هذا خان الله فما بالننا لانخونه وقد سجن لنا نفسه ، فائتمروا أن لا يصل
 اليك من علم أخبار الناس الا شيء أرادوا ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم
 الا قصّوه عندك حتى يصغر قدره ، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس
 وهابوهم ، وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليقوا وبها على ظلم
 رعيتك ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظلم من دونهم
 فامتلاّت بلاد الله بالطمع بغياً وفساداً وصار هؤلاء القوم شركاؤك في سلطانك
 وأنت غافل ، فان جاء متظلم حيل بينه وبين دخول مدينتك فان أراد رفع قصة
 عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك وأوقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم
 فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك خبره سألوا صاحب المظالم الا يرفع مظلمته
 اليك لان المتظلم منه له بهم حرمة فأجابهم خوفاً منهم ، فلا يزال المظلوم يختلف
 اليه ويلوذ به ويشكو اليه ويعتل عليه ، فاذا أجهد وظهرت صرخ بين يديك
 فضرب ضرباً مبرحاً ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر ، فما بقاء الاسلام على هذا ،
 وقد كنت أسافر الى الصين فقدمتها مرة وقد أصيب ملكها بسمعه فبكى بكاءً
 شديداً فحشّه جلساؤه على الصبر فقال : أما انى لست أبكي للبلية النازلة بسى
 ولكني أبكى لمظلوم بالباب يصرخ ولا أسمع صوته . ثم قال : أما ان ذهب
 سمعي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس الا يلبس ثوباً أحمر الا متظلم . ثم
 كان يركب الفيل طرفي النهار ينظر هل يرى مظلوماً .
 الى أن قال : قال المنصور فكيف احتال لنفسي ؟ قال : ان للناس أعلاماً

يفزعون اليه في دينهم ويرضون به فاجعلهم بطانتك يرشدوك وشاورهم في أمرك يسدوك . قال : قد بعثت اليهم فهربوا مني . قال : خافوا أن تحملهم على طريقتك ولكن افتح بابك وسهل حجابك وانصر المظلوم واقمع الظالم وخذ الفىء والصدقات مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل على أهله وأنا الضامن عنهم أن يأتوك ويسعدوك على صلاح الامة . وعاد المنصور وطلب الرجل فلم يوجد . وفيه : كلم الاوزاعي أيضاً المنصور فقال له : انك قد أصبحت من هذه الخلافة بالذي أصبحت به والله سائلك عن صغيرها وكبيرها وفتيلها ونقيرها ، ولقد حدثني عروة بن رويم ان النبي «ص» قال : ما من راع بيت غاشأ لرعيته الا حرم الله عليه رائحة الجنة ، فحقيق على الوالي ان يكون لرعيته ناظراً ولما استطاع من عوراتهم ساتراً وبالقسط فيما بينهم قائماً لا يتخوف محسنهم منه رهاقاً ولا مسيئهم عدواناً ، وقد كانت بيد النبي «ص» جريدة يستاك بها ويردع عنه المنافقين ، فأتاه جبرئيل وقال : يا محمد ما هذه الجريدة بيدك أقدفها لاتملاقلوبهم رعباً . فكيف من سفك دمائهم وشفق أبشارهم وانهب أموالهم ، ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا الى القصاص من نفسه بخدش خدشه أعرابياً لم يتعهد فهبط جبرئيل وقال : يا محمد ان الله لم يبعثك جباراً تكسر قرون أمتك (حتى يتكلمك متكلمهم غير متعنع) أي متردد (فاني سمعت رسول الله «ص» يقول في غير موطن : قدس أمة لاتؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعنع) . روى المناقب عن الباقر عليه السلام قال : رجع أمير المؤمنين «ع» الى داره فى وقت القيظ فاذا امرأة قائمة تقول : ان زوجي ظلمني وأخافني وتعدى علي وحلف ليضربني . فقال : يا أمة الله اصبري حتى يبرد النهار ثم أذهب معك . فقالت يشتد غضبه علي ، فطأ رأسه ثم رفعه وهو يقول : أويؤخذ للمظلوم حقه غير متعنع ، أين منزلك . فمضى الى بابه فوقف فقال : السلام عليكم ، فخرج شاب

فقال «ع» له : يا عبد الله اتق الله فانك أخفتها وأخرجتها . فقال الفتى : وما أنت وذلك ، والله لاحرقنها لكلامك . فقال عليه السلام مسلماً سيفه : آمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر وتستقبلني بالمنكر وتنكر المعروف . وأقبل الناس من الطرق يقولون « السلام عليك يا امير المؤمنين » فسقط الرجل فى يده وقال : أفلني عثرتي يا امير المؤمنين فوالله لاكونن لها أرضاً تطأني ، فأغمد «ع» سيفه وقال يامة الله ادخلي الى منزلك ولا تلجىء زوجك الى مثل هذا .

وفي العقد : جلس المأمون للمظالم فكان آخر من تقدم اليه - وقد هم بالقيام - امرأة عليها هيئة السفر وعليها ثياب رثة فقالت :

تشكو اليك عميد القوم أرملة عدا عليها فلم يترك لها سبد
وابتزمني ضياعي بعد منعتها ظلماً وفرق مني الاهل والولد

فقال لها المأمون : فأين الخصم ؟ قالت : الواقف على رأسك - وأومات الى ابنه العباس - فقال : يا احمد بن ابي خالد خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم ، فجعل كلامها يعلو كلام العباس ، فقال لها احمد : انك بين يدي الخليفة وانك تكلمين الامير فاحفضي من صوتك . فقال له المأمون : دعها فان الحق أنطقها وأخرسه . ثم قضى لها برد ضيعتها اليها .

وفي الحلية عن الزهري قال سليمان بن عبد الملك لطاوس اليماني : لوما حدثتنا . فقال طاوس : حدثنى رجل من اصحاب النبى «ص» - قال الزهري ظننت انه أراد علياً - قال النبى «ص» : ان لكم على قريش حقاً ولهم على الناس حق ما استرحموا فرحموا واستحكموا فعدلوا واثتمنوا ، فأدوا فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً . فتغير وجه سليمان .

(ثم احتمل الخرق) بالضم فالسكون ضد الرفق ، وبفتحيتين الدهش من

الخوف أو الحياء (منهم والعي) أي العجز عن البيان ، وفي المثل «أعيبى من
باقل» قالوا اشترى عنزاً بأحد عشر درهماً فقالوا له : بكم اشتريته ، ففتح كفيه
وفرق أصابعه وأخرج لسانه .

في العقد : دخل الحارث بن مسكين على المأمون فقال له : أقول فيها كما
قال مالك بن انس لابيک هارون . فقال : لقد تيست فيها وتيس مالک . فقال
الحارث : فالسامع من التيسين . فتغير وجه المأمون وأيقن بالشر ولبس ثياب
اكفانه ثم دخل عليه فقربه فقال له : يا هذا ان الله قد أمر من هو خير منك بالانة
القول لمن هو شر مني في ارسال موسى وهارون الى فرعون فقال لهما «فقولا
له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى» قال : ابوء بالذنب . قال : عفا الله عنك ، انصرف
إذا شئت .

هذا ، وقالوا تقدمت امرأة الى عمر فقالت «يا أبا عمر حفص» أرادت ان
تقول «يا ابا حفص عمر» . فقال لها : أدهشت . فقالت : صلعت فرقك أرادت
ان تقول «فرقت صلعتك» .

وفي أخبار نحاتة السيرافي قال الكسائي : فزع أعرابي من الاسد فجعل يلود
والاسد من وراء عوسجه ، فجعل يقول «يعسجني بالخوتلة يبصرني لاجبسه»
أراد يختلني بالعوسجة يحسبني لأبصره .

(ونح) أي بعد (عنهم) هكذا في المصرية والصواب «عنك» كما في «حد»
و«ثم» والخطية (الضيق) أي ضيق الصدر (والأنف) أي الاستنكاف (يبسط الله
عليك بذلك أكتاف رحمة ويوجب لك ثواب طاعته) قال ابو العتاهية :

يامن تشرف بالدنيا وبالدين ليس التشرف رفع الطين بالطين

إذا أردت شريف الناس كلهم فانظر الى ملك في زي مسكين

وفي الجهشياري : كان في صحابة المهدي رجل يعرف بالثقيفي البصري

- وكان ابو عبيدالله وزيره له متثقلاً وكان محبباً لان يضع منه - فتكلم الثقفي يوماً فلحن ، فقال له ابو عبيدالله : أتجالس الخليفة بالملحون من الكلام ، أما كان يجب عليك أن تقوّم من لسانك . فقال له الثقفي : انما يحتاج الى استعمال الاعراب في جميع الكلام المعلمون لينفقوا عند من التمسهم لتعليم ولده - يعرض بأبي عبيدالله لانه كان معلماً من أول امره - فضحك المهدي حتى غطى وجهه .

(واعط ما أعطيت هنيئاً) أي ليكن عطاؤك هنيئاً لمن أعطيته بعدم المن عليه والاذى له وعدم كشفه للناس وعدم مطله .

قال ابو عبدالله عليه السلام : رأيت المعروف لا يصلح الا بثلاث خصال : تصغيره وتستيره وتعجيله ، فانك اذا صغرته عظمته عند من تصنعه اليه ، واذا سترته تممته ، واذا عجلته هنأته ، واذا كان غير ذلك سخفته ونكدته .

(وامنع في اجمال واعذار) عن ابي جعفر عليه السلام : كان فيما ناحى الله تعالى موسى : اكرم السائل ببذل يسير أو بررد جميل ، لانه يأتيك من ليس بانس ولاجان ملائكة من ملائكة الرحمن يبلونك فيما حولتك ويسألونك عما نولتك فانظر كيف أنت صانع يا ابن عمران .

وعن ابي عبدالله عليه السلام : مامنع النبي « ص » سائلان كان عنده اعطاه والا قال يأتي الله به .

(ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها منها اجابة عمالك بما يعيى) أي يعجز (عنه كتابك) في الجهشيارى : ورد على المنصور كتاب من محمد بن عبدالله بن الحسن أغلظ له فيه ، فقال له أبو ايوب : دعنى أجيبه . فقال له : ليس ذلك اليك اذا نحن تقارعنا عن الاحساب فدعني واياها .

وذكر الطبري جواب المنصور لكتابه وفيه : وزعمت انك لم تعرف فيك

أمهات الاولاد وما خيار بني أبيك خاصة وأهل الفضل منهم الا بنو أمهات اولاد
وما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله « ص » أفضل من علي بن الحسين وهولام
ولد ، وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي وجدته أم ولد ، ولا مثل ابنه
جعفر وجدته أم ولد - الى أن قال - ولقد طلب الامامة أبوك - أي علي - بكل
وجه فأخرجها - أي فاطمة بنت النبي «ص» نهاراً ومرّضها سرّاً ودفنها ليلاً فابى
الناس الا الشيخين - الخ .

(ومنها اصدار الناس يوم) هكذا في المصرية والصواب « عند » كما في
« حد » و « ثم » وانخطية .

(ورودها عليك بما تخرج) أي تضيق (به صدور أعوانك و امض لكل يوم
ما فيه) في العقد ذكر وان ملكاً من ملوك العجم كان معروفاً بحسن السياسة ، وكان
إذا أراد محاربة ملك من الملوك وجّه اليه من يبحث عن أخباره فيكشف عن
ثلاث خصال من حاله ، يقول لعيونه انظروا هل ترد على الملك أخبار رعيته
على حقائقها أم يخدع عنها ، والى الغنى في أي صنف من رعيته أفي من اشتد
أنفه وقل شرهه أم في من قل أنفه واشتد شرهه ، وانظروا في القوام بأمره أمن
نظر ليومه وغده أم من شغله يومه عن غده . فان قيل له لا يخدع عن أخباره والغنى
في من قل شرهه واشتد أنفه وقوام أمره من نظر ليومه وغده قال : اشتغلوا عنه
بغيره ، وان قيل له ضد ذلك قال نار كامنة تنتظر موقداً واضغان مزملة تنتظر مخرجاً
أقصدوا له فلاحين أحين من سلامة مع تضيق ولاعدو اعدى من أمن ادى الى
اعترار .

(واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت وأجزل) أي أكثر
(تلك الاقسام وان كانت كلها لله اذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية) .

في الخصال عن الصادق عليه السلام : مكتوب في حكمة آل داود « لا يظعن

الرجل الا في ثلاث : زاد لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أولذة في غير محرم .
(وليكن في خاصة ما تخلص به لله) هكذا في المصرية ووقع فيها تقديم
وتأخير فالصواب « لله به » كما في « حد » و « ثم » والخطية .

(دينك اقامة فرائضه التي هي له خاصة) فقالوا عليهم السلام : أعبد الناس من
أقام الفرائض (فاعط الله من يديك في ليلك ونهارك) زاد في رواية التحف « ما
يجب » وهو يجب .

(ووفّ ما تقربت به الى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم) من ثلم يثلم بالكسر ،
والثلمة الخلل (ولانقوص بالغاً من بدنك ما بلغ) وفي الخبر أسرق الناس من
سرق من صلاته .

(واذا قمت في صلاتك للناس) وفي رواية التحف « بالناس » وهو أصح
(فلاتكونن منفراً ولا مضيعاً) في الخبر: ينبغي للامام أن تكون صلاته على صلاة
أضعف من خلفه . وكان معاذ يؤم في مسجد على عهد النبي « ص » ويطيل القراءة
ومر به رجل فافتتح سورة طويلة فقرأ الرجل لنفسه وصلى ثم ركب راحلته ،
فبلغ ذلك النبي فبعث الى معاذ فقال له : اياك أن تكون فتاناً عليلاً « بالشمس
وضحها » وذواتها .

وكان النبي «ص» أمّ أصحابه يوماً فسمع بكاء صبي فخفف الصلاة .
(وقد سألت رسول الله « ص » حين وجهني الى اليمن كيف أصلي بهم فقال
صل بهم كصلاة أضعفهم) في خبر السكوني عنه عليه السلام قال : آخر ما فارقت
عليه حبيبي ان قال اذا صليت فصل صلاة أضعف من خلفك .

(وكن بالمؤمنين رحيماً) وفي رواية التحف « وكان بالمؤمنين رحيماً »
وهو لفظ القرآن في وصف النبي «ص» .

(وأما بعد) هكذا في المصرية والصواب من النهج « وأما بعد هذا » كما

يشهد به « حد » و « ثم » والخطية ، ثم الصواب من كلامه عليه السلام ما في رواية التحف « وبعد هذا » بدون « اما » لعدم المحل لها هنا (فلا تطولن احتجاجك عن رعبتك فان احتجاج الولاة شعبة من الضيق) وهو مذموم . وفي العقد قال بعضهم :

ما بال بابك محروساً ببواب يحميه من طارق يأتي ومنتاب
لاحتجب وجهك الممقوت من احد فالمقت يحجبه من غير حجاب
فاعزل عن الباب من قد ظل يحجبه فان وجهك طلسم على الباب
وفي العيون قال بعضهم :

مالي أرى أبوابهم مهجورة وكان بابك مجمع الاسواق
أرجوك أم خافوك أم شاموا الحيا لحراك فانتجعوا من الافاق

وفي المروج قال عبيد بن ابي المخارق : استعملني الحجاج على الفلوجة فقلت : أهنا دهقان يستعان بسرأيه ؟ فقالوا : جميل بن صهيب ، فأرسلت اليه فجاءني شيخ كبير قد سقط حاجباه على عينيه فقال : ما حاجتك ؟ قلت : استعملني الحجاج على الفلوجة ولا يؤمن شره فأشر علي . فقال له : أيما احب اليك رضى الحجاج أورشى بيت المال أورشى نفسك . قلت : ان أورشى كل هؤلاء وأخاف الحجاج فانه جبار عنيد . قال : فاحفظ عني أربع خلال : افتح بابك ولا يكن لك حاجب فيأتبك الرجل وهو على ثقة من لقائك وهو أبتدر أن يخاف عمالك وأطل الجلوس لاهل عملك فانه قل ما أطل عامل الجلوس الا هيب مكانه ، ولا يختلف حكمك بين الناس وليكن حكمك على الشريف والوضيع سواء فلا يطمع فيك أحد من أهل عملك ، ولا تقبل من أهل عملك هدية فان مهديها لا يرضى من ثوابها الا بأضعافها مع ما في ذلك من المقالة القبيحة ، ثم اسلخ ما بين أفتيتهم الى عجوب اذنا بهم فيرضوا عنك ولا يكون للحجاج عليك سبيل . (وقلة علم بالامور والاحتجاب منهم) وفي نسخة « ثم » عنهم (يقطع عنهم

علم ما احتجوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح .

في الجهشيارى : لما انصرف الفضل البرمكي من خراسان - وكان أزيل الجور وبنى الحياض والمساجد والرباط وأحرق دفاتر البقايا وزاد الجند والقواد ووصل الزوار والكتاب بعشرة ألف ألف درهم وأمر بهدم البيت المعروف بالنوبهار - وكان وثيقاً - فهدم منه قطعة وبنى فيها مسجداً ، تلقاه الرشيد ببستان ابي جعفر وجمع له الناس واكرم غاية الاكرام وأمر الشعراء بمدحه والخطباء بذكر فضله ، فكثرت المادحون له ، فأمر الفضل احمد بن سيار الجرجاني أن يميز أشعار الشعراء ويعطيهم على قدر استحقاقهم ، فمشى داود بن رزين ومسلم بن الوليد وأبان اللاحقي وأشجع السلمي وجماعة من الشعراء اليه فسألوه أن يضع من شعراى نواس ولا يلحقه بنظرائه منهم وتحملوا عليه بغالب بن السعدي وكان يتعشقه ، فلما عرض ابونواس شعره على الجرجاني رمى به وقال : هذا لا يستحق قائله درهمين ، فهجاه ابونواس وقال :

بما أهجوك لا أدرى لسانى فيك لا يجري
إذا فكرت في قدرك أشفقت على شعري

واتصل الخبر بالفضل فوصل أبا نواس وأرضاه وصرف الجرجاني عن تمييز الشعر .

وفيه لما انقضى امر البرامكة وحصل التدبير في يد الفضل بن الربيع قصد لخدمة الرشيد بحضرته وأضاع ما وراء بابه وصارت أمور البريد والاخبار مختلة كان مسرور الخادم يتقلد البريد والخرايط ويخلفه عليه ثابت الخادم وتوفي الرشيد وعندهم أربعة آلاف خريطة لم تفض .

(ويشابه) أي يمزج (الحق بالباطل وانما الوالي بشر لا يعرف ما تسوارى

عنه الناس به من الامور وليست على الحق) وفي رواية التحف « على القول »
(سمات) أي علامات (تعرف بها ضروب) أي أقسام (الصدق من الكذب) وفي
رواية التحف « يعرف بها الصدق من الكذب » .

(وانما أنت أحد رجلين اما امرؤ سخت) أي جادت (نفسك بالبذل في الحق
فقيم احتجاجك من واجب حق تعطيه أو فعل كريم) وفي رواية التحف « أو خلق
كريم » (تسديه) أي توضحه ، قال عمر بن ابي ربيعة :

لمن السديار كأنهن سطور تسدي معالمها الصبا وتسير
في العيون قال خالد بن عبدالله لحاجبه : لاتحجن عني أحداً اذا أخذت
مجلسي ، فان الوالي لا يحجب الا عن ثلاث: عي يكره أن يطلع عليه ، أوربية
أوبخل . فأخذ ذلك منه الوراق فقال :

اذا اعتصم الوالي باغلاق بابهِ ورد ذوي الحاجات دون حجابهِ
ظننت به احدي ثلاث وربما نزعتم بظن واقع بصوابهِ
فقلت به مس من العي ظاهر ففي أدته للناس اظهار ما به
فان لم يكن عي اللسان فغالب من البخل يحمي ماله عن طلابهِ
فالم يكن هذا ولاذا فسرية يصر عليها عند اغلاق بابهِ

هذا ، وفي تاريخ بغداد وقف شاعر بباب معن بن زائدة حولا لا يصل اليه
- وكان معن شديد الحجاب - فلما طال مقامه سأل الحاجب أن يوصل له رقعة
فأوصلها فاذا فيها :

اذا كان الجواد له حجاب فما فضل الجواد على البخيل
فألقي معن الرقعة الى كتابه وقال : أجيئوه عن بيته ، فخلطوا واكثروا ولم
يأتوا بمعني ، فأخذ الرقعة وكتب فيها :

اذا كان الجواد قليل مال ولم يعذر تعلق بالحجاب

فقال : أيؤيسني من معروفه ، ثم ارتحل فاتبعه معن بعشرة آلاف وقال :
هي لك عندنا في كل زورة .

(اومبتلى) وفي رواية التحف « وأما مبتلى » (بالمنع فما أسرع كف الناس
عن مسألتك اذا أيسوا بذلك) قال بعضهم :

اذا تغدى فسرّبوا به وارتد من غير يد بابه
ومات من شهوة ما يحتسى عياله طراً واصحابه

(مع ان اكثر حاجات الناس مما) هكذا في المصرية والصواب « ما » كما
في « حد » و« ثم » والخطية (لا مؤنة فيه عليك من شكاة) وفي رواية التحف
« من شكاية » (مظلمة أو طلب انصاف في معاملة) وفي رواية التحف بدل « في
معاملة » فانتفع بما وصفت لك .

في الطبري قال مسور بن مساور : ظلمني وكيّل للمهدي وغصبني ضيعة ،
فأتيت سلاماً صاحب المظالم فتظلمت منه وأعطيته رقعة مكتوبة ، فأوصل الرقعة
الى المهدي وعنده عمه العباس بن محمد وابن علاثة وعافية القاضي ، فقال له
المهدي : ادنه فدنوت فقال : ما تقول ؟ قلت : ظلمتني . قال : فترضى بأحد
هذين . قلت : نعم . قال : فدنوت منه حتى التزقت بالفراش قال : تكلم . قلت :
أصلح الله القاضي انه ظلمني في ضيعتي . فقال القاضي للمهدي : ما تقول ؟ قال :
ضيعتي وفي يدي . قلت : أصلح الله القاضي سله صارت الضيعة اليه قبل الخلافة
أوبعدها . فسأله فقال : صارت الي بعد الخلافة . قال : فأطلقها له . قال : قد
فعلت . فقال العباس عمه : والله لهذا المجلس أحب الي من عشرين ألف
درهم .

(ثم ان للوالي خاصة وبطانة فيهم استثناء) أي استبداد (وتطاول) أي تكبر
وعد نفسه أطول من الناس (وقلة انصاف في معاملة فاحسم) أي اقطع (مادة)

هكذا في المصرية والصواب « مؤنة » كما في « حد » و « ثم » والخطية (بقطع أسباب تلك الاحوال) وفي رواية التحف « تلك الاشياء » .

في العيون قال الحجاج : دلوني على رجل للشرط . فقيل : أي الرجال تريد ؟ فقال : أريده دائم العبوس طويل الجلوس سمين الامانة أعجف الخيانة لا يحقن في الحق على جره ويهون عليه سبال الاشراف في الشفاعة . فقيل له : عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمي ، فأرسل اليه يستعمله فقال له : لست أقبلها الا أن تكفيني عيالك وولدك وحاشيتك . قال : يا غلام ناد في الناس من طلب اليه منهم حاجة فقد برئت منه الذمة . قال الشعبي : فوالله ما رأيت مثله صاحب شرطة قط ، كان لا يحبس الا في دين ، وكان اذا أتى برجل قد نقب على قوم وضع منقبة في بطنه حتى تخرج من ظهره ، واذا أتى بنباش حفر له قبراً فدفنه فيه ، واذا أتى برجل قد أحرق على قوم منزلهم أحرقه ، واذا أتى برجل قاتل بحديدة أو شهر سلاحاً قطع يده ، فكان ربما اقام أربعين ليلة لا يؤتى اليه أحد ، فضم الحجاج اليه شرطة البصرة مع الكوفة .

(ولا تقطعن لاحد من حاشيتك) أي من في أطرافك (وحامتك) أي أودائك (قطيعة) أرض يقطعها له يكون غلتها له (ولا يطمعن منك في اعتقاد) أي عقد (عقدة) أي معاملة (تضربمن يلبها من الناس في شرب) أي سقي أرضهم (أو عمل مشترك) كنتنقية نهريكون مصرفها على جميع من يشرب أرضه من ذلك النهر (يحملون مؤنته على غيرهم فيكون مهنا ذلك) وعيشاً رغداً يحصل من محصوله (لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والاخرة) لانهم فعلوا ذلك بسלטانك .

(والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابراً محتسباً واقعاً ذلك من قرابتك وخواصك حيث وقع ، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك فان مغبة) أي عاقبة (ذلك محمودة) .

قال « حد » : روى جويرية بن أسماء عن اسماعيل بن ابي حكيم قال : قال عمر بن عبدالعزيز على المنبر: ان هؤلاء - يعني خلفاء بني أمية قبله - قد كانوا أعطونا عطايا ما كان ينبغي لنا أن نأخذها منهم وما كان ينبغي لهم أن يعطوناها ، واني قد رأيت الان انه ليس علي في ذلك دون الله حسيب وقد بدأت بنفسى والاقرين من أهل بيتى ، اقرأ يا مزاحم ، فجعل يقرأ كتاباً فيه الاقطاعات بالضياح والنواحي ثم يأخذه عمر بيده فيقصه بالجلم لم يزل كذلك حتى نودي بالظهر .

قال : وروى سهل بن يحيى المرزوي عن ابيه قال : لما دفن سليمان امر عمر بن عبدالعزيز بالستور فهتكت والثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت الى بيت المال ، ثم خرج ونادى مناديه من كانت له مظلمة على قريب أو بعيد من عمر بن عبدالعزيز فليحضر . فقام رجل ذمي من أهل حمص أبيض الرأس واللحية فقال : أسألك كتاب الله . فقال : ما شأنك . قال : العباس بن الوليد أغتصبني ضيعتي - والعباس جالس - فقال له : ما تقول يا عباس . قال : اقطعنيها الوليد وكتب لي بها سجلا . فقال عمر : ماتقول أنت أيها الذمي . قال : أسألك كتاب الله . فقال عمر بن عبدالعزيز : لعمرى ان كتاب الله لاحق أن يتبع من كتاب الوليد أردد عليه يا عباس ضيعته ، وجعل لا يدع شيئاً مما كان في أيدي أهل بيته من المظالم الا ردّها .

قال : وكتب عمر بن الوليد الى عمر بن عبدالعزيز لما أخذ بني مروان برد المظالم كتاباً أغلظ فيه - الى أن قال - فكتب في جوابه : أما أول أمرك يا ابن الوليد فان أمك بنانة أمة السكون كانت تطوف في أسواق حمص وتدخل حوانيتها ثم الله أعلم بها ، فاشترها ذبيان بن ذبيان من فيء المسلمين فأهداها الى أبيك فحملت بك فبئس الحامل وبئس المحمول ، ثم نشأت فكنت جباراً عنيداً

وتزعم أنني من الظالمين لأنني حرمتك وأهل بيتك فيء الله الذي حق القرابة
والمساكين والارامل ، وان أظلم مني واترك لعهدالله من استعملك صبيماً سفيهاً
على جندهالمسلمين تحكّم فيهم برأيك ولم يكن له نية في ذلك الاحب الوالد
ولده ، فويل لك وويل لايبك ما أكثر خصماً كما يوم القيامة ، وان أظلم مني
وأترك لعهدالله من استعمل الحجاج بن يوسف على خمسي العرب يسفك الدم
الحرام ويأخذ المال الحرام ، وان أظلم مني وأترك لعهدالله من استعمل قرّة بن
شريك أعرابياً جافياً على مصر واذن في المعازف والخمر والشرب واللهو ، وان
أظلم مني وأترك لعهدالله من استعمل عثمان بن حيان على الحجاز فينشد الاشعار
على منبر النبي « ص » ومن جعل للعالية البربرية سهماً في الخمس ، فرويداً يا
ابن نباته ولو التقت حلقة البطان ورد الفىء الى أهله لتفرغت لك ولاهل بيتك
فوضعتكم على المحجة البيضاء فطالما تركتم الحق وأخذتم في ثنيتا الطريق ،
ومن وراء هذا من الفضل مما أرجو أن أعمله بيع رقبتك وقسم ثمنك بين الارامل
واليتامى والمساكين ، فان لكل فيك حقاً ، والسلام علينا ولاينال سلام الله الظالمين
قال : وروى الاوزاعي أن عمر بن عبدالعزيز لما قطع عن اهل بيته ما كان
من قبل يعجرونه عليهم من أرزاق الخاصة تكلم في ذلك عنبسة بن سعيد وقال: ان
لنا قرابة . فقال له : ان يتسع مالي لكم وأما هذا المال فحقكم فيه كحق رجل
بأقصى برك العماد ولايمنعه من أخذه الا بعد مكانه ، والله اني لارى أموراً لو
استحالت حتى يصبح أهل الارض يرون مثل رأيكم لنزلت بهم بائة من عذاب الله
قال : وروى أيضاً ان عمر بن عبدالعزيز قال يوماً - وقد بلغه عن بني أمية
كلاماً أغضبه - ان الله في بني أمية يوماً - أو قال ذبحاً - والله لئن كان ذلك على
يدي لا عذرن الله فيهم . فلما بلغهم ذلك كفوا وكانوا يعلمون صرامته وانّه اذا
وقع في أمر مضى فيه .

قال : وروى نوفل بن الفرات ان بني مروان شكوا الى عاتكة بنت مروان - وكانت عظيمة عندهم - فقالوا انه يعيب أسلافنا ويأخذ أموالنا ، فذكرت له ذلك فقال : يا عمّة ان النبي « ص » قبض وترك الناس على نهر مورود ، فولى ذلك النهري بعده رجلاً لم يستخصا أنفسهما وأهلها منه بشيء ، ثم وليه ثالث فكري منه ساقية ثم لم تزل الناس يكرهون منه السواقي حتى تركوه يابساً لاقطرة فيه ، وأيم الله لئن أبقاني الله لاسكرن تلك السواقي حتى أعيد النهر الى مجراه الاول قلت : وكما رد عمر بن عبدالعزيز مظالم خلفاء بني أمية كذلك رد مظلمة أبي بكر وعمر في فدك ، روى الطبري - كما في خصال ابن بابويه - عن ابي صالح الكناني عن يحيى بن عبد الحميد الحمايني عن شريك عن هشام بن معاذ قال : كنت جليساً لعمر بن عبدالعزيز حين دخل المدينة ، فأمر مناديه من كانت له مظلمة او ظلمة فليأت الباب ، فأتى محمد بن علي فدخل اليه مولاه مزاحم فقال له ان محمد بن علي بالباب فقال أدخله ، فدخل وعمر يمسح دموعه ، فقال له : ما أبكاك ؟ فقال : أبكاه كذا وكذا يا بن رسول الله . فقال له محمد بن علي : انما الدنيا سوق من الاسواق منها خرج قوم بما ينفعهم ومنها خرج قوم بما يضرهم - الى أن قال - فأتق الله وافتح الابواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم ورد المظالم - الى أن قال - فدعا عمر بدواة وقرطاس وكتب « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما رد عمر بن عبدالعزيز ظلمة محمد بن علي فدك » .

وفي أوائل أبي هلال العسكري كما في الطرائف - ان أول من رد فدكاً على ورثة فاطمة عليها السلام عمر بن عبدالعزيز ، وكان معاوية أقطعها لمروان وعمر بن ابن عثمان ويزيد بن معاوية وجعلها بينهم أثلاثاً ثم قبضت فردها عليهم السفاح - الخ .

ثم انه كما كان المناسب هنا في شرح كلامه عليه السلام نقل ما فعل عمر بن

عبدالعزیز من رد مظالم بني أمية كذلك كان المناسب نقل اتیان عثمان بتلك
المظالم ، وقد صرح عمر بن عبدالعزیز بكون عثمان الاصل في خلفاء بني أمية -
في قوله في الخبر المتقدم « ثم وليه ثالث فكري منه ساقية ثم لم يزل الناس منه
يكررون حتى تركوه يابساً لاقطرة فيه » ، ومنها - كما في خلفاء ابن قتيبة - هبته
خمسة أفريقية لمروان ابن عمه، وبني سبع دورمتطاولة لامراته نائلة وبنته عائشة
وغيرهما من أهله وبناته ، وبني لمروان القصور بذي الخشب ، وحمى حول
المدينة لنفسه ، وأعطى - كما في معارف ابن قتيبة - عمه الحكم بن ابي العاص
الذي سيره النبي « ص » الى الطائف مائة ألف درهم ، واقطع مهزوراً - موضع
سوق المدينة الذي تصدق به النبي على المسلمين - عمه الحارث بن الحكم ،
وأعطى عبدالله بن خالد بن أسيد من بني عمه اربعمائة ألف درهم .

(وان ظنت الرعية بك حيفاً) اي جوراً (فأصحر) أي أظهر (لهم بعذرک
واعدل) أي ادفع (عنک ظنونهم باصحارك) البساء للسببية ، فمن جعل امره
مكشوفاً كالشيء الملقى بالصحراء لا يبقى مجال لان يظن به امر آخر (فان في
ذلك رياضة منك لنفسك ورفقاً برعيتك واعذاراً) هكذا في المصرية ، مع ان
النهج انما فيه « فان في ذلك اعذاراً» لخلو «حد» و«ثم» والخطبة وهي النسخ
الصحيحة من النهج عما بينهما من «رياضة» الى «و» ولكنه كلامه عليه السلام
كما رواه التحف، ولا بدانه كتب في أول نسخة الزيادة حاشية أخذاً من التحف
ثم خلطت بالمتن .

(تبلغ به) هكذا في المصرية والصواب « فيه » كما في « حد » و« ثم »
(حاجتك من) بيانية (تقويمهم) أي جعلهم مستقيماً على الحق، وزاد في التحف
« في خفض واجمال » وهو من تمام الكلام وقد خفي على النهج في روايته .
في الطبري : هلك يزد جرد الاثيم وابنه (بهرامجور) غائب عند المنذر

ملك الحيرة ، فتعاقد ناس من العظماء وأهل البيوتات أن لا يملكوا أحداً من ذرية يزدجرد لسوء سيرته وقالوا ان يزدجرد لم يخلف ولبدأ يحتمل الملك غير بهرام ولم يل بهرام ولاية قط يعرف بها حاله ولم يتأدب بأدب العجم وانما أدبه أدب العرب وخلقه كخلقهم لنشؤه بين أظهرهم ، واجتمعت كلمتهم وكلمة العامة على صرف الملك عن بهرام الى رجل من عترة أردشير بابك يقال له كسرى ولم يقيموا أن ملكوه ، فانتهى هلاك يزدجرد والذي كان من تمليكهم كسرى الى بهرام وهو ببادية العرب ، فدعا بالمنذر والنعمان ابنه وناس من علية العرب وقال لهم : اني لأحسبكم تجحدون خصيصي والذي كان أتاكم معشر العرب باحسانه وانعامه كان عليكم مع فظاظته وشدته كانت على الفرس ، وأخبرهم بالذي أتاه من نعي أبيه وتمليك الفرس من ملكوا عن تشاور منهم في ذلك ، فقال له المنذر : لايهولنك ذلك حتى أطف للحيلة فيه ، وان المنذر جهز عشرة آلاف رجل من فرسان العرب وجههم مع ابنه النعمان الى «طيسبون» و« به اردشير » سدينتي الملك وأمره أن يعسكر قريباً منهما ويد من ارسال طلائعه اليهما ، فأوفد من بالباب من العظماء وأهل البيوتات «جواني» - صاحب رسائل يزدجرد - الى المنذر في ابنه النعمان ، فلما ورد جراني على المنذر قال له : الق الملك بهرام ، فدخل عليه فراعه ما رأى من وسامته وبهائه وأغفل السجود له دهشاً ، فكلمه بهرام ووعد من نفسه أحسن الوعد وردده الى المنذر ، فقال له المنذر: انما وجه النعمان الى ناحيتكم ملك بهرام حيث ملكه الله بعد أبيه ، فلما سمع «جواني» مقالة المنذر وتذكر ما عاين رواء بهرام وهيبته وان جميع من شاور في صرف الملك عن بهرام مخصوص محجوج قال للمنذر : اني لست مخبراً جواباً ولكن سران رأيت الى محلة الملوك فيجتمع اليك من بها من العظماء وتشاوروا في ذلك فانهم لن يخالفوك في شيء مما تشير به .

وسار «جواني» واستعد المنذر بعده بيوم وسار بهرام في ثلاثين ألف رجل من العرب. وذوي النجدة منهم السى مدينتي الملك حتى اذا وردهما أمر فجمع الناس وجلس بهرام على منبر من ذهب مكلل بجوهر وجلس المنذر عن يمينه وتكلم عظمة الفرس وأهل البيوتات وفرشوا للمنذر بكلامهم فظاظة يزدجرد ابى بهرام وسوء سيرته وانه أخرب بسوء رأيه الارض واكثر القتل ظلماً حتى قد قتل الناس في البلاد التي يملكها وأموراً غير ذلك فظيعة وانهم انما تعاقدوا على صرف الملك عن لسد يزدجرد لذلك ، وسألوا المنذر الا يجبرهم في أمر الملك على ما يكرهونه .

فوعى المنذر ما بثوا من ذلك وقال لبهرام : أنت أولى باجابة القوم مني . فقال لهم بهرام : اني لست أكذبكم معشر المتكلمين في شىء مما نسبتهم الى يزدجرد لما استقر عندي من ذلك ، ولقد كنت زارياً عليه لسوء هديه ، ولم أزل أسأل الله ان يمن علي بالملك فأصلح كل ما افسد وأرأب ما صدع ، فان أتت لملكي سنة ولم أف لكم بهذه الامور التي عدت لكم تبرأت من الملك طائعاً وقد أشهدت بذلك علي الله وملائكته وموبدان موبذ وليكن هو فيها حكماً بيني وبينكم ، وانا مع الذي بينت لكم على ما أعلمكم من رضاي بتمليككم من تناول التاج والزينة من بين أسدين ضارين مشبلين فهو الملك .

فلما سمع القوم مقالة بهرام هذه وما وعد من نفسه استبشروا بذلك وانبسطت آمالهم وقالوا فيما بينهم انا لسنا نقدر على رد قول بهرام مع انا ان تممنا على صرف الملك عن بهرام نتخوف أن يكون في ذلك هلاكنا لكثرة من استمد واستجاش من العرب ، ولكننا نمتحنه بما عرض علينا مما لم يدعه اليه الاثقة بقوته وبطشه وجرأته ، فان يكن على ما وصف به نفسه فليس لنا رأي الا تسليم الملك اليه والسمع والطاعة له وان يهلك تعجزة فنحن من هلكته برئاء ولشره

وغائلته آمنون . وتفرقوا على هذا الرأي، فعاد بهرام وجلس كمجلسه الذي كان فيه بالامس وحضره من كان يحاده فقال لهم : اما أن تعجبوني فيما تكلمت أمس واما أن تسكتوا باخعين لي بالطاعة . فقال القوم : أما نحن فقد اخترنا لتدبير الملك كسرى ولم نرمه الا ما نحب ، ولكننا قد رضينا مع ذلك أن يوضع التاج والزينة كما ذكرت بين أسدين وتتنازعانها أنت وكسرى فأيكما تناولهما من بينهما سلمنا له الملك ، فرضي بهرام بمقاتلتهم وأتى بالتاج موبدان مؤيد الموكل بعقد التاج على رأس كل ملك يملك فوضعهما في ناحية وجاء بسطام أصهبه بأسدين ضارين مجوعين مشبلين ، فوقف أحدهما عن جانب الموضع الذي وضع فيه التاج والاخر بحذائه وأرخى وثاقهما، ثم قال بهرام لكسرى : دونك التاج والزينة . فقال كسرى : أنت أولى بالبدء وبتناولهما مني لانك تطلب الملك بورائه وأنا فيه مغتصب، فلم يكره بهرام قوله لثقتة ببطشه وقوته وحمل جرأاً وتوجه نحو التاج والزينة ، فقال له موبدان موبد : استماتت في هذا الامر الذي أقدمت عليه انما هو تطوع منك لاعن رأي أحد من الفرس ونحن برئاء الى الله من اتلافك نفسك . فقال له بهرام : أنتم من ذلك برئاء ولاوزر عليكم فيه .

ثم أسرع نحو الاسدين ، فلما رأى موبدان موبد جده في لقائهما هتف به بحذونك وتب الى الله منها ثم اقدم ان كنت لامحالة مقدماً ، فباح بهرام بما سلف من ذنوبه ثم مشى نحو الاسدين فبدر اليه أحدهما فلما دنى من بهرام وثب وثبة فعلا ظهره وعصر جنبى الاسد بفمخذيده عصراً أثخنه ، وجعل يضرب على رأسه بالجرز الذي كان حمل ، ثم شد الاسد الاخر عليه فقبض على أذنيه وعركهما بكفتي يديه فلم يزل يضرب رأسه برأس الاسد الذي كان راكمه حتى دمغهما ثم قتلها كليهما ، وكان ذلك من صنيعه بمرأى من كسرى ومن حضر ذلك المحفل

فتناول بهرام بعد ذلك التاج والزينة ، فكان كسرى أول من هتف به وقال : عمرك
الله بهرام ثم الذين حولسه قائلون نحن سامعون مطيعون ورزقت ملك أقاليم
السبعة ، ثم هتف به جميع من حضر قد أذعنا للملك بهرام ورضينا به ملكاً ،
واكثروا الدعاء له . ثم ان العظماء والوزراء لقوا المنذر بعد ذلك اليوم
وسألوه أن يكلم بهرام في التغمذ لاسائتهم في أمره والتجاوز عنهم ، فكلمه
المنذر في ذلك فأسعهف فيما سأل وبسط آمالهم ملك وهو ابن عشرين سنة .
(ولاندفعن صلحاً دعاك اليه عدوك والله) هكذا في المصرية والصواب «لله»
كما في «حد» و«ثم» (فيه رضى) انما شرط عليه السلام ذلك لان كل صلح لم
يكن لله فيه رضى .

ففى صفيين نصر: خرج رجل من أهل الشام ينادي بين الصفيين : يا أبا الحسن
ابرز لي ، فخرج عليه السلام اليه حتى اذا اختلفت أعناق دابتيهما بين الصفيين
فقال : يا علي ان لك قدماً في الاسلام وهجرة فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون
فيه حقن دماء وتأخير هذه الحروب حتى ترى من رأيك . فقال: وما ذاك؟ قال:
ترجع الى عراقك فنخلى بينك وبين العراق ونرجع الى الشام فتحلى بيننا وبين
شامنا فقال عليه السلام له : لقد عرفت أنك انما عرضت هذا نصيحة وشفقة ، ولقد
أهمنى هذا الامر وأسهرنى وضربت أنفه وعينه فلم أجد الا القتال أو الكفر بما
انزل على محمد «ص»، ان الله تعالى لم يرض من أوليائه أن يعصى في الارض
وهم ساكتون مذعنون لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، فوجدت
القتال أهون علي من معالجة الاغلال في جهنم . فرجع الشامي مسترجعاً .

وكذلك الصلح في المعاملات ، فقالوا : الصلح جائز بين المسلمين الا ما
أحل حراماً أو حرم حلالاً .

(فان في الصلح دعة) أي استراحة (لجنودك وراحة لهمومك وأمناً لبلادك)

في ديوان المعاني من أبلغ ما حذر به من الحرب قول بعض العجم «دافع
بالحرب ما أمكن ، فان النفقة في كل شيء من الاموال الا الحرب ، فان النفقة
فيها من الارواح» . وقال النابغة الجعدي :

وتسلب المال الذي كان ربهما ضنيناً بها والحرب فيها الحرائب
وقال جدل الطعان :

دعاني أشب الحرب بيني وبينه فقلت له لابل هلم السى السلم
وايساك والحرب التى لأديمها صحيح وما تنفك تأتي على الرغم
فان يظفر الحزب الذي أنت منهم وينقلبوا ملاً الاكف من الغنم
فلا بد من قتلى لعلك فيهم والا فجرح لا يكون على العظم
فلما ابنى خليت فضل رداؤه عليه فلم يرجع بحزم ولاعزم
وكان صريع الخيل أول وهلة فبعداً له مختار جهل على علم

في الطبري : سأل عمرو بن الليث الصفار السلطان أن يوليه ما وراء النهر
فولاه ووجه اليه - وهو مقيم بنيسابور - بالخلع واللواء على ما وراء النهر ،
فخرج لمحاربة اسمعيل الساماني ، فكتب اليه اسمعيل : انك وليت دنياً عريضة
وانما في يدي ما وراء النهر وأنا في ثغر فاقنع بما في يدك واتركني مقيماً في
هذا الثغر ، فأبى اجابته فذكر له شدة عبور نهر بلخ فقال : لو أشاء ان أسكره
بيدر الاموال وأعبره لفعلت . فلما أيس اسمعيل عبر النهر الى الجانب الغربي
وجاء عمرو فنزل بلخ وأخذ اسمعيل عليه النواحي فصار كالمحاصر وندم على
ما فعل وطلب المحاجزة فأبى عليه اسمعيل ، ولم يكن بينهما كثير قتال حتى هزم
ومر بأجمة في طريقه قيل له انها أقرب فقال لعامة من معه : أمضوا في الطريق
الواضح ، ومضى في نفر يسير فدخل الاجمة فوحلت دابته ومضى من معه ،
وجاء أصحاب اسمعيل فأخذوه أسيراً ، فلما ورد الخبر على المعتضد مدح اسمعيل

وذم عمراً .

(ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب) العدو
(ليتغفل) وبغدر بك (فخذ بالحزم) والاحتياط في امرك (واتهم في ذلك حسن
الظن) لانه يمكن أن يؤدي الى هلاكك . قال البحتري :

أوجلتني بعد أمن غرتي واغترار الامن يستدعي الوجلي

في الطبرى - في قصة محاربة نصر بن سيار والكرماني فيي خراسان أيام
خروج ابي مسلم : بعث ابو مسلم الى الكرماني - حين عظم الامر بينه وبين نصر -
اني معك ، فقبل الكرماني ذلك وانضم اليه ابو مسلم فاشتد ذلك على نصر ،
فأرسل الى الكرماني ويليك لاتغتر فوالله اني لخائف عليك وعلى أصحابك منه
ولكن هلم الى الموادة فندخل مرو ونكتب كتاباً بصلح - وهو يريد أن يفرق
بينه وبين أبى مسلم ، فدخل الكرماني منزله وأقام ابو مسلم في المعسكر وخرج
الكرماني حتى وقف في الرحبة في مائة فارس وعليه قرطق خشكشونة ، ثم
أرسل الى نصر اخرج لنكتب بيننا ذلك الكتاب ، فأبصر نصر منه غرة فوجه
اليه ابن الحارث بن سريج في نحو من ثلاثمائة فارس فالتقوا في الرحبة فقطع
في خاصرة الكرماني فخر عن دابته وحماه أصحابه حتى جاءهم مالا قبل لهم به
فقتل نصر الكرماني وصلبه .

وفي السير : حاصر قتيبة بن مسلم سمرقند أشهراً بعد فتح بخارى فلم يقدر
على فتحها ، فهياً صناديق وجعل لها أبواباً من أسافلها تغلق من داخل وتفتح ،
وجعل في كل صندوق رجلاً مستلثماً معه سيفه وأقفل أبوابها العليا ثم أرسل الى
دهقانها اني راحل عنك الى الصغانيين وناحيتهما ومعني فضول أموال وسلاح فوادعني
واحرز هذه الصناديق عندك الى عسودي ان سلمت ، فأجابه وتقدم قتيبة الى
الرجال أن يفتحوا في جوف الليل أبواب الصناديق فيخرجوا ثم يصبروا الى

باب المدينة فيفتحوه ، وأمر الدهقان بالصناديق فأدخلت المدينة ، فلما جن الليل
وهده الناس خرج الرجال بأيديهم السيوف لا يستقبلهم أحد الاقتلوه حتي أتوا
باب المدينة فقتلوا الحرس وفتحوا الباب ودخل قتيبة فصارت في يده .

وفي العيون : أوصى بعض الحكماء ملكاً فقال له : لا يكن العدو الذي قد
كشف لك عن عداوته بأخوف عندك من الظنين الذي يستتر لك بمخاتلته ، فانه
ربما تخوف الرجل السم الذي هو أقتل الاشياء ثم يقتله الماء الذي يحيى الاشياء
وربما تخوف أن يقتله الملوك التي تملكه ثم تقتله العبيد التي يملكها ، فلا تكن
للعدو الذي تناصب بأحذر منك للطعام الذي تأكل ، وانا لكل امر أخذت منه
نذيرك وان عظم آمن مني من كل أمر عريته من نذيرك وان صغر .

وفيه في سير العجم : ان فيروز بن يزدجرد بن بهرام لما ملك سار بجنوده
نحو خراسان ليغزو اخشنوار ملك الهياطلة ببلخ ، فلما انتهى الى بلاده اشتد رعب
اخشنوار فناظر أصحابه في أمره ، فقال له رجل منهم اعطني موثقاً وعهداً تطمئن
اليه نفسي أن تكفيني أهلي وولدي وتحسن اليهم وتخلفني فيهم ثم اقطع يدي
ورجلي والقنى على طريق فيروز حتى يمر بي هو وأصحابه فأكفيك مؤنتهم
وأورطهم مورطاً تكون فيه هلكتهم . فقال له اخشنوار: وما الذي تنتفع به من
سلامتنا وصلاح حالنا اذا أنت قد هلكت ولم تشر كنا في ذلك . قال : اني قد
بلغت ما كنت أحب أن أبلغه من الدنيا وأنا موقن بأن الموت لا بد منه فأحب ان
أختم عمري بأفضل ما تختم به الاعمار من النصيحة لاخواني والنكاية في عدوي
فيشرف بذلك عقبي وأصيب سعادة وحظوة فيما أمامي . ففعل به ذلك وأمر به
فألقي حيث وصف له ، فلما مر به فيروز سأله عن أمره ، فأخبره ان اخشنوار فعل
ذلك وقال له : اني احتلت حتى حملت الى هذا الموضع لادلك على عورته
وغرته ، اني أدلك على طريق هو أقرب من هذا الذي تريدون سلوكه وأخفى

فلا يشعر اخشنوار حتى تهجموا عليه فينتقم الله لي منه بكم فليس في هذا الطريق الا تفويز يومين ثم تفضون الى كل ما تحبون . فقبل فيروز قوله بعد ان أشار عليه وزراؤه بالاتهام له والحذر منه ، فخالفهم وسلك الطريق حتى انتهى بهم الى موضع من المغازة لاصدرعنه ، ثم بين لهم أمره فتفرقوا في المغازة يميناً وشمالاً يلتمسون الماء فقتل العطش أكثرهم ولم يخلص مع فيروز منهم الا عدة يسيرة فانهم انطلقوا معه حتى أشرفوا على أعدائهم وهم مستعدون لهم ، فواقعهم على تلك الحالة وعلى ما بهم من الضر والجهد فاستمكنوا منهم واعظموا النكايه فيهم (وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو البسته منك ذمة) أي عهداً (فحط) من حاط يحوط أي رعى (عهدك بالوفاء) « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ان الله يعلم ما تفعلون* ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكأاً تتخذون ايمانكم دخلاً بينكم ان تكون أمة هي أربى من أمة انما يبلوكم الله به » .

(وارع ذمتك بالامانة) وفي قصة فيروز واخشنوار المتقدمة - بعد ما مر - ثم رغب فيروز الى اخشنوار وسأله أن يمن عليه وعلى من بقي من أصحابه على أن يجعل لهم عهد الله وميثاقه الا يغزوه أبداً فيما يستقبل من عمره وعلى أنه يحد فيما بينه وبين مملكته حداً لا تجاوزه جنوده ، فرضي اخشنوار بذلك وخلي سبيله وانصرف الى مملكته ، فمكث فيروز برهة من دهره كثيراً ثم حملة الانف على أن يعود لغزوه ودعا أصحابه الى ذلك فردوه عنه وقالوا له : انك قد عاهدته ونحن نتخوف عليك عاقبة البغي والغدر مع ما في ذلك من العار وسوء المقالة . فقال لهم : اني انما شرطت الا أجوز الحجر الذي جعلته بيني وبينه فأنا آمر بالحجر ليحمل على عجلة أمامنا . فقالوا له : أيها الملك ان العهود والمواثيق التي يتعاطاها الناس بينهم لا تحمل على ما يسر المعطي لها ولكن على ما يعلن

المعطي ، وانك انما جعلت له عهد الله وميثاقه على الامر الذي عرفه لاعلى أمر لم يخطر بباله ، فأبى فيروز ومضى في غزاته حتى انتهى الى الهياطلة وتصاف الفريقان للقتال ، فأرسل اخشنوار الى فيروز يسأله أن يبرز فيمابين صفيهم ليكلمه فخرج اليه فقال له اخشنوار: أظن انه لم يدعك الى غزونا الا الانف مما أصابك ولعمري لئن كنا احتلنا لك بما رأيت لقد كنت التمتست منا أعظم منه وما ابتدأناك ببغي ولا ظلم ولا أردنا الا دفعك عن أنفسنا وعن حريمنا ، ولقد كنت جسديراً أن تكون من سوء مكافأتنا بمننا عليك وعلى من معك من نقض العهد والميثاق الذي وكدت على نفسك أعظم أنفأ مما نالك منا فاننا أطلقناكم واتم أسراء وحقنا دماءكم وبنا قدرة على سفكها ، وانا لم نجبرك على ما شرطت مع اني قد ظننت أنه يزيدك نجاحاً ماتق به من كثرة جنودك ، وما أشك ان اكثرهم كارهون لشخصك لعرفانهم أنك دعوتهم الى ما يسخط الله فانظروا قدر غناء من يقاتل على مثل هذه الحال وما عسى أن تبلغ نكايته في عدوه اذا كان عارفاً بأنه ان ظفر فمع عار وان قتل فالى النار- الى ان قال - فلما كان في اليوم الثاني أخرج اخشنوار الصحيفة التي كتبها لهم فيروز فرفعها على رمح لينظر اليها أهل عسكر فيروز فيعرفوا غدره ، فانتقض عسكر فيروز وما لبثوا الا يسيراً حتى انهزموا وقتل منهم خلق كثير وهلك فيروز ، فقال اخشنوار: لقد صدق الذي قال « لاراد لما قدر ولا أشد احالة لمنافع الرأي من الهوى واللجاج ولا أضيع من نصيحة تمنح من لا يوطن نفسه على قبولها ولا أسرع عقوبة وأسوء عاقبة من البغي والغدر ولا أجلب لعظيم العار والفضوح من افراط الفخر والانفة » .

(واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت) في الطبرى - بعد ذكر أن محمد بن الاشعث أعطى مسلم بن عقيل الامان وأتى به ابن زياد وأراد قتله - فقال مسلم: يا ابن الاشعث أما والله لولا أنك آمنتني ما استسلمت قم بسيفك دوني فقد

أخفرت ذمتك .

ورضي السموأل بقتل ابنه دون ان يؤدي الامانة الى غير أهلها .

(فانه ليس من فرائض الله شيء) وفي رواية التحف «شيء من فرائض الله»
(الناس أشد عليه اجتماعاً - مع تفرق اهوائهم وتشتت آرائهم - من تعظيم
الوفاء بالعهود) لانه من الواجبات التي يعتقد بها كل ملة ونحلة الموحد والملحد
والمسلم والكافر، وقد أكد فرضه الشريعة ، قال النبي «ص» بعثت الى السوفاء
بالعهد للبر والفاجر .

(وقد لزم ذلك المشركون في بينهم دون المسلمين) أي لا اختصاص بذلك
بالمسلمين (لما استولوا) أي عدوه وخيماً (من عواقب الغدر) .

في العقد قال مروان بن محمد لعبد الحميد الكاتب حين أيقن بزوال ملكه :
قد احتجت الى أن تصير مع عدوي وتظهر الغدري فان اعجابهم بأدبك وحاجتهم
الى كتابك تدعوهم الى حسن الظن بك ، فان استطعت أن تنفعي في حياتي
والا لم تعجز عن حفظ حرمتي بعد مماتي . فقال عبد الحميد : ان الذي أمرت
به أنفع الاشياء لك وأقبحها بي ، وما عندي غير الصبر معك حتى يفتح الله عليك
أو أقتل معك .

وقال المدائني : قتل عبد الملك عمرو بن سعيد بعد ما صالحه وكتب له كتاباً
وأشهد شهوداً ثم قال لرجل كان يستشيريه ويصدر عن رأيه اذا ضاق به الامر :
ما رأيك في الذي كان مني ؟ قال : أمر قذرات دركه . قال : لتقولن . قال :
حزم لو قتلته وحييت . قال : أولست بحي . فقال : من أوقف نفسه موقفاً لا يوثق
له بعهد ولا بعقد فليس بحي . قال : كلام لو سبق سماعه فعلي لامسكت .

وقال عمرو بن العلاء : كانت بنو سعد بن تميم أغدر العرب ، وكانوا يسمون
الغدري الجاهلية كيسان ، فقال فيهم الشاعر :

اذا كنت في سعد وخالك منهم غريباً فلا يعررك خالك من سعد
اذا ما دعوا كيسان كانت كهو لهم الى الغدر أدنى من شبابهم المرء
وكان المنصور غدر بـابن هبيرة وعمه عبدالله بن علي وأبى مسلم فأعطاهم
الامان ثم قتلهم ، فلما كتب الى محمد بن عبدالله بن الحسن كتاباً ذكر فيه اعطاءه
الامان أجابه محمد أي الامانات تعطينى أمان ابن هبيرة أم عمك أم ابى مسلم .
(فلا تغدرن بسدتمك ولا تخيسن) أي لا تنكثن (بعهدك ولا تختلن) أي لا
تخدعن (عدوك فانه لا يجترىء على الله) بنقض حرمة العهد (الاجاهل شقي)
في الخبر: من آمن رجلا على ذمة ثم قتله جاء يوم القيامة يحمل لواء غدر
(وقد جعل الله عهده وذمته أمناً افضاه) أي جعله فضاء واسعاً (بين العباد برحمته
وحرماً) أي شيئاً محترماً (يسكنون الى منعمته) بفتح النون (ويستفيضون) أي
ينتشرون (الى جواره) بالكسر مصدر جاور.

في المعجم عن سيف في فتح نيشابور: افتتحها المسلمون سنة (١٩) سنة
فتح نهاوند حاصروها مدة فلم يفجأهم الا وأبوابها تفتح وخرج السرح وفتحت
الاسواق وأنبث أهلها ، فأرسل المسلمون ان ما خبركم ؟ قالوا : انكم رميتم
الينا بالامان فقبلناه وأقررنا لكم بالجزاء على أن تمنعونا . فقالوا : ما فعلنا .
فقالوا : ما كذبنا ، فدأل المسلمون فيما بينهم فـإذا عبد يدعى مكتفأ كان أصله
منها هو الذي كتب لهم الامان ، فقال المسلمون : ان الذي كتب اليكم عبد .
قالوا : لا نعرف عبدكم من حر كم فقد جاء الامان ونحن عليه قد قبلناه فان
شئتم فاغدروا . فأمسكوا عنهم .

هذا ، وفي العقد كان الاسكندر لا يدخل مدينة الا هدمها وقتل أهلها حتى
مر بمدينة كان مؤدبه فيها فخرج اليه فأطلقه الاسكندر وأعظمه ، فقال له المؤدب:
ان أحق من زين لك أمرك وأعانك على كل ماهويت لانا وان أهل هذه المدينة

قد طمعوا فيك لمكاني منك فأحب ان لا تسعفني فيهم وان تخالفني في كل ما سألتك لهم ، فأعطاه من العهود على ذلك ما لا يقدر على الرجوع عنه ، فلما توثق منه قال : فان حاجتي اليك أن تهدمها وتقتل أهلها . قال : ليس الى ذلك سبيل ولا بد من مخالفتك .

(فلا ادغال) قال الجوهري : قد أدغل في الامر اذا ادخل فيه ما يخالفه ويفسده (ولا مدالسة) المدلس الظلمة ، والمدالسة ان يأتيك بالشىء فى الظلام ليخفى عليك العيب (ولاخداع فيه) الخداع مصدر خادعه اذا أراد به المكره من حيث لا يعلم .

في العقد : صالح سعيد بن العاص حصناً من حصون فارس على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً فقتلهم كلهم الا رجلاً واحداً .

وفي الطبري : بعث النبي « ص » خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً ومعه قبائل من العرب سليم ومدلج وقبائل من غيرهم ، فلما نزلوا على الغميصاء - ماء من مياه بني جذيمة - وكانوا قد أصابوا في الجاهلية عوفاً بأباعد الرحمن بن عوف والفاكهة بن المغيرة عم خالد - وكانا قد أقبلتا تاجرين من اليمن فلما نزلا بهن قتلوهما وأخذوا أموالهما - فلما رأى القوم خالداً أخذوا السلاح ، فقال لهم خالد : ضعوا السلاح فان الناس قد أسلموا - الى أن قال - فوضعوا القوم السلاح لقول خالد ، فلما وضعوه أمر بهم خالد عند ذلك فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم ، فلما انتهى الخبر الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفع يديه الى السماء ثم قال « اللهم انى ابرأ اليك مما صنع خاند » ، ثم دعا علياً عليه السلام فقال له : أخرج الى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك ، فخرج ومعه مال فودى لهم الدماء حتى أنه ليدي ميلغة الكلب - الخ .

وفي الطبري أيضاً : ان ابابكر كان من عهده الى جيوشه ان اذا غشيتم داراً من دور الناس فسمعتم اذاناً للصلاة فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم ما الذي نتموا وان لم تسمعوا اذاناً فشنوا الغارة واقتلوا واحرقوا، وكان ممن شهد لمالك ابن نويرة بالاسلام ابوقتادة السلمى، وقد كان عاهد الله أن لا يشهد مع خالد بعدها حرباً أبداً ، وكان يحدث أنهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل فأخذوا القوم السلاح، قال ابوقتادة. فقلنا انا المسلمون . فقالوا ونحن المسلمون . قلنا لهم: فما بال السلاح معكم . قالوا لنا : فما بال السلاح معكم . قلنا : فان كنتم كما تقولون فضعوا السلاح ، فوضعوها ثم صلينا وصلوا . وكان خالد يعتذر في قتله أنه قال وهو يراجع ما أخال صاحبكم الا وقد كان يقول كذا كذا قال أو ما تعده لك صاحباً ثم قدمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه ، فلما بلغ قتلهم عمر تكلم فيه عند أبى بكر فأكثر فقال عدو الله عدا على امرىء مسلم فقتله ثم نزا على امرأته - الى أن قال - فقال ابوبكر : خالد سيف سله الله لأشيمه .

وفي الطبري أيضاً : قتل الحجاج يوم الزاوية من وقائعه مع ابن الأشعث لما انهزموا أحد عشر ألفاً خدعهم بالامان أمر منادياً فنادى لأمان لفلان بن فلان وفلان بن فلان - فسمى رجالا - فقال العامة : قد آمن الناس فحصرواعنده فأمر بهم فقتلوا .

(ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحق فان صبرك على ضيق امر) هكذا في المصرية و«حد» وليس «امر» في «ثم» والخطية والظاهر كونه حاشية خلطت بالمتن فرواية التحف أيضاً منه خالية (ترجو انفراجه) قال الشاعر :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون ورائه فرج قريب
(وفضل عاقبته) بحصول ثواب كثير له، قال تعالى « انما يوقى الصابرون

أجرهم بغير حساب» (خير من غدر تخاف تبعته) من خصمك (وان تحيط بك من الله فيه) هكذا في المصرية والصواب « فيه من الله » كما في « حد » و « ثم » والخطية (طلبه فلاستقبل) جعله « ثم » بالموحدة قال وروى « تستقبل » بالمشناة (فيها دنياك ولا آخرتك) .

في الطبري في صلح الحديبية - بعثت قريش سهيل بن عمرو - أخابني عامر بن لؤى - الى النبي « ص » وقالوا له : ائت محمداً فصالحه ولا يكن في صلحه الا أن يرجع عنا عامة هذا - الى أن قال - فلما التأم الامر ولم يبق الا الكتاب وثب عمر فأتى ابا بكر فقال : أليس برسول الله . قال : بلى . قال : اولسنا بالمسلمين . قال : بلى . قال : أوليسوا بالمشركين . قال : بلى . قال : فعلى من نعطي الدنية في ديننا - الى أن قال - ثم اتى عمر النبي فقال له : ألسنت برسول الله ؟ قال : بلى . قال : اولسنا بالمسلمين . قال : بلى . قال : أوليسوا بالمشركين . قال : بلى . قال : فعلى من نعطي الدنية في ديننا . فقال النبي : انا عبد الله ورسوله لن أخالف أمر الله ولن يضيعني - الى أن قال - فقال النبي « ص » لعلي بن أبي طالب : اكتب « هذا ماصالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحنا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين بأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من اتى النبي من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع النبي لم ترده عليه ، وان بيننا عيبة مكفوفة ، وانه لا اسلال ولا اغلال ، وان من أحب أن يدخل في عقد النبي وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه » فتوالت خزاعة فقالوا : نحن في عقد النبي وعهده وتوالت بنو بكر فقالوا في عقد قريش وعهدهم - الى أن قال - قال الزهري : فما فتح في الاسلام فتح قبله كان أعظم منه ، انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وآمن الناس كلهم وآمن بعضهم بعضاً التقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة ،

فلم يكلم أحد بالاسلام يعقل شيئاً الادخل فيه ، فقد دخل في الاسلام في تينك
السنيتين مثل ما كان دخل في الاسلام قبل ذلك واكثر .

الى أن قال: فلما قدم النبي «ص» المدينة جاءه ابو بصير - رجل من قريش
وكان ممن حبس بمكة - فكتب فيه أزهري بن عبد عوف والخنس بن شريق
الثقفي وبعثا رجلا من بنى عامر بن لوى ومعه مولى لهم فقدا على النبي بكتاب
الازهر والخنس ، فقال النبي «ص» : يا أبا بصير قد اعطينا هؤلاء القوم ما قد
علمت ولا يصلح لنا في ديننا الغدروان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين
فرجاً ومخرجاً ، فانطلق معهما حتى اذا كان بندي الحليفة جلس الى جدار وجلس
معه صاحبه ، فقال ابو بصير : أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر ؟ قال : نعم .
قال : أنظر اليه . قال : ان شئت فاستله أبو بصير ثم علاه به فقتله . وخرج المولى
سريعاً حتى أتى النبي «ص» وهو في المسجد ، فلما رآه طالعاً قال : ان هذا
رجل قد رأى فرجاً ، فلما انتهى اليه قال له : ويلك مالك . قال : قتل صاحبكم
صاحبي ، فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً بالسيف حتى وقف على
النبي «ص» فقال : يا رسول الله وقت ذمتك رددتني اليهم ثم أنجاني الله . فقال
النبي : ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال ، فلما سمع ابو بصير ذلك علم أنه
سيرده اليهم ، فخرج حتى نزل بالعيص من ناحية ذي المروة على ساحل بحر
بطريق قريش الذي كانوا يأخذون الى الشام وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا
بمكة قول النبي «ص» لابي بصير «محش حرب لو كان معه رجال» ، فخرجوا
الى ابي بصير بالعيص ولحق به ابو جندل بن سهيل بن عمرو فاجتمع اليه قريباً
من سبعين رجلاً منهم ، فكانوا قد صيقوا على قريش فوالله ما يسمعون بعير خرجت
لقريش الى الشام الا اعترضوا لهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش
الى النبي «ص» يناشدونه بالله والرحم لما أرسل اليهم فمن أتاه فهو آمن ، فأواه

النبي فقدموا عليه المدينة .

(اياك والدماء وسفكها بغير حلها فانه ليس شيء أدنى) هكذا في المصرية والصواب «ادعى» كما في «حد» و«ثم» والخطية (لنقمة ولأعظم لتبعة ولأحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها) قال تعالى «ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدله عذاباً عظيماً» . وفي غريب ابن قتيبة قال علي عليه السلام «لما قتل ابن آدم أخاه غمص الله الخلق ونقص الاشياء» ومعنى الحديث أن الله تعالى نقص الخلق من عظم الابدان وطولها ومن القوة والبطش وطول العمر ونحو ذلك .

وعن الصادق عليه السلام : أوحى الله تعالى الى موسى قل للملأمن بني اسرائيل اياكم وقتل النفس الحرام بغير حق فان من قتل منكم نفساً في الدنيا قتله في النار مائة ألف قتلة مثل قتل صاحبه .

وعن الباقر عليه السلام في قوله تعالى «من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً» انه يوضع في موضع من جهنم اليه ينتهي شدة عذاب أهلها لو قتل الناس جميعاً كان انما يدخل ذلك المكان .

وعن احدهما عليهما السلام قيل للنبي «ص» قتيل في مسجد جهينة ، فقام يمشي حتى انتهى الى مسجدهم وتسامع الناس فأتوه ، فقال : من قتل ذا ؟ فقالوا لاندرى . فقال : والذي بعثني بالحق لو أن اهل السماوات والارض شركوا في دم مسلم أوردوا به لأكبهم الله على مناخرهم أوقال علي وجوههم .

وعن الصادق عليه السلام : في من قتل مؤمناً يقال له مت أي ميتة شئت يهودياً وان شئت نصرانياً وان شئت مجوسياً .

(والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تأسفوا من الدماء يوم القيامة)

عن الصادق عليه السلام : أول ما يحكم الله تعالى في القيامة الدماء فيقوم ابنا آدم فيفصل بينهما ، ثم الذين يلونهما من أصحاب الدماء حتى لا يبقى منهم أحد ، ثم الناس بعد ذلك ، فيأتي المقتول قاتله فيشخب دمه في وجهه فيقول : هذا قتلني . فيقول : أنت قتلته ، فلا يستطيع أن يكتم الله حديثاً .

(فلاتقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله) في المروج كان معاوية بعث في سنة أربعين بسربن ارطاة في ثلاثة آلاف رجل حتى قدم المدينة وعليها أبو ايوب الانصارى ، فتنحى وجاء بسر فصعد المنبر وتهدد أهل المدينة بالقتل فأجابوه الى بيعة معاوية ، ثم سار الى اليمن وكان عبيدالله بن العباس بها فخرج عنها وخلف ابنه عند أمهما ، فقتلها بسر وقتل معهما خالا لهما من ثقيف وقتل بالمدينة وبين المسجدين خلقاً كثيراً مسن خزاعة وغيرهم ، وكذلك بالجرف قتل بها خلقاً كثيراً من رجال همدان . وقتل بصنعاء خلقاً كثيراً من الابناء ولم يبلغه عن احد أنه يماليء علياً أو يهواه الا قتله . (ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمدة لان فيه قسود) بفتحيتين أي القصاص (البدن) قال تعالى «النفس بالنفس» وقال «ولكم في القصاص حياة» (وان ابتليت بخطأ وافرط عليك سوطك أو سيفك) هكذا في المصرية والكلمة «اوسيفك» زائدة لعدم وجودها في «حد» و«ثم» والخطية ، والظاهر أن الكلمة كانت حاشية زادها بعض المحشين اجتهاداً فخلطت بالمتن ، الا ان اجتهاده كان خطأ فاسيف لا يستعمل الا في العمدة دون الخطأ ، وليست الكلمة في رواية التحف ايضاً (أويدك بعقوبة فان في الوكزة) قال ابن دريد الوكز الضرب باليد وهي مجموعة (فما فوقها مقتلة) أي سبباً للقتل كما اتفق لموسى عليه السلام مع القبطي قال تعالى «فوكزه موسى فقضى عليه» .

(فلاتطمحن) أي لا ترفعن (بك نخوة) أي عظمة (سلطانك عن أن تؤدي الى

أولياء المقتول حقهم) من الدينة لان في مثله من قتل يحصل بسبب أفراط سوط
أويد في العقوبة - وهو الخطأ شبيه العمد - الدية على القاتل وانما الدية على
العاقلة في الخطأ المحض .

روى الكافي انه عليه السلام أمر قنبراً أن يضرب رجلاً حداً فغلط قنبر فزاده
ثلاثة أسواط فأقاده عليه السلام من قنبر ثلاثة أسواط .

وروى ان امرأة كانت تؤتى فبلغ ذلك عمر فبعث اليها فروعها وامر أن يجاء
بها اليه ، ففزعت المرأة فأخذها الطلق وذهبت الى بعض الدور فولدت غلاماً
فاستهل الغلام ثم مات ، فدخل عليه من روعة المرأة ومن موت الغلام ما شاء
الله ، فقال له بعض جنسائه : ما عليك من هذا شيء ، وقال بعضهم وما هذا ،
فقال عمر : سلوا أبا الحسن . فقال عليه السلام : ان كنتم اجتهدتم ما أصبتم وان
كنتم برأيكم قلتم لقد اخطأتم ، ثم قال لعمر عليك دية الصبي .

قال «حد» كلامه عليه السلام لمالك يدل على أن المؤدب من الولاية اذا تلف
تحت يده انسان في التأديب فعليه الدية ، وقال لي قوم من فقهاء الامامية ان
مذهبنا ان لادية عليه ، وهو خلاف مقتضى كلامه عليه السلام هنا .

قلت : فصل الشيخان في المقنعة والاستبصار بين حقوق الله وحقوق الناس
استناداً الى خبر الكافي عن ابن حنبل عن الصادق عليه السلام كان علي يقول :
من ضربناه حداً من حدود الله فمات فلا دية له علينا ، ومن ضربناه في حقوق
الناس فمات فان ديته علينا .

وكلامه عليه السلام هنا لمالك لا ينافي ذلك لان مورده التعدي لقوله
عليه السلام «وأفرط عليك سوطك أو يدك بعقوبة» ويمكن حمل خبر الكافي في
ضمان حقوق الناس أيضاً على التعدي لعدم تعيين الضرب فيه والافمن حقوق
الناس القصاص في غير النفس .

وفي خبر زيد الشحام عن الصادق عليه السلام في رجل قتله القصاص هل له دية؟ قال : لو كان ذلك لسم يقتص من احد .

وفي خبر الحلبي عنه عليه السلام أيضاً : من قتله الحد والقصاص فلا دية له .

(واياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها) في المروج قيل لقتيبة بن مسلم - وهو وال للحجاج على خراسان محارباً للترك لوجهت فلاناً - لرجل من أصحابه - أميراً على الجيش الى الحرب ، فقال : انه رجل عظيم الكبر ، ومن عظم كبره اشتد عجبه ، ومن أعجب برأيه لم يشاور كفيماً ولم يؤامر نصيحاً ، ومن تبجح بالاعجاب وفخر بالاستبداد كان من الصنع بعيداً ومن الخذلان قريباً ، ومن تكبر على عدوه حقره ، ومن حقره تهاون بأمره ، ومن تهاون بأمر عدوه وثق بقوته وسكن الى عدته فقل احتراسه وكثر عثاره ، وما رأيت عظيماً تكبر على صاحب حرب قط الا كان مخذولاً ، لا والله حتى يكون أسمع من فرس وأبصر من عقاب وأهدى من قطة وأحذر من ععق وأشد اقداماً من أسد وأوثب من فهد وأحقد من جمل وأروغ من ثعلب وأسخى من ديك وأشح من ظبي وأحرس من كركي وأحفظ من كلب وأصبر من ضب وأجمع من النمل ، وان النفس انما تسمح بالعناية على قدر الحاجة ويتحفظ على قدر الخوف ويطمع على قدر السبب ، وقد قيل : ليس لمعجب رأي ولا لمتكبر صديق ، ومن أحب أن يحجب تحجب .

وفي الطبري : كان يزدجرد الاثيم بن سابور ذي الاكفاف ذا عيوب كثيرة ، وكان من أشد عيوبه وأعظمها ذكاء ذهن وحسن أدب وصنوفاً من العلم قدمها وعلمها وشدة عجبه بما عنده من ذلك واستخفافه بكل ما كان في أيدي الناس من علم وأدب واحتقاره له وقلة اعتداده به واستطالته على الناس بما عنده منه .

(وحب الاطراء) أي مدح الناس له . في العقد قدم على عمر بن عبدالعزيز ناس من أهل العراق فنظر الى شاب منهم يتجوس للكلام ، فقال : أكبروا أكبروا . فقال الشاب : ليس بالسن ولو كان الامر كله بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك . فقال عمر : صدقت تكلم . فقال : انا لم نأتك رغبة ولا رهبة أما الرغبة فقد دخلت علينا منازلنا وقدمت علينا بلادنا ، وأما الرهبة فقد آمننا الله بعدلك من جورك . قال : فما أنتم . قال : وفد الشكر . فنظر محمد بن كعب القرظي الى وجه عمر يتهلل ، فقال له : لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك فان اناساً خدعهم الثناء وغرهم شكر الناس فهلكوا وأنا أعيدك بالله أن تكون منهم . فألقى عمر رأسه على صدره .

وقديطري أهل الدنيا من فوقهم بما يكون كفراً ، فقالوا كتب الحجاج الى عبد الملك : كما أن خليفة الرجل في أهله اكرم عليه من رسوله كذلك الخلفاء أعلا منزلة من المرسلين .

(فان ذلك من أوثق) أي احكم (فرص الشيطان في نفسه) قال ابوعبدالله عليه السلام قال ابليس لجنوده : اذا استمكننت من ابن آدم في ثلاث لم أبال ما عمل ، فانه غير مقبول منه اذا استكثر عمله ونسي ذنبه ودخله العجب .

جعل عليه السلام الاعجاب وحب الاطراء من أوثق فرصه ، لان فرصه كثيرة في اضلال ابن آدم . وفي الخبر: قال ابليس لنوح - بعد أن دعا على قومه - ارحتنى وانا أريد أن أكافئك على ذلك ، اذكرني في ثلاث مواطن : اذا غضبت واذا حكمت بين اثنين ، واذا كنت مع امرأة خالياً ليس معكما أحد .

أيضاً قال ابليس : ما أعيانني في ابن آدم فلن يعينني منه واحدة من ثلاث: أخذ مال من غير حله ، أو منعه من حقه ، أو وضعه في غير وجهه .

(ليمحق) أي يبطل (ما يكون من احسان المحسنين) هكذا في المصرية

والصواب « المحسن » كما في « حد » و « ثم » والخطية . وفي الخبر : سيئة
تسوؤك خير من حسنة تعجبك .

وفي تفسير القمى : لما كلم الله تعالى موسى وأنزل عليه الألواح رجع الى
بنى اسرائيل فصعد المنبر فأخبرهم ان الله كلمه وأنزل عليه التوراة ، ثم قال في
نفسه : ما خلق الله خلقاً هو أعلم مني . فأوحى تعالى الى جبرئيل ان أدرك موسى
فقد هلك وأعلمه أن عند ملتقى البحرين عند الصخرة الكبيرة رجلاً أعلم منك
فصر اليه وتعلم منه ، فنزل جبرئيل على موسى فأخبره بذلك - الخبر .

وفي عقاب الاعمال عن ابي جعفر عليه السلام : ان الله عزوجل فوض الامر
الى ملك من الملائكة فخلق سبع سماوات وسبع أرضين وأشياءهما ، فلما
رأى ان الاشياء قد انقادت له قال : من مثلي ، فارسل الله عزوجل نورية - نار
مثل أنملة - فاستقبلها بجميع ما خلق حتى وصلت اليه لما دخله العجب .

(واياك والمن على رعيتك باحسانك أوالتزيد) في الصحاح التزيد في
الحديث الكذب، وكان سعيد بن عثمان يلقب بالزوائد لانه كان له ثلاث بيضات
(فيما كان من فعلك او ان تعدهم فتتبع موعدهك بخلفك فان المن يبطل الاحسان)
كما يبطل الصدقات قال الشاعر :

أفسدت بالمن ما أسديت من حسن ليس الكريم اذا أسدى بممان

في العيون قال رجل لبنيه : اذا اتخذتم عند رجل يداً فانسوها .

وقال رجل لابن شبرمة : فعلت بفلان كذا وكذا وكذا . فقال له : لا خير

في المعروف اذا أحصى .

وقد وصف النابغة الاحسان مع المن بنعمة ذات عقارب ، فقال في عمرو

ابن الحدث الغساني :

علي لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

(والتزید یدهب بنور الحق) فكل باطل خلط مع الحق یدهب بالحق .
وكان الصادق علیه السلام یقول لطلاب العلم : لا تكونوا علماء جبارین
فیذهب باطلکم بحقکم .

(والخلف) للوعد (یوجب المقمت) أي المبعوضیة (عند الله والناس قال الله
تعالی) هكذا فی المصریة والصواب « سبحانه » كما فی « حد » و« ثم » والخطیة
(كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) وقبله « یا ایها الذین آمنوا لم تقولون
ما لا تفعلون » ، وقد اکتروا فی ذم الخلف فمنها :

یا أكثر الناس وعداً حشوه خلف وأكثر الناس قولاً حشوه كذب
أيضاً :

یا جواد اللسان من غیر فعل لیت جود اللسان فی راحتیکما
أيضاً :

قد بلوناك بحمد الله ان أغنى البلاء فاذا جل مواعيدك والجحد سواء
أيضاً :

لله درك من فتى لو كنت تفعل ما تقول
أيضاً :

لسانك أحلى من جنى النحل موعداً وكفك بالمعروف أضيق من الفعل
(وایاک والعجلة بالامور قبل أو انها) قال تعالی « خلق الانسان من عجل
سأریکم آیاتی فلا تستعجلون » وقال « ویدع الانسان بالشر دعائه بالخير وكان
الانسان عجولاً » .

(اوالتسقط) هكذا فی المصریة والصواب « أوالتساقط » كما فی « حد »
و« ثم » والخطیة (فیها عند امكانها) قال « حد » هو عبارة عن النهی عن الحرص
والجشع قال الشنفری :

وان مدت الايدي الى الزاد لم اكن بأعجلهم اذا جشع القوم اعجل

قلت : أين ما قال من مراده عليه السلام ، فان مراده النهي عن الاسترخاء
والبطؤ في الامور عند امكان دركها في مقابل العجلة بها قبل وقتها ، قال الشاعر :

فاذا أمكنت فبادر اليها حذراً من تعذر الامكان

(أواللجاجة فيها اذا تنكرت) قال الشاعر :

ورب ملح على بغية وفيها منيته لو شعر

قال آخر :

كناطح صخرة يوماً ليفلقها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

(أوالوهن عنها اذا استوضحت) وفي رواية التحف «أوضحت»، والفرق بين

هاتين الفقرتين واللتين قبلهما أن هاتين من حيث عرفان الامور ونكرها ووضوحها
ولبسها والاوليان من حيث بلوغ وقتها وعدمه .

(فضع كل أمر موضعه وأوقع كل امر) هكذا في المصرية والصواب «عمل»

كما في «حد» و«ثم» والخطية (موقعه) .

رأى دريد بن الصماء الخنساء بنت عمرو بن شريد تهنا الابل كما ينبغي

فقال فيها :

ما ان رأيت ولا سمعت به كاليوم هاني أينق جرب

مبتذلاً تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب

وقالوا : الحكمة وضع كل شيء موضعه ، والعقل هو الذي يضع الاشياء

مواضعها .

(واياك والاستثثار) أي الاستبداد (بما الناس فيه أسوة) أي سواء ، أي جعله

الله لعامة عباده كالكلاء ، وقد حمى عثمان الكلاء الذي حول المدينة نفسه وهو

أحد مطاعنه .

وفي خلفاء ابن قتيبة : اجتمع ناس من الصحابة فكتبوا كتاباً ذكروا فيه ما خالف عثمان من السنة - الى أن قال فيها - وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة . وقال : قال له رجل من المهاجرين يا عثمان أريت ما حميت من الحمى «الله أذن لكم أم على الله تفترون» .

هذا ، واستشهد «حد» لكلامه «واياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة» بأن النبي «ص» لما غنم من حنين غنائم ركب راحلته وسار فتبعه الناس يطلبون قسمتها فمر بشجرة فخطفت رداءه فالتفت اليهم وقال : ردوا علي ردائي فلو ملكت بعدد رمل تهامة مغنماً لقسمته بينكم ثم لا تجدونني بخيلاً ولا جباناً ونزل وقسم ذلك المال عن آخره عليهم كله لم يأخذ لنفسه وبرة - الخ .

وهو كما ترى لا ربط له ، فان الغنائم ليس الناس فيها أسوة بل خمس منها للنبي «ص» وأقربائه واربعة أخماس منها للمجاهدين ، والنبي ما استأثر على الناس بسهامهم بل آثرهم بسهم نفسه .

(والتغابي) أي التغافل وهو عطف على «الاستئثار» ، أي واياك والتغافل (عما يعنى) بلفظ المجهول (به) أي يهتم به (مما قد وضح للعيون فانه مأخوذ منك لغيرك) كما كان عثمان يعمل أقاربه أعمالاً شنيعة بمرأى ومسمع من الناس ويتغابي عنها .

وفي خلفاء ابن قتيبة - في كتاب جمع الصحابة فيه بدع عثمان - الى أن قال - وما كان من افشائه العمل والولايات في أهله وبني عمه من بني أمية أحداث وغلبة لاصحبه لهم من الرسول ولانجربة لهم بالامور وتركه المهاجرين والانصار لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم واستغنى برأيه عن رأيهم ، وما كان من الوليد بن عتبة بالكوفة اذ صلى بهم الصبح وهو أمير عليهم سكران أربع ركعات ثم قال ان شئتم أزيدكم ركعة زدتكم ، وتعطيله اقامة الحد عليه - الى أن قال -

ثم قام رجل من الانصار فقال : يا عثمان ما بال هؤلاء النفر من أهمل المدينة يأخذون العطايا ولا يغزون في سبيل الله وانما هذا المال لمن غزاهه وقاتل عليه - الى أن قال - فما بال هذا القاعد الشارب لاتقيم الحد عليه يعنى الوليد بن عقبة . (وعما قليل تنكشف) وفي رواية التحف «تكشف» وهو أصح (عنك أعطية الامور) «هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت» ، «يوم تبلى السرائر» .

(وينتصف منك للمظلوم) وفي رواية التحف «فينتصف المظلومون من الظالمين» وروايته اصح ، فقال عليه السلام ذلك عاماً كما في قوله تعالى «فاذا جائت الطامة الكبرى * يوم يتذكر الانسان ما سعى * وبرزت الجحيم لمن يرى * فأما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى * واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى» .

وكيف كان ففي الطبري : لما دخل المنصور آخر منزل نزله من طريق مكة نظر في صدر البيت الذي نزل فيه فاذا فيه مكتوب :

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت سنوك وأمر الله لا بد واقع

أبا جعفر هل كاهن أو منجم لك اليوم من حر المنية مانع

فدعا بالمتولي لاصلاح المنازل فقال : ألم آمرك الا يدخل المنزل أحد من الدعار . قال : والله ما دخلها أحد منذ فرغ منها . فقال : اقرأ ما في صدر البيت . قال ما أرى شيئاً . فدعا برئيس الحجبة فقال : اقرأ ما على صدر البيت فقال : ما أرى على صدر البيت شيئاً . فأملى البيتين فكتبا عنه ، فالتفت الى حاجبه فقال له اقرأ آية من كتاب الله جل وعز تشوقني الى الله عز وجل فتلا «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» فأمر بفكيه فوجئا وقال له ما وجدت شيئاً تقرأ غير هذه الآية . فقال : محي القرآن من قلبي غير هذه الآية . فأمر بالرحيل من ذلك المنزل تطيراً مما كان وركب فرساً ، فلما كان في الوادي الذي يقال له

«سقر» - وكان آخر منزل بطريق مكة - كبابه الفرس فدق ظهره ومات فدفن ببئر ميمون وحفر له مائة قبر وما دفن في كلها لئلا يعرف موضع قبره الذي هو ظاهر للناس ودفن في غيرها للخوف عليها ، وكذلك قبور خلفاء ولد العباس لا يعرف لاحد منهم قبر .

(أملك) في رواية التحف «ثم املك» (حمية أنفك) وفي الخبر المؤمن كالجمال الانف ، أي الموجه أنفه بالخزامة (وسورة) أي سطوة (حدك) أي بأسك ، وفي رواية التحف «حدتك» (وسطوة يدك) قال هو دلقومه «واذا بطشتم بطشتم جبارين» (وغرب) أي حدة (لسانك واحترس) أي احتفض (من كل ذلك) الاربعة المذكورة (بكف البادرة) ما تبدر عن الانسان عند حدثه (وتأخير السطوة) أي العقوبة (حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار) عن النبي «ص» ان الغضب جمرة توقد في جوف ابن آدم ، ألا تروا الى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه .

وقال «ص» : ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب . هذا ، وفي رواية التحف «وارفع بصرك الى السماء عندما يحضرك منه حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار» .

وقال «حد» : كان لكسرى أنوشروان من يقف على رأسه يوم جلوسه ، فاذا غضب على انسان قرع سلسلة تاجه بقضيب في يده وقال له انما أنت بشر فارحم من في الارض يرحمك من في السماء .

(ولن تحكم) من الاحكام (ذلك من نفسك حتى تكثر همومك) أي خيالاتك (بذكر المعاد) أي العود (الى ربك) .

في الطبري : سار الهادي بين أبيات جرجان وبساتينها ، فسمع صوتاً من بعض تلك البساتين من رجل يتغنى ، فقال لصاحب شرطته : علي بالرجل الساعة . فقال له سعيد بن مسلم : ما أشبه قصة هذا الحائن بقصة سليمان بن عبد

الملك. قال: وكيف؟ قال: كان سليمان في منتزه له ومعه حرمه فسمع من بستان آخر صوت رجل يتغنى فدعا صاحب شرطته فقال علي بصاحب الصوت ، فأتي به فلما مثل بين يديه قال له : ما حملك على الغناء وأنت الى جنبى ومعى حرمي ، أما علمت أن الرماك اذا سمع صوت الفحل حنت اليه ، يا غلام جيبه فجب الرجل ، فلما كان في العام المقبل رجع سليمان الى ذلك المنتزه فجلس مجلسه الذي فيه فذكر الرجل وما صنع به فقال لصاحب شرطته : علي بالرجل الذي كنا جيبناه ، فأحضره فلما مثل بين يديه قال له : اما بعث فوفيناك واما وهبت فكافأناك ، فوالله ما دعاء بالخلافة ولكنه قال له : يا سليمان الله الله قطعت نسلي فذهبت بساء وجهي وحرمتني لذتي ثم تقول «اما وهبت فكافأناك واما بعث فوفيناك» لا والله حتى نقف بين يدي الله . فقال الهادي : يا غلام رد صاحب الشرطة . فقال له : لا تتعرض للرجل .

(والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك) وفي رواية التحف «ان تتذكر ما كان من كل ما شاهدت منا» (من حكومة عادلة اوسنة فاضلة او اثر عن نبينا) وفي رواية التحف «عن نبيك» .

ومنه في الانساب قوله «ص» المولد للفراش وللعاهر الحجر .

وفي الطبري : كتب المهدي الى عماله ردوا نسب بني زياد الى عبيد لقد قال معاوية فيما يعلمه أهل الحفظ للاحاديث عند كلام نصر بن الحجاج السلمى ومن كان معه من موالي بنى مخزوم- وقد أعد لهم معاوية حجراً تحت بعض فرشه فألقاه اليهم فقالوا له يسوغ لك ما فعلت في زياد ولا تسوغ لنا ما فعلنا في صاحبنا فقال : قضاء النبي خير لكم من قضاء معاوية .

(أو فريضة في كتاب الله) فلا يجوز صرف الصدقات السى غير الاصناف الثمانية ، قال تعالى بعد عدها «فريضة من الله» .

(فتفتدى بما شاهدت مما عملنا به فيها) هذا يدل على أن عمل المتقدمين عليه لم يكن على مقتضى الشريعة وأما عمله عليه السلام فكان على حاق الحق ، وقد قال النبي «ص» في المتواتر عنه «علي على الحق يدور مداره» وقد أقر بذلك الثاني فقال في شوراها بأنه لو ولي الناس ليحملنهم على المحجة البيضاء فيحتج عليهم بالبرهان الذي ذكره القرآن «أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون» .

(وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت اليك في عهدي هذا واستوثقت به من المحجة لنفسي عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك الى «واها» هو كقوله تعالى «رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً» ، «ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين» .

وزاد في رواية التحف «فليس يعصم من سوء ولا يوفق للخير إلا الله جل ثناؤه وقد كان مما عهد الي رسول الله في وصايته تحضيضاً على الصلاة والزكاة فبذلك أختم لك ما عهدت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» .

(وانا اسأل الله) هكذا في المصرية وفيها سقط والاصل «ومن هذا العهد - وهو آخره - وانا اسأل الله» كما في «حد» و«ثم» وزاد الثاني «سبحانه» .

(بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة) دون خلقه (أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح اليه) باتقائه حسب الواسع كما قال عز وجل «فاتقوا الله ما استطعتم» (والى خلقه) باصلاح أمورهم بقدر الجهد كما حكى تعالى عن شعيب عليه السلام «ان أريد الاصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب» (مع حسن الثناء في العباد وجميل الاثر في البلاد) فكل منهما نعمة عظيمة والثاني عبادة معنوية أيضاً .

في الجهشياري كان جبرئيل بن بختيشوع صنيعة البرامكة ، وكان يقول للمأمون كثيراً هذه النعمة لم أفدها منك ولا من أبيك هذه أفدتها من يحيى بن خالد وولده . وفيه سارت الركبان في الافاق بغدرا الامين وبحسن سيرة المأمون ، فاستوحش الناس من الامين وانحرفوا عنه وسكنوا الى المأمون ومالوا اليه .
(وتمام النعمة وتضعيف الكرامة) قال حد «وتمام» معطوف على «ما» في قوله عليه السلام «لما فيه رضاه» .

قلت : بل معطوف على «حسن الثناء» كما هو واضح ، ولا يصح ما قال لانه يصير المعنى على ما قال «اسأل الله أن يوفقني لتمام النعمة وتضعيف الكرامة» ولا معنى له ، وتوجيهه بأن المراد للاعمال الصالحة التي يستوجبها بهاتعسف .
(وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة) استجيب دعاؤه عليه السلام للاشتر ففضى نجه مسموماً في طاعته عليه السلام وكفاه شرفاً وفضلاً .

وفي الطبري : لما انفضى أمر الحكومة كتب علي عليه السلام الى الاشتر - وهو يومئذ بنصيبين «أما بعد فانك ممن استظهر به على اقامة الدين وأقمع به نخوة الاثيم وأشد به الثغر المخوف ، وكنت وليت محمد بن ابي بكر مصر فخرجت عليه بها خوارج وهو غلام حدث ليس بذئ تجربة للحرب ولا بمجرب للاشياء ، فأقدم علي لننظر في ذلك فيما ينبغي واستخلف علي عمك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك» . فأقبل الاشتر حتى دخل عليه عليه السلام فحدثه حديث أهل مصر وقال له : ليس لها غيرك أخرج رحمك الله فاني ان لم أوصك اكتفيت برأيك واستعن بالله على ما أهمك ، فاختلط الشدة باللين وارفق ما كان الفرق أبلغ واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك الا الشدة . فخرج الاشتر من عنده فأتى رحله فتهياً للخروج الى مصر واتت معاوية عيونه فخبروه بولاية الاشتر ، فعظم ذلك عليه - وقد كان طمع في مصر - فعلم أن الاشتر ان قدمها كان أشد عليه

من محمد بن ابى بكر - فبعث الى «الجايستار» - رجل من أهل الخراج - فقال له : ان الاشر قد ولى مصرفان أنت كفيته لم آخذ منك خراج ما بقيت فاحتل له بما قدرت عليه ، فخرج الجايستار حتى أتى قلزم وأقام به وخرج الاشر من العراق الى مصر ، فلما انتهى الى القلزم استقبله الجايستار فقال : هذا منزل وهذا طعام وعلف وأنا رجل من أهل الخراج ، فنزل به الاشر فأتاه الدهقان بعلف وطعام حتى اذا طعمه أتاه بشربة من عسل قد جعل فيها سماً فسقاه اياه ، فلما شربها مات وأبل الذي سقاه الى معاوية فأخبره ، فقام معاوية خطيباً فقال : كانت لعلي بن ابى طالب يمينان قطعت أحدهما - يعني عماراً - يوم صفين وقطعت الاخرى - يعني أشتراً - اليوم .

(انا لله وانا اليه راجعون) هكذا في المصرية والصواب «راغبون» كما في «حد» و«ثم» والخطية بل في رواية التحف أيضاً .

(والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الطيبين الطاهرين وسلم تسليمًا كثيراً ، والسلام) هكذا في المصرية لكن «وسلم» الاولى و«السلام» في الاخر زائدتان قطعاً لعدم وجودهما في «حد» و«ثم» والخطية ، مع أن «وسلم» لا يصلح فصلها بين الموصوف والصفة وأما باقيها فاختلف «حد» و«ثم» على ما في النسخة فيهما ، ففي «حد» هكذا «والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين» وفي ثم «والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسليمًا كثيراً» ومثله الخطية ، وهو الصحيح من النهج لكون نسخة «ثم» بخط مصنفه ، وفي رواية التحف «والسلام على رسول الله وعلى آله الطيبين الطاهرين» . هذا ، ونقل «حد» بعد عهده عليه السلام هذا الى الاشر وصايا جمع من كبراء العرب كاوس بن حارثة والحارث بن كعب واكثم بن صيفي وقيس بسن عاصم وعمرو بن كلثوم وبزيد بن المهلب .

ونقل أيضاً وصية اردشير الى من بعده من الملوك فقال : قال في وصيته رشاد

الوالي خير للرعية من خصب الزمان ، والملك والدين توأمان لاقوام لاحدهما
الا بصاحبه ، فالدين أس الملك وعماده والملك حارس الدين ولا بد للملك
من أسه وللدين من حارسه فما للاحارس له فضايح ومالأس له فمهذوم . ان رأس
ما اخاف عليكم مبادرة السفلة ، اياكم الى دراسة الدين وتأويله والتفقه فيه
فيحملكم الثقة بقوة الملك على التهاون بهم فتحدث في الدين رياضات منتشرات
سراً فيمن قد وترتم وحرمتم وصغرتم من سفلة الناس والرعية وحشوا العامة ثم
لاتنشب تلك الرياضات أن تحدث خرقاً في الملك ووهناً في الدولة .

واعلموا أن سلطانكم على أجساد الرعية لاعلى قلوبها ، وان غلبتم الناس
مافي أيديهم فلاتغلبوهم على مافي قلوبهم وآرائهم ومكائدهم .

واعلموا أن العاقل المحروم سأل عليكم لسانه وهو أقطع سيفه ، وان أشد
ما يضربكم من لسانه على ما صرف الحيلة فيه الى الدين ، فكان للدين يحتاج
وللدين فيما يظهر يتعصب فيكون للدين بكاء واليه دعاء ، ثم هو أوجد للتابعين
والمصدقين لان تعصب الناس موكل بالملوك ورحمتهم ومحبتهم موكلة بالضعفاء
المغلوبين ، فاحذروا هذا المعنى كل الحذر .

واعلموا أنه ليس ينبغي للملك أن يعرف للعباد والنسك بأن يكونوا أولى
منه بالدين ولا أحذب عليه ولا أغضب له أن يخلي النسك والعباد من الامر والنهي
في نسكهم ودينهم ، فان خروج النسك وغيرهم من الامر والنهي عيب على
الملوك وعلى المملكة وثلمته بينة الضرر على الملك وعلى من بعده .

واعلموا أنه قدمضى قبلنا من أسلافنا ملوك كان الملك يتعهد الحماية بالتفتيش
والجماع بالتفصيل والفراغ بالاشتغال كتعده جسده بقص فضول الشعر والظفر
وغسل الدرر والغمص ومداواة مظهر من الادواء وما بطن ، وقد كان من
أولئك الملوك من صحة ملكه أحب اليه من صحة جسده ، فتتابعت تلك الاملاك

بذلك كأنهم ملك واحد وكان أرواحهم روح واحدة يمكن أولهم لآخرهم
ويصدق آخرهم أولهم يجتمع أبناء اسلافهم وموارث آرائهم وثمرات عقولهم
عند الباقي منهم بعدهم وكأنهم جلوس معه يحدثونه ويشاورونه ، حتى كان
على رأس دارين دارا ما كان من غلبة الاسكندر الرومي عليه وكان افساده أمرنا
وتفرقت جماعتنا وتخريبه عمران مملكتنا أبلغ له فيما أراد من سفك دمائنا ،
فلما أذن الله تعالى في إعادة أمرنا كان من بعثه ايانا ما كان ، وبالاختبار يتقى
العثار والتجارب الماضية دستور يرجع اليه في الحوادث الاتية .

واعلموا أن طباع الملوك على غير طباع الرعية والسوقة ، فان الملك
يطيف به العز والامن والسرور والقدرة والجرأة والعبث والبطر ، وكلما ازداد
في العمر تنفساً وفي الملك سلامة ازداد من هذه الطبائع حتى يسلمه ذلك الى
سكر السلطان الذي هو أشد من سكر الشراب ، فينسى النكبات والعثرات والغير
والدوائر وفحش تسلط الايام ولوم غلبة الدهر ، فيرسل يده بالفعل ولسانه بالقول ،
وعند حسن الظن بالايام تحدث الغير وتزول النعم ، وقد كان من أسلافنا وقدماء
ملوكنا من يذكره عزه الذل وأمنه الخوف وسروره الكآبة وقدرته المعجزة ،
وذلك هو الرجل الكامل قد جمع بهجة الملوك وفكرة السوقة ولا كمال الا
في جمعهما .

واعلموا أن كثيراً من وزراء الملوك من يحاول استبقاء دولته وأيامه بايقاع
الاضطراب والخبط في أطراف مملكته ليحتاج الملك الى رأيه وتدييره ، فاذا
عرفتم من وزير مسن وزرائكم ذلك فاعزلوه فانه يدخل الوهن والنقص على
الملك والرعية لصالح حال نفسه ولا تقوم نفسه بهذه النفوس كلها .

واعلموا أن بدء ذهاب الدولة ينشأ من قبل اهمال الرعية بغير اشغال معروفة
ولا اعمال معلومة ، فاذا نشأ الفراغ تولد منه النظر في الامور والفكر في الفروع
والاصول ، فاذا نظروا في ذلك نظروا فيه بطباع مختلفة فيختلف بهم المذاهب

ويتولد من اختلاف مذاهبهم تعاديبهم وتضاغنهم ، وهم مع اختلاف فهم هذا متفقون ومجتمعون على بغض الملوك ، فكل صنف منهم انما يجري الى فجعية الملك بملكه ، ولكنهم لا يجدون سناً الى ذلك أوثق من الدين والناموس ، ثم يتولد من تعاديبهم أن الملك لا يستطيع أن يجمعهم على هوى واحد ، فان انفرد باختصاص بعضهم صار عدو بقيتهم ، وفي طباع العامة استئقال الولاية وملاهم والنفاسة عليهم والحسد لهم ، وفي الرعية المحروم والمضروب والمقام عليهم الحدود ، ويتولد من كثرتهم مع عداوتهم أن يعجن الملك عن الاقدام عليهم ، فان في اقدام الملك على الرعية كلها كافة تغريراً بملكه ، ويتولد من جبن الملوك عن الرعية استعجالهم وهم أقوى عدوله وأخلقه بالنظر لانه حاضر مع الملك في دار ملكه ، فمن أفضى اليه الملك بعدي فلا يكونن باصلاح جسده أشد اهتماماً منه بهذه الحال ، ولا يكونن لشيء من الاشياء اكره وأمكر لرأس صار ذنباً وذنب صار رأساً ويد مشغولة صارت فارغة أوغني صار فقيراً أو عامل مصروف أو أمير معزول .

واعلموا أن سياسة الملك وحراسته ألا يكون ابن الكاتب الاكاتباً وابن الجندي الاجندياً وابن التاجر الا تاجراً وهكذا في جميع الطبقات ، فانه يتولد من تنقل الناس عن حالاتهم أن يلتمس كل امرئ منهم فوق مرتبته ، فاذا انتقل أو شك أن يرى شخصاً ارفع مما انتقل اليه فيحسده أو ينافسه وفي ذلك من الضرر المتولد ما لا يخفاء به ، فان عجز ملك منكم عن اصلاح رعيته كما أوصيناها فلا يكن لقميص القمل أسرع خلعاً منه لما لبس من قميص ذلك الملك .

واعلموا أنه ليس للملك أن يحلف لانه لا يقدر أحد على استكراهه ، وليس له أن يغضب لانه قادر والغضب لقاح الشر والندامة ، وليس له أن يعبت ويعيب لان اللعب والعبث من عمل الفراغ ، وليس له أن يفرغ لان الفراغ من أمر

السوقة ، وليس له أن يحسد أحداً الا على حسن التدبير، وليس له أن يخاف
لانه لا يد فوق يده .

واعلموا أنكم لن تقدروا أن تختموا أفواه الناس من الطعن والازراء عليكم
ولاقدرة لكم على أن تجعلوا القبيح من أفعالكم حسناً ، فاجتهدوا في أن تحسن
أفعالكم كلها والا تجعلوا المعامة الى الطعن عليكم سبيلا .

واعلموا أن لباس الملك ومطعمه مقارب للباس السوقة ومطعمهم ، وليس
فضل الملك على السوقة الا بقدرته على اقتناء المحامد واستفادة المكارم ، فان
الملك اذا شاء أحسن وليس كذلك السوقة .

واعلموا أن لكل ملك بطانة ولكل رجل من بطانته بطانة ، ثم لكل أمرىء
من بطانة البطانة بطانة حتى يجتمع من ذلك أهل المملكة ، فاذا أقام الملك
بطانته على حال الصواب أقام كل أمرىء منهم بطانته على مثل ذلك حتى يجتمع
على الصلاح عامة الرعية .

واعلموا أن في الرعية صنفاً أتوا الملوك من قبل النصائح له والتمسوا
اصلاح منازلهم بافساد منازل الناس ، فأولئك أعداء الناس وأعداء الملوك ،
ومن عادى الملوك والناس كلهم فقد عادى نفسه .

واعلموا أن الدهر حاملكم على طبقات ، فمنها حال السخاء حتى يدنو احدكم
من السرف ، ومنها حال التقدير حتى يدنو من البخل ، ومنها حال الاناة حتى
يدنو من البلاء ، ومنها حال انتهاز الفرصة حتى يدنو من الخفة ، ومنها حال
الطلاقة في اللسان حتى يدنو من الهذر، ومنها حال الاخذ بحكمة الصمت حتى
يدنو من العي، فالملك منكم جدير أن يبلغ من كل طبقة في محاسنها ، فاذا وقف
عليه الجم نفسه عما ورائها .

واعلموا أن ابن الملك وأخاه وابن عمه يقول «كدت ان أكون ملكاً وبالبحري

الا أموت حتى اكون ملكاً » فاذا قال ذلك قال ما لايسر الملك وان كتبه فالداء في كل مكتوم واذا تمنى ذلك جعل الفساد سلماً الى صلاح ولم يكن الفساد سلماً الى صلاح قط ، وقد رسمت لكم مثالا اجعلوا الملك لا ينبغي الا لابناء الملوك من بنات عمومتهم ولا يصلح من اولاد بنات العم الا كامل غير سخييف العقل ولا عازب الرأي ولاناقص الجوارح ولا مطعون عليه في الدين ، فانكم اذا فعلتم ذلك قلّ طلاب الملك واذا قلّ طلابه استراح كل امرىء الى ما يليه ونزع الى حد يليه وعرف حاله ورضي معيسته وطاب زمانه .

قلت : والانسب بعهدده عليه السلام الى الاشرعهد ذي اليمينين الى ابنه وان كان عهد أردشير أجمع عهد في سياسة الدولة . ففي الطبري : لما ولي المأمون عبدالله بن طاهر بن الحسين ديار ربيعة كتب له ابوه ذو اليمينين كتاباً نسخته : عليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته ومزايلة سخطه وحفظ رعيتك والزم ما ألبسك الله من العافية بالذكر لمعادك وأنت صائر اليه وموقوف عليه ومسؤل عنه ، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله وينجيك يوم القيامة من عذابه وأليم عقابه ، فان الله قد أحسن اليك وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك امرهم من عباده وألزمك العدل عليهم والقيام بحقه وحدوده فيهم والذب عنهم والدفع عن حريمهم وبيضتهم والحقن لدمائهم والامن لسبيلهم وادخال الراحة عليهم في معاشهم ، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك وموقفك عليه ومساثلك عنه ومثييك عليه بما قدمت وأخرت ، ففرغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورؤيتك ولا يذهلك عنه ذاهل ولا يشغلك عنه شاغل فانه رأس امرك وملاك شأنك وأول ما يوفقك الله لرشدك .

وليكن أول ما تلزم به نفسك وتنسب اليه فعائلتك المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك في مواقيتها على

سننهما في اسباغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله فيها وترتل في قرائتك وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ولتصدق فيها لربك نيتك واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك وادأب عليها فانها كما قال الله تعالى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

ثم اتبع ذلك الاخذ بسنن رسول الله «ص» والمثابرة على خلائقه واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده ، واذا ورد عليك أمر فاستعن بالله باستخارة الله وتقواه ولزوم ما أنزل الله في كتابه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه وايتمام ما جاءت به الاثار عن النبي «ص» ، ثم قم فيه بما يحق لله عليك ولا تمل عن العدل فيما أحببت أو كرهت لقريب من الناس أو بعيد ، وآثر الفقه وأهله والدين وحملته وكتاب الله والعاملين به ، فان أفضل ما تزين به المرء الفقه في دين الله والطلب له والبحث عليه والمعرفة بما يتقرب فيه منه الى الله ، فانه الدليل على الخير كله والقائد له والامر به والنهي عن المعاصي والموبقات كلها ، وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله عز وجل واجلالا له ودركا للدرجات العلى في المعاد مع ما في ظهوره للناس من التوقير لامرك والهيبة لسلطانك والانسة بك والثقة بعدلك .

وعليك بالاعتقاد في الامور كلها ، فليس شيء أبين نفعاً ولا أضر أمناً ولا أجمع فضلاً من القصد والقصد داعية الى الرشده والرشده دليل على التوفيق والتوفيق منقاد الى السعادة ، وقوام الدين والسنن الهادية بالاعتقاد فأثره في دنياك كلها ولا تقصر في طلب الاخيرة والاجسر والاعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالم الرشده ، فلا غاية للاستكثار من البر والسعي له اذا كان يطلب به وجه الله ومرضاته ومرافقة أوليائه في دار كرامته .

واعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز ويحصن من الذنوب ، وانك لن

تحوط نفسك ومن يليك ولا تستصلح أمورك بأفضل منه فآته واهتدبه تتم أمورك وتزد مقدرتك وتصلح خاصتك وعامتك .

وأحسن الظن بالله عزوجل يستقم لك رعيته ، واتمس الوسيلة اليه في الامور كلها تستدم به النعمة عليك ، ولا تنهض أحداً من الناس فيما توليه من عملك قبل تكشف أمره بالتهمة ، فان ايقاع التهم بالبرئاء والظنون السيئة بهم مأثم ، واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك واطرد عنهم سوء الظن بهم وارفضه عنهم يعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم ولا يجدون لعدو الله الشيطان في امرك مغمزاً ، فانه انما يكتفي بالقليل من وهناك فيدخل عليك من الغم في سوء الظن ما ينقصك لذادة عيشك .

واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكفي به ما أحببت كفاية من أمورك وتدعوبه الناس الى محبتك والاستقامة في الامور كلها لك ، ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك والرافة برعيته أن تستعمد المسألة والبحث عن أمورك والمباشرة لامور الاولياء والحيطة للرعية والنظر في حوائجهم وحمل مؤناتهم آثر عندي مما سوى ذلك فانه أقوم للدين وأحبي للسنة وأخلص نيتك في جميع هذا ، وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم أنه مشول عما صنع ومجزى بما أحسن وما خوذ بما أساء ، فان الله جعل الدين حرزاً وعزاً ورفع من اتبعه وعززه ، فاسألك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى .

وأقم حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ، ولا تعطل ذلك ولا تهاون به ، ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة فان في تفریطك في ذلك لما يفسد عليك حسن ظنك ، واعزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة وجانب الشبهة والبدعات يسلم لك دينك ويقم لك مروتك .

واذا عاهدت عهداً فف به واذا وحدت الخير فأنجزه ، واقبل الحسنة وادفع

بها ، واغمض عن عيب كل ذي عيب من رعيتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور وابغض أهله ، واقص أهل النميمة فان اول فساد امرك في عاجل الامور و آجلها تقريب الكذوب والجرأة على الكذب ، لان الكذب رأس المأثم والزور والنميمة خاتمتها ، لان النميمة لا يسلم صاحبها وقابلها لا يسلم له صاحب ولا يستقيم لمطيعها أمر ، وأحب اهل الصدق والصلاح وأعن الاشراف بالحق وواصل الضعفاء وصل الرحم وابتغ بذلك وجه الله وعزة أمره والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة ، واجتنب سوء الاهواء والجور واصرف عنهما رأيك وأظهر برائتك من ذلك لرعيتك ، وأنعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التي تنتهي بك الى سبيل الهدى وأملك نفسك عند الغضب وآثر الوفاق والحلم . وايباك والحدة والطيرة والغرور فيما أنت بسبيله ، وايباك أن تقول اني مسلط أفعل ما أشاء ، فان ذلك سريع فيك الى نقص الرأي وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له وأخلص لله النية فيه واليقين به .

واعلم أن الملك لله يعطيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ، ولن تجد تغير النعمة وحلول النعمة الى أحد أسرع منه الى حملة النعمة من أصحاب السلطان والمبسوط لهم في الدولة اذا كفروا بنعم الله واحسانه واستطالوا بما آتاهم الله من فضله ، ودع عنك شره نفسك ، ولتكن ذخائرك وكنوزك التي تدخر وتكنز البر والتقوى والمعدلة واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لامورهم والحفظ لدمائهم والاغائة لمهلوفهم .

واعلم أن الاموال اذا كثرت وذخرت في الخزائن وتزينت بها الولاة وطال به الزمان واعتقد فيه العز والمنعة فليكن كنز خزائنتك تفريق الاموال في عمارة الاسلام وأهله ، ووفر منه على أولياء الخليفة قبلك حقوقهم واوف رعيتك من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح أمورهم ومعايشهم ، وجمع أموال رعيتك وعملك

أقدر وكان الجمع لما شملهم من عدتك واحسانك أسلس لطاعتك وأطيب أنفساً لكل ما أردت ، فاجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب ولتعظم حسبتك فيه ، فانما يبقى من المال ما أنفق في سبيل حقه وأعرف للساكرين شكرهم وأثبهم عليه .

واياك ان تنسيك الدنيا وغرورها هول الاخرة فتتهاون بما يحق عليك ، فان التهاون يوجب التفريط والتفريط يورث البوار ، وليكن عملك لله وفيه تبارك وتعالى أرج الثواب ، فان الله قد اسبغ عليك نعمته في الدنيا وأظهر لديك فضله ، فاعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيراً واحساناً ، فان الله يثيب بقدر شكر الساكرين وسيرة المحسنين واقض الحق فيما حمل من النعم والبس من العافية والكرامة ولا تحقرن ذنباً ولا تمايلن حاسداً ولا ترحن فاجراً ولا تصلن كفوراً ولا تداهنن عدواً ولا تصدقن ناماً ولا تأمنن غداراً ولا تولين فاسقاً ولا تتبعن غاوباً ولا تحمدن مرائياً ولا تحقرن انساناً ولا تعجين باطلاً ولا تلاحظن مضحكاً ولا تخلفن وعداً ولا ترهبن فجراً ولا تعملن غضباً ولا تأتين بذخاً ولا تمشين مرحاً ولا تركبن سفهاً ولا تفرطن في طلب الاخرة ولا تدفع الايام عياناً ولا تغمضن عن الظالم رهبة منه أو مخافة ولا تطلبن ثواب الاخرة بالدنيا .

واكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم ، وخذ عن أهل التجارب وذوي العقل والرأي والحكمة ، ولا تدخلن في مشورتك أهل السدقة والبخل ولا تسمعن لهم قولاً فان ضررهم اكثر من منفعتهم وليس شيء أسرع فساداً لما استقبلت في امر رعيته من الشح .

واعلم انك اذا كنت حريصاً كنت كثير الاخذ قليل العطية ، واذا كنت كذلك لم يستقم لك أمر الا قليلاً ، فان رعيته انما تعتقد على محبتك بالكف عن

أموالهم وترك الجور عنهم، ويدوم صفاء أوليائك لك بالافضال عليهم وحسن العطية لهم فاجتنب الشح .

واعلم أنه أول ما عصى به الانسان ربه وان العاصي بمنزلة خزي وهو قول الله عزوجل «ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» فسهل طريق الجود بالحق واجعل للمسلمين كلهم من بيتك حظاً ونصيباً ، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد ، فاعده لنفسك خلقاً وارض به عملاً ومذهباً .

وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبهم ، واردد عليهم أرزاقهم ووسع عليهم في معاشهم لينذهب بذلك الله فاقبتهم ويقوم لك امرهم ويزيد به قلوبهم في طاعتك وامرك خلوصاً وانشراحاً ، وحسب ذي سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة في عدل له وحيظته وانصافه وعنايته وتوسعته ، فزابل مكروه احدى البليتين باستشعار تكملة الباب الاخر ولزوم العمل به تلق انشاء الله نجاحاً وصلاحاً وفلاحاً .

واعلم أن القضاء من الله بالمكان الذي ليس به شيء من الامور، لانه ميزان الله الذي يعتدل عليه الاحوال في الارض ، وباقامة العدل في القضاء والعمل. تصلح الرعية وتأمين السبل وتنتصف للمظلوم ويأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدى حق الطاعة ويرزق الله العافية والسلامة ويقوم الدين وتجري السنن والشرائع ، وعلى مجاريها ينتجز الحق والعدل في القضاء ، واشتد في أمر الله وتورع عن النطف وامض لاقامة الحدود وأقلل العجلة وأبعد من الضجر والقلق واقنع بالقسم ولتسكن ربحك ويقر جدك واقنع بتجربتك وانتبه في صمتك وسدد في منطقتك وانصف الخصم وقف عند الشبهة وأبلغ في الحجية، ولا يأخذك في أحد من رعاياك محاباة ولا محاماة ولا لوم لائم وثبت وتأن وراقب وانظر وتدبر وتفكر واعتبر وتواضع لربك وارأف بجميع الرعية وسلط الحق على نفسك ، ولا تسرعن الى سفك دم فان الدماء من الله بمكان عظيم انتها كآلها

بغير حقها .

وانظر هذا الخراج الذي قد استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزاً ورفعة ولاهله سعة ومنعة ولعدوه وعدوهم كبتاً وغيظاً ولاهل الكفر من معاهدتهم ذلاً وصغاراً، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه، ولا ترفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه وعن غني لغناه ولا عن كاتب لك ولا أحد من خاصتك ، ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ولا تكلفن أمراً فيه شطط ، واحمل الناس كلهم على ما الحق فان ذلك أجمع لالفتهم وألزم لرضى العامة .

واعلم أنك جعلت بولايتك خازناً وحافظاً وراعياً ، وانما سمي أهل عملك رعيتك لانك راعيهم وقيمهم تأخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ومقدرتهم وتنفقه في قوام أمرهم وصلاتهم وتقويم اودهم ، فاستعمل عليهم في كور عملك ذوي الرأي والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل والعلم بالسياسة والعفاف ، ووسع عليهم في الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأسند اليك ، ولا يشغلنك عنه شاغل ولا يصرفنك عنه صارف ، فانك متى آثرته وقيمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن الاحدوثة في أعمالك واحتزت النصيحة من رعيتك وأعنت على الصلاح ، فدرت الخيرات ببلدك وفشت العمارة بناحياتك وظهر الخصب في كورك فكثرت خراجك وتوفرت أموالك وقويت بذلك على ارتباط جنديك وارضاء العامة باقامة العطاء فيهم من نفسك وكنت محمود السياسة مرضي العدل في ذلك عند عدوك وكنت في أمورك كلها ذاعداً وقوية وآلة وعدة ، فنافس في هذا ولا تقدم عليه شيئاً تجد مغبة امرك انشاء الله .

واجعل في كل كورة من عملك أميناً يخبرك اخبار عمالك ويكتب اليك بسيرتهم وأعمالهم حتى كأنك من كل عامل في عمله معاين لامره كله ، وان أردت أن تأمره بأمر فانظر في عواقب ما أردت من ذلك ، فان رأيت السلامة فيه

والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والنصح والصنع فامضه والا فتوقف عنه
وراجع أهل البصر والعلم ثم خذ فيه عدته ، فانه ربما نظر الرجل في أمر من
أمره قد اتاه على ما يهوى فقواه ذلك وأعجبه وان لم ينظر في عواقبه أهلكه
ونقض عليه أمره ، فاستعمل الحزم في كل ما أردت وباشربعد عون الله بالقوة ،
واكثر استخارة ربك في أمور أو حوادث تلهيك عن عمل يومك الذي أخرت .
واعلم أن اليوم اذا مضى ذهب بما فيه واذا أخرت عمله اجتمع عليك أمر
يومي فاشغلك ذلك حتى تعرض عنه ، فاذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك
وبدنتك واحكمت أمور سلطانك .

وانظر أحرار الناس وذوي الشرف منهم ثم استبق صفاء طوبيتهم وتهذيب
مودتهم لك ومظاهرهم بالنصح والمخاطبة على أمرك فاستخلصهم وأحسن اليهم
وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة فاحتمل مؤنتهم وأصلح
حالهم حتى لا يجدوا لخلتهم مسأ .

وانفرد نفسك للنظر في أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمة
اليك والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه ، فاسأل عنه أحفى مسألة ووكل بأمثاله
أهل الصلاح من رعيتك ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم اليك لتنظر فيها بما
يصلح الله أمرهم ، وتعاهد ذوي البأساء ويتاماهم وأراملهم واجعل لهم أرزاقاً من
بيت المال اقتداء بالخليفة أعز الله في العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك
عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة ، وأجر للاضراء من بيت المال وقدم حملة القرآن
منهم والحافظين لاكثره في الجراية على غيرهم ، وانصب لمرضى المسلمين
دوراً تؤويهم وقوأمأ يرفقونها وأطباء يعالجون اسقامهم ، وأسعفهم بشهواتهم
مالم يؤد ذلك الى سرف في بيت المال .

واعلم أن الناس اذا أعطوا حقوقهم وأفضل أمانيتهم لم يرضهم ذلك ولم

تطلب أنفسهم دون رفع حوائجهم الى ولائهم طمعاً في نيل الزيادة وفضل الرفق منهم ، وربما برم المتصفح لامور الناس لكثرة ما يرد عليه ويشغل فكره وذهنه منها مايناله به مؤنة ومشقة ، وليس من يرغب في العدل ويرفع محاسن أموره في العاجل وفضل ثواب الاجل كالذي يستقبل ما يقربه الى الله ويلتمس رحمته به . واكثر الاذن للناس عليك وابرز لهم وجهك وسكن لهم أحراك واخفض لهم جناحك وأظهر لهم بشرك ولن لهم في المسألة والمنطق واعطف عليهم بجودك وفضلك ، واذا أعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس والتمس الصنعة والاجر غير مكدر ولامان ، فان العطية على ذلك تجارة مربحة انشاء الله .

واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضي من قبلك من السلطان والرياسة في القرون الخالية والامم البائدة ، ثم اعتصم في أحوالك كلها بأمر الله والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته واقامة دينه وكتابه . واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا الى سخط الله ، وأعرف ماتجمع عمالك من الاموال وينفقون منها ولاتجمع حراماً ولا تنفق اسرافاً .

وأكثر مجالسة العلماء ومشاهدتهم ومخالطتهم ، وليكن هواك اتباع السنن واقامتها وايتار مكارم الامور ومعاليها ، وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من اذا رأى عيباً فيك لم يمنعه هيبتك من انهاء ذلك اليك في سر واعلامك ما فيك من النقص ، فان أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك . وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتائبك فوقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتاً يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامراته وما عنده من حوائج عمالك وامر كورك ورعيتك ، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك ، وكرر النظر اليه والتدبير له ، فما كان موافقاً للحزم والحق فامضه واستخر الله فيه وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه الى التثبت فيه والمسألة عنه .

ولا تمتن على رعبتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه اليهم ، ولا تقبل من أحد منهم الا الوفاء والاستقامة والعون في أمور الخليفة وتفهم كتابي اليك ، وأكثر النظر فيه والعمل به ، واستعن بالله على جميع أمورك واستخره فان الله مع الصالح وأهله .

وليكن أعظم سيرتك وأفضل رغبتك ما كان لله رضى ولدينه نظاماً ولاهله عزاً وتمكيناً وللذمة والملة عدلاً وصلاً ، وأنا أسأل الله أن يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءك ، وأن ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك وكرامته لك حتى يجعلك أفضل أمثالك نصيباً وأوفرهم حظاً وأسناهم ذكراً وأمرأ ، وان يهلك عدوك ومن ناواك وبغى عليك ، ويسرزقك من رعبتك العافية ويحجز الشيطان عنك ووساسه حتى يستعلي أمرك بالعز والقوة والتوفيق ، انه قريب مجيب .

قال الطبري: وذكروا أن طاهر ألما عهد الى ابنه عبد الله هذا العهد تنازعه الناس وكتبوه وتدارسوه وشاع أمره حتى بلغ المأمون فدعاه حتى قرى عليه فقال: ما بقى أبو الطيب شيئاً من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأي والسياسة واصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء وتقويم الاخلاق الا وقد أحكمه وأوصى به ، وأمر أن يكتب بذلك الى جميع العمال في نواحي الاعمال .

قلت : وهو كما ترى جلّه بل كله مأخوذ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في عهده هذا الى الاشتهر بألفاظ آخر .

هذا ، ونقل « حد » في شرح قوله عليه السلام « وقد أردت تولية مصر هاشم ابن عتبة » ١/٦٥ عن غارات الثقفى انه عليه السلام لما ولى محمد بن ابي بكر مصر كتب له « أمره بتقوى الله في السر والعلانية وخوف الله في المغرب والمشهد وباللين على المسلمين وبالغلظة على الفاجر وبالعدل على أهل الذمة وبانصاف المظلوم والشدة على الظالم وبالغفوع عن الناس وبالحسان ما استطاع والله يجزي

المحسنين ويعذب المجرمين، وأمره أن يدعو من قبله الى الطاعة والجماعة، فان لهم في ذلك من العاقبة وعظيم المشوبة ما لا يقدرون قدره ولا يعرفون كنهه ، وأمره أن يجبي خراج الارض على ما كانت تجبي عليه من قبل لا ينقص منه ولا يبتدع فيه ثم يقسمه بين أهله على ما كانوا يقسمون عليه من قبل ، وأن يلين لهم جناحه وأن يواسي بينهم في مجلسه ووجهه ، وليكن القريب والبعيد في الحق سواء وأمره أن يحكم بين الناس بالحق وأن يقوم بالقسط ولا يتبع الهوى ولا يخاف في الله لومة لائم ، فان الله جل ثناؤه مع من اتقى و آثر طاعته وأمره على ما سواه .

ثم نقل عنه أنه روى أن محمداً كان ينظر في هذا الكتاب ويتأدب به ، فلما ظهر عليه عمرو بن العاص وقتله أخذ كتبه أجمع فبعث بها الى معاوية ، فكان معاوية ينظر في هذا الكتاب ويتعجب منه ، فقال الوليد بن عقبة له : مر بهذه الاحاديث أن تحرق . فقال له : لا رأي لك . فقال له الوليد : أفمن الرأي أن يعلم الناس أن احاديث ابي تراب عندك تتعلم منها . قال معاوية : ويحك اتأمرني أن أحرق علماً مثل هذا . فقال الوليد : ان كنت تعجبت من علمه وقضائه فعلى م تقائله ؟ فقال : لولا أنه قتل عثمان وافنانا لاخذنا عنه . ثم قال : لانقول هذه من كتب علي بل من كتب ابي بكر كانت عند ابنه ، فلم تزل تلك في خزائن بنى أمية حتى ولي عمر بن عبد العزيز فهو الذي أظهر أنها من احاديث علي عليه السلام .

ثم قال «حد» : الا ليق أن الكتاب الذي ينظر فيه معاوية ويعجب منه ويفتى بأحكامه هو عهده عليه السلام الى الاشر ، فانه نسيح وحده ومنه تعلم الناس الاداب والقضاء والسياسة ، وهذا العهد صار الى معاوية لما سم الاشر، وحقيق لمثله أن يقتنى في خزائن الملوك .

قلت: مضافاً الى انه اجتهاد في مقابل النص ذاك الخبر وخبر آخر رواه الثقيفي أيضاً مسنداً عن عبد الله بن سلمة قال : صلى بنا علي عليه السلام فلما انصرف قال:

لقد عثرت عشرة لاعتذر سوف اكيس بعدها واستمر

واجمع الامر الشتيت المنتشر

اني استعملت محمد بن ابى بكر على مصر فكتب الي لاعلم لى بالسنة ،
فكتبت اليه كتاباً فيه أدب وسنة فقتل وأخذ الكتاب . لا يصح في نفسه ، لان
الاشترسم في القلزم في طريق مصر خفية وكان مصر والقلزم في تصرفه عليه السلام
فمن قدر أن يأخذ عهد الاشر وكان سلطانه باقياً ، وانما محمد صار أسيراً في
أيديهم فأخذوا كتبه ، وذلك الكتاب الى محمد بن أبى بكر وان كان أيضاً يكفي
نفاسة الا أن الظاهر كون ما أخذه معاوية غير ذلك ، ففي الخبر الاول أخذ كتبه
أجمع وفي الخبر الثاني كان كتاباً فيه أدب وسنة وتأسف عليه السلام على صيرورته
الى معاوية ، ويأتي كتابه «ع» الى محمد بطرقه في الاتي .

٢/٢٧/٤ ومن عهد له عليه السلام الى محمد بن ابى بكر حين
قلده مصر: فاخض لهم جناحك ، وألن لهم جانبك ، وابسط
لهم وجهك ، وآس بينهم في اللحظة والنظرة حتى لا يطمع
العظماء في حيفك لهم ولا يياس الضعفاء من عدلك عليهم ،
فان الله تعالى يسألكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة
والظاهرة والمستورة ، فان يعذب فأنتم اظلم وان يعف فهو
اكرم .

واعلموا عباد الله أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة
فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في
آخرتهم ، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت واكلوها بأفضل ما اكلت
فحظوا من الدنيا بما حظى به المترفون وأخذوا منها ما أخذوه
الجبابرة المتكبرون ، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر

الرايح ، أصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم وتيقنوا انهم حيران
الله غداً في آخرتهم ، لا ترد لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيب
من لذة .

فاحذروا عباد الله الموت وقربه واعدوا له عدته فانه يأتي بأمر
عظيم وخطب جليل بخير لا يكون معه شر ابداً او شر لا يكون معه
خيراً ابداً ، فمن اقرب الى الجنة من عاملها ومن اقرب الى النار
من عاملها ، وانتم طرداء الموت ان اقمتم له اخذكم وان فررتم
منه أدرككم ، وهو ألزم لكم من ظلكم ، الموت معقود بنواصيكم
والدنيا تطوى من خلفكم ، فاحذروا ناراً قعرها بعيد وحرها
شديد وعذايبها جديد ، دار ليس فيها رحمة ولا تسمع فيها دعوة
ولا تفرج فيها كربة ، وان استطعتم أن يشتد خوفكم من الله وان
يحسن ظنكم به فأجمعوا بينهما ، فان العبد انما يكون حسن ظنه
بربه على قدر خوفه منه ، وان احسن الناس ظناً بالله اشدهم
خوفاً لله .

واعلم يا محمد بن ابي بكر اني قد وليتك أعظم أجنادي في
نفسى اهل مصر ، فأنت محقوق ان تخالف على نفسك وان
تنافح عن دينك ، ولولم يكن لك الاساعة من الدهر ، ولا تسخط
الله برضا احد من خلقه فان في الله خلفاً من غيره وليس من
الله خلف في غيره .

أقول : رواه الشيخان في أماليهما ، ورواه الثقفى في غاراته ، ورواه ابن
ابى شعبة الحلبي في تحفه ورواه الطبري في تاريخه .
أما الشيخان فرويا باسنادهما الى كتاب ابراهيم الثقفى عن عبد الله بن محمد

ابن عثمان عن علي بن محمد بن ابي سعيد عن فضيل بن الجعد عن ابي اسحق الهمداني قال: ولى علي عليه السلام محمد بن ابي بكر مصر وأعمالها وكتب له كتاباً وأمره ان يقرأه على اهل مصر وليمعل بما أوصاه به ، فكان الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله علي أمير المؤمنين الى أهل مصر ومحمد بن ابي بكر ، سلام عليكم فاني أحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو .

أما بعد : فاني أوصيكم بتقوى الله فيما انتم عنه مسؤولون واليه تصيرون ، فان الله تعالى يقول «وكل نفس بما كسبت رهينة» ويقول «ويحذر كم الله نفسه واليه المصير» ويقول «فوربك لننسلنهم اجمعين عما كانوا يعملون» .

واعلموا عباد الله أن الله عزوجل سائلكم عن الصغير من عملكم و الكبير فان يعذب فنحن أظلم وان يعف فهو أرحم الراحمين ، يا عباد الله ان أقرب ما يكون العبد من المغفرة والرحمة حين يعمل لله بطاعته وينصحه في التوبة ، عليكم بتقوى الله فانها تجمع الخير - ولاخير غيرها - ويدرك بها من الخير ما لا يدرك غيرها من خير الدنيا وخير الآخرة ، قال الله عزوجل «وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين» .

اعلموا يا عباد الله أن المؤمن من يعمل لثلاث : اما الخير فان الله يثيبه بعمله في دنياه قال سبحانه لابراهيم «وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين» فمن عمل لله تعالى أعطاه أجره في الدنيا والآخرة وكفاه المهم فيهما وقد قال تعالى «يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» ، وما أعطاهم لم يحاسبهم به في الآخرة قال تعالى «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» والحسنى هي الجنة والزيادة في الدنيا ، وان الله تعالى يكفر بكل حسنة سيئة ، قال عزوجل

«ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين» حتى اذا كان يوم القيامة حسبت لهم حسناتهم ثم أعطاهم بكل واحدة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف، قال عز وجل «جزاء من ربك عطاء حساباً» وقال «أولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون» فارغبوا في هذا رحمكم الله واعملوا له وحاضوا عليه. واعلموا يا عباد الله أن المتقين حازوا عاجل الخير وآجله ، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم ، أباحهم الله ما كفاهم وأغناهم ، قال عز اسمه «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحيوۃ الدنيا خائصة يوم القيامة كذلك انفصل الايات لقوم يعلمون» ، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت وأكلوها بأفضل ما أكلت شاركوا أهل الدنيا في دنياهم فأكلوا معهم من طيبات ما يأكلون وشربوا من طيبات ما يشربون ولبسوا من أفضل ما يلبسون وسكنوا من أفضل ما يسكنون وتزوجوا من أفضل ما يتزوجون وركبوا من أفضل ما يركبون ، أصابوا لذة الدنيا مع أهل الدنيا وهم غداً جيران الله ، يتمنون عليه فيعطيهام ماتمنوه ولا يرد لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيباً من اللذة ، فالى هذا ياعباد الله يشاق من كان له عقل ويعمل له بتقوى الله، ولا حول ولا قوة الا بالله .

يا عباد الله ان اتقيتم الله وحفظتم نبيكم في أهل بيته فقد عبدتموه بأفضل ما عبد وذكركتموه بأفضل ما ذكر وشكرتموه بأفضل ما شكر وأخذتم بأفضل الصبر والشكر واجتهدتم بأفضل الاجتهاد ، وان كان غيركم أطول منكم صلاة واكثر منكم صياماً فأنتم أتقى لله عز وجل منهم وانصح لاولي الامر .

احذروا عباد الله الموت وسكرته ، فانه يفجأكم بأمر عظيم بخير لا يكون معه شر أبداً أو بشر لا يكون معه خير أبداً ، فمن أقرب الى الجنة من عاملها ومن أقرب الى النار من عاملها ، انه ليس أحد من الناس تفارق روحه جسده حتى

يعلم الى أي المنزلتين يصير الى الجنة أم النار وعدو الله أم ولي ، فان كان ولياً فتحت له أبواب الجنة وشرع له طرقها ونظر الى ما أعد الله له فيها ، ففرغ من كل شغل ووضع عنه كل ثقل وان كان عدواً لله فتحت له أبواب النار وشرع له طرقها ونظر الى ما أعد الله له فيها فاستقبل كل مكروه وترك كل سرور ، كل هذا يكون عند الموت وعنده يكون اليقين ، قال الله تعالى «الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله غليم بما كنتم تعملون * فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين» .

عباد الله ان الموت ليس منه فوت فاحذروه قبل وقوعه وأعدوا له عدته ، فانكم طرد الموت ان أقمتم له أخذكم وان فررتم منه أدر ككم ، وهو ألزم لكم من ظلكم ، الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى خلفكم عند ما تنازعكم اليه أنفسكم من الشهوات ، فكفى بالموت واعظاً ، وكان رسول الله « ص » كثيراً ما يوصي أصحابه بذكر الموت فيقول « أكثر واذا ذكر الموت فانه هادم اللذات حائل بينكم وبين الشهوات » .

يا عباد الله ما بعد الموت لمن لا يغفر له أشد من الموت القبر ، فاحذروا ضيقه وضمنكه وظلمته وغرخته، ان القبر يقول كل يوم أنا بيت الغربية أنا بيت التراب أنا بيت الوحشة أنا بيت الدود والهوام ، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران، ان العبد المؤمن اذا دفن قالت الارض مرحباً واهلا قد كنت ممن أحب أن يمشي على ظهري ، فاذوليتك فستعلم كيف صنيعي بك فتتسع له مد البصر ، وان الكافر اذا دفن قالت له الارض : لامرحباً بك ولا أهلاً ، لقد كنت ممن أبغض من يمشي على ظهري ، فاذوليتك فستعلم كيف صنيعي بك - فتضمه حتى تلقى اضلاعه ، وان المعيشة الظنك التي حذر الله منها عدوه عذاب القبر، انه يسלט على الكافر في قبره تسعة وتسعين تيناً فينهشن احمه ويكسرن عظمه يترددن

عليه كذلك الى يوم يبعث ، لو أن تيننا منها تنفخ في الارض لم تنبت زرعاً .
يا عباد الله ان أنفسكم الضعيفة وأجسادكم الناعمة الرقيقة التي يكفيها المسير
تضعف عن هذا ، فان استطعتم ان تنزعوا أجسادكم وانفسكم مما لا طاقة لكم
به ولا صبر لكم عليه فاعملوا بما أحب الله واطركو ما كره الله .

يا عباد الله ان بعد البعث ما هو أشد من القبر يوم يشيب فيه الصغير ويسكر فيه
الكبير ويسقط فيه الجنين وتذهل كل مرضعة عما ارضعت ، يوم عبوس قمطرير ،
يوم كان شره مستطيراً ، ان فزع ذلك اليوم ليرهب الملائكة الذين لا ذنب لهم
وترعد منه السبع الشداد والجبال الاوتاد والارض المهاد وتنشق السماء فهي
يومئذ واهية وتتغير فكانها كالدهان ، وتكون الجبال كثيباً مهيباً بعد ما كانت صماً
صلاباً ، وينفخ في الصور فيفزع من في السماوات والارض الا ما شاء الله ، فكيف
من عصى بالسمع والبصر واللسان واليد والرجل والفرج والبطن ، ان لم يغفر
الله له ويرحمه من ذلك اليوم لانه يصير الى غيره الى نار قعرها بعيد وحرها شديد
وشرابها صديد وعذابها جديد ومقامها حديد لا يفتقر عذابها ولا يموت ساكنها ،
دار ليس فيها رحمة ولا تسمع لاهلها دعوة .

واعلموا يا عباد الله ان مع هذا رحمة الله التي لا تقصر عن العباد جنة عرضها
كعرض السماء والارض أعدت للمتقين ، لا يكون معها شر أبداً ، لذاتها لا تمل
ومجتمعها لا يتفرق ، سكانها قد جاؤوا الرحمن وقام بين أيديهم الغلمان بصحاف
من ذهب فيها الفاكهة والريحان .

ثم اعلم يا محمد بن أبي بكر اني قد وليتك أعظم أجنادي في نفسي أهل
مصر ، فاذا وليتك ما وليتك من أمر الناس فأنت حقيق أن تخاف منه على نفسك
وان تحذر منه على دينك ، فان استطعت ألا تسخط ربك برضا أحد من خلقه
فافعل ، فان في الله عز وجل خلفاً من غيره وليس في شيء سواه خلف منه ، اشتد

على الظالم وخذ عليه ولن لاهل الخير وقربهم واجعلهم بطانتك وأقرانك - الى
أن قال - يا محمد بن ابي بكر .

اعلم أن أفضل العفة الورع في دين الله والعمل بطاعته ، واني أوصيك بتقوى
الله في أمرسرك وعلانيتك وعلى أي حال كنت عليه ، والدنيا دار بلاء ودار فناء
والاخرة دار الجزاء ودار البقاء ، واعمل لما بقي واعدل عما يفنى ولا تنس
نصيبك من الدنيا .

أوصيك بسبع هن جوامع الاسلام : تخشى الله عز وجل في الناس ولا تخش
الناس في الله ، وخير القول ما صدقه العمل ، ولا تقص في أمر واحد بقضائين
مختلفين فيختلف أمرك وتزيغ عن الحق ، وأحب لعامة رعيته ماتحب لنفسك
وأهل بيتك واكره لهم ماكره لنفسك وأهل بيتك فان ذلك أوجب للحجة وأصلح
للرعية ، وخض الغمرات الى الحق ولا تخف في الله لومة لائم ، وانصح المرء
إذا استشارك واجعل نفسك أسوة لقريب المسلمين وبعيدهم .

جعل الله مودتنا في الدين وحلانا واياكم حلية المتقين وأبقى لكم طاعتكم
حتى يجعلنا واياكم بها اخواناً على سرر متقابلين .

احسنوا أهل مصر مؤازرة محمد أميركم واثبتوا على طاعته تردوا حوض
نبيكم ، أعاننا الله على ما يرضيه والسلام ورحمة الله وبركاته .

وأما مارواه الثقفى فروى عن يحيى بن صالح عن مالك بن خالد الاسدي
عن الحسن بن ابراهيم عن عبدالله بن الحسن قال : كتب علي عليه السلام الى
أهل مصر لما بعث محمد بن ابي بكر اليهم يخاطبهم فيه ويخاطب محمداً أيضاً فيه :
أما بعد ، فاني أوصيكم بتقوى الله في سرامركم وعلانيتكم وعلى أي حال
كنتم عليها، وليعلم المرء منكم أن الدنيا دار بلاء وفناء والاخرة دار جزاء وبقاء
فمن استطاع أن يؤثر ما بقي على ما يفنى فليفعل فان الاخرة تبقى والدنيا تفنى ،

رزقنا الله واياكم بصرأ لما بصرنا وفهماً لما فهمنا حتى لا نقصر عما أمرنا ولا نتعدى الى ما نهانا .

واعلم يا محمد انك الى نصيبك من الاخرة أحوج ، فان عرض لك أمران احدهما للاخرة والاخر للدنيا فابدأ بأمر الاخرة ، ولتعظم رغبتك في الخير ولتحسن فيه نيتك ، فان الله عزوجل يعطي العبد على قدر نيته ، واذا أحب الخير وأهله ولم يعمله كان انشاء الله كمن عمله ، فان رسول الله «ص» قال حين رجع من تبوك « ان بالمدينة لا قواماً ما سرتم من مسير ولا هبطتم من دارا لا كانوا معكم ما حبسهم الا المرض » - يقول كانت لهم نية - .

ثم اعلم يا محمد اني وليتك أعظم أجنادي أهل مصر، ووليتك ما وليتك من أمر الناس فأنت محقوق أن تخاف على نفسك وتحذرفيه على دينك ولو كان ساعة من نهار فان استطعت ان لا تسخط ربك لرضى أحد من خلقه فافعل فان في الله خلقاً من غيره وليس في شيء خلف منه ، فاشتد على الظالم ولن لاهل الخير وقر بهم اليك واجعلهم بطانتك واخوانك .

وعن يحيى بن صالح أيضاً بالاسناد قال : كتب علي عليه السلام الى محمد وأهل مصر: أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله والعمل بما أنتم عنه مسئولون وانتم به رهن واليه صائرون ، فان الله عزوجل يقول « وكل نفس بما كسبت رهينة » وقال « ويحذر كم الله نفسه والى الله المصير » وقال « فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون » .

فاعلموا عباد الله أن الله سائلكم عن الصغير من أعمالكم والكبير فان يعذب فنحن الظالمون وان يغفرو ويرحم فهو أرحم الراحمين .

واعلموا أن أقرب ما يكون العبد الى الرحمة والمغفرة حين ما يعمل بطاعة الله ومناصحته في التوبة ، فعليكم بتقوى الله تعالى فانها تجتمع من الخير ما لا

يجمع غيرها ويدرك بها من الخير ما لا يدرك بغيرها ، خير الدنيا وخير الآخرة ، يقول سبحانه « وقيل للذين اتقوا ما ذا أنزل ربكم قالوا خيراً للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين » .

واعلموا عباد الله أن المؤمنين المتقين قد ذهبوا بعاجل الخير وآجله ، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم ، يقول الله عز وجل « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » ، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت وأكلوها بأفضل ما أكلت ، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم فأكلوا من أفضل ما يأكلون وشربوا من أفضل ما يشربون ولبسوا من أفضل ما يلبسون ، أصابوا لذة أهل الدنيا مع أهل الدنيا مع أنهم غداً جيران الله يتمنون عليه لا يرد لهم دعوة ولا ينقص لهم لذة أما في هذا ما يشاق إليه من كان له عقل .

واعلموا عباد الله أنكم إن اتقيتم ربكم وحفظتم نبيكم في أهل بيته فقد عبدتموه بأفضل ما عبدوا وذكرتموه بأفضل ما ذكروا وشكروتموه بأفضل ما شكرتم وأخذتم بأفضل الصبر وجاهدتم بأفضل الجهاد ، وإن كان غيركم أطول صلاة منكم وأكثر صياماً اذ كنتم اتقى الله وأنصح لاولياء الله من آل محمد صلى الله عليه وآله واخشع .

واحدروا عباد الله الموت ونزوله وخذوا له فإنه يدخل بأمر عظيم خير لا يكون معه شر أبداً وشر لا يكون معه خير أبداً ، ليس أحد من الناس يفارق روحه جسده حتى يعلم إلى أي المنزلين يصير إلى الجنة أم إلى النار ، أعدو هو الله ولي فإن كان ولياً فتحت له أبواب الجنة وشرع له طريقها ونظر إلى ما أعد الله عز وجل لاوليائه فيها فرغ من كل شغل ووضع من كل ثقل ، وإن كان عدواً فتحت له أبواب النار وسهل له طريقها ونظر إلى ما أعد الله لاهلها واستقبل كل مكروه

وفارق كل مسرور، قال تعالى « خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين » .

واعلموا عباد الله أن الموت ليس منه فوت فاحذروه وأعدوا له عدته ، فانكم طرداء الموت ان أقمتم أخذكم وان هربتم أدر ككم وهو أزم لكم من ظلكم معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من خلفكم - الى آخر ما مر عن الاماليين مع أدنى اختلاف ، ففيه بدل قوله « من ذلك اليوم - الخ » واعلموا أن ما بعد ذلك اليوم أشد وأدهى .

وأما الحلبي فقال في تحفه « ومنه الى محمد بن أبي بكر وأهل مصر: أما بعد فقد وصل كتابك وفهمت ما سألت عنه واعجبني اهتمامك بما لا بد لك منه وما يصلح المسلمين غيره، وظننت أن الذي أخرج ذلك منك نية صالحة ورأي غير مدخول، أما بعد فعليك بتقوى الله في مقامك ومقعدك وسرك وعلانيتك، واذا أنت قضيت بين الناس فاخفض لهم جناحك ولين لهم جانبك وابسط لهم وجهك وآس بينهم في اللحظ والنظر حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا يياس الضعفاء من عدلك عليهم، وان تسأل المدعي البينة وعلى المدعى عليه اليمين، ومن صلح أخاه على صلح فأجز صلحه الا أن يكون صلحاً يحرم حلالاً أو يحلل حراماً ، وآثر الفقهاء وأهل الصدق والوفاء والحياء والورع على أهل الفجور والكذب والغدر، وليكن الصالحون الابرار اخوانك والفاجرون الغادرون أعداؤك ، وان أحب اخواني الي اكثرهم لله ذكراً واشدهم منه خوفاً ، وأرجوان تكون منهم انشاء الله . واني أوصيك بتقوى الله فيما أنتم عنه مسئولون وعمما أنتم اليه صائرون، فان الله تعالى قال في كتابه « كل نفس بما كسبت رهينة » وقال « ويحذركم الله نفسه » الخ . مثل ما مر مع ادنى اختلاف والاصل في الجميع واحد .

وأما الطبري فروى عن ابي مخنف عن الحارث بن كعب الوالبي عن ابيه قال : كنت مع محمد بن أبي بكر حين قدم مصر فقراً عليهم عهده « هذا ما عهد

عليه عبد الله علي أمير المؤمنين الي محمد بن ابى بكر حين ولاه مصر، أمره بتقوى الله في السر والعلانية وخوف الله عز وجل في المغيب والمشهد وباللين على المسلمين وبالغلظة على الفاجر وبالعدل على أهل الذمة وبانصاف المظلوم وبالشدّة على الظالم وبالرفق عن الناس وبالأحسان ما استطاع والله يجزي المحسنين ويعذب المجرمين ، وأمره أن يسدعو من قبله أهل الطاعة والجماعة ، فان لهم في ذلك من العاقبة وعظيم المثوبة ما لا يقدرون قدره ولا يعرفون كنهه ، وأمره أن يجيبى خراج الارض على ما كانت تجبى عليه من قبل لا ينقص منه ولا يبتدع فيه ثم يقسمه بين أهله على ما كانوا يقسمون عليه من قبل ، وان يلين لهم جناحه وأن يواسي بينهم في مجلسه وجهه ، وليكن القريب والبعيد في الحق سواء ، وأمره أن يحكم بين الناس بالحق وأن يقوم بالقسط ولا يتبع الهوى ولا يخاف في الله عز وجل لومة لائم ، فان الله جل ثناؤه مع من اتقى وآثر طاعته وأمره على ما سواه .

ورواه الثقفى فى غاراته كما مر فى سابقه ، ومر خبر ان أن محمداً لما قتل أخذ كتبه أجمع فبعث بها الى معاوية وفيها كتاب كتبه عليه السلام له فيه أدب وسنة وأن معاوية كان ينظر فيه ويتعجب منه وقال لجلسائه : نقول للناس انه كان من كتب ابى بكر، وانه عليه السلام تأسف على وصول ذلك الكتاب الى معاوية. والظاهر عدم نقل ذلك الكتاب لنا لان المفهوم من الخبر الثانى أنه كان مشحوناً من سنن لا يعرفها الناس ، والكتاب الواصل ليس فيه الا مختصر من الوضوء والصلاة .

قول المصنف (ومن عهد له عليه السلام الى محمد بن ابى بكر) زاد «ثم» والخطبة «رحمه الله» و«حد» رضى الله عنه (حين قلده مصر) جميع ما نقله المصنف لسم يكن حين التقليد بل حينه وبعده كما عرفت من روايات غارات

الثقفي قلده بعد قيس بن سعد بن عبادة .

قوله عليه السلام (واخفض لهم جناحك) خفض الجناح كناية عن التواضع ويعبر عنه بالفارسية « بشكسته بالي » والاصل فيه قوله تعالى لنبيه « فاحفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » .

في تاريخ بغداد : كان موسى بن اسحق القاضي لا يرى متبسماً قط فقالت له امرأة : أيها القاضي لا يحل لك أن تحكم بين الناس ، فان النبي «ص» قال « لا يحل للقاضي أن يحكم بين اثنين وهو غضبان » فتبسم .

(وألن لهم جانبك) قال تعالى لنبيه « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

(وابسط لهم وجهك) قال لقمان لابنه « ولا تصعرخدك للناس ولا تمش في الارض مرحاً أنك لن تحرق الارض ولن تبلغ الجبال طرلاً* كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً » .

(وأس) أي ساو، وفي النهاية أي اجعل كل واحد منهم أسوة خصمه (بينهم في اللحظة) أي النظر بمؤخر العين (والنظرة) أي تأمل الشيء بالعين .
في الخبر كان النبي «ص» يقسم لحظاته بين جلسائه ، وقال خالد بن صفوان لوال دخل عليه : قدمت فأعطيت كلابسطة من نظرك ومجلسك وصلاتك وعدلك حتى كأنك من كل أحد أو كأنك لست من أحد .

(حتى لا يطمع العظماء في حيفك) أي جورك (لهم ولا يأس الضعفاء من عدلك عليهم) وقال عليه السلام لشريح: ثم واس بين المسلمين بوجهك ومنطقك ومجلسك حتى لا يطمع قريبك في حيفك ولا يأس عدوك من عدلك .

روت العامة عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خلا عمر لبعض شأنه وقال: أمسك علي الباب ، فطلع الزبير فكرهته حين رأيته ، فأراد أن يدخل فقلت : هو علي

حاجة ، فلم يلتفت الي وأهوى ليدخل ، فوضعت يدي في صدره فضرب أنفي فأدماه ، ثم رجع فدخلت على عمر فقال : من فعل بك هذا ؟ قلت : الزبير ، فأرسل اليه ثم دخل الزبير فجئت لانظر مايقول له ، فقال له : ما حملك على ما صنعت أدميتني للناس . فقال الزبير - يحكيه ويمطط في كلامه - « أدميتني » أتحجب عنا يا ابن الخطاب ، فوالله ما احتجب عني النبي « ص » ولا أبو بكر . فقال عمر كالمعتاد : اني كنت في بعض شأني ، فلما سمعته يعتذر اليه يشمت من أن يأخذلي بحقي منه ، وخرج الزبير فقال عمر : انه الزبير وآثاره ماتعلم .

(فان الله تعالى يسألكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة)
« وكل صغير وكبير مستطر » ، « وقالوا يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً » ، « يومئذ يصدر الناس اشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .
(والظاهرة والمستورة) قال لقمان لابنه « يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير » ، « يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور » « ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه » ، « ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً » .

وعن ابي جعفر عليه السلام : كان في بنى اسرائيل قاض كان يقضي بالحق فيهم ، فلما حضره الموت قال لامرأته : اذا أنامت فاغسليني وكفيني وضعيني على سريري وغطي وجهي فانك لاترين سوءاً ، فلما مات فعلت ذلك ثم مكثت بذلك حيناً ثم انها كشفت عن وجهه لتنظر اليه فاذا هي بدودة تقرض منخره ، ففرغت من ذلك ، فلما كان الليل أتاها في منامها فقال لها : أفزعك ما رأيت ؟ قالت : أجل لقد فرغت . فقال لها : أما لئن كنت فرغت ما كان الذي رأيت الا في أخيك فلان أتاني ومعه خصم له فلما جلسا الي قلت اللهم اجعل الحق له

ووجه القضاء على صاحبه ، فلما اختصما كان الحق له ورأيت ذلك بيناً في القضاء فوجهت القضاء له على صاحبه ، فأصابني ما رأيت لموضع هواي مع موافقة الحق .

(فان يعذب) قال النبي «ص» لا ينقضى كلام شاهد الزور بين يدي الحاكم حتى يتبوء مقعده في النار (فأنتم أظلم) قال «حد» أفعل ههنا بمعنى فاعل . قلت : يمكن أن يكون من باب «وجزاء سيئة سيئة مثلها» ويمكن أن يكون المراد انكم أظلم من كل عبد عصى سيده .

(وان يعف فهو اكرم) من كل سلطان يعفو عن رعيته «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير» .

(واعلموا عباد الله أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم) قد عرفت في أسانيدہ انه عليه السلام استشهد لكلامه بقوله تعالى «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحيوۃ الدنيا خالصة يسوم القيمة كذلك تفصل الآيات لقوم يعلمون» .

(سكنوا من الدنيا بأفضل ما سكنت وأكلوها بأفضل ما أكلت فحظوا) يقال حظي فلان عند السلطان وحظيت المرأة عند الزوج (من الدنيا بما حظي به المترفون) قال ابن دريد رجل مترف : منعم .

(واخذوا منها ما أخذها الجبابرة المتكبرون) قد عرفت من روايات الثقفى انه بدل قوله «فحظوا - الى - المتكبرون» بقوله «فأكلوا معهم من طيبات ما يأكلون وشربوا من طيبات ما يشربون ولبسوا من أفضل ما يلبسون وسكنوا من أفضل ما يسكنون ونزوجوا من أفضل ما يتزوجون وركبوا من أفضل ما يركبون»، وما هنا اجمال وثمة تفصيل ، فاللذائذ الدنوية منحصرة في هذه الستة من المآكل

والمشارب والملابس والمسكن والمناكح والمراكب .

(ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ) أي زاد التقوى الذي وصفه تعالى بكونه خير زاد (والمتجر الربح) وهو الايمان وعمل الصالحات (أصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم) لان الزهد فيها ليس بترك نعيمها بل بعدم العلقه بها كما قال تعالى «لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم» ، وأما الحريص فدائماً متألم بفوت ما فات من دنياه وعدم حصول زيادة له .

(وتيقنوا أنهم جيران الله غداً في آخرتهم) «سلام قولاً من رب رحيم» ، «والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» ، «وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة» .

(لا ترد لهم دعوة) «ولهم فيها ما يدعون» (ولا ينقص لهم نصيب من لذة) «وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً * عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً * ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً» .

(فاحذروا عباد الله الموت وقربه) «فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» .

(واعدوا له عدته) «وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى اجل قريب فأصدق واكن من الصالحين * ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون» .

(فانه يأتي بأمر عظيم وخطب) أي شأن (جليل بخير لا يكون معه شر أبداً أو شر لا يكون معه خير أبداً) قال «حد» نص في مذهب أصحابنا في الوعيد وان من دخل النار فليس بخارج منها ، ولو كان خارجاً منها لكان الموت قد جاءه بشر معه خير .

قلت: يمكن حمل كلامه عليه السلام على القرآن واكثر الاخبار في الاقتصار على ذكر المؤمنين المخلصين والكافرين دون المؤمنين المسرفين .
وفي اعتقادات الصدوق قيل لامير المؤمنين عليه السلام : صف لنا الموت .
فقال : على الخبير سقطتم ، هو احد ثلاثة أمور ترد عليه : اما بشارة بنعيم الابد واما بشارة بعذاب الابد واما تحزين وتهويل وأمر مبهم لا يدري من أي الفرق هو فأما ولينا المطيع لامرنا فهو المبشر بنعيم الابد ، وأما عدونا المخالف علينا فهو المبشر بعذاب الابد ، وأما المبهم أمره الذي لا يدري ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه يأتيه الخير مبهماً محزناً ثم لن يسويه الله تعالى بأعدائنا ولكن يخرجهم من النار بشفاعتنا ، فاعملوا وأطيعوا ولا تتكلموا ولا تستصغروا عقوبة الله عز وجل ، فان من المسرفين ما لا يلحقه شفاعتنا الا بعذاب ثلاثمائة ألف سنة .

وسئل الحسن عليه السلام عن الموت فقال : أعظم سرور يرد على المؤمنين اذا انقلبوا عن دار النكد الى نعيم الابد ، وأعظم نبور يرد على الكافرين اذا انقلبوا عن جنتهم الى نار لا تبديد ولا تنفذ .

ولما اشتد الامر بالحسين عليه السلام نظر اليه من كان معه فاذا هو بخلافهم لانهم كلما اشتد الامر بهم تغيرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم ووجلّت قلوبهم ووجبت جنوبهم ، وكان الحسين وبعض خصائصه تشرق ألوانهم وتهدأ جوارحهم وتسكن نفوسهم ، وقال بعضهم لبعض انظروا اليه ما يبالي الموت ، فقال عليه السلام لهم : صبراً بني الكرام فما الموت الا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء الى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة ، فأيكم يكره أن ينقل من سجن الى قصر وما هو لاعدائكم الا كمن ينقل من قصر الى سجن وعذاب اليم .

وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام : ما الموت ؟ فقال : للمؤمن كنز ع ثياب وسخة قملة أو فك قيود ثقيلة والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح وأوطأ

المراكب وآنس المنازل ، وللكافر كخلع ثياب فاخرة والنقل عن منازل أنيسة والاستبدال بأوسخ الثياب وأحشنها وأوحش المنازل وأعظم العذاب .

وقيل لمحمد الباقر عليه السلام : ما الموت ؟ قال : هو النوم الذي يأتيكم كل ليلة الا أنه طويل لا ينبه منه الا يوم القيامة ، فمن رأى في نومه من أصناف الفرح ما لا يقادر قدره ورأى في منامه من أصناف الأهوال ما لا يقادر قدره فكيف حال فرحه في النوم ووجله فيه ، هذا هو الموت فاستعدوا له .

وقيل للصادق عليه السلام : صف لنا الموت . فقال : هو للمؤمن كأطيب ريح يشم فينعس لطيبه وينقطع التعب والالام كله عنه ، وللكافر كلسع الافاعي ولدع العقارب وأشد . قيل له : فان قوماً يقولون أنه أشد ممن نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض ورضخ بالحجارة وتدوير قطب الارحية في الاحداق . فقال عليه السلام : كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين ، ألا ترون منهم من يعاين تلك الشدائد . قيل : فما بالنار يرى كافرأ يسهل عليه النزاع فينطفئ وهو يضحك ويتحدث ويتكلم ، وفي المؤمنين من يكون كذلك ، وفي المؤمنين والكافرين من يقاسي عند سكرات الموت هذه الشدائد . فقال عليه السلام : ما كان من راحة للمؤمن هناك فهو عاجل ثوابه ، وما كان من شدة فتمحيصه من ذنوبه ليرد الاخرة نقيضاً نظيفاً مستحقاً لثواب الابد لا مانع له دونه ، وما كان من سهولة هناك على الكافر فليتوفى أجر حسناته ليرد الاخرة وليس له الا ما يوجب العذاب ، وما كان من شدة على الكافر هناك فهو ابتداء عقاب الله عند نفاذ حسناته ، ذلكم بأن الله عدل لا يجور .

ودخل موسى بن جعفر عليه السلام على رجل في سكرات الموت لا يجيب داعياً . فقالوا : يا ابن رسول الله وددنا لو عرفنا كيف الموت وكيف حال صاحبنا فقال : الموت هو المصفاة يصفى المؤمنين من ذنوبهم فيكون آخر ألم يصيبهم

وكفارة آخروزرعليهم ، ويصفي الكافرين من حسناتهم فيكون آخر لذة أو نعمة
أورحمة تلحقهم وهو آخر ثواب حسنة تكون لهم، وأما صاحبكم هذا فقد نخل
من الذنوب نخلا وصفي من الاثام تصفية وخلص حتى نقي كما ينقى الثوب
وصلح لمعاشرتنا في دار الابد .

ومرض رجل من أصحاب الرضا عليه السلام فعاده فقال له : كيف تجدك ؟
فقال : لقيت الموت بعدك - يريد شدة المرض - فقال : انما الناس رجلان
مستريح بالموت ومستراح به منه ، فجدد الايمان بالله وبالنبوة وبالولاية تكون
مستريحاً ففعل الرجل ذلك .

وقيل للمجواد عليه السلام : ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت . قال :
لانهم جهلوه فكروهه ولو عرفوه - وكانوا من أولياء الله حقاً - لاحبوه ولعلموا
ان الاخرة خير لهم من الدنيا . ثم قال عليه السلام : ما بال الصبي أو المجنون
يمنتع من الدواء المنقي لبدنه والنافي الالم عنه . فقال : لجهلهم بنفع الدواء .
فقال : والذي بعث محمداً بالحق ان من قد استعد للموت حق الاستعداد هو
أنفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج ، أما لو عرفوا ما يؤدي اليه الموت من
النعيم لاستعدوه أشد مما يستدعي العاقل الحازم الدواء لرفع الافات واجتلاب
السلامات .

ودخل الهادي عليه السلام على مريض من أصحابه وهو يبكي من الموت
فقال له : تخاف من الموت لانك لاتعرفه ، أرأيتك لو تقدرت واتسخت من كثرة
الوسخ والقذر عليك وأصابك قروح وجرب وعلمت أن الغسل في الحمام يزيل
ذلك عنك أما تريد أن تدخله فتزيل ذلك كله عنه ؟ قال : بلى . قال : فذلك
الموت هو ذلك الحمام وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك ، فاذا أنت
وردت عليه فقد نجوت من كل هم وغم وأذى ووصلت الى كل فرح وسرور ،

فسكن الرجل ونشط واستسلم وغمض عين نفسه ومضى لسبيله .

وسئل الحسن العسكري عليه السلام عن الموت ما هو ، فقال : التصديق بما يكون ، ان أبي حدثني عن أبيه عن جده عن الصادق عليه السلام قال : ان المؤمن اذا مات لم يكن ميتاً وان الكافر هو الميت ، ان الله عزوجل يقول « يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي » يعنى المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن .

وجاء رجل الى النبي « ص » فقال : ما لي لا أحب الموت . فقال : ألك مال . قال : نعم . قال : قد قدمته . قال : لا . قال : فمن ثم لا تحب الموت . وقال رجل لابي ذر : ما بالنا نكره الموت ، فقال : لانكم عمرتم الدنيا وخربتم الاخرة فتكرهون أن تنتقلوا من العمران الى الخراب . فكيف ترى قدومنا على الله . قال : أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله ، وأما المسيء فكالابق يقدم على مولاه . قيل : فكيف حالنا عند الله . فقال : أعرضوا اعمالكم على كتاب الله ، ان الله عزوجل يقول « ان الابرار لفي نعيم * وان الفجار لفي جحيم » قال الرجل : فأين رحمة الله . قال : ان رحمة الله قريب من المحسنين . (فمن أقرب الى الجنة من عاملها) « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فان الجنة هي المأوى » ، « تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً » ، « ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » .

ومر في رواية الثقفى ذكره عليه السلام لقوله تعالى « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » . (ومن أقرب الى النار من عاملها) « وأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى » ، « ومن يعص الله ورسوله فان له نارجهنم خالدين فيها » . ومر في رواية الثقفى ذكره عليه السلام لقوله تعالى « الذين تتوفاهم الملائكة

ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون
* فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها منى المتكبرين .

(وانتم طرداء) جمع طريد ، قال الجوهري الطرد الابعاد ، تقول طردته
فذهب ، ولا يقال منه انفعل وافتعل الا في لغة رديئة ، والرجل مطرود وطريد
(الموت ان أقمتم له أخذكم وان فررتم منه أدر ككم) قال تعالى «أينما تكونوا
يدر ككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة» ، «قل ان الموت الذي تفرون منه
فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون» .

(وهو ألزم لكم من ظلكم) في نوادر جنائز الكافي : ان ملكاً كان له عند
الله منزلة عظيمة فتعتب عليه فأهبطه من السماء الى الارض فأتى ادريس عليه
السلام فقال : ان لك من الله منزلة فاشفع لي عند ربك . فصلى ثلاث ليال لا
يفتر وصام أيامها لا يفطر ، ثم طلب الى الله تعالى في السحر في الملك ، فقال
له الملك : انك قد أعطيت سؤالك وقد أطلق جناحي وانا أحب أن أكافئك
فاطلب الي حاجة . فقال : تريني ملك الموت لعلي آنس به فانه ليس يهنا مع
ذكره شيء ، فبسط جناحه ثم قال : اركب فصعد به يطلب ملك الموت في
السماء الدنيا فقبل له اصعد ، فاستقبله بين السماء الرابعة والخامسة ، فقال الملك
يا ملك الموت مالي أراك قاطباً . قال : العجب اني تحت ظل العرش فأمرت
ان أقبض روح آدمي بين السماء الرابعة والخامسة ، فسمع ادريس عليه السلام
ذلك فامتعض فخر من جناح الملك فقبض روحه مكانه وقال عز وجل «ورفعناه
مكاناً علياً» .

(الموت معقود بنواصيكم) في اللهوف : لما عزم الحسين عليه السلام على
الشحوص الى العراق من مكة قام خطيباً فقال : خط الموت على جيد ولد آدم
مخط القلادة على جيد الفتاة .

(والدنيا تطوى من خلفكم) «مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشياً تذروه الرياح» .

(فاحذروا ناراً قعرها بعيد وحرها شديد) وزاد في رواية الثقفى «وشراها صديد» (وعذابها جديد) «كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غير هاليدوقوا العذاب» ، «ونحشهم يوم القيمة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ماؤاهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً» .

وزاد في رواية الثقفى «ومقامها حديد» .

(دار ليس فيها رحمة) «وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً * إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً * وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً * لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً» .

(ولا تسمع فيها دعوة) «وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ما كثون» .
(ولا تفرج فيها كربة) «وقال الذين في النار لخنزيرة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال» ، «ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون * قال اخسثوا فيها ولا تكلمون» .

(وان استطعتم أن يشتد خسوفكم من الله وأن يحسن ظنكم به فأجمعوا بينهما ، فان العبد انما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه ، وان أحسن الناس ظناً بالله اشدهم خوفاً لله) .

في الكافي عن الصادق عليه السلام كان في وصية لقمان الاعاجيب ، وكان أعجب ما فيها ان قال لابنه : خف الله خيفة لوجئته ببر الثقلين لعذبك ، وارج الله رجاء لوجئته بذنوب الثقلين لرحمك . ثم قال عليه السلام كان أبى يقول ليس من عبد مؤمن الا وفي قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا .
وعنه عليه السلام : ارج الله رجاء لا يجرتك على معاصيك ، وخف الله

خوفاً لا يؤسك من رحمته .

وقال «حد» قال علي بن الحسين عليه السلام : لو أنزل الله تعالى كتاباً انسه معذب رجلاً واحداً لخفت أكونه أو انه راحم رجلاً واحداً لرجوت أن اكونه أو انه معذبي لا محالة ما ازددت الا اجتهاداً لثلاث ارجع على نفسي بلائمة .

(واعلم يا محمد بن ابي بكراني قدوليتك أعظم أجنادي) كل مدينة يحصل منها عسكري جند (في نفسي أهل مصر) فكانت اعظم مدينة بيده عليه السلام (فأنت محقوق) أي خليك (ان تخالف على نفسك) قال يوسف الصديق « ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي » (وان تنافح) أي تخاصم عن دينك (ولو لم يكن لك الا ساعة من الدهر) في الولاية ، ولقد فعل رحمه الله ما أمره فجاهد حتى قتل .

وفي الطبري - بعد أسره بيد العدو - قال له معاوية بن حديج : أتدري ما أصنع بك ، أدخلك في جوف حمار ثم أحرقه عليك بالنار . فقال له محمد : ان فعلتم بي ذلك فطال ما فعل ذلك بأولياء الله : واني لارجو هذه النار التي تحرقني بها أن يجعلها الله علي برداً وسلاماً كما جعلها على خليله ابراهيم ، وان يجعلها عليك وعلى أزيائك كما جعلها على نمرود وأوليائه ، ان الله يحرقك ومن ذكرته قبل - يعني عثمان - وامامك - يعني معاوية - وهذا - و اشار الى عمرو بن العاص - بنارتلطي عليكم كلما خبت زادها الله سعيراً . قال له معاوية بن حديج : اني انما أقتلك بعثمان . قال له محمد : وما أنت وعثمان ، ان عثمان عمل بالجور ونبذ حكم القرآن وقد قال تعالى « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » فنقمنا ذلك عليه فقتلناه ، وحسنت أنت له ذلك ونظراؤك فقد برأنا الله من ذنبه وأنت شريكه في اثمه وعظم ذنبه وجاعلك على مثاله ، فغضب معاوية ابن حديج فقدمه فقتله ثم ألقاه في جيفة حمار ثم أحرقه بالنار .

(ولا تسخط الله برضا أحد من خلقه فان في الله خلقاً من غيره وليس من الله خلف في غيره) في العقد قال ابن هبيرة للحسن البصرى - وعنده الشعبى - ماترى في كتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعض ما فيها فان أنفذتها وافقت سخط الله وان لم أنفذها خشيت على دمي . فقال له : هذا الشعبى فقيه الحجاز عندك ، فسأله فقال : قارب وسدد فانما أنت عبد مأمور . فالتفت ابن هبيرة الى الحسن وقال له : أنت ماتقول . قال : ابن هبيرة خف الله فسي يزيد ولا تخف يزيد في الله ، يا ابن هبيرة ان الله مانعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله ، يا ابن هبيرة لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فانظر ما كتب اليك يزيد فأعرضه على كتاب الله فما وافقه فأنفذه وما خالفه فلا تنفذه ، فان الله أولى بك من يزيد وكتاب الله أولى بك من كتابه . فضرب ابن هبيرة يده على كتف الحسن وقال : هذا الشيخ صدقني ورب الكعبة .

٧٢/٥ ومن كتاب له عليه السلام الى عبد الله بن العباس : اما بعد فانك لست بسابق أجلك ولا مرزوق ما ليس لك .
واعلم بأن الدهر يومان يوم لك ويوم عليك ، وان الدنيا دار دول فما كان منها لك أتاك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك .

(أما بعد فانك لست بسابق أجلك) حتى يتخلف عنك ، قال تعالى «ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» .
(ولامرزوق ما ليس لك) «أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً» .
(واعلم بأن الدهر يومان يوم لك ويوم عليك) ملكاً كنت أم سوقة (وان الدنيا دار دول) «وتلك الايام نداولها بين الناس» .

(فما كان منها لك أذاك على ضعفك) لانه لا مانع لما أعطى (وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك) «وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم» .

وفي اليتيمة قال الميكالي :

تق الله لا الاعداء واعلم يقيناً بأن الذي لم يقضه لن يصيبك
وحظك لا يعدوك ان كنت قاعداً وأنت تعدو حين تعدو نصيبك

٧٦٦/ ومن وصية له عليه السلام لعبدالله بن العباس عند استخلافه
اياه على البصرة : سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك ،
واياك والغضب فانه طيرة من الشيطان ، واعلم أن ما قربك من
الله يبعدك من النار وما يبعدك من الله يقربك من النار .

أقول : رواها ابن قتيبة في خلفائه فقال : ذكروا ان علياً عليه السلام لما سار
من البصرة بعد فراغه من الجمل استعمل عليها ابن عباس وقال له : أوصيك
بتقوى الله عز وجل والعدل على من ولاك الله أمره . اتسع الناس بوجهك وعلمك
وحلمك ، واياك والاحن فانها تميم القلب والحق ، واعلم أن ما قربك من الله
بعدك من النار وما قربك من النار بعدك من الجنة ، اذكر الله كثيراً ولا تكن من
الغافلين .

قول المصنف (ومن وصية له عليه السلام لعبد الله بن العباس عند استخلافه
اياه على البصرة) قد عرفت أنه كان بعد الجمل عند شخوصه الى الكوفة .
قوله عليه السلام (سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك) لانه من عدل
الوالي الواجب عليه أو من كرائم أخلاقه المندوب اليها .
وقال النبي صلى الله عليه وآله ابني عبد المطلب : انكم لن تسعوا الناس
بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم .

وكان النبي «ص» يساوي بين اهل مجلسه في النظر اليهم .
 (واياك والغضب فانه طيرة) أي خفة يريد أن يطير بها ، قال العماني :
 وأحلم عن طيراته كل ساعة اذا ما أتاني مغضباً يتهدم
 والطيرة في مقابل الحلم ، قال الكمي :
 وحلمك عز اذا ما حلمت وطيرتك الصاب والحنظل
 (من الشيطان) في الكافي عن الباقر عليه السلام: ان هذا الغضب جمرة من
 الشيطان توقد في قلب ابن آدم ، وان أحدكم اذا غضب احمرت عيناه وانتفخت
 أوداجه ودخل الشيطان فيه ، فاذا خاف أحدكم ذلك مسن نفسه فليلزم الارض
 فان رجس الشيطان يذهب عند ذلك .
 وعن الصادق عليه السلام في التوراة : يا ابن آدم اذكرني حين تغضب
 أذكرك عند غضبي فلا أمحكك فيمن أمحك ، واذا ظلمت بمظلمة فارض بانتصاري
 لك فان انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك .
 وعنه عليه السلام قال رجل للنبي «ص» : علمني . قال : اذهب ولا تغضب .
 فقال الرجل قد اكتفيت بذلك ، فمضى الى أهله فاذاً بين قومه حرب قاموا
 صفوفاً لابسي السلاح ، فلما رأى ذلك لبس سلاحه وقام معهم ثم ذكر قول
 النبي «ص» لا تغضب ، فرمى السلاح ثم مشى الى قوم عدو قومه فقال : يا هؤلاء
 ما كانت لكم من جراحة أوقتل أو ضرب فعلي في مالي . فقالوا : نحن أولسى
 بذلك فما كان فهو لك ، فاصطلحوا فذهب الغضب .
 (واعلم ان ما قربك الى الله) وهو طاعته وطاعة رسوله (بباعدك من النار)
 ويدخلك الجنة قال تعالى «ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها
 الأنهار خالدين فيها وذلك هو الفوز العظيم» .
 (وما باعدك من الله) وهو عصيانه وعصيان رسوله (يقربك من النار) «ومن

يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين» .

١٦٩/٧ / ومن كتابه عليه السلام الى الحارث الهمداني: وتمسك
بجبل القرآن واستنصحه وأحل حلاله وحرم حرامه وصدق بما
سلف من الحق واعتبر بما مضى من الدنيا ما بقي منها فان
بعضها يشبه بعضاً وآخرها لا حق بأولها وكلها حائل مفارق ،
وعظم اسم الله ان تذكره الا على حق ، واكثر ذكر الموت وما
بعد الموت ولا تتمن الموت الا بشرط وثيق ، واحذر كل عمل
يرضاه صاحبه لنفسه ويكره لعامة المسلمين ، واحذر كل عمل
يعمل به في السرو يستحي منه في العلانية ، واحذر كل عمل
اذا سئل عنه صاحبه أنكره أو اعتذر منه ، ولا تجعل عرضك غرضاً
لنبال القول ، ولا تحدث الناس بكل ما سمعت به فكفى بذلك
كذباً ، ولا ترد على الناس كل ما حدثوك به فكفى بذلك جهلاً
واكظم الغيظ وتجاوز عند المقدرة واحلم عند الغضب واصفح
مع الدولة تكن لك العاقبة ، واستصلح كل نعمة أنعمها الله عليك
ولا تضيعن نعمة من نعم الله عندك ولير عليك أثر ما أنعم الله به
عليك .

واعلم أن افضل المؤمنين افضلهم تقدمه من نفسه واهله وماله
فانك ما تقدم من خير يبق لك ذخره وما تؤخر يكن لغيرك خيره
واحذر صحابة من يفيل رأيه وينكر عمله فان الصاحب معتبر بصاحبه
واسكن الامصار العظام فانها جماع المسلمين ، واحذر منازل الغفلة
والجفاء وقللة الاعوان على طاعة الله ، واقصر رأيك على ما يعينك
واياك ومقاعد الاسواق فانها محاضر الشيطان ومعارض الفتن ،

واكثر ان تنظر الى من فضلت عليه فان ذلك من ابواب الشكر ،
ولا تسافر في يوم جمعة حتى تشهد الصلاة الا فاصلا في سبيل الله
أوفى امر تعذربه ، واطع الله في جميع امورك فان طاعة الله
فاضلة على ما سواها ، وخادع نفسك وارفق بها ولا تقهرها وخذ
عفوها ونشاطها الا ما كان مكتوباً عليك من الفريضة فانه لا بد من
قضاها وتعاهدها عند محلها .

واياك ان تنزل بك الموت وانت آبق من ربك في طلب الدنيا
واياك ومصاحبة الفساق فان الشر بالشر ملحق ، ووقر الله واحبب
احباءه ، واحذر الغضب فانه جند عظيم من جنود ابليس . والسلام

أقول : ونقل روايته عن الامدي في غرره مع اختلاف يسير في بعض الفقرات
قول المصنف (الى الحارث الهمداني) فانه - كما في ذيل الطبري - الحارث

ابن عبد الله بن كعب بن أسد بن يخلد بن حرث بن سبع بن صعب بن معاوية
ابن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم خيوان بن نوف بن همدان .

قال الطبري : كان من متقدمي اصحاب علي عليه السلام في الفقه والعلم
بالفرائض والحساب ، قال الشعبي : تعلمت منه الفرائض والحساب ، مات ايام
ابن الزبير .

وروى أمالي المفيد مسنداً عن الاصبغ قال : دخل الحارث الهمداني في
نفر مسن الشيعة وكنت فيهم ، فجعل الحارث يتأود في مشيته ويخبط الارض
بمخجنه - وكان مريضاً - فأقبل عليه امير المؤمنين عليه السلام - وكانت له منه
منزلة - فقال : كيف تجدك يا حارث . فقال : نال الدهرمني - الى أن قال - فقال
عليه السلام له : ابشرك يا حارث تعرفني عند الممات وعند الصراط وعند الحوض
وعند المقاسمة . قال الحارث : وما المقاسمة ؟ قال : مقاسمة النار ، أقاسمها قسمة
صحيحة ، أقول هذا وليبي فاتركيه وهذا عدوي فخذيه .

وروى الكشي عن الشعبي قال : سمعت الحرث الاعور وهو يقول : أتيت
امير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة فقال : يا أعور ما جاء بك ؟ قلت : جاء بي والله
حبك . فقال : أما اني سأحدثك لتشكرها ، أما انه لا يموت عبد يحبني فتخرج
نفسه حتى يراني حيث يحب ، ولا يموت عبد يبغضني فتخرج نفسه حتى يراني
حيث يكره . ثم قال الشعبي بعد روايته : أما ان حبه لا ينفعه وبغضه لا يضره .
قوله عليه السلام (وتمسك بحبل القرآن) فالقرآن أحد الحبلين اللذين أمر
الناس التمسك بهما حتى لا يضلوا والآخر اهل بيته عليهم السلام .

روى احمد بن حنبل في مسنده عن ابي سعيد الخدري قال : قال النبي «ص»
اني قد تركت فيكم الثقيلين أحدهما اكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود ما
بين السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي ، ألا وانهما لن يفترقا حتى يردا علي
الحوض .

وعن زيد بن ثابت عن النبي «ص» قال : اني تارك فيكم خليفتين كتاب الله
حبل ممدود ما بين السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي ، وانهما لن يفترقا حتى
يردا علي الحوض .

ورواه الثعلبي في تفسيره في قوله تعالى «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا
تفرقوا» وفيه : اني تارك فيكم خليفتين ان أخذتم بهما لن تضلوا بعدي احدهما
اكبر من الآخر - الخ .

وروى الحميدي في الجمع بين الصحيحين من مسند زيد بن أرقم من عدة
طرق قال زيد : قام النبي «ص» فينا خطيباً بماء يدعى خمأ بين مكة والمدينة
فقال : أيها الناس انما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ، وانا تارك
فيكم الثقيلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا
به ، فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : وأهل بيتي أذكركم الله في اهل

بيتي - ورواه مسلم في صحيحه مع زيادات .

ثم معنى قول النبي «ان أهل بيته والقرآن لن يفترقا» ان غيرهم يفترقون
عن القرآن ويقطعون حبله كما فصلوا وصلة عترته .

وقال ابو عبدالله عليه السلام فيما أخبر عن الملاحم : لا والله لا يرجع الامر
والخلافة الى آل ابي بكر وعمر أبداً ولا الى بنى أمية أبداً ولا في ولد طلحة
والزبير أبداً ، وذلك انهم نبذوا القرآن وأبطلوا السنن وعطلوا الاحكام .
(واستنصحه) هكذا في المصرية والصواب «وانتصحه» كما في «حد» و«ثم»
والخطية ، أي عده واعتقده نصيحاً لك .

قال الزهري قال علي بن الحسين عليه السلام : لومت بين المشرق والمغرب
لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي . كان عليه السلام اذا قرأ «مالك يوم
الدين» يكررها حتى كاد أن يموت .

(وأحل حلاله وحرم حرامه) ولا تحلل حرامه ولا تحرم حلاله ، قال تعالى
«ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله
الكذب» .

(وصدق بما سلف من الحق) من كتبه ورسله ، قال تعالى في كتابه في
موضعين «ولكن تصديق الذي بين يديه» وفي موضع «مصدق الذي بين يديه»
وفي رسوله «ثم جائكم رسول مصدق لمامعكم» ، وقال تعالى في قوم «ويريدون
أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا
بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً» .

وقال «حد» أي صدق بما في القرآن من إمام الله في الامم السالفة وهو كما ترى
(واعتبر بما مضى من الدنيا ما بقي منها) في وزراء الجهشيارى : وجد في
ثني مصلى الفضل بن يحيى لما نقل من محبس الى آخر رقعة فيها :

لولم تكن هذه الدنيا لها دول بين البرية بالافات والعطب
اذن صفت لاناس قبلنا وبهم كانت تليق ذوي الاخطار والحسب
ولم نلها وفيما قد ذكرت أسي وعبرة لذوى الالباب والادب
(فان بعضها يشبه بعضاً وآخرها لاحق بأولها وكلها حائل مفارق) في الخبر
عن ابي جعفر عليه السلام : ينادي مناد كل يوم يا ابن آدم لسد للموت واجمع
للفناء وابن للخراب .

وعن ابي عبدالله عليه السلام : جاء جبرئيل الى النبي «ص» فقال : عش يا
محمد ما شئت فانك ميت ، وأحب من شئت فانك مفارقه ، واعمل ما شئت
فانك لاقيه .

وقال «حد» قال عليه السلام في غير هذا الفصل : الماضي للمقيم عبرة ،
والميت للمحي عظة ، وليس للامس عودة ، ولا للمرء من غد على ثقة ، الاول
للاوسط رائد والاوسط للاخير قائد ، وكل بكل لاحق وكلها حائل مفارق .
(وعظم اسم الله أن تذكره الا على حق) عن ابي عبدالله عليه السلام : من
أجل الله أن يحلف به أعطاه خيراً مما ذهب عنه .

وعنه عليه السلام اجتمع الحواريون الى عيسى فقالوا : يا معلم الخير
أرشدنا . فقال لهم : ان موسى نبي الله أمركم ألا تحلفوا بالله كاذبين وانا أمركم
الا تحلفوا بالله كاذبين ولا صادقين .

وعنه عليه السلام : من حلف بالله كاذباً فقد كفر ، ومن حلف بالله صادقاً ثم
ان الله عزوجل يقول «ولا تجعلوا الله عرضة ليمانكم» .

وعنه عليه السلام : من حلف على يمين وهو يعلم أنه كاذب فقد بارز الله ،
ومن قال «علم الله ما لم يعلم» اهتز العرش اعظاماً له .

وعنه عليه السلام قال النبي «ص» ان الله ملكاً رجاه في الارض السفلى مسيرة

خمسمائة عام ورأسه في السماء العليا مسيرة ألف سنة يقول «سبحانك سبحانك حيث كنت فما أعظمك» فيوحى تعالى إليه ما يعلم ذلك من يحلف بى كاذباً .

وفي كتاب علي عليه السلام : اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم تذران الديار بلاقع من أهلها وتنغل في الرحم - يعني انقطاع النسل .

وعنه عليه السلام : اذا ادعى عليك مال ولم يكن له بينة فأراد أن يحلفك فان بلغ مقداره ثلاثين درهماً فاعطه ولا تحلف ، وان كان اكثر فاحلف ولا تعطه .

(واكثر ذكر الموت وما بعده) حتى تكون أظن الناس ، وقال ابو عبيدة الحذاء لابي جعفر عليه السلام : حدثني بما انتفع به . فقال له : اكثر ذكر الموت فانه لم يكتر انسان ذكر الموت الا زهد في الدنيا .

(ولا تمن الموت الا بشرط وثيق) روي أن رجلاً جاء الى الصادق عليه السلام فقال : قد سأمت الدنيا فأتمنى على الله الموت . قال : تمن الحياة لتطيع لا لتعصى ، فلئن تعيش فتطيع خير لك من أن تموت .

والشرط الوثيق معلومية كونه من الابرار ومن أولياء الله تعالى ، قال عز وجل «وما عند الله خير للابرار» وقال لليهود المدعين كونهم من أولياء الله «فتمنوا الموت ان كنتم صادقين» وقد حكى تمنى كثير من أولياءه تعالى وموتهم عقيب تمنيههم .

(واحذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه ويكرهه) هكذا في النسخ والظاهر كونه محرف «ويكرهه» (لعامة المسلمين واحذر كل عمل يعمل به في السر ويستحي منه في العلانية) من القبائح لا ما ورد أصله سرأ كالمنالكح .

(واحذر كل عمل اذا سئل عنه صاحبه أنكره واعتذر منه) قال «حد» الثلاثة التي أمر عليه السلام بالاحذر منها متقاربة في المعنى ويشملها معنى قول الشاعر :
لاتنه عسن خلق وتأتي مثله
غار عليك اذا فعلت عظيم

وقال تعالى حاكياً عن احد أنبيائه «وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه» ، ومن كلام الجنيد: ليكن عملك من وراء سترك كعملك من وراء الزجاج الصافى . وفى المثل «اياك وما تعتذر منه» .

قلت : بل البيت والاية فى معنى الاول ، وكلام الجنيد فى معنى الثانى ، والمثل فى معنى الثالث ، لأن كلامها يشمل الجميع .

(ولاتجعل عرضك غرضاً) أى هدفاً (لنبال القول) أى سهام أقوالهم ، قال الشاعر :

مقالة السوء السى اهلها	اسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس الى ذمه	ذموه بالحق وبالباطل

أيضاً :

لا تستثر أبداً ما لا تقوم له
ان الزنابير اذا حركتها سفهاً
ولا تهيجن من عرينه الاسدا
عن كورها أو جعت من لسعها الجسدا
فى سنن ابى داود عن السجاد عليه السلام قالت صفية : كان النبى «ص» معتكماً فأتيته أزوره ليلاً فحدثته ثم قمت فانقلبت فقام معى ليقلبنى - وكان مسكنها فى دار أسامة - فمر رجلان من الانصار فلما رأيا النبى «ص» أسرع فقال : على رسلكما انها صفية بنت حى . قالوا : سبحان الله يارسول الله . قال : ان الشيطان يجرى من الانسان مجرى الدم فخشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئاً .

(ولاتحدث الناس بكل ما سمعت) بأن تقول لهم الامر الغلانى كذا وكذا استناداً الى سماعك (فكفى بذلك كذباً) لان أكثر ما يسمع الانسان كذب وحينئذ فالواجب ألا يحدث الا بما رأى بعينه أو كروية العين من السماع عن الثقة .

وهذا نظير قوله عليه السلام فى موضع آخر «بين الحق والباطل أربع اصابع» وأراد بالحق ما رآه بعينه وبالباطل ما سمعه بأذنه .

وقال «حد»: قد نهى عليه السلام أن يحدث الإنسان بكل ما رأى من العجائب
 فضلاً عما سمع لأن الحديث الغريب المعجب تسارع النفس اليه تكذيبه ،
 والى أن تقوم الدلالة على صدقه قد فرط من سوء الظن فيه ما فرط ، ويقال ان
 بعض العلوية قال في حضرة عضد الدولة ببغداد : عندنا في الكوفة نبق وزن كل
 نبقه مثقالان فاستظرف الملك ذلك وكاد يكذبه الحاضرون ، فلما قام ذكر ذلك
 لابيهِ فأرسل حماماً كان عنده في الحال الى الكوفة يأمر و كلاءه بارسال مائة
 حمام في رجلى كل واحدة نبقتان من ذلك النبق ، فجاء النبق في بكرة الغد وحمل
 الى عضد الدولة فاستحسنه و صدقه ثم قال له : لعمرى لقد صدقت ولكن لا
 تحدث فيما بعد بكل ما رأيت من الغرائب فليس كل وقت يتهاى لك ارسال الحمام .
 قلت : هو كما ترى ، فكلامه عليه السلام أنه لا يجوز للإنسان أن يحدث
 بجميع مسموعاته مما لا شاهد لصدقه لان اكثرها كذب فاذا حدث كذب ، وما
 قاله شيء آخر وهو انه لا ينبغي للعاقل أن يحدث بكل ما رأى من الغرائب مخافة
 أن يكذبه الناس مع صدقه فيحصل له استصغار كما هو مفاد تحديث العلوي .
 (ولا ترد على الناس كل ما حدثوك به) ولو كان غريباً ففي مخلوقاته تعالى
 عجائب (فكفى بذلك جهلاً) ففي العالم أشياء لم ترها أصلاً فكيف تنكر وجودها
 بعدم رؤيتك ، وانما قال عليه السلام لا ترد كل ما حدثوك لان من الامور أموراً
 ممكنة ومنها أموراً ممتنعة قد قام البرهان على استحالتها ، فيجوز لك رد الممتنع
 دون الممكن كما في رد حضار مجلس العضد لكلام العلوي الممكن .

(واكظم الغيظ) قال «حد» روى أن عبداً لموسى بن جعفر عليه السلام قدم
 اليه صحيفة فيها طعام حار فعجل فصبها على رأسه ووجهه ، فغضب فقال العبد
 «والكاظمين الغيظ» قال قد كظمت ، قال «والعافين عن الناس» قال قد عفوت ،
 قال «والله يحب المحسنين» قال أنت حر لوجه الله وقد نحللتك ضيعتى الفلانية .

قلت : وروى المفيد في ارشاده ان رجلا من أهل بيت علي بن الحسين عليه السلام وقف عليه فأسمعه وشتمه فلم يكلمه ، فلما انصرف قال لجلسائه : لقد سمعتم ما قال هذا الرجل وانا احب أن تبلغوا معي اليه حتى تسمعوا مني ردي عليه . فقالوا له : نفعنا ولقد كنا نحب أن نقول له ونقول ، فأخذ نعليه ومشى وهو يقول «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين» ، فعلموا أنه لا يقول له شيئا ، فلما أتى بابه قال قولوا له هذا علي بن الحسين ، فخرج متوثبا للشر وهو لا يشك انه انما جاء مكافئا له على بعض ما كان له ، فقال عليه السلام له : يا أخي كنت قد وقفت علي آنفاً وقلت وقلت ، فان كنت قلت ما فيّ يغفر الله منه وان كنت قلت ما ليس فيّ فغفر الله لك فقبل الرجل بين عينيه وقال : بل قلت فيك ما ليس فيك وانا أحق به . قال الراوي : والرجل هو الحسن بن الحسن . (وتجاوز عند المقدرة واحلم عند الغضب) هكذا في المصرية والصواب

«واحلم عند الغضب وتجاوز عند المقدرة» كما في «حد» و«ثم» والخطية . في تاريخ البعقوبي قال رجل لامير المؤمنين عليه السلام : أوصني . فقال له : أوصيك بتقوى الله واجتناب الغضب وترك الاماني ، وان تحافظ على ساعتين من نهار من طلوع الفجر الى طلوع الشمس ومن العصر الى غروبها ، ولا تفرح بما علمت ولكن بما عملت فيهما .

(واصفح مع الدولة) أي الغلبة ، قال تعالى « وتلك الايام نسداولها بين الناس » أي مرة لهؤلاء ومرة لأولئك ، وقال الشاعر :

* استدل الايام والدهردول *

(تكن لك العاقبة) في ذيل الطبري قال سالم مولى ابي جعفر : كان هشام ابن اسمعيل يؤذي علي بن الحسين عليه السلام وأهل بيته يخطب على المنبر وينال من علي ، فلما ولي الوليد بن عبد الملك عزله وأمر به أن يوقف للناس - كان هشام يقول لا والله ما كان أحد من الناس اهم الي من علي بن الحسين كنت

أقول رجل صالح يسمع قوله - فوقف للناس فجمع علي بن الحسين ولده وحامته ونهاهم عن التعرض له ، وغدا عليه السلام ماراً لحاجة فما عرض له ، فناداه هشام «الله أعلم حيث يجعل رسالته» .

وقال «حد» الصفح مع الدولة كانت شيمة النبي «ص» وشيمة علي ، أما النبي فظفر بمشركي قريش وعفا عنهم ، وأما علي فظفر بأصحاب الجمل وقد شقوا عصا الاسلام عليه وطعنوا فيه وفي خلافته ففعا عنهم مع علمه بأنهم يفسدون عليه أمره فيما بعد ويصيرون الى معاوية اما بأنفسهم أو بآرائهم ومكتوباتهم ، وهذا أعظم من الصفح عن أهل مكة لعدم بقاء فئة لهم بعد الفتح حتى يمكنهم افساد . (واستصلح كل نعمة أنعمها الله عليك) لانه تعالى يسلب نعمته إذا أفسدها العبد « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» .

(ولا تضيعن نعمة من نعم الله عندك) فمن ضيع نعمته تعالى فسلبت عنه ثم دعا لعودها كان من طوائف لا يستجيب دعاءهم .

ويمكن أن يراد بتضييع النعمة أن لا يتمتع هو ومنها ولا يتمتع الناس منها ، كمن عنده فاكهة فلا يأكلها ولا يعطيها غيره حتى تفسد فيكون من المفسدين . (ولير عليك أثر ما انعم الله به عليك) فان كتمانها كفران يوجب السلب ، ولا يرتضي هذه الخلة المخلوق فكيف الخالق .

قال ابو هلال العسكري في ديوان معانيه : قال ابن قتيبة أراد جعفر حاجة كان طريقه اليها على باب الاصمعي ، فدفع الى خادم له ألف دينار وقال : اني سأنزل في رجعتي الى الاصمعي ثم يحدثني ويضحكني فاذا ضحكك فضع الكيس بين يديه فلما رجع دخل عليه فرأى حياً مكسور الرأس وجرة مكسورة العنق وقصعة مشعبة وجفنة أعشارور آه على مصلى بال وعليه بركان أجرد ، فغمز غلامه الا يضع الكيس بين يديه ، فلم يدع الاصمعي شيئاً مما يضحك الثكلان والغضببان الأورده عليه

فما تبسم ، ثم خرج فقال لرجل يسايره : من استرعى الذئب ظلم ، ومن زرع
سبخة حصد الفقر ، اني والله لو علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل ما حفلت
له بنشره له باللسان ، وأين يقع مديح اللسان من آثار الانسان ، ان اللسان قد
يكذب والحال لا يكذب ، والله در نصيب حيث يقول :

فعاوجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق

ثم قال : أما علمت ان طاق أبرويز أمدح لابرويز من شعر زهير لال سنان .
(واعلم أن أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمه من نفسه وأهله وماله) قال تعالى
«وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين» ، «ولتنظر
نفس ما قدمت لعد» ، «ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم
الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل
والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو
الفوز العظيم» .

وفي مقاتل ابى الفرج قال العباس بن علي يوم الطف لاختيه من أبيه وأمه
عبدالله بن علي : تقدم بين يدي حتى أراك قتيلاً واحتسبك .

وفي الطبري قال عابس بن شبيب الشاكري لشوذب مولى شاكر يوم الطف
ما فى نفسك أن تصنع ؟ قال : أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله حتى أقتل .
قال : ذلك الظن بك ، فتقدم بين يدي ابى عبدالله عليه السلام حتى يحتسبك كما
احتسب غيرك من أصحابه وحتى احتسبك أنا ، فانه لو كان معي الساعة أحدنا
أولى به مني بك لسرني أن يتقدم بين يدي حتى احتسبه ، فان هذا يوم ينبغي
ان نطلب الاجر فيه بكل ما قدرنا عليه ، فانه لاعمل بعد اليوم وانما هو الحساب
(فانك) هكذا فى المصرية والصواب «وانك» كما فى «حد» و«ثم» والخطبة
(ما تقدم من خير يبقى لك ذخره) «وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله

هو خيراً وأعظم أجراً» .

(وما تؤخره يكن لغيرك خيره) ولذا قيل ان الناس مال غيرهم أحب اليهم من مالهم لانه ليس مالهم الا ما قدموه وأنفقوه في سبيله تعالى ، وأما ما ادخروه فهو مال ورثتهم .

(واحذر صحابة من يفيل) أي يضعف (رأيه) قال جرير :

رأيتك يا اخيطل اذ جربنا وجربت الفراسة كنت فالاً

(وينكر عمله فان الصاحب معتبر بصاحبه) قال الصادق عليه السلام :

لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم .

قال النبي «ص» : المرء على دين خليله وقربنه ، وقال « حد » قال طرفة :

عن المرء لا تسأل وسل عن قربنه فان القرين بالمقارن يقتدى

(واسكن الامصار العظام فانها جماع) بالضم والتشديد، أي الاخلاط والاشابه ،

قال ابو قبيس بن الاسلت :

ثم تجلت ولنا غاية من بين جمع غير جماع

وجماع الثريا كواكبها المجتمعة ، قال ذو الرمة :

ونهب كجماع الثريا حويته بأجرد محتوت الصفاقين خيفق

(المسلمين) ولان فيها كل ما يحتاج اليه (واحذر منازل الغفلة والجفاء وقلة

الاعوان على طاعة الله) ولذا يكون التعرب بعد الهجرة كبيرة ، وكانت الهجرة

قبل الفتح فريضة .

(واقصر) أي احصر (رأيتك على ما يعينك) أي يهملك والافمن تابع الفضول

فاته الاصول .

(واياك ومقاعد الاسواق فانها محاضر) أي أمكنة حضور (الشيطان ومعارض)

أي مواضع عروض (الفتن) .

عن ابي جعفر عليه السلام : جاء اعرابي من بنى عامر الى النبي « ص »
فسأله عن خير بقاع الارض وشر بقاع الارض . فقال «ص» : ان خير بقاع
الارض المساجد وأحب أهلها الى الله أولهم دخولا وآخرهم خروجاً ، وان
شر بقاع الارض الاسواق وهي ميدان ابليس يغدوبرايته ويضع كرسيه ويبيت
ذريته فبين مطف في قفيز أو طائش في ميزان أو سارق في ذرع أو كاذب في سلعة
فلا يزال مع أول من يدخل وآخر من يخرج .

(واكثر أن تنظر الى من فضلت عليه فان ذلك من أبواب الشكر) يمكن أن
يراد باكثر النظر الى المفضل عليه التفكير في نعمة الله عليك بتفضيلك فتشكره
تعالى على ذلك ، ويمكن ان يراد به اكثر مساعدته ليكون شكراً لنعمته تعالى عليه .
وفي وزراء الجهشيارى قال ابن المعتمر : كنت أسير مع يحيى البرمكي
وهو بين ابنه الفضل وجعفر ، فاذا ابن طرخان واقف على الطريق ، فناداني
فاستشرت له فقال :

صحبت البرامك عشراً ولاء وبيتى كراء وخبزي شراء

فسمعه يحيى فالتفت الى ابنه فقال : أف لهذا العقل فلان ممن يحاسب ،
فلما كان من الغد جاء ابن طرخان فقلت له : ويحك ما هذا الذي عرضت له
نفسك بالامس . فقال : اسكت ما هو الا أن انصرفت الى منزلي حتى جاءني من
قبل الفضل بدرة ومن قبل جعفر بدرة ووهب لي كل واحد منهما داراً وأجرى
لي من مطبخه ما يكفيني .

وكان يحيى يقول : ما وقع غبار مركبي على لحية رجل قط الا أوجبت
له على نفسي حفظه وألزمتها حقه .

(ولا تسافر في يوم جمعة حتى تشهد الصلاة) «اذا نودي للصلاة من يوم
الجمعة فاسعوا الى ذكر الله» وقبل النداء اذا سافر فوت على نفسه فضلاً كثيراً

(الافصال في سبيل) في الجهاد الواجب (أوفي أمر تعذربه) من السفر الاضطراري (واطع الله في جميع) هكذا في المصرية والصواب «في جمل» كما في «حد» و«ثم» والخطية (امورك فان طاعة الله فاضلة على ما سواها) «ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً» ، «ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً» «ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون» ، «ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك هو الفوز العظيم» .

(وخادع نفسك في العبادة) روى ارشاد المفيد عن سعد بن كلثوم قال : كنت عند جعفر بن محمد عليه السلام فذكر علياً فقال : والله ما أكل من الدنيا حراماً قط حتى مضى لسبيله ، وما عرض له أمران قط هما لله رضى الا أخذ بأشدهما عليه في دينه ، وما نزلت بالنبي «ص» نازلة قط الادعاه ثقة به ، وما أطاق عمل النبي من هذه الامة غيره ، وان كان ليعمل عمل رجل كان وجهه بين الجنة والنار يرجو ثواب هذه ويخاف من عقاب هذه ، ولقد أعتق من ماله مائة الف مملوك في طلب وجه الله والنجاة من النار مما كد بيده ورشح منه جبينه ، وان كان ليقوت أهله بالزيت والخل والعجوة وما كان لباسه الا الكرايبس ، اذا فضل شيء عن يده من كفه دعا بالجلم فقصفه .

وما اشبهه من أهل بيته احد أقرب شهماً به في لباسه وفقهه من علي بن الحسين عليه السلام ، ولقد دخل ابو جعفر ابنه عليه فاذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه ، فرآه قد اصفر لونه من السهر ورمضت عيناه من البكاء ودبست جبهته وانخرم أنفه من السجود وورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة ، فلم يملك من البكاء حين رآه بتلك الحال فيكي رحمة له واذا هو يفكر ، فالتفت اليه بعد هنيهة وقال له : يا بنى اعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن

ابى طالب ، فأعطاه فقراً فيها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده تضجراً وقال : من يقوى على عبادة علي «ع» .

وروى أمالي الشيخ ان فاطمة بنت علي عليه السلام لما نظرت الى مايفعل ابن أخيها علي بن الحسين بنفسه من الدأب في العبادة أتت جابر الانصاري فقالت له : يا صاحب النبي ان لنا عليكم حقوقاً - ومنها اذا رأيتم أحداً يهلك نفسه اجتهاداً أن تذكروه الله وتدعوه الى البقى على نفسه - وهذا علي بن الحسين بقية أخي الحسين قد انخرم أنفه وثفتت جبهته وركبتاه وراحته اذ آبأ منه لنفسه في العبادة . فسأتي جابر اليه عليه السلام وقال له : أما علمت يا ابن رسول الله ان الله تعالى انما خلق الجنة لكم ولمن أحبكم وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم ، فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك ؟ فقال عليه السلام : أما علمت يا صاحب النبي ان جدي رسول الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلم يدع الاجتهاد له وتعبد بأبي هو وامي حتى انتفخ الساق وورم القدم ، وقيل له أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . قال : أفلا اكون عبداً شكوراً . فلما رأى جابر أنه ليس يغني فيه قول قال له : يا ابن رسول الله البقيا على نفسك فانك من أسرة بهم يستدفع البلاء ويستكشف اللاواء وبهم يستمطر السماء . فقال عليه السلام له : يا جابر لا أزال على منهاج أبوي صلوات الله عليهما مؤتسباً بهما حتى ألقاهما . فأقبل جابر على من حضر فقال لهم : والله ما أرى في أولاد الانبياء بمثل علي بن الحسين الا يوسف بن يعقوب ، والله لذرية علي بن الحسين أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب اذ منهم لمن يملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً .

(وارفق بها ولا تقهرها وخذ عسوها ونشاطها) في الكافي عن النبي «ص»: ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولا تكرر هوا عبادة الله الى عبادة الله فتكونوا

كالراكب المنبّت الذي لا سفرأ قطع ولاظهرأ أبقى .

(الاماكان مكتوباً عليك من انفريضة فانه لاابد من قضائها) أي أدائها كقوله
تعالى « فاذا قضيت الصلاة » .

(وتعاهدهما عند محلها) أي وقتها كان لك نشاط أم لا بخلاف النافلة .
وفي الكافي عن النبي «ص» ان للقلوب اقبالا وادباراً ، فاذا أقبلت فتنفلوا
وإذا أدبرت فعليكم بالانفريضة .

وروى ان اباالحسن موسى عليه السلام كان اذا أهم ترك النافلة .
(واياك ان ينزل بك المسوت وانت آبق من ربك في طلب الدنيا) قيل
لابي ذر: كيف ترى قدومنا على الله ؟ قال : أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله
وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه . قيل له : فكيف حالنا عند الله ؟ قال :
أعرضوا أعمالكم على كتاب الله انسه تعالى يقول « ان الابرار لفي نعيم * وان
الفجار لفي جهيم » . قيل له : فأين رحمة الله ؟ قال : ان رحمة الله قريب من
المحسنين .

(واياك ومصاحبة الفساق فان الشرب بالشر ملحق) روى الكافي ان الهادي عليه
السلام قال للجعفري : مالي رأيتك عند عبدالرحمن بن ابي يعقوب ؟ فقال له :
انه خالي . فقال عليه السلام : انه يقول في الله تعالى قولاً عظيماً يصف الله تعالى
ولا يوصف فاما جلست معه وتركتنا واما جلست معنا وتركته . فقال الجعفري:
هو يقول ما شاء أي شيء علي منه اذا لم أقل بقوله . فقال : أما تخاف أن تنزل
به نقمة فتصيبكم جميعاً ، أما علمت الذي كان من اصحاب موسى عليه السلام
وكان ابوه من اصحاب فرعون، فلما لحق خيل فرعون موسى تخلف عنه ليعظ
أباه فيلحقه بموسى ، فمضى أبوه وهو يراغمه حتى بلغا طرفاً من البحر ففرقا
جميعاً واتي موسى الخبر فقال: هو في رحمة الله ولكن النقمة اذا نزلت لم يكن

لها عن قارب المذنب دفاع .

وروى عن محمد بن مسلم قال : مر بي ابو جعفر عليه السلام وانا جالس عند قاض بالمدينة ، فدخلت عليه من الغد فقال لي : ما مجلس رأيتك فيه أمس قلت له : جعلت فداك ان هذا القاضي لي مكرم فرما جلست اليه . فقال لي : وما يؤمنك أن تنزل اللعنة عليه فتعم من في المجلس .

(ووقر الله) فانه لازم الايمان به ولازم المعرفة بعظمته وقدرته ، قال نوح لقومه « ما لكم لا ترجون الله وقاراً * وقد خلقكم أطواراً » .

(واحب أحياءه) في الكافي عن النبي «ص» قال لاصحابه : أي عرى الايمان أوثق . فقال بعضهم الصلاة وقال بعضهم الزكاة وقال بعضهم الصيام وقال بعضهم الحج والعمرة وقال بعضهم الجهاد ، فقال «ص» لكل ما قلتم فضل ولكن أوثق عرى الايمان بالله الحب في الله والبغض في الله وتوالي أوليائه والتبري عن أعدائه .

وعنه «ص» قال : ود المؤمن للمؤمن من أعظم شعب الايمان ، ألا ومن أحب في الله وابغض في الله واعطى في الله ومنع في الله فهو من أصفياء الله . وعن السجاد عليه السلام قال : اذا جمع الله الاولين والآخرين قام مناد يسمع الناس فيقول : أين المتحابون في الله ، فيقوم عنق من الناس فيقال لهم اذهبوا الى الجنة بغير حساب ، فتلقاهم الملائكة فيقول لهم فأي ضرب أنتم من الناس ، فيقولون نحن المتحابون في الله ، فيقولون أي شيء كانت أعمالكم ، قالوا كنا نحب في الله ونبغض في الله ، فيقولون لهم نعم أجر العالمين .

(واحذر الغضب فانه جند عظيم من جنود ابليس) روى الكافي ان رجلاً بدوياً أتى النبي «ص» فقال : انى أسكن البداية فعلمني جوامع الكلم . فقال : أمرك ألا تغضب ، فأعاد عليه المسألة ثلاث مرات حتى رجع الرجل الى نفسه

فقال : لا أسأل عن شيء بعد هذا ما أمرني النبي الا بالخير .
وكان ابي يقول : أي شيء أشد من الغضب ، ان الرجل ليغضب فيقتل النفس
التي حرم الله ويقذف المحصنة .

وعن ابي جعفر عليه السلام : ان الرجل ليغضب فما يرضى أبداً حتى يدخل
النار ، فأيما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك فانه سيذهب
عنه رجز الشيطان ، وأيما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه وليمسه فان الرحم
اذا مست سكنت .

٢٢/٨ / ومن خطبة له عليه السلام : اما بعد فان الامر ينزل من
السماء الى الارض كقطرات المطر الى كل نفس بما قسم لها من
زيادة ونقصان ، فاذا رأى احدكم غفيرة في اهل او مال او نفس
فلا تكون له فتنة ، فان المرء المسلم ما لم يغش دناءة تظهر
فيخشع لها اذا ذكرت وتغرى بها لئام الناس كان كالفالج الياسر
الذي ينتظر اول فوزة من قداحه توجب له المغنم ويرفع بها
عنه المغرم ، وكذلك المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر
من الله احدى الحسنين اما داعى الله فما عند الله خير له .

واما رزق الله فاذا هو ذواهل ومال ومعه دينه وحسبه ، ان
المال والبنيان حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد
يجمعهما الله لاقوام ، فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه
واخشوه خشية ليست بتعذير واعملوا في غير رياء ولا سمعة ، فانه
من يعمل لغير الله يكله الله لمن عمل له ، نسأئ الله منازل الشهداء
ومعايشة السعداء ومرافقة الانبياء .

أيها الناس انه لا يستغنى الرجل .. وان كان ذا مال .. عن عشيرته

ودفاعهم عنه بأيديهم والسنتهم وهم اعظم الناس حيلة من ورائه
والمهم لشعته واعطفهم عليه عند نازلة اذا نزلت به ، ولسان
الصدق يجعله الله للمرء في الناس خيره من المال يورثه غيره .
ومنها : ألا لا يعدلن عن القرابة يرى بها الخاصة ان يسدها
بالدى لا يزيده ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه ، ومن يقبض
يده عن عشيرته فانما يقبض منه عنهم يد واحدة ويقبض منهم
عنه ايد كثيرة ، ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة .

قال الشريف : اقول الغفيرة هنا الزيادة والكثرة ، من قولهم
للجمع الكثير « الجم الغفير والجماء الغفير » ، وروى « عفو
من اهل اومال » والعفو الخيار من الشيء ، يقال اكلت عفو
الطعام اى خياره ، وما احسن المعنى الذى اراده عليه السلام
بقوله « ومن يقبض يده عن عشيرته » الى تمام الكلام .. فان
الممسك خيره عن عشيرته انما يمسك نفع يد واحدة فاذا احتاج
الى نصرته واضطر الى مرافقتهم قعدوا عن نصره وثناقلوا عن
صوته ، فممنع ترافد الايدي الكثيرة وتناهض الاقدام الجممة .
وقال فى فصل غريب حديثه عليه السلام بعد (٢٦٠) فى الثامن
«ومن حديثه كالياسر الفالج ينتظر اول فوزة من قداحه» الياسرون
هم الذبن يتضاربون بالقداح على الجزور ، والفالج القاهر
والغالب يقال فلج عليهم وفلجهم ، وقال الراجز :

« لما رايت فالجاً قد فلجاً »

أقول : الثاني كما ترى جزء الاول فهو من المواضع التي قال «وربما بعد
العهد» بما اختير أولاً فأعيد بعضه سهواً ونسياناً ، وروى الاول نصر بن مزاحم

في صفينه والدينوري في طوالة وابن قتيبة في خلفائه واليعقوبى في تاريخه
 ومحمد بن يعقوب في كافيته بزيادة ونقصان واختلاف ، وكذا ابن عساكر في
 ترجمته عليه السلام في خبره (١٢٧٦) وخبره (١٢٧٧) عن يحيى بن معمر ، وفي
 طريق الثانى سفيان بن عيينة وقال قال من يحسن ان يتكلم بهذا الكلام الا علي .
 وروى الاول عن علي بن الحسين عليه السلام قال : خطبة علي بن ابي
 طالب في الجمعة بالكوفة والمدينة ، ان الحمد لله أحمده وأستعينه وأستهديه
 وأعوذ بالله من الضلالة ، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد
 الا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله انتخبه لامره واختصه
 بالنبوة اكرم خلقه عليه وأحبهم اليه فبلغ رسالة ربه ونصح لامتة وادى الذى عليه
 واوصيكم بتقوى الله ، فان تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله وأقربه لرضوان الله
 وخيره في عواقب الامور عند الله ، وبتقوى الله أمرتم وللإحسان والطاعة خلقتم ،
 فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه ، فانه حذر بأسا شديداً واخشوا الله خشية
 ليست بتعذير ، واعملوا بغير رياء ولا سمعة ، فانه من عمل لغير الله وكله الله الى
 ما عمل له ، ومن عمل لله مخلصاً تولى الله أجره وأشفقوا من عذاب الله فانه لم
 يخلقكم عبثاً ولم يترك شيئاً من أمركم سدى ، قد سمى آثاركم وعلم أعمالكم
 وكتب آجالكم ، فلا تغتروا بالدنيا فانها غرارة بأهلها مغرور من اغتربها والى
 فناء ما هي ، ان الآخرة هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون ، أسأل الله منازل الشهداء
 ومرافقة الانبياء ومعيشة السعداء فانما نحن له وبه .

ومثله الثانى الا انه قال : وان أول جمعة صلى بالكوفة خطب فقال - الخ .
 وقال الثالث : ذكروا أن علياً عليه السلام قام خطيباً فقال : أيها الناس ألا
 ان هذا القدر ينزل من السماء كقطر المطر على كل نفس بما كتب من زيادة أو
 نقصان في أهل أو مال ، فمن أصابه نقصان في أهل أو مال فلا يغش نفسه ، ألا

وانما المال حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام وقد دخل في هذا العسكر طمع من معاوية فضعوا عنكم هم الدنيا بفراقها وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها ، فان نازعتكم أنفسكم الى غير ذلك فردوها الى الصبر ووطنوها على العزاء ، فوالله ان أرجى ما أرجوه الرزق من الله من حيث لا يحتسب ، وقد فارقكم مصقلة بن هبيرة فأثر الدنيا على الآخرة وفارقكم بسر ابن ارقطة فأصبح ثقيل الظهر من الدماء مفتضح البطن من المال وفارقكم زيد ابن عدي بن حاتم فأصبح ليسأل الرجعة ، وأيم الله لودت رجال مع معاوية انهم معي فباعوا الدنيا بالآخرة ، ولودت رجال معي أنهم مع معاوية فباعوا الآخرة بالدنيا - الخ . وما فيه من فراق بسرعه كمصقلة وزيد غريب فلم يذكر أحد أنه كان معه عليه السلام أولاً .

وقال أيضاً - بعد ذكر بيعته عليه السلام - وذكروا أن البيعة له « ع » لما تمت بالمدينة خرج الى المسجد فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ووعد الناس خيراً ثم قال : لا يستغني الرجل وان كان ذا مال وولد عن عشيرته ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم ، هم أعظم الناس حيلة من ورائه وألمهم لشعته وأعطفهم عليه ان اصابته مصيبة أو نزل به بعض مكاره الأمور ، ومن يقبض يده عن عشيرته فانه يقبض عنهم يداً واحدة وتقبض عنه أيد كثيرة ، ومن بسط يده بالمعروف ابتغاء وجه الله تعالى يخلف الله ما أنفق في دنياه ويضاعف له في آخرته .

واعلموا أن لسان صدق يجعله الله للمرء في الناس خيره من المال ، فلا يزداد أحدكم كبرياء ولا عظمة في نفسه ، ولا يغفل أحدكم عن القرابة أن يصلها بالذي لا يزيد ان أمسكه ولا ينقصه ان أهلكه .

واعلموا أن الدنيا قد أدبرت والآخرة قد أقبلت . ألا وان المضمار اليوم والسبق غداً ، ألا وان السبق الجنة والغاية النار ، ألا ان الأمل يشهي القلب

ويكذب الوعد ويأتي بغفلة ويورث حسرة فهو غرور وصاحبه في عناء ، فافزعوا الى قوام دينكم واتمام صلاتكم وأداء زكاتكم والنصيحة لامامكم ، وتعلموا كتاب الله وأصدقوا الحديث عن رسول الله «ص» ووفوا بالعهد اذا عاهدتم وأدوا الامانات اذا ائتمتم وارغبوا ثواب الله وارهبوا عذابه واعملوا بالخير تجزوا بالخير يوم يفوز بالخير من قدم الخير .

وقال الرابع : خطب عليه السلام فتلا قوله عز وجل «انا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في امام مبين» ثم قال : ان هذا الامر ينزل من السماء كقطر المطر الى كل نفس بما كتب الله لها من نقصان في نفس أو أهل أو مال ، فمن أصابه نقص في أهله وماله ورأى عند اخيه عفوهُ فلا يكونن ذلك عليه فتنة ، فان المرء المسلم مالم يأت دناءة يخشع لها وذلة اذا ذكرت وتغرى به لئام الناس كالياسر الفاليج الذي ينتظر أول فوزه مسن قداحه يوجب له المغنم ويدفع عنه المغرم ، كذلك المرء البريء من الخيانة والكذب يترقب كل يوم وليلة احدى الحسنين اما داعى الله فما عند الله خير له واما فتحاً من الله فاذا هو ذو أهل ومال ومعه حسبه ودينه ، المال والبنون حسرت الدنيا والعمل الصالح حسرت الاخرة وقد يجمعهما الله لاقوام .

وروى الخامس مسنداً عن الحسن قال : خطب عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد فانه انما هلك من كان قبلكم حيث ما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربانيون والاحبار عن ذلك ، وانهم لما تماردوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والاحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات ، فأمروا بالمعروف وانهاوا عن المنكر .

واعلموا أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لن يقربا أجلا ولن يقطعنا رزقاً ، ان الامر ينزل من السماء الى الارض كقطر المطر الى كل نفس بما قدر

الله لها من زيادة أو نقصان ، فان أصاب أحدكم مصيبة في أهل أو مال أو نفس ورأى عند أخيه غفيرة في أهل أو مال أو نفس فلا يكون له فتنة ، فان المرء المسلم لبريء من الخيانة ما لم يغش دناءة تظهر فيخشع لها اذا ذكرت ويغرى بها لثام الناس ، كان كالفالج الياسر الذي ينتظر أول فوزه من قداحه حتى توجب له المغنم ويدفع عنه بها المغرم ، وكذلك المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر من الله احدى الحسنين اما داعى الله فما عند الله خير له واما رزق الله فاذا هو ذو أهل ومال ومعه دينه وحسبه، ان المال والبنين حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لاقوام ، فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه واخشوه خشية ليست بتعذيب واعملوا في غير رياء ولا سمعة، فانه من يعمل لغير الله يكله الله الى من عمل له ، نسأل الله منازل الشهداء ومعاشة السعداء ومرافقة الانبياء .

وعن ابي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين : لن يرغب المرء عن عشيرته وان كان ذامال وولد عن مودتهم وكرامتهم ودفاعهم بأيديهم وألستهم هم أشد الناس حيطة من ورائه وأعطفهم عليه والمهم لشعته ان أصابته مصيبة أو نزل به بعض مكاره الامور ، ومن يقبض يده عن عشيرته فانما يقبض عنهم يداً واحدة ويقبض عنه منهم أيد كثيرة ، ومن يلن حاشيته يعرف صديقه منه المودة ومن بسط يده بالمعروف اذا وجده يخلف الله له ما أنفق في دنياه ويضاعف له في آخرته ، ولسان الصدق للمرء يجعله الله في الناس خيراً من المال يأكله ويورثه ولا يزدادن أحدكم كبراً وعظماً في نفسه ونأياً عن عشيرته ان كان موسراً في المال ولا يزدادن أحدكم في أخيه زهداً ولا منه بعداً اذا لم ير منه مروة وكان معوزاً في المال ، لا يغفل أحدكم عن القرابة بها الخصاصة أن يسدها بما لا ينفعه ان أمسكه ولا يضره ان استهلكه .

وظهر لك مما نقلنا من المدارك والاسانيد مع اختلافهما أن ما عنونه المصنف

جمع بين روايتين كما أنه جمع بين موضوعين ، فمن أوله الى قوله «ومرافقة الانبياء» رواية وكانت الخطبة بعد صفين ، ومن قوله بعده «أيها الناس انه لا يستغني الرجل» الى آخر الكلام خطبة أخرى خطب عليه السلام بها أول بيعة الناس له ، ولاوجه لجمع المصنف بينهما سوى ربط يسيرين قوله في الاولى «فاذا رأى أحدكم لآخيه غفيرة» - الخ وقوله في الثانية «لايستغني الرجل وان كان ذا مال عن عشيرة» - الخ ، لكنه كما ترى فالاول دستور للمسلم في سيرته مع المسلمين والثاني حث على صلة الارحام .

ومما ذكرنا يظهر لك ما في تكلف «خو» للربط بينهما لعدم تفضنه لكونهما كلامين كغيره ممن سبقه من الشراح ، فقال عند قوله عليه السلام «أيها الناس» لما اشار الى تأديب الفقراء بالنهي عن التعرض للاغنياء بما يوجب لهم ملكات السوء من الحسد ونحوه أردف ذلك بتأديب الاغنياء واستدراجهم في حق الفقراء ذوي الارحام - الخ .

(أما بعد فان الامر ينزل من السماء كقطرات) هكذا في المصرية والصواب «كقطر» كما في «حد» و«ثم» والخطية بل وفي مداركه (المطر الى كل نفس بما قسم لها من زيادة و) هكذا في المصرية والصواب «أو» كما في «حد» و«ثم» والخطية بل وفي مداركه (نقصان) قال تعالى «وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين * وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم» ، «يهب لمن يشاء اناثاً ويهب لمن يشاء الذكور* أو يزوجهم ذكراً واناثاً ويجعل من يشاء عقيماً» ، «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير* تولج الليل في النهار وتولج النار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب» ، «الله يبسط الرزق لمن يشاء

ويقدر» .

(فاذأرأى أأءكم لآخيه ءفيرة) أى كآرة وزبآءة (في أهل أومآل أونفس فلا تكونن) تلك الءفيرة اورؤبتهآله (فتنة) بآن يحسده عليها فيهلكه الحسد لان الحسد يآكل الآبمآن كمآ آآكل النار الحطب، كمآ كآنت تلك الءفيرة لمن هي عنده فتنة هل يشكرها أم لا ، قال تعالى لنبيه«ولآتمدن عينيك الى مآ متعبآه أزواجآ منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى» .

(فآن المرء المسلم مآلم يءش دنآة تظهر فيءشع لها آذا ذكرت) قآلت ليلي الآخيلية :

لعمرك مآ بالموت عارعلى امرئء آذا لم تصبه في الحياة المعآير
في الآعاني : مر مآلك بن الرب بليلى الآخيلية فءلس اليها يحآءنهبآطويلا
وأنشدهآ ، فأقبلت عليه وأعءبت به حتى طمع في وصلها ثم آذا هو بفتى قد
ءآء اليها كآنه نصل سيف فءلس اليها فأعرضت عن مآلك وتهاونت حتى كآنه
عندهآ عصفور ، وأقبلت على صآحبها مليآ م نهارها فءآظه ذلك من فعلها وأقبل
على الرجل فقال : من أنت فقال : توبة بن الحمير . فقال : هل لك في المصآرعة ؟
قال : ومآ دعآك الى ذلك وأنت ضيفنآ وءآرنآ . قال : لآبء منه . فظن أن ذلك
يعخوفه منه فآزءآء لءآجآ ، فقام توبة فصرعه فصرعه ، فلمآ سقط السى الارض
صءرت منه ريبذآت صوت، فضحكآ ليلي منه فآستحيى مآلك فآكتب بخرآسآن
وقال : لآقيم ببلء العرب آبءآ وقد آءءثت عني بهذا الحديث ، فأقام ثمة حتى
مآت وقبره هنآك معروف .

وكان المءبل السعدي خطب - كمآ في الآعاني - الى الزبرقان بن بءرآخته
خليفة فمنعه ثم زوجبآ بآآر فقال المءبل :

فآنكحته زهوآ كآن عءآنهبآ مشق آهآب أوسع السلخ نآءله

ثم مر المخبل بعد ما أسن وضعف بصره بخليدة فأنزلته وقربته واکرمته
 ووهبت له وليدة وقالت له : اني آثرتك بها يا أبايزيد فاحتفظ بها . فقال : ومن
 أنت حتى أعرفك وأشكرك . قالت : لاعليك . قال : بلى والله . قالت : أنا بعض
 من هتكت بشعرك ظالماً أنا خليدة بنت بدر . فقال : واسواتاه منك فاني استغفر
 الله واستغفرك ، ثم قال :

لقد ضل حلمي في خليدة انني سأعتب نفسي بعدها وأتوب
 فأقسم بالرحمن انني ظلمتها وجرت عليها والهجاء كذوب

(وتغرى) من الاغراء أو التغرية أي تولع (به لثام الناس) في المعجم اجتاز
 القاضى التنوخي يوماً في بعض الدروب فسمع امرأة تقول لآخرى : كم عمر
 بنتك يا أختي ؟ فقالت لها : رزقتها يوم شهر بالقاضى التنوخي وضرب بالسياط
 فرفع رأسه اليها وقال : يا بطراء صار صفعي تاريخك ما وجدت تاريخاً غيره .
 وفي العمون : دخل اعرابي على المساور الضبي وهو بندار الري فسأله فلم
 يعطه فقال :

أتيت المساور في حاجة فما زال يسعل حتى ضرط
 وحك قفاه بكر سوعه ومستح عثونه وامتخط
 فأمسك عن حاجتي خيفة لآخرى تقطع شرخ السفط
 فأقسم لو عدت في حاجتي للطنخ بالسلح وشى النمط
 وقال غلطنا حساب الخراج فقلت من الضرط جاء الغلط

فكان مساور كلما ركب صاح به الصبيان «من الضرط جاء الغلط» فهرب من
 غير عزل الى بلاد اصبهان .

(كان كالفالج الياسر) هكذا في النهج بتقديم «الفالج» في الاول وبتقديم
 الياسر بلفظ «كالياسر الفالج» في الثانى ، والظاهر أنه أخذ الاول من رواية

الكافي وأخذ الثاني من كتب عريب الحديث ، بدليل أن النهاية أيضاً نقله كالثاني وهو الصحيح لان الفالغ صفة الياسر والصفة لايتقدم على الموصوف وكذلك نقله اليعقوبى كما مر .

وأما قول «حد» - ولم يتفطن للاختلاف بين الموضوعين كغيره - انه من باب تقديم الصفة على الموصوف كقوله تعالى «وغرايب سود» - الخ ، ففي غير محله فان المواضع التي يتقدم فيها الصفة تجعل مضافة لاموصوفة ، كأن يقال في «الليالى السود» «سود الليالى» ، وأما «غرايب سود» فقال الجوهري «سود» بدل من «غرايب» لان توأكيد الالوان لا تتقدم ، مع انه بعد وجود الرواية الصحيحة لاحتاج الى تأويل .

ثم ان المصنف فى الاول لم يتعرض لتفسير الكلمتين وانما فسرها فى الثاني بأن الياسرين هم الذين يتضاربون بالقداح على الجزور والفالغ القاهر الغالب ، واعترض عليه «حد» ثمة فى تفسير الفالغ بأن الغالب لاينتظر كما قد وصف به بعد وانما يعنى بالفالغ الميمون النقيبة الذي له عادة مطردة أن يغلب وقل أن يكون مقهوراً ، مع أنه نفسه فى الاول فسره بما فسره المصنف ثمة فقال : الفالغ الظافر الغالب ، فالاعتراض على نفسه مع أنه لم يفسر أحد الفالغ بالميمون النقيبة ، وكان عليه أن يقول ليس المراد بالغالب الغالب فعلا بل شأناً وهو الذي يغلب غالباً . وفسره «ثم» بأن المراد الفائز الذي ينتظر قبل فسوزه أول فوزه من قداحه .

(الذي ينتظر أول فوزه من قداحه) بالكسر جمع القدح بالكسر ، وأما القدح بفتححتين فجمعه أقداح للشرب ، والقداح للميسر .

(توجب له المغنم) أي الغنيمة (ويرفع بها عنه) هكذا فى المصرية والصواب «ويرفع عنه بها» كما فى «حد» و«ثم» والخطية (المغرم) أي الغرامة ، قال ابن

دريد في جمهرته : أسماء قذاح الميسر مما اتفق عليه الاصمعي وغيره من أهل العلم الفائزة منها سبعة وهي الفذ والتوام والضريب - وهو المصفح - والحلس والنافس والمسبل والمعلى ، فهذه سبعة ومنها ما لانصيب له الفسيح والمنيح والرقيب والوغد .

وقال «ثم» المنقول ان الخشب المسميات قذاحاً - وهي التي كانت لايسار الجزور - سبعة: أولها الفذ وفيه فرض واحد ، والثاني التوام وفيه فرضان ، وثالثها الضريب وفيه ثلاثة فروض ، ورابعها الحلس وفيه أربعة ، والخامس النافس وفيه خمسة ، والسادس المسبل وفيه ستة ، والسابع المعلى وله سبعة ، وليس بعده قذح فيه شئ ، من الفروض الأأنهم يدخلون مع هذه السبعة أربعة اخرى تسمى أوغاداً لفروض فيها وانما تنقل بها القذاح وأسمائها المصدر ثم المضعف ثم المنيح ثم السفيح ، فاذا اجتمع أيسار الحي أخذ كل منهم قذحاً وكتب عليه اسمه أو علمه بعلامة ثم اتوا بجزور فينحرها صاحبها ويقسمها عشرة أجزاء على الوركين والفخذين والعجز والكاهل والزور والملجأ والكتفين ، ثم يعمد الى انطفاطف وخرز الرقبة فيقسمها على تلك الاجزاء بالسوية ، فاذا استوت وبقي منها عظم أو بضعة لحم انتظر به الجازر من اراده ممن يفوز قذحه ، فاذا أخذه عيّره والافهول للجازر . ثم يؤتى برجل معروف انه لم يأكل لحمأ قط بئمن الأأن يصيبه عند غيره - ويسمى الحرضة فيجعل على يديه ثوب ويعصب رؤس أصابعه بعصابة كيلا يجد مس الفروض ، ثم يدفع اليه القذاح ويقوم خلفه رجل يقال له الرقيب فيدفع اليها قذحاً قذحاً منها من غير ان ينظر اليها ، فمن خرج قذحه أخذ من أجزاء الجزور بعدد الفروض التي في قذحه ومن لم يخرج قذحه حتى استوفيت أجزاء الحزور غرم بعدد فروض قذحه كأجزاء تلك الجزور من جزور أخرى لصاحب الجزور الذي نحرها ، فان اتفق ان خرج المعلى أولاً

فأخذ صاحبه سبعة أجزاء من أجزاء الجزور، ثم خرج المسبل فلم يجد صاحبه الا ثلاثة أجزاء أخذها وغرم له من لم يفز قدحه ثلاثة أجزاء من جزور أخرى .
وأما القداح الاربعة الاوغاد فليس في خروج أحدها غنم ولا من عدم خروجه غرم ، والمنقول عن الايسار أنهم كانوا يحرمون ذلك اللحم على أنفسهم ويعدون له للاضياف .

(و كذلك المرء المسلم البريء من العيانة ينتظر من الله احدى الحسنين اما داعي الله فما عند الله خير له) «الذين تنوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون» ، «ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون* نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم» .

وعنهم عليهم السلام : ما بين أحدكم وبين الجنة الا أن تبلغ نفسه حلقه .
ولما انتهى الحسين عليه السلام الى عذيب الهجانات فاذا هم بأربعة قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم ومعهم دليلهم الطرماح بن عدي على فرسه وهو يقول :

يا ناقتي لاتدعري من زجري	وشمري قبل طلوع الفجر
بخير ركبان وخير سفر	حتى تحلى بكريم النجر
أتى به الله لخير أمر	ثمت ابقاه بقاء الدهر

فقال الحسين عليه السلام : والله أرجو أن يكون ما أراد الله بنا خيراً قلنا أم ظفرنا .

(وأما رزق الله فاذا هو ذو أهل ومال ومعه دينه وحسبه) روى الكافي ان الصادق عليه السلام قال لسفيان الثوري وأصحابه الصوفية - لما رأى عليه ثياباً بيضاً كأنها غرقىء البيض وأنكره - فيما رده عليه : ان النبي «ص» قال : ما عجبت

من شيء كعجبي من المؤمن انه ان قرض جسده في دار الدنيا بالمقاريض كان خيراً له ، وان ملك ما بين مشارق الارض ومغاربها كان خيراً له ، وكل ما يصنع الله عزوجل به فهو خير له . وأخبروني اين انتم عن سليمان بن داود « ع » حيث سأل الله ملكاً لا ينبغي لاحد من بعده فأعطاه الله تعالى ذلك وكان يقول الحق ويعمل به ، وداود النبي قبله في ملكه وشدة سلطانه ، ثم يوسف النبي حيث قال لملك مصر « اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم » ، ثم ذوالقرنين عبد أحب الله فأحبه وطوى له الاسباب وملكه مشارق الارض ومغاربها وكان يقول الحق ويعمل به ثم لم نجد أحداً عاب عليه ذلك - الخبر .

وروى روضة الكافي عن ابي جعفر عليه السلام قال : كان عابد في بني اسرائيل - وكان محارفاً لا يتوجه في شيء فيصيب فيه شيئاً - فأنفقت عليه امرأته حتى لم يبق عندها شيء ، فجاعوا يوماً من الايام فدفعت اليه فضلاً من غزل وقالت له بعه واشتر شيئاً نأكله ، فانطلق به فوجد السوق قد غلقت فقال لو أتيت هذا الماء فتوضأت منه وصببت علي منه وانصرفت ، فجاء الى البحر فاذا هو بصياد قد ألقى شبكته فأخرجها وليس فيها السمكة ردية قد مكثت عنده حتى صارت رخوة منتنة ، فقال له بعني هذه السمكة وأعطيك هذا الغزل تنتفع به في شبكتك . قال : نعم ، فأخذ السمكة ودفع اليه الغزل وانصرف بالسمكة الى منزله ، فلما شقت امرأته السمكة بدت في جوفها لؤلؤة فأرتها زوجها فانطلق بها الى السوق فباعها بعشرين ألف درهم وانصرف الى منزله بالمال ، فاذا سائل يبدق الباب ويقول : يا أهل الدار تصدقوا على المسكين . فقال له الرجل : أدخل فدخلك فقال له خذ أحد الكيسين فأخذ احدهما وانطلق ، فقالت له امرأته : بينما نحن مياسير اذهب بنصف يسارنا ، فلم يكن ذلك بأسرع من أن دق السائل الباب ووضع الكيس مكانه ثم قال له : كل هنيئاً مريئاً انما أنا ملك أراد ربك ان ييلوك

فوجدك شاكراً .

(ان المال والبنين حرث الدنيا) في العقد الفريد : من قبائل مذحج سعد العشيرة بن مالك بن ادد ، وانما سمي سعد العشيرة لانه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده ثلاثمائة رجل .

(والعمل الصالح حرث الاخرة) قال تعالى «من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الاخرة من نصيب» . (وقد يجمعهما الله لاقوام) قال تعالى «ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا» .

وروى الكشي ان الصادق عليه السلام اذا رأى اسحق بن عمار واسماعيل ابن عمار قال : قد يجمعهما الله لاقوام - يعنى الدنيا والاخرة - .

هذا ، وقالوا دخل أبوروق على هرون وبين يديه جارية حسناء فقال له : صفها وان اسمها دنيا ، فقال :

ان الدنيا هي التي تملك القلب قاهره ظلموا شطر اسمها فهي دنيا وآخره ولما قتل طاهر ذو اليمينين الامين كتب الى المأمون : وجهت اليك بالدنيا وهو رأس المخلوع وبالاخرة وهي البردة والقضيب .

(فاحذروا ما حذركم الله من نفسه) «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير» ، «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد» .

وفي الارشاد : لما عاد النبي «ص» من تبوك قدم اليه عمرو بن معديكرب فقال له النبي : أسلم يا عمرو ويؤمنك الله من الفزع الاكبر . قال : يا محمد ما الفزع

الأكبر فاني لأفزع . فقال : يا عمرو انه ليس كما تظن وتحسب ، ان الناس يصاح بهم صيحة واحدة فلا يبقى ميت الا نثر ولا حي الامات الا ما شاء الله ، ثم يصاح بهم صيحة أخرى فينشر من مات ويصفون جميعاً وتنشق السماء وتهد الأرض وتخر الجبال هدأ وترمي النار بمثل الجبال شراراً فلا يبقى ذورح الا انخلع قلبه وذكر ذنبه وشغل بنفسه الا ما شاء الله .

(واخشوه خشية) عن الحقيقة (ليست بتعذير) أي باظهار العذر وليس له عذر ، ولكن قال الجوهري : كان ابن عباس يقرأ «وجاء المعذرون» من أعذر ويقول والله لهكذا أنزلت ، ويقول لعن الله المعذرين - كان الامر عنده أن المعذر هو المظهر للعذر اعتلالاً من غير حقيقة له في العذر والمعذر من له عذر. في الخبر ان الله تعالى أنزل كتاباً من كتبه على نبي من أنبيائه انه يكون من خلقي لمحسنون الدنيا بالدين يلبسون مسوك الضأن على قلوب كقلوب الذئاب اشد مرارة من الصبر وألستهم أحلى من العسل وأعمالهم الباطنة أنتن من الجيف بي يغترون ام اياي يخادعون أم علي يجترئون ، فبعزتي حلفت لا بعثن عليهم فتنة تطأ في خطامها حتى تبلغ أطراف الارض تترك الحليم منها حيران .

(واعملوا في غير رياء ولا سمعة فانه من يعمل لغير الله يكله الله) أي يدعه (لمن) هكذا في المصرية والصواب «الى من» كما في «حد» و«ثم» والخطبة (عمل له) .

روى الكافي ان الصادق عليه السلام قال لعباد البصري : وملك يا عباد اياك والرياء فانه من عمل لغير الله وكله الله الى من عمل له .

وقال عليه السلام : قال تعالى «انا خير شريك ، من أشرك معي غيري في عمل عمله لم أقبله الا ما كان لي خالصاً» .

وقال عليه السلام في قوله تعالى «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً

ولا يشرك بعبادة ربه أحداً» هو الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله انما يطلب تزكية الناس يشتهي أن يسمع به الناس، فهذا الذي أشرك بعبادة ربه . ثم قال عليه السلام : ما من عبد ستر خيراً فذهبت الايام أبداً حتى يظهر الله له خيراً ، وما من عبد يستر شراً فذهبت الايام حتى يظهر الله له شراً .

وقال عليه السلام في قوله تعالى « بل الانسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره » ما يصنع الانسان أن يتقرب الى الله تعالى بخلاف ما يعلمه الله ، ان النبي «ص» كان يقول: من أسر سريرة رداه الله ردائها ان خيراً فخير وان شراً فشر . وروى عقاب الاعمال عن النبي «ص» ان الرياء الشريك بالله ، وان المرأئي يدعى يوم القيامة بأربعة اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر حبط عمله وبطل أجره فلا خلاص لك اليوم فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له .

وقال « حد » قال علي عليه السلام : ليست الصلاة قيامك وقعودك ، انما الصلاة اخلاصك وان تريد بها الله وحده .

وتوصل ابن الزبير الى امرأة ابن عمر - وهى أخت المختار - فى ان تكلم بعلها أن يبايعه ، فكلمته فى ذلك وذكرت قيامه وصيامه ، فقال لها : أما رأيت البغلات الشهب التي كنا نراها تحت معاوية بالحج اذا قدم مكة . قالت : بلى . قال : فايها يطلب ابن الزبير بصومه وصلاته .

هذا ، وذكروا أن رجلاً من قريش قال لاشعب الطماع : ماشكرت معروفى عندك . فقال له : ان معروفك كان من غير محتسب فوقع عند غير شاكر .

(نسأل الله منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة الانبياء) اشارة الى قوله تعالى « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » .

(أيها الناس انه لا يستغني الرجل وان كان ذا مال عن عشيرته) وفي القاموس

قال علي عليه السلام « من يطل من ابيه ينتطق به » أي من كثر بنوايه يتقوى بهم ، وقال غيلان بن سلمة الثقفي :

وان ابن عم المرء مثل سلاحه يقيه اذا لاقى الكمي المقنعا
وقال :

لم أر عزاً لا مريء كعشيرة ولم أر ذلاً مثل نأي عن الاهل
(ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم) في العقد الفريد : كان مهلهل صار الى قبيلة من اليمن يقال لهم جنب فخطبوا اليه فزوجهم وهو كاره لاغترابه عن قومه ومهروا ابنته أدماً ، فقال :

انكحها فقدما الاراقم في جنب وكان الحباء من أدم
لويباباين جساء يخطبها دمل ما انف خاطب بدم

(وهم أعظم الناس حيطة) أي رعاية (من ورائه) في كامل المبرد قال ذو الرمة لهلال بن احوز المازني :

رفعت مجد تميم يا هلال لها رفع الطرف على العلياء بالعمد
حتى نساء تميم وهي نازحة بقلة الحزن فالصمان فالعقد
لويستطن اذا ضافتك مجحفة وقينك الموت بالاباء والولد
وفي الاغانى قال الشمر دل في أخيه حكم لما أتاه نعيه :

و كنت سنان رمحي من قناتي وليس الرمح الا بالسنان
و كنت بنان كفي من يميني وكيف صلاحها بعد البنان
وكان يسرى فيما يرى النائم كأن سنان رمحه سقط فأتاه نعي أخيه وائل ، فقال :

وتحقيق رؤيا في المنام رأيتها فكان أخي رمحاً ترقص عامله
(والمتمهم) أي اجمعهم (لشعثه) أي تفرقه (وأعطفهم) أي أشفقهم (عليه عند

نازلة) أي شديدة نازلة (إذا) هكذا في المصرية و«حد» ولكن في «ثم» والخطية
«ان» وهو أحسن (نزلت به) .

في العقد قال علي عليه السلام : عشيرة الرجل خير للرجل من غير العشيرة
فإن كف عنهم يد واحدة كفوا عنه أيدياً كثيرة مع مودتهم وحفاظهم ونصرتهم
إن الرجل ليغضب للرجل لا يعرفه إلا بنسبه . وسأتلوا عليكم من ذلك آيات
من كتاب الله قال عز وجل فيما حكاه عن لوط « لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى
ركن شديد » يعني العشيرة ولم يكن للوط عشيرة ، فوالذي نفسى بيده ما بعث
الله نبياً من بعده إلا في ثروة من قومه ومنعة من عشيرته ، ثم ذكر شعيباً وقال له
قومه « انا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك » وكان مكفوفاً والله ماهابوا
إلا عشيرته .

في الطبرى - بعد ذكر قتل أصحاب معاوية لحجر وستة من أصحابه - فقال
عبد الرحمن بن حسان العنزي وكريم بن عفيف الخثعمي ابعثوا بنا إلى معاوية
فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته : فبعثوا إلى معاوية يخبرونهما بمقالتهما
فأجاز ، فأدخلا عليه فقال معاوية للخثعمي : ما تقول في علي ؟ قال : أقول فيه
قولاك أتبرء من دين علي الذي كان يدين الله به ، فسكت معاوية وكره أن يجيبه
فقال شمر بن عبد الله من بني قحافة : هب لى ابن عمي . فقال : هولاك . قال :
فخلى سبيله على أن لا يدخل الكوفة ما كان له سلطان . فقال له : تخير بلداً فاختر
الموصل ، وكان يقول : لو قدمات معاوية قدمت المصرفمات قبل معاوية بشهر ،
ثم أقبل معاوية على العنزي فقال له : يا أخا ربيعة ما قولك في علي ؟ قال : دعني
ولا تسألني . قال : لا أدعك . قال : أشهد أنه كان من الذاكرين لله كثيراً ومن
الامرئ بالحق والفائمين بالقسط . قال : فما قولك في عثمان ؟ قال : هو أول
من فتح باب الظلم وارتج أبواب الحق . قال : قتلت نفسك . قال : بل اياك

قتلت « ولا ربيعة بالوادي » ، قال ذلك لان شمر الخثعمي كلم معاوية في كريم الخثعمي ولم يكن له أحد من قومه يكلمه فيه ، فبعث به الى زياد وقال له : ان هذا شرهم فاقتلهم شرقلة ، فدفنه زياد حياً بقس الناطف .

وفيه كان عبدالله بن خليفة الطائي شهد مع حجر فطلبه زياد فتواري ، فبعث اليه الشرط فأخذه فقالت أخته : يامعشرطي أتسلمون سنانكم ولسانكم عبدالله ابن خليفة ، فشد الطائيون عليهم وانتزعوه ، فرجعوا الى زياد فأخبروه فوثب على عدي بن حاتم وهو في المسجد فقال : ائتنى بابن خليفة . فقال : هذا شيء كان في الحي لا علم لي به . قال : والله لتأتيني به . قال : أجيئك بابن عمي تقتله ، والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه ، فأمر بعدي الى السجن فلم يبق بالكوفة يمانى ولا ربيعى الا أتاه وكلمه وقالوا تفعل هذا بعدي بن حاتم صاحب النبى «ص» . قال : فاني أخرجه على أن يخرج ابن عمه عني فلا يدخل الكوفة مادام لي بها سلطان. فقال عدي لعبدالله : ان هذا لج في أمرك فالحق بالجبليين . ومرفي الفصل فى وصيته عليه السلام الى ابنه قوله « واكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير ويديك التى بها تصول » - الخ ، مع شروح مفيدة .

(ولسان الصدق يجعله الله للمرء فى الناس خيره من المال يسورته غيره) قال ابراهيم عليه السلام « واجعل لي لسان صدق فى الاخرين » أي ثناء حسناً ، وقال تعالى فى نوح و ابراهيم وموسى وهرون والياس « وتركنا عليه فى الاخرين سلام على نوح فى العالمين » ، « وتركنا عليه فى الاخرين * سلام على ابراهيم » « وتركنا عليهما فى الاخرين * سلام على موسى وهرون » ، « وتركنا عليه فى الاخرين * سلام على الياسين » أي تركنا قول « سلام عليهم » فى الاخرين . وفي الكافى قال الصادق عليه السلام لابي كهشمش : اقرأ عبدالله بن ابي يعفور السلام وقل له ان جعفر بن محمد يقول لك أنظر ما بلغ به علي عند النبى فالزمه

وان علياً انما بلغ ما بلغ به بصدق الحديث وأداء الامانة .
وروى أن الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صديقاً . وفي كامل المبرد قال ابن
حلزة الميشكري :

قلت لعمرؤ حين أرسلته وقد خبا من دوننا عالج
لا تكسع الشول بأغبارها انك لا تدري من الناتج
وأصعب لا ضيافك ألبانها فان شرالبن الوالج

وفيه قال معاوية لابن الاشعث بن قيس : ما كان جدك قيس بن معد يكرب
أعطى الاعشى ؟ فقال : أعطاه مالا وظهراً ورقيقاً وأشياء أنسيتها . فقال معاوية :
لكن ما أعطاكم الاعشى لا ينسى .

هذا ، وفي نسب قريش مصعب الزبيري : أتى عمرو بن سعيد الاشدق فتى
من قريش يسذكر حقاً له في كراع من أديم بعشرين ألف درهم على أبيه بخط
مولى ابيه وشهادة ابيه بخطه على نفسه ، فقال له : وما سبب مالك ؟ قال : رأيت
وهو معزول يمشى وحده ، فقمتم فمشيت معه حتى بلغ الى باب داره ثم وقفت
فقال : هل لك من حاجة ؟ فقلت : لا الا اني رأيتك تمشي وحدك فأحببت أن
اصل جناحك . قال : وصلتك رحم يا ابن اخي ، فكتب هذا الكتاب وقال :
ليس اليوم عندنا شيء فاذا أتانا شيء فأتنا به ، فمات قبل أن يصل اليه . فقال له
عمرو : لاجرم لا تأخذها الا وافية .

قول المصنف (ومنها) هكذا في المصرية ونسخة « حد » ولكن في « ثم »
والخطية « منها » وهو الاحسن فلم تتقدمها أخرى .
قوله (ألا لا يعدلن) هكذا في المصرية والصواب « ألا لا يعدلن أحدكم »
كما في « حد » و« ثم » والخطية (عن القرابة يرى بها الخصاصة) أي الفاقصة
(ان يسدها بالذي لا يزيد ان أمسكه ولا ينقصه ان أهلكه) .

روى الكافي عن البزنطي قال : قرأت في كتاب ابى الحسن السرخا عليه السلام الى ابنه ابى جعفر الجواد : بلغني أن الموالي اذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير ، فانما ذلك من بخل منهم لثلاثين منك أحسد خيراً ، واسألك بحقي عليك لا يكتن مدخلك ومخرجك الا من الباب الكبير ، فاذا ركبت فليكن معك ذهب وفضة ثم لا يسألك أحد شيئاً الا أعطيته ، ومن سألك من عمومك ان تبره فلاتعطه أقل من خمسين ديناراً والكثير اليك ، ومن سألك من عماتك فلاتعطها أقل من خمسة وعشرين ديناراً والكثير اليك ، انما انا أريد بذلك أن يرفعك الله ، فأنفق ولا تخش من ذي العرش اقتاراً .

وروى ان الباقر عليه السلام قال للحسين بن ايمن : أنفق وأيقن بالخلف من الله ، فانه لم يبخل عبد ولا أمة بنفقة فيما يرضى الله عز وجل الأنفق أضاعها فيما يسخط الله .

وروى انه عليه السلام قال : ان الشمس لتطلع ومعها أربعة أملاك ملك ينادي يا صاحب الخير أتم وأبشر ، وملك ينادي يا صاحب الشر انزع واقصر ، وملك ينادي اعط منفقاً خلفاً وممسكاً تلفاً ، وملك ينضحها بالماء ولو لاذلك اشتعلت الارض روى عن الصادق عليه السلام قال : من يضمن أربعة بأربعة ابيات في الجنة : انفق ولا تخف فقراً ، وأنصف الناس من نفسك ، وافش السلام في العالم ، واترك المرء وان كنت محقاً .

(ومن يقبض يده عن عشيرته وانما تقبض منه عنهم يد واحدة وتقبض منهم عنه أيد كثيرة) روى أمالي المفيد عن الشعبي قال : قال صعصعة عاذني أمير المؤمنين عليه السلام في مرضي ثم قال : أنظر فلاتجعلن عيادتي اياك فخرأ على قومك ، واذا رأيتهم في أمر فلاتخرج منه فانه ليس بالرجل غنى عن قومه اذا خلع منهم بدأ واحدة يخلعون منه أيدي كثيرة ، فاذا رأيتهم في خير فأعنههم عليه ، واذا رأيتهم

في شر فلا تخذلنهم ، وليكن تعاونكم على طاعة الله فانكم لن تزالوا بخير ما

تعاونتم على طاعة الله تعالى وتناهيتم عن معصية الله . ومن الشعر في ذلك :

أخاك أخاك ان من لا أخاً له كساع الى الهيجاء بغير سلاح
و ان ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح
أيضاً :

ان كان ذا عضد يدرك ظلامته ان الدليل الذي ليست له عضد
تنبو يدها اذا ما قلّ ناصره و يأنف الضيم ان أثرى له عدد
أيضاً :

تناس ذنوب الاقربين فانه لكل حميم راكب هو راكبه
له هفوات في الرخاء يشوبها بنصرة يوم لا توارى كواكبه
تراه عدواً ما أمنت و يتقى بجبهته يوم الوغى من يحاربه
لكل امريء اخوان بؤس و نعمة وأعظمهم في الثائبات أقاربه
أيضاً :

ألم تر أن جمع القوم يخشى و ان حریم واحدهم مباح
وان القدح حين يكون فرداً فيهصر لا يكون له اقتداح
و انك ان قبضت بها جميعاً أبت ما سمت واحدها القداح
كذلك تفرق الاخوان مما يذلهم و في الذل افتضاح

وعن النبي « ص » : حافظا الصراط يوم القيامة الرحم والامانة ، فاذا مر
الوصول للرحم المؤدي للامانة نفذ الى الجنة ، واذا مر الخائن للامانة القطوع
للرحم لم ينفعه معه عمل فتكفىء به الصراط في النار .

هذا ، وقال « حد » قال عثمان : ان عمر كان يمنع أقرباءه ابتغاء وجه الله
وأنا أعطيتهم ابتغاء وجه الله .

قلت: مقاله عثمان مغالطة ، فأعطاء الأقرباء ان كان من مال المعطى فلا يمكن أن يكون منعه كما فعل عمر ابتغاء وجه الله لانه قطع الرحم المذموم الذي فاعله ملوم ، وان كان من مال الله وكان المعطى غير مستحقه فأعطاءه كما فعل عثمان ونهب بيت المال ووهبه لبني الشجرة الملعونة في القرآن كيف يكون ابتغاء وجه الله ، لقد مني الناس لعمر الله من هؤلاء بخبط وشماس .

(ومن تلن حاشيته يستمد من قومه المودة) هو نظير قوله عليه السلام « من لان عوده كثفت أغصانه » .

في الكافي عن ابي جعفر عليه السلام : لما خرج امير المؤمنين « ع » يريد البصرة نزل بالربذة فأتاه رجل من محارب فقال : اني تحملت في قومي حمالة واني سألت فسي طوائف منهم المواساة والمعونة فسبقت الي ألسنتهم بالنكد فمرهم بمعونتي . فقال : أين هم . فقال : هؤلاء فريق منهم حيث ترى ، فنص عليه السلام راحلته فأدلفت كأنها ظليم فدلف بعض أصحابه في طلبها فلاى بلاى مالحت ، فانتهى الى القوم فسلم عليهم وسألهم ما يمنعهم من مواساة صاحبهم ، فشكوه وشكاهم فقال عليه السلام « وصل امرؤ عشيرته فانهم أولى بيره وذات يده ووصلت العشيبة أخاها ان عثربه دهر وادبرت عنه دنيا فان المتواصلين المتبازلين مأجورون وان المتقاطعين المتدابرين موزورون » ثم قبر راحلته .

قول المصنف في الاول (قال الشريف أقول) هكذا في المصرية وانما في « حد » قال الرضى ، وفي « ثم » قال السيد ، وهو دليل على أن أصله من كلام الشراح وان « أقول » زائدة (الغفير ههنا) انما قال ههنا لان الغفيرة تأتي في موضع آخر بمعنى آخر ، قال الجوهري يقال « ما فيهم غفيرة » أي لا يغفرون ذنباً ل احد ، قال الراجز :
يا قوم ليست فيهم غفيرة فامشوا كما تمشي جمال الحيره
وقال ابن دريد: وكل شى عظيته فقد غفرته ، ومنه المغفرة والغفيرة (الزيادة

والكثرة من قولهم للجمع الكثير الجم الغفير والجماء الغفير) المفهوم من الجوهري انهما يأتيان بالوصفية معرفة ونكرة وبالإضافة ، فقال وقولهم « جاؤا جماء غفيرا أو الجماء الغفيرا وجم الغفيرا وجماء الغفيرا » أي جاؤا بجماعتهم الشريفة والوضيح .

(ويروي عفوة من أهل أومال) هو رواية اليعقوبى ، فقد عرفت أن فى خبره «فمن أصابه نقص فى أهله وماله ورأى عند أخيه عفوة فلا يكرن ذلك عليه فتنه» والغفيرة رواية الكافى كما مر وكذا النهاية .

(والعفوة الخيار من الشئ ، يقال عفوة الطعام أي خياره) وقال الجوهري وقال بعضهم العفاوة بالكسر أول المرق وأجوده ، والعفاوة بالضم آخره يردها مستعير القدر مع القدر يقال منه «عفوة القدر» اذا تركت ذلك فى أسفلها .
(وما أحسن المعنى الذى أراده عليه السلام) الى (واضطر الى مرافقتهم) أي معاونتهم (فعدوا عن نصره وثاقلوا عن صوته) .

فى الاغانى : كان عقيل بن علفة قدا طرد بنيه فتفرقوا فى البلاد وبقي وحده ، ثم ان رجلا من بني صرمة يقال له بجيل - وكان كثير المال والحاشية - حطم بيوت عقيل بماشيته ولم يكن قبل ذلك أحد يقرب من بيوت عقيل الا لقي شراً ، فطردت أمة له الماشية فضربها بجيل بعضاً كانت معه فشجها ، فخرج الى عقيل وحده وقد هرم يومئذ فزجر بجيلاً فضربه بجيل بعصاه واحتقره فجعل عقيل يصيح يا علفة يا عملس يا فلان يا فلان - بأسماء أولاده - مستغيثاً بهم وهو يحسب لهرمه أنهم معه ، فقال له ارطاة بن سهية :

أكلت بنيك أكل الضب حتى وجدت مرارة الاكل الوبيل
ولو كان الاولى غابوا شهوداً منعت فناء بيتك من بجيل

وبلغ خبر عقيل الى ابنه العملس وهو بالشام ، فأقبل حتى نزل عليه ثم عمد

الى بجيل فضربه ضرباً مبرحاً وعقر عدة من أهله وأوثقه بحبل وجاء به يقوده حتى ألقاه بين يدي أبيه ، ثم ركب راحلته وعاد من وقته لسم يطعم لابيّه طعاماً ولم يشرب شراباً .

قول المصنف في الثاني (الياسرون هم الذين يتضاربون بالقдах على-الجزور) أي الابل الذكر والانثى ، ثم لفظ الخبر «الياسر» وهو قال «الياسرون» وكأنه أراد أن يقول ان اللام هنا للجنس .

(والفالج القاهر والغالب) هكذا في المصرية ، والصواب «القاهر الغالب» كما في «حد» و«ثم» والخطية (يقال فلج عليهم وفلجهم) لم أقف على من جاوز فلجهم ، ففي الجمهرة فلج الرجل على خصمه وأفلج اذا ظهر عليه ، وفي الصحاح فلج على خصمه وأفلجه الله عليه ، وفي الاساس فلجت على خصمك وفلجت حجتك .

(وقال) هكذا في المصرية والصواب «قال» كما في «حد» و«ثم» ولانه قال ذلك شاهداً (الراز) في الصحاح الرجز داء يصيب الابل في أعجازها فاذا ثارت الناقة ارتعشت فخذها ساعة ثم تنشط ومنه سمي الرجز من الشعر لتقارب أجزائه وقلة حروفه .

(لما رأيت فالجاً قد فلج) ان ذكره شاهداً لكون معنى الفالج القاهر الغالب فصحيح وان ذكره لصحة (فلجهم) فهو أعم .

هذا ، ولفظ خبري ابن عساكر في العنوان «الاول» هكذا : خطب فقال: أيها الناس انما هلك من هلك ممن كان قبلكم بركوبهم المعاصي ولم ينههم الربانيون والاحبار فأنزل الله بهم العقوبات ، أألمروا بالمعروف وانها عن المنكر قبل أن ينزل بكم الذي نزل بهم ، واعلموا أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقاً ولا يقرب أجلاً ، ان الامر ينزل من السماء كقطر المطر

الى كل نفس بما قدر الله لها من زيادة أو نقصان في أهل أومال أو نفس ، فاذا أصاب احدكم النقصان في أهل أومال أو نفس في الاخرة عقوبة فلا يكونن ذلك له فتنة - الى آخره «وقد يجمعهما الله لاقوام» .

والثانى قريب منه لكن أول من قوله «ان الامر ينزل من السماء» وفيه أيضاً «فمن رأى نقصاً في أهله أو نفسه أوماله ورأى لغيره عثرة فلا يكونن ذلك له فتنة» . وما فيه هو الصحيح ويصدقه نقل اليعقوبى والكافى كما مردون ما فى المتن وبقى الاسانيد ، لكن «عثرة» فى هذا مصحف عفوة أو غفيرة .
ولله الحمد أولاً وأخيراً .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين .
وبعد : فقد ذكر ابن ابي الحديد في شرحه على نهج البلاغة مقدراً من
خرافات العرب والاصل فيه الخالع في كتابه (آراء العرب وأديانها) ، ذكر
ذلك فيما تفرد به من نسبته الى النهج أن فيه «وقال عليه السلام : العين حق ، والرقا
حق ، والسحر حق ، والقال حق ، والطيرة ليست بحق ، والعدوى ليست
بحق ، والطيب نشرة ، والعسل نشرة ، والركوب نشرة ، والنظر الى الخضرة
نشرة» ، مع أنه لو كان ذلك من كلامه عليه السلام فرضاً فليس من النهج قطعاً ،
لان موضوع النهج كلام كان في غاية البلاغة لاما كان من الاحاديث المتعارفة .
وكيف كان فحيث كان فيها أشياء غريبة وأمور عجيبة أحببت افرادها في
موضع ، وقد أنقل من غيره في طيه وأنقل بعده كلام المروج .

قال في شرح فقرة (والعدوى ليست بحق) قال النبي صلى الله عليه وآله
«لاعدوى ولاهامة ولاصفر» العدوى معروفة ، أي بأن المراد تعدي الداء مسن
حي الى حي . والهامة ماكانت العرب تزعمه في المقتول لا يؤخذ بثاره ، والصفير

ماكانت العرب تزعمه من الحية في البطن تعض عند الجوع .

قال : نذكر نكتاً ممتعة من مذاهب العرب وتخيلاتها ، أنشد ابن الكلبي

لامية بن ابي الصلت :

سنة أزمة تبرح بالناس ترى للعضاة فيها صريراً
لاعلى كوكب تنوء ولاريح جنوب ولا ترى طحرورا
ويسوقون باقر السهل للطود مهازيل خشية أن تبورا
عاقدين النيران في ثكن الاذئاب منها لكسي تهيج البحورا
سلع ما ومثله عشر ما عائل ما وعالت البيقورا

يروى أن عيسى بن عمر قال : ما أدري معنى هذا البيت - أي البيت الاخير- .

ويقال ان الاصمعي صحف فيه فقال «وعالت» بالعين المعجمة وقال غيره

«عالت» بمعنى أنقلت البقر بما حملتها من السلع والعشر . والبيقور البقر ، وعائل أي غالب أو مثقل .

قلت : والساع بفتح تين شجر مر ، والعشر بالضم فالفتح شجر له صمغ من

العضاة .

قال : وكانت العرب اذا أجذبت وأمسكت السماء عنهم وأرادوا أن يستمطروا

عمدوا الى السلع والعشر فحزموهما وعقدوهما في أذئاب البقر وأضرموا فيهما

النيران وأصعدوها في جبل وعروا تبعوها يدعون الله ويستسقونه ، وانما يضرمون

النيران في أذئاب البقر تفؤلاً للبرق بالنار ، وكانوا يسوقونها نحو المغرب من

دون الجهات ، وقال أعرابي :

شفعنا ببيقور السى هاطل الحبا فلم يغن عناذاك بسل زادنا جدبا
فعدنا السى رب الحيا فأجارنا وصير جذب الارض من بعده خصبا

وقال آخر :

قل لبني نهشل أصحاب الحور
وسلع من بعد ذلك وعشر
وأقال آخر :

لما كسونا الأرض أذئاب البقر
بالسلع المعقود فيها والعشر
وأقال آخر :

يا كحل قد أنقلت أذئاب البقر
بسلع يعقد فيها وعشر
ليس بدأ يجلل الأرض المطر

وأقال آخر يعيب العرب بذلك :

لادر درّ رجال خساب سعيهم
يستمطرون لدى الأعرار بالعشر
أجاعل أنت بيقوراً مسلعة
ذريعة لك بين الله والمطر
وأقال بعض الأذكيا : كل أمة قد تحذو في مذاهبها مذاهب ملة أخرى ،
وقد كانت الهند تزعم أن البقر ملائكة سخط الله عليها فجعلها في الأرض وأن لها
عنده حرمة ، وكانوا يلطخون الأبدان بأختائها ويغسلون الوجوه ببولها ويجعلونها
مهور نسائهم ويتبركون بها في جميع أحوالهم ، فلعل أوائل العرب حذوا هذا
الحذو وانتهجوا هذا المسلك .

وللعرب في البقر خيال آخر ، وذلك أنهم إذا أوردوها فلم ترد ضربوا
الثور ليقتمحم الماء فتقتمحم البقرة بعده . ويقولون : إن الجن تصد البقر عن الماء
وإن الشيطان يركب قرني الثور ، قال قائلهم :

إني وقتل سليك حين أعقله
كالثور يضرب لما عافت البقر
وأقال نهشل بن جري :

كذلك الثور يضرب بالهراوى
إذا ما عافت البقر الظماء
وأقال آخر :

كالثور يضرب للورود اذا تمتعت البقر

فان كان ليس الا هذا فليس ذلك بعجيب من البقر ولا بمذهب من مذاهب العرب ، لانه قد يجوز أن تمتنع البقر من الورود حتى يسرد الثور كما تمتنع الغنم من سلوك الطرق أو دخول الدار والاخبية حتى يتقدمها الكباش أو التيس وكالنحل تتبع اليعسوب ، والكراكي تتبع أميرها . ولكن الذي يدل عليه أشعارهم أن الثور يرد ويشرب ولكن البقر تعاف الماء وقد رأيت الثور يشرب فحينئذ يضرب الثور مع اجابته الى الورود فتشرب البقر عند شربه ، وهذا هو العجب ، قال الشاعر :

فاني اذن كالثور يضرب جنبه اذا لم يعف شرباً وعافت صواحيبه
وقال آخر :

فلا تجعلوها كالبقير وفحلها يكسر ضرباً وهو للورد طائع
وما ذنبه ان لم يرد بقراته وقد فاجتتها عند ذلك الشرائع
وقال الاعشى :

لكالثور والجنى يضرب وجهه وما ذنبه ان عاثت الماء مشربا
وما ذنبه ان عاثت الماء باقر وما ان تعاف الماء الا لتضربا
قال : واللام في «لتضربا» للعاقبة كقوله «لدوا للموت» .

قلت : وفي الاساس تزعم العرب أن الجن تمتطي الوحش وتجتنب الارانب
لمكان حيضها ولذلك يستدفعون العين بتعليق كعابها . وفي مجالس ثعلب لامرئ
القيس :

ياهند لاتنكحي بوهة عليه عقيته أحسبا
مرسعة بين أرباقه به عسم يبتغي أرنبا
ليجعل في ساقه كعبها حذار المنية أن يعطبا

قال ثعلب : البوهة طائر يشبه البومة ، وعقيقته أي شعره ، والاحسب أي الى
السواد ، يتغني أرنباً ليأخذ عظمها فيصيرره عليه من خشية الجن .
وقال الجوهري في «هذذ» تزعم النساء أنه اذا شق عند البضاع شيئاً من ثوب
صاحبه دام الود بينهما والاتهاجرا .

قال : ومن مذاهب العرب تعليق الحلبي والجلجل على اللديغ ، يرون
أنه يفيق بذلك ، ويقال انه انما يعلق عليه لانهم يرون ان نام يسري السم فيه فهلك
فشغلوه بالحلي والجلجل وأصواتها عن النوم . وهذا قول نصر بن شميل ،
وبعضهم يقول انه اذا علق عليه حلي الذهب برىء وان علق الرصاص أو حلي
الرصاص مات ، وقال النابغة :

فبت كأنني ساورتنني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم نافع
يسهد مسن ليل التمام سليمها بحلي النساء فسى يديها قعاقع
وقال بعض بني عذرة :

كأنني سليم ناله كلم حية ترى حوله حلي النساء موضعا
وقال آخر :

وقد علموا بالبطل في كل موضع وغروا كما غر السليم الجلجل
وقال جميل -- وظرف في قوله -- ولو قاله العباس بن الاحنف لكان ظريفاً :

اذا مالديغ ابرأ الحلبي داءه فحليك أمسى يابئينة دائيا
وقال عويمر النبهاني -- وهو يؤكّد قول النصر بن شميل :

فبت معنى بالهموم كأنني سليم سهّد الحلبي عينه
فراقب من ليل التمام الكواكبا

وشبه مذهبهم في ضرب الثور ، مذهبهم في العريصيب الابل فيكوى الصحيح
ليبرأ السقيم ، قال النابغة :

وكلفتني ذنب امرىء وتركته
وقال بعض الاعراب :

كذي العريكوى غيره وهوراتع
كمن يكوى الصحاح يروم برءاً
وقال آخر :

فألزمتني ذنباً وغيرى جره
ومن تخيلات العرب ومذاهبهم أنهم كانوا يفتأون عين الفحل من الابل اذا
بلغت ألفاً كأنهم يدفعون عنها العين ، قال الشاعر :

فقأنا عيوناً من فحول بهاذر
وأنتم برعي البهم أولى وأجدر
وقال آخر :

وهبتها وكنت ذا امتنان
تفتأ فيها أعيىن البعران
وقال آخر :

أعطيتها ألفاً ولم تبخل بها
وقد ظن قوم أن بيت الفرزدق وهو :

غلبتك بالمقى والمعنى
وبيت المختبى والخافقات
من هذا القبيل وليس الامر على ذلك وانما أراد قوله لجريز :

ولست ولوفقات عينك واجداً
وأراد بـ «المعنى» قوله لجريز أيضاً :

وانك اذ تسعى لتدرك دارماً
وأراد بقوله «المختبى» قوله :

بيت زرارة مختب بفنائه
ومجاشع وابوالفوارس نهشل
وأراد بقوله «بيت الخافقات» قوله :

ومعصب بالتاج يخفق فوقه
خرق الملوك له خميس جحفل

فأما مذهبهم في البلية - وهي ناقة تعقل عند القبر حتى تموت - فمذهب مشهور و«البلية» أنهم إذا مات كريم منهم بلوا ناقته أو بعيره فعكسوا عنقها وأداروا رأسها إلى مؤخرها وتركوها في حفيرة لاتطعم ولا تسقى حتى تموت ، وربما أحرقت بعد موتها ، وربما سلخت وملىء جلدها ثماماً . وكانوا يزعمون أن من مات ولم يبيل عليه حشر ماشياً ومن كانت له بلية حشر ركباً على بليته . قال حريبة ابن أشيم الفقعسي لابنه سعد :

يا سعد اما أهلكن فإني	أوصيك ان اخا الوصاة الاقرب
لأعرفن اباك يحشر خلفكم	تعباً يخز على اليمين وينكب
واحمل اباك على بعير صالح	وتق الخطيئة انه هو أصوب
ولعل لي مما جمعت مطية	في الحشر أركبها اذا قيل اركبوا
وقال حريبة أيضاً :	

اذا مت فادفني بحراء ما بها	سوى الاصرخين أو يقوز ركب
فان أنت لم تعقر علي مطيتي	فلا قام في مال لك الدهر حالب
ولا تدفنتني في صوا وادفنتي	بديمومة تنزو عليها الجنادب

قال: وقد ذكرت في مجموعي المسمى بـ «العبقري الحسان» أن الحسين بن محمد بن جعفر الخالغ ذكر في كتابه «آراء العرب وأديانها» هذه الابيات واستشهد بها على ما كانوا يعتقدون في البلية . وقلت : انه وهم في ذلك وأنه ليس في هذه الابيات دلالة على هذا المعنى ولالها به تعلق ، وانما هي وصية لولده أن يعقر مطيته بعد موته اما لكيلا يركبها غيره بعده أو على هيئة القربان كالهدي المعقور بمكة أو كما كانوا يعقرون عند القبور . ومذهبهم في العقر على القبور كقول زياد الاعجم في المغيرة بن المهلب :

ان السماحة والمروة ضمنا قبراً بمرؤ على الطريق الواضح

فاذا مررت بقبره فاعقر به كوم الهجان وكل طرف سابح
وقال آخر :

نفرت قلوصي عن حجارة حرة بنيت على طلق اليدين وهوب
لاتنفري يا ناق منه فانه شريب خمر مسعر لحروب
لولا السفار وبعد خرق مهمة لتركتها تحبو على العرقوب
ومذهبهم في العقر على القبور مشهور، وليس في هذا الشعر ما يدل على
مذهبهم في البلية .

قلت : وفي خبر ان امير المؤمنين عليه السلام استشهد من بعض الصحابة
قول النبي صلى الله عليه وآله فيه «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» فأنكر فقال له :
ان كنت سمعت ولم تشهد لي فلا امامك الله الامية الجاهلية ، فلما مات جساء
قومه بالخيل والابل فعقرتها على باب منزله .

والمراد به الاشعث بن قيس ، وفي لطائف معارف الثعالبي هو أول من
دفن في داره ، فانه لمامات لم يقدر على اخراجه من كثرة الزحام وكان الرجل
ينزل عن دابته فيعقرها والاخر يجيء براحله فينحرها ، فخاف الحسن بن علي
أن يعقر الناس على قبره فأمر بدفنه في داره .

قال : فان ظن ظان أن قوله «أويقوزراكب» فيه ايماء الى ذلك ، فليس
الامر كما ظنه ، ومعنى البيت ادفني بفلاة جداء مقطوعة عن الانس ليس بها الا
الذئب والغراب أو أن يعتسف راكبها المفازة .

واخطأ الخالعي أيضاً في هذا الباب ايراده قول مالك بن الربيع :

وعطل قلوصي في الركاب فانها ستبرد اكباداً وتبكي بواكيا
فظنه من هذا الباب ، وانما أراد الشاعر لانه كجوا راحلتي بعدي وعطلوها
بحيث لا يشاهدها أعادي وأصاقي ذاهبة جائية تحت راكبها فيشمت العدو ويساء
الصديق .

وقد أخطأ في مواضع أخرى وأورد أشعاراً في غير موضعها وظنهما مناسبة
ومنها أنه ذكر مذهب العرب في الحلبي ووضعه على اللديغ ، واستشهد عليه
بقول الشاعر :

يلاقي من تذكر آل ليلي كما يلقي السليم من العداد
فالعداد معاودة السم الملسوع في كل سنة في الوقت الذي لدغ فيه ، وليس
هذا من باب الحلبي بسبيل .

ومن ذلك إيراده قول الفرزدق «غلبتك بالمقتى» في باب فقأ عيون الفحول
إذا بلغت الأبل ألفاً ، وسنذكر كثيراً من المواضع التي وهم فيها .
ومما ورد في البلية قول بعضهم :

ابني زودني إذا فارقني في القبر راحلة برحل فاتر
للمبعث أركبها إذا قبل أركبوا مستوسقين معاً لحشر الحاشر
وقال عويم النبهاني :

أبني لاتنس البلية أنها لايبك يوم نشوره مركوب

ومن تخيلات العرب ومذاهبها ما حكاه ابن الأعرابي قال : كانت العرب
إذا نفرت الناقة فسميت لها أمها سكنت من النفار ، قال الراجز :

أقول - والوجناء بي تقحم - ويلك قل ما اسم أمها عليكم
«عليكم» اسم عبده ، وانما سأل عبده ترفعاً أن يعرف اسم أمها ، لان العبيد
بالابل اعرف وهم وعاؤها . وأنشد السكري :

فقلت له ما اسم أمها هات فادعها تجبك ويسكن روعها ونفارها
قلت : وفي أساس الزمخشري في «قحم» يقولون الناقة النادة تسكن إذا سميت
أمها ، وكذلك يسكن الجمل الناد إذا سمي أبوه . قلت : ولعل وجه سكونهما
انهما عند سماع اسمهما يتوجه خيالهما إلى الام والاب فيسكنان عن النفور والند.

ومما كانت العرب كالمجتمعة عليه (الهامة) ، وذلك أنهم كانوا يقولون
ليس من ميت يموت ولاقتيل يقتل الاويخرج من رأسه هامة ، فان كان قتل ولم
يؤخذ بثاره نادى الهامة على قبره «اسقوني فاني صديفة» ، وعن هذا قال النبي
صلى الله عليه وآله «لاهامة» .

وحكي أن ابا زيد قال «الهامة» مشددة الميم احدى هوام الارض ، وانها
هي المنادية المذكورة . وقيل : ان أبا عبيد قال : ما أرى ابازيد حفظ هذا .
وقديسمونها «الصدى» والجمع أصداء ، قال «وكيف حياة أصداء وهام» ،
وقال ابو دواد الايادي :

سلط الموت والمنون عليهم فلهم في صدى المقابر هام
وقال بعضهم لابنه :

ولا ترقون لي هامة فوق مرقب فان زقاء الهام للمرء عائب
تنادي الاسقوني وكل صدى به وتلك التي تبيض منها الذوائب

يقول له لا تترك ناري ان قتلت فانك ان تسر كته صاحت هامتي اسقوني ،
فان كل صداء - وهو ههنا العطش - بايبك ، وتلك التي تبيض منها الذوائب
لشدتها ، كما يقال «أمر يشب رأس الوليد» ، ويحتمل أن يريد صعوبة الامر عليه
وهو مقبور اذا لم يثار به ، ويحتمل أن يريد به صعوبة الامر على ابنه ، يعني ان
ذلك عار عليك . وقال ذوالاصبع :

يا عمرو الاتدع شتمي ومنقصتي اضربك حيث تقول الهامة اسقوني

قلت : وأنشد البيت عبد الملك بن مروان لعمر بن سعيد لما قتله . قال :

وقال آخر :

فيارب ان أهلك ولم ترو هامتي بليلي مت لاقبر أعطش من قبوري
ويحتمل هذا البيت أن يكون خارجاً عن هذا المعنى الذي نحن فيه وأن

يكون ري هامته الذي طلبه من ربه هو وصال ليلى في الدنيا ، وهم يكونون عما يشفيهم بأنه يروي هامتهم . وقال مفلس الفقعى :

وان أذاكم قد علمت مكانه بسفح قبا تسفى عليه الاعاصر
له هامة تدعو اذ الليل جنبها بني عامر هل للهلالى نائر
وقال توبة بن الحمير :

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة اوزقا اليهاصدى من جانب القبرصائح

وقال قيس بن الملوخ - وهو المجنون :

ولو تلتقى أصدائنا بعد موتنا ومن دوننا رمس من الارض انكب
لظل صدى رمسى وان كنت رمة لصوت صدى ليلى يهش ويغرب
وقال حميد بن ثور :

أاهل صدى أم الوليد مكلم صداى اذا ماكنت رسأ وأعظما
ومما أبطله الاسلام قول العرب بالصفى ، زعموا أن فى البطن حية اذا جاع
الانسان عضت على شرسوفه وكبده ، وقيل هو الجوع بعينه ليس انها تعض بعد
حصول الجوع .

فأما لفظ الحديث «لاعدوى ولاهامة ولاصفى» فان اباعبيدة معمر بن المثنى
قال : هو «صفى» الشهر الذي بعد المحرم . نهى عن تأخيرهم محرم الى صفى ،
يعنى ما كانوا يفعلونه من النسئ ، ولم يوافق أحد من العلماء أبسا عبيدة على
هذا التفسير . قال الشاعر :

لاينادى لما فى القدر يرقبه ولايعض على شرسوفه الصفى

وقال بعض شعراء بني عبس يذكر قيس بن زهير لما هجر الناس وسكن
القيافى وأنس بالوحش ، ثم رأى ليلة ناراً فعشا اليها فشم عندهما قنار اللحم

فنازعته شهوته فغلبها وقهرها ومال الى شجرة سلم فلم يزل يكدمها ويأكل من
خبطها الى أن مات :

ان قيساً كان ميته كرم والحر منطلق
شام ناراً بالهوى فهوى وشجاع البطن يخفق
فى دريس ليس يستره رب حر ثوبه خلق

وقوله «بالهوى» اسم موضع بعينه . وقال ابو النجم العجلي :
انك ياخير فتى نستعدى على زمان مسنا بجهد
عضاً كعض صفر بكبد

وقال آخر :

أرد شجاع البطن قد تعلمينه وأوثر غيرى من عيالك بالطعم
ومن خرافات العرب أن الرجل منهم كان اذا أراد دخول قرية فخاف وبها
أوجنها وقف على بابها قبل أن يدخلها فنهق نهيق الحمار ، ثم علق عليه كعب
أرنب كان ذلك عوداً له ورقية من الوباء والجن ، ويسمون هذا النهيق التعشير
قال شاعرهم :

ولا ينفع التعشير ان حم واقع ولا عزع يغني ولا كعب أرنب
وقال الهيثم بن عدي : خرج عروة بن الورد الى خيبر فى وقعة ليمتاروا ،
فلما قربوا منها عشروا وعاف عروة ان يفعل فعلهم وقال :

لعمري لئن عشت من خيفة الردى نهاق حمير اننى لجزوع
فلا والت تلك النفوس ولا أتوا قفولا الى الاوطان وهي جميع
وقالوا ألا انهق لاتضرك خيبر وذلك من فعل اليهود ولوع
أى كذب . فيقال ان رفقة مرضوا ومات بعضهم ونجا عروة من الموت
والمرض . وقال آخر :

ولاينجينك من حمام واقع كعب تعلقه ولا تعشير
قلت : والاصل في وجه تسميتهم له بالتعشير أن الحمام يتابع في نهيقه بين
عشر نهقات .

قال : ويشابه هذا أن الرجل منهم كان اذا ضل في فلاة قلب قميصه وصفق
بيديه كأنه يومي بهما الى انسان فيهتدي . قال أعرابي :

قلبت ثيابي والظنون تجول بي وترمي برجلي نحو كسل سبيل
فلا يبا بلاى ما عرفت حليتي وأبصرت قصداً لم يصب بدليل
وقال ابو العملى الطائي :

فلو أبصرتني بلوى بطان أصفق بالبنان على البنان
فأقلب تارة خوفاً ردائي وأصرخ تارة بأبى فلان
لقلت ابو العملى قد دهاه من الجنان خالعة العنان

والاصل في قلب الثياب التفاؤل بقلب الحال، وقد جاء في الشريعة الاسلامية
نحو ذلك في الاستسقاء .

ومن مذاهب العرب أن الرجل منهم كان اذا سافر عمد الى خيط فعقده في
غصن شجرة أو في راسها ، فاذا عاد نظر الى ذلك الخيط ، فان وجد به حاله
علم أن زوجته لم تخنه ، وان لم يجده أو وجدته محلولاً قال خانتني ، وذلك العقد
يسمى «الرتم» . ويقال : بل كانوا يعقدون طرفاً من غصن الشجر بطرف غصن
آخر . قال الراجز :

هل بنفعلنك اليوم ان همت بهم كثرة ما توصي وتعقاد الرتم
وقال آخر :

خانته لما رأته شيباً بمفرقه وعره حلغها والعقد الرتم
وقال آخر :

تنبيك عنها باليقين الصادق

لأنحسب رثائماً عقدتها

وقال آخر :

وفي الحي ظبي قدأحلت محارمه
عليه سوى مالا يحب رثائمه

يعلل عمرو بالرتائم قلبه
فما نفعت تلك الوصاياولا جنت

وقال آخر :

إذا صبحت وعشقها ملازم
يزورها طب القواد عازم

ماذا الذي تنفعل الرتائم
وهي على لذاتها تداوم

بكل أدواء النساء عالم

وقد كانوا يعقدون الرتم للحمي ويرون أن من حلها انتقلت الحمى اليه، قال:

حلت رتيمة فمكثت شهراً
أكابد كل مكروه الدواء

قلت : وتأتي «الرتيمة» أيضاً لما يعقد في اليد للتذكرة كما قال ثعلب في

مجالسه وأنشد :

لاخواننا لم تغن عنا الرتائم

إذا لم تكن حاجاتنا في نفوسنا

وقال ابن السكيت : ان العرب كانت تقول : ان المرأة المقلاة -- وهي

التي لا يعيش لها ولد -- اذا وطأت القليل الشريف عاش ولدها ، قال بشر بن

ابي حازم :

يقلن ألا يلقي على المرء مئزر

تضل مقاليت النساء تطانه

وقال ابو عبيدة : تتخطاه المقلاة سبع مرات فذلك وطاها له .

وقال ابن الاعرابي : يمرون به ويطأون حوله . وقيل انما كانوا يفعلون

ذلك بالشريف يقتل غدرأ أوقوداً ، وقال الكمي :

اليه القعود بعد القيام

وتطيل المرزعات المقاليت

وقال آخر :

تركنا الشعثمين برمل خبت

تزورهما مقاليت النساء

وقال آخر :

بنفسي الذي تمشي المقاليت حوله

يطال له كشحاً هضيماً مهشما

وقال آخر :

تباشرت المقاليت حين قالوا

ثوى عمرو بن مرة بالحفير

ومن تخيلات العرب وخرافاتنا أن الغلام منهم كان اذا سقطت له سن أخذها
بين السبابة والابهام واستقبل الشمس اذا طلعت وقذف بها وقال : يا شمس ،
أبدليني بسن أحسن منها ولتجر في ظلمها « اباتك » أو « اياؤك » ، وهما جميعاً
شعاع الشمس ، قال طرفة «سقته اياة الشمس» ، والى هذا الخيال أشار شاعرهم :

شادن يجلو اذا ما ابتسمت

عن اقاح كاقاح الرمل غر

بدلته الشمس من منبته

برداً أبيض مصقول الاثر

وقال آخر :

وأشنب واضح عذب الثنايا

كان رضابه صافي المدام

كسته الشمس لوناً من سناها

فلاح كأنه برق الغمام

وقال آخر :

بذى أشرب عذب المذاق تفردت

به الشمس حتى عاد أبيض ناصعا

والناس اليوم في صبيانهم على هذا المذهب .

وكانت العرب تعتقد أن دم الرئيس يشفي من عضه الكلب الكلب ، قال

الشاعر :

بناة مكارم واساة جرح

دماؤهم من الكلب الشفاء

وقال ابن الزبير الاسدى :

من خير بيت علمناه واكرمه

كانت دماؤهم تشفي من الكلب

وقال الكميّ :

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفى من الكلب
ومن تخيلات العرب انهم كانوا اذا خافوا على الرجل الجنون وتعرض
الارواح الخبيثة له نجسوه بتعليق الاقدار عليه كخرقة الحيض وعظام الموتى
قالوا : وأنفع من ذلك أن تعلق عليه طامث عظام موتى ثم لا يراها يومه ذلك
وأنشدوا للممزق العبدى :

فلو أن عندي جارتين وراقيا وعلق انجاساً علي المعلق

قالوا : والتنجيس يشفى الامن العشق ، قال أعرابي :

يقولون علق يالك الخير رمة وهل ينفع التنجيس من كان عاشقا

وقالت امرأة وقد نجست ولدها فلم ينفعه ومات :

نجسته ولاينفع التنجيس والسوت لاتفوته النفوس

وكان أبو مهديّة يعلق في عنقه العظام والصوف حذر الموت ، وأنشدوا :

أتوني بأنجاس لهم ومنجس فقلت لهم ما قدر الله كائن

ومن مذاهبهم ان الرجل منهم كان اذا خدرت رجله ذكر من يحب أودعاه

فيذهب خدرها ، قال :

على أن رجلي لايزال أمذلا لها مقيماً بها حتى أجيلك في فكري

وقال كثير :

اذا مذلت رجلي ذكرتك أشتفى بدعواك من مذل بها فيهون

وقال جميل :

وأنت لعيني قرّة حين نلتقى وذكرك يشفيني اذا خدرت رجلي

وقالت امرأة :

اذا خدرت رجلي دعوت ابن مصعب فان قلت عبس الله أجلى فتورها

وقال آخر :

صب محب اذا مارجله خدرت نادى كبيشه حتى يذهب المخدر

وقال الموصلي :

والله ما خدرت رجلي وما عثرت الاذكرتك حتى يذهب المخدر

وقال الوليد بن يزيد :

أثيبي هائماً كلفاً معني اذا خدرت له رجل دعاك

ونظير هذا الوهم أن الرجل منهم كان اذا اختلجت عينه قال : أرى من أحبه

فان كان غائباً توقع قدومه وان كان بعيداً توقع قربه ، قال بشر :

اذا اختلجت عيني أقول لعلها فتاة بنى عمرو بها العين تلمع

وقال آخر :

اذا اختلجت عيني تيقنت أنني أراك وان كان المزار بعيدا

وقال آخر :

اذا اختلجت عيني أقول لعلها لرؤيتها تهتاج عيني وتطرف

وهذا الوهم باق في الناس الى اليوم .

ومن مذاهبهم ان الرجل منهم كان اذا عشق ولم يسلم وأفرط عليه العشق حملة

رجل على ظهره كما يحمل الصبي وقام آخرفأحمى حديدة أو ميلا وكوى به

بين البيته فيذهب عشقه فيما يزعمون ، قال أعرابي :

كويتم بين رانفتي جهلا ونار القلب يضرمها الغرام

وقال آخر :

شكوت الى رفيقي اشتياقي فجاءني وقد جمعا دواء

وجاء بالطبيب ليكوياني ولاأبغى—عدمتهما—اكتواء

ولو أتيا بسلمي حين جاءا لعاضاني من السقم الشفاء

واستشهد الخالغ على هذا المعنى بقول كثير :

أغاضر لو شهدت غداة بنتم حنو العائدات على وسادي
 أويت لعاشق لم ترحميه بواقدة تلسذع بالزناد
 وهذا البيت ليس بصريح في هذا الباب ، ويحتمل أن يكون مراده فيه المعنى
 المشهور المطروق بين الشعراء من ذكر حرارة الوجد ولذعه وتشبيهه بالنار ،
 الا أنه قد روى في كتابه خبراً يؤكد المقصد الذي ادعاه ، وهو : عن محمد بن
 سليمان بن فليح عن جده قال : كنت عند عبد الله بن جعفر فدخل عليه كثير وعليه
 أثر علة ، فقال عبدالله : ما هذا بك ؟ قال : هذا ما فعلت بي أم الحويرث ، ثم
 كشف عن ثوبه وهو مكوي وأنشد :

عفا الله عن أم الحويرث ذنبها على م تعينني وتكمي دوائيا
 ولو آذنوني قبل أن يرقموا بها لقلت لهم ام الحويرث دائيا
 قلت : والظاهر أنه حرّف شعره أيضاً وأنه قال « كويت لعاشق لم ترحميه »
 بقوله « أويت لعاشق لم ترحميه » .

قال : ومن أوهاهم وتخيلاتهم انهم كانوا يزعمون ان الرجل اذا أحسب
 امرأة واحبته فشق برقعها وشقت رداءه صلح حبهما ودام فان لم يفعل ذلك فسد
 حبهما ، قال سحيم عبد بني الحسحاس :

وكم قد شققنا من رداء محبّر ومن برقع عن طفلة غير عابس
 اذا شق برد شق بالبرد برقع دوايك حتى كلنا غير لابس
 نروم بهذا الفعل بقاء على الهوى والى الهوى يغرى بهذى الوسواس
 وقال آخر :

شقت ردائي يوم برقة عالج وأمكنتني من شق برقعك السحقا
 فما بال هذا الحب يفسد بيننا ويمحق جبل الوصل ما بيننا محقا
 ومن مذاهبهم أنهم كانوا يرون أن اكل لحوم السباع يزيد في الشجاعة
 والقوة ، وهذا مذهب طبي والاطباء يعتقدونه ، قال بعضهم :

أبا المعارك لاتتعب بأكلك ما تظن انك تطفى منه كبرارا
فلو أكلت سباع الارض قاطبة ماكنت الاجبان القلب خوارا
وقال بعض الاعراب .. واكل فؤاد الاسد ليكون شجاعاً فعدا عليه نمر فجرحه:
أكلت من الليث الهصور فؤاده لاصبح أجرى منه قلباً وأقداما
فأدرك مني ثاره بابن أخته فيالك ثاراً ما أشد وأعظما
وقال آخر :

اذالم يكن قلب الفتى غدوة الوغى أصم فقلب الليث ليس بنافع
ومانفع قلب الليث في حومة الوغى اذا كان سيف المرء ليس بقاطع
ومن مذاهبهم أن صاحب الفرس المهقوع - والهقعة دائرة تكون بالفرس
وربما كانت على الكتف في الاكثروهي مستقبحة عندهم - اذا ركب فحرق تحته
اغتمت امراته وطمحت الى غيره ، قال بعضهم لصاحبه :

اذاحرق المهقوع بالمرء أنعظت حليلته وازداد حراً عجانها
فأجابه صاحبه :

وقد يركب المهقوع من ليس مثله وقد يركب المهقوع زوج حصان
ومن مذاهبهم أنهم كانوا يوقدون للمسافر الذي لا يحبون رجوعه ويقولون
في دعائهم «أبعده الله وأسحقه وأوقد ناراً أثره» ، قال بعضهم :

صحوت وأوقدت للجهل ناراً ورد عليك الصبى ما استعارا
وفي لسان العرب قالت العقيلية: كان الرجل اذا خفنا شره فتحول عنا وأوقدنا
خلفه ناراً . ففلت لها : ولم ؟ قالت : ليتحول ضبعهم معهم ، أي شرهم ، قال
الشاعر :

وجمة أقوام حملت ولم اكسن كموقد نار أثرهم للتندم
وكانوا اذاخرجوا الى الاسفار أوقدوا ناراً بينهم وبين المنزل الذي يريدونه

ولم يوقدوها بينهم وبين المنزل الذي خرجوا منه تفؤلاً بالرجوع اليه .
ومن مذاهبهم المشهورة تعليق كعب الارنب، قال ابن الاعرابي : قلت لزيد بن
كثوة : أتقولون ان من علق عليه كعب أرنب لم تقر به جنان الدار ولا عمار الحي .
قال : اي والله ولا شيطان الحماطة ولا جار العشيرة ولا غول القفر . «الحماطة»
شجرة «والعشيرة» بالتصغيرة شجرة . قال امرؤ القيس :

أيا هند لاتنكحي بوهة	عليه عقيقته احسبها
موضعة بين أزناقه	به عسم يبتغى ارنبا
ليجعل في رجله كعبها	حذار المنية أن يعطبا

وقال ابو محلم : كانت العرب تعلق على الصبي سن ثعلب وسن هرة خوفاً
من الخطفة والنظرة ، ويقولون : ان جنية أرادت صبي قوم فلم تقدر عليه فلامها
قومها من الجن في ذلك ، فقالت تعتذر اليهم : كانت عليه نفرة ثعلب وهرر .
وكانت العرب اذا ولدت المرأة أخذوا من دم السمرة - وهو صمغه الذي
يسيل منه - ينقطونه بين عيني النفساء وخطوا على وجه الصبي خطأ ، ويسمى
هذا الصمغ السائل من السمرة «الدودم» ويقال بالذال المعجمة أيضاً . وتسمى
هذه الاشياء التي تعلق على الصبي «النفرات» .

قال عبد الرحمن ابن اخي الاصمعي : ان بعض العرب قال لابي : اذا ولد لك
و ادنفّر عنه . فقال له أبي : وما التنفير ؟ قال : غرب اسمه . فولد له ولد فسماه
قنفذاً وكناه «أبا العدا» . قال : وأنشد أبي :

كالخمر مزج دوائها منها بها - تشفى الصداع وتبرىء المنجودا

يريد أن القنفذ من مراكب الجن فداوى ولده منهم بمراكبهم .

ومن مذاهبهم أن الرجل منهم كان اذا ركب مفازة وخاف على نفسه من طوارق
الليل عمد الى وادي ذي شجر فأناخ راحلته في قرارته وعقلها وخط عليها خطأ

ثم قال «أعوذ بصاحب هذا الوادي» وربما قال «بِعَظِيمِ هَذَا الْوَادِي» ، وعَسَنَ
هَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي الْقُرْآنِ «وَإِنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ
فَزَادُوهُمْ رَهَقًا» .

واستعاذ رجل منهم ومعه ولد فأكله الاسد فقال :

قد استعذنا بعظيم الوادي من شر ما فيه من الاعادي
فلم يجرنا من هزبر عاد

وقال آخر :

اعوذ من شر البلاد البعيد بسيد معظم مجيد
أصبح يلوى بلوى زرود ذي عزة وكاهل شديد

وقال آخر :

ياجن أجزاء اللوى من عالمج عاذ بكم سارى الظلام الدالمج
لا ترهقوه بغوي هائمج

وقال آخر :

قد بت ضيفاً لعظيم الوادي المانعي من سطوة الاعادي
راحلتى فى جاره وزادي

وقال آخر :

هيا صاحب الشجرء هل أنت مانعي فانسى ضيف نازل بفنائكا
وانك للجنان فى الارض سيد ومثلك آوى فى الظلام الصعالك
ومن مذاهبهم ان المسافرين اذا خرج من بلدة الى أخرى فلا ينبغي له أن
يلتفت ، فانه اذا التفت عاد فلذلك لا يلتفت الا العاشق الذي يريد العود ، قال
بعضهم :

دع التفت يا مسعود وارم بها وجه الهواجر تأمن رجعة البلد

وقال آخر ، أنشده الخالغ :

عيل صبري ما لثعلبية لما طسال ليلي وملنى قرناي
كلما سارت المطايا بناميلاً تنفست والتفت وراي

ذكرهما الخالغ فى الباب ، وعندى أنه لادلالة فىهما على ما أراد ، لان التلفت فى أشعارهم كثرى ومرادهم به الابانة والاعراب عن كثرة الشوق والتأسف على المفارقة وكون الراحل عن المنزل حيث لم يمكنه المقام فىه بجثمانه يتبعه بصره ويتزود من رؤيته ، كقول الرضى :

ولقد مررت على طولهم ورسومهم ليد البلى نهب
فوقفت حتى ضج من لغب نضوى ولج بعدلى الركب
وتلفتت عيني فمد خفيت علي الطلوس تلفت القلب

وليس يقصد بالتلفت ههنا التفاؤل بالرجوع اليها ، لان رسومها قد صارت نهياً ليد البلى فأى فائدة فى الرجوع اليها ، وانما يريد ما قدمنا ذكره من الحنين والتذكر لما مضى من أيامه فيها ، وكذلك قول الاول :

تلفت نحو الحي حتى وجدتنى وجعت من الاصغاء ليتاً وأخدعا
قلت : بل الظاهر أن انشاد الخالغ من ذلك الباب ، بشهادة بيته الاول بعدم ميله الى الرجوع وكون البيت الثانى بلفظ الالتفات لالتلفت .

قال : وقال بعضهم فى المذهب الاول :

تلفت أرجو رجعة بعدنية فكان التفتاتى زائداً فى بلائيا
ءأرجو رجوعاً بعدما حال بيننا وبينكم حزن الفلا والفيافيا
وقال آخر ، وقد طلق امرأته فتلفت اليه :
تلفت ترجو رجعة بعد فرقة وهيهات مما تترجى ام مازن
ألم تعلمى انى جموح عنانه اذا كان من أهواه غير ملاين

ومن مذاهبهم أنه اذا بثر شفة الصبي حمل منخلاً على رأسه ونادى بين بيوت الحي «الحلا الحلا الطعام الطعام» فتلقى له النساء كسر الخبز وأقطع التمر واللحم في المنخل ثم يلقي ذلك للكلاب فتأكله فيبرأ من المرض ، فان اكل صبي من الصبيان من ذلك الذي ألقاه للكلاب ثمرة أو لقمة أو لحمة بثر شفته وأنشد لامرأة :

الاحلا في شفة مشقوقه وقد قضى منخلنا حقوقه

ومن مذاهبهم أن الرجل منهم كان اذا طرقت - أي أصابت - عينه بثوب آخر مسح الطارف عين المطروف سبع مرات ، يقول في الاولى «باحدى جاءت من المدينة» وفي الثانية «بائنتين جاءتا من المدينة» وفي الثالثة «بثلاث جئن من المدينة» الى أن يقول في السابعة «بسبع جئن من المدينة» فثبراً عين المطروف وفيهم من يقول «باحدى من سبع جئن من المدينة» الى ان يقول «بسبع من سبع». ومن مذاهبهم أن المرأة منهم كان اذا عسر عليها خاطب النكاح نشرت جانباً من شعرها وكحلت احدى عينيها مخالفة الشعر المنشور وحجلت على احدى رجليها ، ويكون ذلك ليلا وتقول «يالكاخ أبغي النكاح قبل الصباح» فيسهل أمرها وتزوج عن قريب .

قال رجل لصديقه ، وقد رأى أمه تفعل ذلك :

أما ترى أمك تبغي بعلا	قد نشرت من شعرها الاقلا
ولم توف مقلتيها كحلا	ترفع رجلا وتحط رجلا
هذا وقد شاب بنوها أصلا	وأصبح الاصغر منهم كهلا
خذ القطيع ^(١) ثم سمها الذلا	ضرباً به تترك هذا الفعلا

وقال آخر :

(١) أي السيف .

قد كحلت عيناً وأعفت عيناً وحجلت ونشرت قرينا

تظن زيناً ما تراه شينا

وقال آخر:

تصنعي ما شئت أن تصنعي وكحلي عينك أولاً فدعي

ثم احجلي في البيت اوفى المجمع مالك في بعل أرى من مطمع

ومن مذاهبهم كانوا اذا رحل الضيف أو غيره عنهم وأحبوا أن لا يعود

كسروا شيئاً من الاواني وراءه ، وهذا مما تعمله الناس اليوم أيضاً ، قال بعضهم :

كسرنا القدر بعد ابي سواح فعاد وقدرنا ذهب ضياعا

وقال آخر :

ولانكسرا الكيزان في ارضيفنا ولكننا نقفيه زاداً ليرجعنا

وقال آخر :

أما والله ان بنى نفيل لحلالون بالشرف اليفاع

أناس ليس تكسر خلف ضيف أو انيهم ولا شعب القصاع

ومن مذاهبهم قوله ان من ولد في القمراء تقلصت غرلته فكان كالمختون ،

ويجوز عندنا أن يكون ذلك من خواص القمر، كما أن من خواصه ابلاء الكتان

وانتان اللحم .

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام : اذا رأيت الغلام طوييل الغرلة

فأقرب به من السؤدد، واذا رأيت قصير الغرلة كأنما ختنه القمر فأبعد به .

وقال امرؤ القيس لقيصر وقد دخل معه الحمام فرآه أغلف :

اني حلفت يميناً غير كاذبة لانت أغلف الاماجني القمر

ومن مذاهبهم التثؤم بالعطاس ، قال امرؤ القيس :

* وقد اغتدى قبل العطاس *

وقال آخر :

وخرق اذا وجهت فيه لغزوة مضيت ولم يحبسك عنه العواطس
ومن مذاهبهم قولهم في الدعاء عليه «لأعشت الأعيش القراد» يضر بونه مثلاً
في الشدة والصبر على المشقة ، ويزعمون أن القراد يعيش ببطنه عاماً وبظهره
عاماً، ويقولون انه يترك في طينة ويرمى بها الحائط فيبقى سنة على بطنه وسنة
على ظهره ولا يموت ، قال بعضهم :

فلا عشت الاكعيش القراد عاماً بطن و عاماً بظهر

ومن مذاهبهم: كانت النساء اذا غاب عنهن من يحببته أخذن تراباً من موضع
قدمه وموضع رجله ، كانت العرب تزعم أن ذلك أسرع لرجوعه . وقالت
امرأة من العرب واقتبضت من أثره :

يارب أنت جاره في سفره وجار خصييه وجار ذكره

وقالت امرأة :

أخذت تراباً من مواطىء رجله غداة غداكيما يؤب مسلما

ومن مذاهبهم أنهم كانوا يسمون العشاء في العين الهدبد ، وأصل الهدبد
اللبن الخائر ، فاذا أصاب أحدهم ذلك عمد الى سنام فقطع منه قطعة ومن الكبد
قطعة وقلاهما وقال عند كل لقمة يأكلها بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبابته :

فيا سناماً وكبد الا اذها بالهدبد ليس شفا الهدبد الا السنام والكبد

فيذهب العشاء بذلك .

ومن مذاهبهم اعتقادهم ان الورد والقنفذ والارنب والظبي واليربوع
والنعام مراكب الجن يجعلونها مطاياهم ، ولهم في ذلك أشعار مشهورة ، ويزعمون
أنهم يرون الجن ويظاهرونهم ويخاطبونهم ويشاهدون الغول ، وربما جامعوها
وتزوجوها .

وقالوا: ان عمرو بن يربوع تزوج الغول وأولدها بنين ومكثت عنده دهرأ
فكانت تقول له : اذا لاح من جهة بلادي - وهي بنهة كذا - فاستره عني والا
تركت ولدك عليك وطرت الى بلاد قومي. فكان عمرو بن يربوع كلما برق البرق
غطى وجهها بردائه فلا تبصره .

والى هذا المعنى أشار ابو العلاء المعري في قوله يذكر الابل وحنينها الى
البرق :

طربن لضوء البارق المتعالي	ببغداد مالهن ومالي
سمت نحوه الابصار حتى كأنها	بناربه من هنا وثم سوال
اذا طال عنها سرها لرؤسها	تمد اليه في صدور عوال
تمنت قويقاً والصراة أمامها	تراب لها من أنيق وجمال
اذا لاح ايماض سترت وجوهها	كأنني عمرو والمطي سعالي
وكم هم نضوان يطير مع الصبا	الى الشام لولا حبسه بعقالي

قالوا : فغفل عمرو بن يربوع عنها ليلة وقد لمع البرق فلم يستر وجهها
فطارت وقالت له وهي تطير :

امسك بنيك عمرو اني آبق برق على أرض السعالى آلق
ومنهم من يقول: ركبت بغيراً وطارت عليه -- أي أسرع -- فلم يدر كها.
وعن هذا قال الشاعر :

رأى برقاً فأوضع فوق بكر فلابك ما أسال ولا أغاما
قال : فبنو عمرو بن يربوع الى اليوم يدعون بنى السعلاة ، ولذلك قال
الشاعر يهجوهم :

يا قبح الله بنى السعلاة عمرو بن يربوع شرار النات
ليسوا بأبطال ولا اكيات

فأبدل السين تاءً وهى لغة قوم من العرب .

قلت : أي الاصل فى النات «الناس» وفي اكيات «اكياس» .
ومن مذاهبهم في الغول قولهم انها اذا ضربت ضربة واحدة بالسيف هلكت
فان ضربت ثانية عاشت ، والى هذا المعنى أشار الشاعر بقوله :

فقلت ثن قلت لها رويداً مكانك اننى ثبت الجنان

وكانت العرب تسمى أصوات الجن «العزيف» وتقول : ان الرجل اذا قتل
قنفذاً وورلاً لم يأمن الجن على فحل أبله ، واذا اصاب ابله خطب أو بلاء حمله
على ذلك . ويزعمون انهم يسمعون الهاتف بذلك ، ويقولون مثله في الجنان من
الحيات وقتله عندهم عظيم .

ورأى رجل منهم جانا في قعر بئر لا يستطيع الخروج منها ، فنزل وأخرجه
منها على خطر عظيم وغمض عينيه لئلا يرى أين يدخل ، كأنه يريد بذلك التقرب
الى الجن .

وقال الجاحظ : وكانوا يسمون من يجاور منهم الناس (عامراً) والجمع
عمار ، فان تعرض للصبيان فهو «روح» ، فان خبث وتعرم فهو «شيطان» ، فان
زاد على ذلك فى القوة فهو «عفريت» ، فان طهر ولطف وصار خيراً أكله فهو
«ملك» ، ويقاضلون بينهم .

ويعتقدون أن مع كل شاعر شيطاناً ويسمونهم بأسماء مختلفة .

قلت : وفي شعراء ابن قتيبة : راجز العجاج على ناقة له كرماء وعليه ثياب
حسان ، وخرج ابو النجم العجلي على جمل مهنوء وعليه عباء ، فأنشد العجاج
«قد جبر الدين الاله فجبهر» وأنشد ابو النجم «تذكر القلب وجهلا ما ذكر» حتى
بلغ قوله :

انى وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

فما رأني شاعر الا استسر فعل نجوم الليل عاين القمر
عيشي تميم واصغرى فيمن صغر وباشرى الذل واعطى من عشر
وأمرني الانثى عليك والذكر

فبينما هو ينشد حمل جملة على ناقة العجاج، فضحك الناس وانصرفوا يقولون
«شيطانه أنثى وشيطاني ذكر» - والعجاج من زيد مناة بن تميم.

قال : قال العجاحظ : وفي النهار ساعات يرى فيها الصغير كبيراً ويوجد
لاوساط الفيافي والرمال والحرار مثل الدوي وهو طبع ذلك الوقت ، قال ذوالرمة:
إذا قال حادينا لترميم ناءة صه لم يكن الادوي المسامع
وقال العجاحظ أيضاً في الذين يذكرون عزيز الجن وتغول الغيلان: ان
هذا الامر وابتداء هذا الخيال أن القوم لما نزلوا بلاد الوحش عملت فيهم الوحشة
ومن انفرد وطال مقامه في البلاد الخلاء استوحش ولاسيما مع قلة الاشغال وفقد
المذاكرين والوحدة لا تنقطع أيامها الا بالتمني والافكار ، وذلك أحد أسباب
الوسواس .

ومن عجائب اعتقادات العرب ومذاهبهم اعتقادهم في الديك والغراب والحمامة
وساق حر- وهو الهديل - والحية ، فمنهم من يعتقد أن للجن بهذه الحيوانات
تعلقاً ، ومنهم من يزعم أنها نوع من الجن ، ويعتقدون أن سهيلاً والزهرة والضب
والذئب والضبع مسوخ . ومن أشعارهم في مراكب الجن قول بعضهم في قنفذ
رآه ليلاً :

فما يعجب الجنان منك - عدمتهم - وفي الاسد أفراس لهم ونجائب
أيسرج يربوع ويلجم قنفذ لقد أعوزتكم ما عملت النجائب
فان كانت الجنان جنت فبالحرى ولا ذنب للاقوام والله غالب
ومن الشعر المنسوب الى الجن :

وكل المطايا قد ركبنا فلم نجد
ومن عضر فوط عن لسى فركبته
وقال أعرابي يكذب بذلك :

أبدر سر باً من ركوب الارانب
لقد ضاع سر الله يا ام معبد
ومن أشعارهم وأحاديثهم في رؤية الجن وخطابهم وهتافهم مارواه الجاحظ
لسمير بن الحرث الضبي :

ونارقد حضات بعيد وهن
سوى تجليل راحلة وعين
أتواناري فقلت منون أنتم
فقالوا الجن قلت عمواظلاما

ويزعمون أن عمير بن ضبيعة رأى غلاماً ثلاثاً يلعبون نهاراً فوثب غلام منهم
فقام على عاتقى صاحبه ووثب الآخر فقام على عاتقى الأعلى منهما ، فلما رآهم
كذلك حمل عليهم فصدمهم فوقعوا على ظهورهم وهم يضحكون ، فقال عمير
ابن ضبيعة : فما مررت يومئذ بشجرة الاوسمعت من تحتها ضحكاً ، فلما رجع
الى منزله مرض أربعة أشهر .

وحكى الاصمعي عن بعضهم أنه خرج هو وصاحب له يسيران فاذا غلام
على الطريق فقال له : من أنت ؟ قال : مسكين قد قطع بي . فقال أحدهما لصاحبه
اردفه خلفك ، فأردفه خلفه فالتفت الاخر اليه فرأى فمه يتأجج ناراً ، فشد عليه
بالسيف فذهبت النار ، فرجع عنه ثم التفت فرأى فمه يتأجج ناراً ، فشد عليه
فذهبت النار ، ففعل ذلك مراراً ، فقال ذلك الغلام : قاتلكما الله ما أجلدكما والله
ما فعلتها بأدمى الا وانخلع فؤاده ، ثم غاب عنهما فلم يعلما خبره .

وقال أبو البلاد الطهوي - ويروى لتأبط شراً :

لهان على جهينة ما الأقي من الروعات يوم رحي بطان

لقيت الغول تسرى في ظلام
فقلت لها كلانا نفض أرض
فشدت شدة نحوي فأهوى
فقال زد فقلت لها رويداني

والذين يروون هذا الشعر لتأبط شراً يروون أوله :

ألا من مبلغن فتيات جهنم
بأنى قد لقيت الغول تلوى
فصدت فانتحيت لها بعضب
فقد سراتها والبرك منها
فقال ثن قلت لها رويداً
ولم انفك مضطجعاً لديها
إذا عيمان في رأس دقيق
وساقاً مخدجاً ولسان كلب

وقال البهراني :

وتزوجت في الشبية غولا
بغزال وصدقتي زق خمر

قال الجاحظ : أصدقها الخمر لطيب ريحها والغزال لانه من مراكب الجن.

وقال ابو عبيد بن ايوب العنبري أحد لصوص العرب :

تقول وقد الممت بالامس لمة
أهذا خدين الغول والذئب والذي
رأت خلق المدرسين أسود شاحباً
تعود من آباءه فتكاتهم
إذا صاد صيداً القه بضرامة
فنهشاً كنهش الصقر ثم مراسة

مخضبة الاطراف خرس الخلاخل
يهيم بربات الحجال الهراكل
من القوم بساماً كريم الشائل
واطعامهم في كل غبراء شامل
وشيكاً ولم ينظر لغلي المراحل
بكفيه رأس الشيحة المتماثل

ومن هذه الابيات :

إذا ما أراد الله ذل قبيلة
رماها بتشتيت الهوى والتخاذل
وأول عجز القوم عما ينوبهم
تقاعدهم عنه وطول التواكل
وأول خبث الماء خبث ترابه
وأول لؤم القوم لؤم الحلائل
وهذا الشعر من جيد شعر العرب ، وانما كان غرضنا منه متعلقاً بأوله وذكرنا

سائره لما فيه من الادب . وقال عبيد بن ايوب :

وصار حليل الغول بعد غراره
صفيماً وربته القفسار البسابس
أيضاً :

فله در الغول أي رفيقة
لصاحب قفر في المهامة يذعر
أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت
حوالي نيراناً تلوح وتزهر
أيضاً :

وغولا قفرة ذكر وأنثى
كأن عليهما قطع البجاد
أيضاً :

فقد لاقت الغزلان منى بلية
وقد لاقت الغيلان منى الدواھيا
وقال البهراني في قتل الغول :

ضربت ضربة فصارت هباءً
في محاق القمرأ آخر شهر
وقال أيضاً يزعم أنه لما ثنى عليها الضرب عاشت :

فثنيت والمقدار يحرس أهله
فليت يميني يوم ذلك شلت

وقال تأبط شراً يصف الغول ويذكر أنه راودها عن نفسها فامتنعت عليه

فقتلها :

فأصبحت والغول لي جارة
فيا جارة أنت ما أغولا
وطالبتها بضعها فالتوت
فكان من الرأي ان تقتلا

فجللتها مرهفأ صارمأ	أبان المرافق والمفصلا
فطار بقحف ابنة الجن ذو	شقاشق قد أخلق المحملا
فمن يك يسأل عن جارتني	فان لها باللوى منزلا
غطاة أرض لها حلتان	من ورق الطلح لم تنزلا
وكنت اذا ماهممت اهتبلت	وأحرى اذا قلت أن افعللا

ومن أعاجيبهم أنهم كانوا اذا طالت علة واحد منهم وظنوا أن به مسأ من الجن لانه قتل حية أو يربوعاً أو قنفذاً عملوا جمالا من طين وجعلوا عليها جوالقاً وملاؤها حنطة وشعيراً وتمراً وجعلوا تلك الجمال في باب جحر الى جهة المغرب وقت غروب الشمس وباتوا ليلتهم تلك ، فاذا أصبحوا نظروا الى تلك الجمال من الطين فان رأوا أنها بحالها قالوا لم تقبل الدية فزادوا فيها ، وان رأوها قد تساقطت وتبدد ما عليها من الميرة قالوا قد قبلت الدية ، واستدلوا على شفاء المريض وفرحوا وضربوا بالدف ، قال بعضهم :

قالوا وقد طال عنائي والسقم	احمل الى الجن جمالات وضم
فقد فعلت والسقام لم يرم	فبالذي يملك برئى اعتصم

وقال آخر:

فيا ليت أن الجن جازوا حمالتي	وزحزح عني ما عناني من السقم
وباليتهم قالوا أنطناكل ما حوت	يمينك في حرب غماس وفي سلم
أعلل قلبى بالذي يزعمونه	فيا ليتنى عوفيت في ذلك الزعم

وقال آخر:

أرى أن جنان النويرة أصبحوا	وهم بين غضبان علي وآسف
حملت ولم أقبل اليهم حمالة	تسكن عن قلب من السقم تالف
ولو أنصفوا لم يطلبوا غير حقهم	ومن لي من أمثالهم بالتناصف

تغطوا بثوب الارض عني ولوبدوا
لاصبحت منهم آمناً غيرخائف
وكانوا اذا غم عليهم أمرالغائب ولم يعرفوا له خبراً جاؤا الى بئرعادية
أوحفرقديم ونادوا فيه « يا فلان » أو « يا ابافلان » ثلاث مرات ، ويزعمون أنه
ان كان ميتاً لم يسمعوا صوتاً وان كان حياً سمعوا صوتاً ربما تسوهموه وهماً أو
سمعوه من الصدى فبنوا عليه عقيدتهم ، قال بعضهم :

دعوت أباالمغوارفي الحفردعوة
فما آص صوتي بالذي كنت داعيا
أظن أباالمغوار في قعر مظلم
تجر عليه الذاريات السوافيا
وقال آخر:

وكم ناديته والليل ساج
بعادي البئر فما أجابا
وقال آخر:

غاب فلا أرجو له ابابا
والحفرلا يرجع لي جوابا
وما قرأت مذ نأى كتابا
حتى متى استنشد الركابا
عنه وكل يمنع الخطابا

وقال آخر:

ألم تعلمي اني دعوت مجاشعاً
من الحفر والظلماء بادكسورها
فجاوبنى حتى ظننت بأنه
سيطلع من جوفاء صعب حدورها
فقد سكنت نفسي وأيقنت أنه
سيقدم والدنيا عجاب أمورها
وقال آخر:

دعونه من عادية نضب ماءها
وهدم جاليهااختلاف عصور
فرد جواباً ما شككت بأنه
قريباً الينا بالاياب يصير
أقوى في البيت الثاني وسكن « نضب » ضرورة ، كما قال « لوعصرمنه

البان والمسك انعصر» .

ومن أعاجيبهم أنهم كانوا في الحرب ربما أخرجوا النساء قبلن بين الصفيين
يرون أن ذلك يطفىء نار الحرب ويقودهم الى السلم ، قال بعضهم :

لقونا بأبوال النساء جهالة ونحن نلاقيهم ببيض قواضب
وقال آخر:

بالت نساء بني خراشة خيفة منا وأدبرت الرجال شلالا
وقال آخر:

بالت نساؤهم والبيض قدأخذت منهم ماأخذ يستشفى بها الكلب
وهذان البيتان يمكن أن يراد بهما أن النساء بلن خيفة وذعراً لاعلى المعنى
الذي نحن في ذكره .

وقال آخر:

هيهات رد الخيل بالابوال اذا غدت في صورالسعالى
وقال آخر:

جعلوا السيوف المشرفية منهم بول النساء وقل ذاك غناء
فأما ذكرهم عزيز الجن في المفاوز والسباسب فكثير، كقول بعضهم :

وخرق تحدث غيطانه حديث العذارى بأسرارها
وقال آخر:

ودوية سبب سملق من البيد تعزف جنانها
وقال الاعشى :

وبهماء تعزف جنانها مناهلها آجنات سدم
وقال :

وبلدة مثل ظهرالترس موحشة للجن بالليل في حافاتها زجل

وقال آخر:

* ببذاء في أرجائها الجن تعزف *

وقال الشرقي بن القطامي: كان رجل من كلب يقال له عبيد بن الحمارس شجاعاً وكان نازلاً بالسماوة أيام الربيع ، فلما حسر الربيع وقل ماؤه وأقلعت انواؤه تحمل الى وادي ثبل فرأى روضة وغديراً فقال : روضة وغدير وخطب يسير وأنا لما حويت مجير، فنزل هناك وله امرأتان اسم احدهما الرباب والآخرى خولة ، فقالت له خولة :

أرى بلدة قفراً قليلاً أنيسها وانا لنخشى اندجى الليل أهلها

وقالت له الرباب :

أرتك برأى فاستمع عنك قولها ولا تأمنن جن العزيز وجهلها

فقال مجيباً لهما :

ألست كميأ في الحروب مجرباً شجاعاً اذا شبت له الحرب محرباً

سريعاً الى الهيجاء اذا حمس الوغا فأقسم لا أعدو الغدير منكبا

ثم صعد الى جبل ثبل فرأى شيهمة - وهي الانثى من القنafd - فرماها

فأقصها ومعها ولدها فارتبطه ، فلما كان الليل هتف به هاتف من الجن :

يا بن الحمارس قد أسأت جوارنا وركبت صاحبنا بأمر مقطع

وعقرت لقحته وقدت فصيلها قوداً عنيفاً في المنيف الارفع

ونزلت مرعى شائناً وظلمتنا والظلم فاعله وخيم المرتع

فلنظرقتك بالذي أوليتنا شر يجيك وماله من مدفع

فأجابه ابن الحمارس :

يا مدعي ظلمي ولست بظالم اسمع أريك مقالتي وتسمع

ان كنتم جنأ ظلمتم قنفذاً عقرت فشر عقيرة في مصرع

فيما حويت وحزته من مطعم

لا تطمعوا فيما لدي ذمالمكم

فأجابه الجني :

قد جاءك الموت ووافاك الاجل

يا ضارب اللقحة بالعضب الافل

فاليوم أقويت وأعيتك الحيل

وساقك الحين الى جن ثبل

فأجابه ابن الحمارس :

مستمع مني فقد قلت الخطل

يا صاحب اللقحة هل أنت بعجل

هيجت قمقاماً من القوم بطل

وكثرة المنطق في الحرب فشل

لا يرهب الجن ولا الانس أجل

ليث ليوث واذا هم فعل

من كان بالعقوة من جن ثبل

فسمعها شيخ من الجن فقال : لا والله لا نرى قتل انسان مثل هذا ثابت

القلب ماضي العزيمة . ثم قام وأنشد :

فأصبت منها مشرباً ومناما

يا بن الحمارس قدنزلت بلادنا

واسأت لما أن نطقت كلاما

فبدأتنا ظلماً بعقر لقوحنا

انا نرى لك حرمة وذماما

فاعمدلامر الرشد واجتنب الردى

فلقد أصبت بما فعلت أثاما

واغرم لصاحبنا لقوحاً متبعاً

فأجابه ابن الحمارس :

اني لاكره أن أصيب اثاما

الله يعلم حيث يرفع عرشه

جئت البلاد ولا أريد مقاما

أما ادعائك ما ادعيت فانني

لا ريح فيها ظهرنا أياما

فأسمت فيها مالنا ونزلتها

ما قد سألت ولا نراه غراما

فليغد صاحبكم علينا نعطه

ثم غرم للجن لقوحاً متبعاً للقتفد وولدها .

وهذه الحكاية وان كانت كذباً الا أنها تتضمن أدباً وهي من ظرائف أحاديث

العرب فذكرناها لادبها وامتعها ، ويقال ان الشرقي كان يضع اشعاراً وينحلها
غيره .

فأما مذهب العرب في أن لكل شاعر شيطاناً يلقي اليه الشعر فمشهور والشعراء
كافة عليه ، قال بعضهم :

اني وان كنت صغير السن وفي العين نبسو عني
فان شيطاني أمير الجن يذهب بي في الشعر كل فن
وقال حسان بن ثابت :

اذا ما ترعرع فينا الغلام فما أن يقال له من هوه
اذا لم يسد قبل شد الازار فذلك فينا الذي لا هوه
ولي صاحب من بني الشيبان فطوراً أقول وطوراً هوه

وكان يزعمون أن اسم شيطان الاعشى مسحل واسم شيطان المخبل عمرو
قال الاعشى :

دعوت خليلي مسحلا ودعوا له جهنّام جسدعاً للهجين المذمم
وقال آخر :

لقد كان جني الفرزدق قدوة وما كان فينا مثل فحل المخبل
ولافي القوافي مثل عمرو وشيخه ولا بعد عمرو شاعر مثل مسحل
قلت : ومر قول ابى النجم :

اني وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر
قلت : وقالوا أنشد الفرزدق الصدر من أبيات لجريز فينشد الفرزدق العجز

لها ، فتعجب المنشد فقال له الفرزدق : أو ما علمت أن شيطاننا واحد .

قال : وأنشد الخالغ فيما نحن فيه لبعض الرجاز :

ان الشياطين أتوني أربعة في غلس الليل وفيهم زوبعه

وهو لا يدل على ما نحن فيه فلا وجه لادخاله في هذا الموضع .
ومن مذاهبهم أنهم كانوا اذا قتلوا الثعبان خافوا من الجن أن يأخذوا بثاره
فيأخذون روثه ويفتونها على رأسها ويقولون «روثة راث ثائرک» ، قال بعضهم :
طرحنا عليه الروث والزجر صادق فراث علينا ثاره والطوائف
وقد يذرعلى الحية المقتولة يسيررماد ويقال لها « قتلک العين فلا ثارک»
وفي أمثالهم لمن ذهب دمه هدرأ « هوقتيل العين » ، قال الشاعر :

ولا اكن كقتيل العين وسطكم ولا ذبيحة تشريق وتنحار

فأما مسذهبهم في الخرزات والاحجار والرقى والعزائم فمشهور، فمنها
« السلوانة » ويقال « السلوة » ، وهي خرزة يسقى العاشق منها خرزة فيسلو في
زعمهم وهي بيضاء شفافة ، قال :

لو أشرب السلوان ما سليت ما بى غنى عنكم وان غنيت

وقال اللحياني: السلوانة تراب من قبر يسقى منه العاشق فيسلو، وقال عروة
ابن حزام :

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد ان هما شفياني

فقالا نعم نشفى من الداء كله وقاما مع العواد بيتدران

فما تركا من رقية يعرفانها ولا سلوة الا وقد سقياني

وقال آخر:

سقوني سلوة فسلوت عنها سقى الله المنية من سقاني

قال : أي سلوت عن السلوة واشتد بى العشق ودام .

قلت : ما فسرته خلاف الظاهر، والظاهر أن المراد سلوت عن المحبوبة ،
وانما دعا عليها لان عنده في العشق لذة أزالها الراقي . فقالوا : عشق رجل
جارية مملوكة ، فقالوا اشتراها ، قال اذن يذهب عشقي وفي العشق لذة . وقال

الشمردل :

ولقد سقيت بسلوة فكأنما قال المداوي للخيال بها ازدد
ومن خرزاتهم «الهنمة» تجلب بها الرجال ويعطف بها قلوبهم ، ورقيتها:
أخذته بالهنمة بالليل زوج وبالنهار أمه
ومنها « الفطسة » و« القبلة » و« الدرد بيس» كلها لاجتلاب قلوب الرجال،
قال الشاعر:

جمعن من قبل لهن وفطسة والدرد بيس تماًماً في منظم
فانقاد كل مشذب مرسى القوى لحبا لهن وكل جلد شيطم
وقيل الدرد بيس خرزة سوداء تتحبب بها النساء الى بعولتهن ، توجد في
القبور العادية ، ورقيتها :

أخذته بالدرد بيس تدر العرق اليبيس
وتذر الجديد كالدريس

وأنشد :

قطعت القيد والخرزات عني فمن لي من علاج الدرد بيس
واصل الدرد بيس الداهية ، ونقل الى هذه لقوة تأثيرها .
ومن خرزاتهم « القرزحلة » ، أنشد ابن الاعرابي :
لا تنفع القرزحلة العجائزا اذا قطعنا دونها المفاوزا
وهي من خرز الضرائرا اذا لبستها المرأة مال اليها بعلمها دون ضررتها .
ومنها خرزة «العقرة» تشدها المرأة على حقويها فتمنع الحبل ، ذكر ذلك
ابن السكيت في اصلاح المنطق .
ومنها «الينجلب» ، ورقيتها :
أخذته بالينجلب فلا يرم ولا يغب

ولا يزل عند الطنب

ومنها «كرار» ، ورقيتها :

يا كرار كـريه ان اقبل فسريه

وان ادبر فضريه من فرجه الى فيه

ومنها «الهمزة» ، ورقيتها :

يا همزة اهمزيه من استه الى فيه

وماله وبنيه

ومنها «الخصمة» خرزة الدخول على السلطان والخصومة تجعل تحت فص

الخاتم اوفى زر القميص اوفى حمائل السيف ، قال بعضهم :

يلق غيري خصمة في لقائهم ومالي عليكم خصمة غير منطقي

ومنها «الوجهة» وهي كالخصمة حمراء كالعقيق .

ومنها «العطفة» خرزة العطف ، و«الكحلة» خرزة سوداء تجعل على

الصبيان لدفع العين عنهم ، و«القبلة» خرزة بيضاء تجعل في عنق الفرس من

العين ، و«الفطسة» خرزة يمرض بها العدو ويقتل ورقيتها :

أخذته بالفطسه بالثوبا والعطسه

فلا يزل في تعسه من أمره ونكسه

حتى يزور رسمه

ومن رقاهم للحب :

هوابه هوابه البرق والسحابه

أخذته بمركن فحبسه تمكن

أخذته بابه فلا يزل في عبره

جلبته بأشفى فقلبه لا يهدا

جلبته بمبرد فقلبه لا يسرد

وترقى الفارك زوجها اذا سافر عنها فتقول « بأفول القمر، وظل الشجر،
شمال تشمله ، ودبور تدبره ، ونكباء تنكبه ، شيك فلا انتقش » . ثم ترمي في أثره
بحصاة ونواة وروثة وبعرة وتقول :

حصاة حصت أثره نواة نأت داره

روثة راث خيره لقعته ببعره

وقالت فارك في زوجها :

أتبعته اذ رحل العيس ضحى بعد النواة روثه حيث انتوى

الروث للريث وللنأي النوى

وقال شاعر :

رمت خلفه لما رأته وشك بينه نواة تلتها روثه وحصاة

وقالت نأت منك الديار فلا دنت وراثت بك الاخبار والرجعات

وحصت لك الاثار بعد ظهورها ولا فارق الترحال منك شتات

وقال رجل يخاطب امرأته :

لا تغدفي خلفي اذا الركب اغتدى روثه غير وحصاة ونوى

لن يدفع المقدار أسباب الرقى ولا التها ويل على جن الفلا

هذا الرجز أورده الخالغ في هذا المعرض ، وهو بأن يدل على عكس هذا

المعنى أولى ، لان قوله « لن يدفع المقدار بالرقى ولا بالتهاويل على الجن »

كلام يشعر بأن قذف الحصاة والنواة خلفه كالعوذة له لا كما تفعله الفارك التي

تتمنى الفراق .

قلت : بل دلالة على عين المعنى في غاية الوضوح ، فان قذف الروثة

والحصاة والنواة ليس الا لعدم الرجوع ، ولم يقل أحد أنها تكون للعوذة له

من البلاء ، وأما قوله « لن يدفع المقدار الرقى » فمعناه أنه لو كان رجوعي مقدراً لا تأثير لرقاك كما لا تأثير للرقى في التهاويل على الجن .

قال : فأما مذهبهم في القيافة والزجر والكهانة واختلافهم في السانح والبارح وتشأمهم باللفظة والكلمة وتأويلهم لها وتمنهم بكلمة أخرى وما كانوا يفعلونه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، فكله معروف لا حاجة لنا الى ذكره ههنا - الخ .

قلت : قال ابو عبيدة : سأل يونس روبة وأنا شاهد عن السانح والبارح ، فقال : السانح ما ولاك ميا منه والبارح ما ولاك مياسره ، والعرب تميمن بالسانح وتشأم بالبارح ، وفي المثل « من لي بالسانح بعد البارح » ، وقال الاعشى « جرت لهما طير السناح بأشأم » ، وفي المثل « انما هو كبارح الاروى » . قال الجوهري الاروى مساكنها في قنان الجبال لا يكاد الناس يرونها سانحة ولا بارحة الا في الدهور مرة .

وفي المروج : حدث المنقري عن العتبي : وقف عبيد الراعي ذات يوم مع ركب من ثقيف على نفر وكانوا يريدون استقصاء رجل من تميم اذ سنحت ظباء سود منكرة ، ثم اعترضت الركب مقصرة في حضرها واقفة على شأنها ، فأنكر ذلك عبيد الراعي ولم ينتبه له أصحابه ، فقال عبيد :

ألم تدر ما قال الظباء السوانح أظفن أمام الركب والركب رائح
فكبر من لم يعرف الزجر منهم وأيقن قلبي أنهن نوائح
ثم شارفوا مقصدهم فألفوا الرئيس قد نهشته أفعى فأنت عليه .

قال ابو عبيدة : وهذا من غريب الزجر ، وذلك أن السانح مرجوع عند العرب والبارح هو المخوف ، وأظن عبيداً انما زجر الظباء في حال رجوعها ووصف الحال الاول في شعره ، كما أن من شرط الواصف أن يبدأ بهوادي الاسباب فيوضح عنها ، فهذا وجه زجر عبيد في شعره .

وفي المروج (ذكر ما ذهب اليه العرب في النفوس والهوام والصفرو وغيرها)
منهم من زعم أن النفوس في الدم لا غير، وان الروح الهواء الذي في باطن
جسم المرئي منه نفسه ، ولذلك سموا المرأة نفساء لما يخرج منها من الدم ،
ولذلك تنازع الفقهاء فيما له نفس سائلة اذا سقط في الماء هل ينجسه أم لا ،
وقال تأبط شراً لخاله الشنفرى « لجمته عضباً فسالت نفسه سكباً » .

وقالوا : ان الميت لا ينبعث منه الدم ولا يوجد فيه ، والنماء مع الحرارة
والرطوبة، لان كل حي فيه حرارة ورطوبة فاذا مات بقي اليبس والبرودة ، قال
ابن براق :

وكم لا قيت ذا حب شديد تسيل به النفوس على الصدور
اذا الحرب العوان به استهامت وحال فذاك يوم قمطير
وطائفة منهم تزعم أن النفس طائر ينسط في جسم الانسان ، فاذا مات أو
قتل لم يزل مطيفاً به متصوراً اليه في صورة طائر يصرخ على قبره مستوحشاً ،
وفي ذلك يقول بعضهم :

سلط الطير والمنون عليهم فلهم في صدى المقابر هام
وهذا انطائريسمونه « الهام » والواحدة هامة ، وجاء الاسلام وهم على
ذلك حتى قال النبي صلى الله عليه وآله « لاهام ولا صفر » .

ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيراً ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم
وهي أبدأ تتوحش في الديار المعطلة والنواويس وحيث مصارع الموتى .
ويزعمون أن الهامة لاتزال عند ولد الميت في محلته بفنائهم لتعلم ما يكون
بعده فتحبره به حتى قال الصلت بن امية لبنيه :

هامتي تخبرني بما تستشعروا فتجنبوا الشنعاء والمكروها
وعن حاتم طي وسنورد خبره :

أتيت لصحبك تبغي القرى لدى حفرة صدحت هامها
وللعرب في الغيلان أخبار ظريفة، يزعمون أن الغول يتغول لهم في الخلوات
ويظهر لخواصهم في أنواع من الصور فيخاطبونها وربما ضيفوها ، وقد أكثروا
من ذلك في أشعارهم ، منها قول تأبط شراً :

وأدهم قد جبت جلبابه كما اجتابت الكاعب الخيعلا
فأصبحت والغول لي جارة فيا جارتني أنت ما أهولا
وبزعمون أن رجليها رجلا عنز.

وكانوا إذا اعترضتهم الغول في الفيا في يرتجزون ويقولون :

يا رجل عنز انهقي نهيقا لن تنزلي السبيل والطريقا

وذلك أنها كانت تترائي لهم في الليالي وأوقات النهار فيتوهمون أنها انسان
فيتبعونها فتزيلهم عن الطريق التي هم عليها وتتيهمهم ، وكان ذلك قد اشتهر
عندهم وعرفوه فلم يكونوا يزولون عما كانوا عليه من القصد ، فاذا صبح بها
على ما وصفنا شردت عنهم في بطون الاودية ورؤوس الجبال .

قال : وقد ذكر جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطاب أنه شاهد ذلك
في بعض أسفاره الى الشام قبل الاسلام ، وهذا مشهور عندهم في أخبارهم .
وحكي عن بعض المتفلسفين أن الغول حيوان شاذ من جنس الحيوان لم
تحكمه الطبيعة وانه لما خرج منفرداً في نفسه وهيئته توحيش من مسكنه فطلب
القفار وهو يناسب الانسان والحيوان البهيمى في الشكل .

وزهبت طوائف من الهند الى أن ذلك انما يظهر من فعل ما كان غائباً من
الكواكب عند طلوعها مثل طلوع الكوكب المعروف بكلب الحباء ، وهي
الشعري العبور ، وان ذلك داء يحدث في الكلاب ، وسهيل في الحمل والذئب
في الدب ، وحامل رأس الغول يحدث عند طلوعه تماثيل وأشخاص تظهر في

الصحاري وغيرها من العالم فتسميه عوام الناس غولا وهي ثمان وأربعون كوكباً
وقد ذكرها بطليموس .

وزعمت طائفة أن الغول شيء يعرض للسفار ويتمثل في ضروب من الصور

ذكر أكان أو أنثى الا ان اكثر كلامهم على أنه أنثى . وقد قال ابوالمطراب :

وحالفني الوحوش على الوفاء وتحت عهدهن وبالبعاد

وغولا قفرة ذكراً وأنثى كأن عليهما قطع النجاد

وقال كعب بن زهير الصحابي :

فما تدوم على حال تكون بها كما تلون في أثوابها الغول

وكانت العرب قبل الاسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للبعث

والتحليل واختلال السابلة ، قال ابوالمطراب :

فله در الغول أي رفيقة لصاحب قفر حالف وهو معبر

أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت حوالي نيراناً تلوح وتزهر

وقد فرقوا بين السعلاة والغول ، قال عبيد :

وساخرة مني ولو أن عينها رأته ما رأته عيني من الهول جنت

أبيت بسعلاة وغول بقفرة اذا الليل وارى اللحن فيه أرنت

ووصفها بعضهم فقال :

وحافر العنز في ساق مسدلجة وجفن عين خلاف الانس بالطول

وللناس كلام كثير في الغيلان والشياطين والمردة والجن والقرب والقدر

- وهونوع من أنواع المشيطنة - يعرف بهذا الاسم يظهر في اكناف اليمن

والتهائم وأعالى صعيد مصر ، وانه ربما يلحق الانسان فينكحه فيتدود دبره فيموت

وربما يتوارى للانسان فيذعره ، فاذا أصاب الانسان ذلك منه يقول له أهل تلك

النواحي « أمنكوح أم مذعور » ، فان قال منكوح اياس منه وان كان مسذعوراً

أسكن روعه ، وذلك ان الانسان اذا عاين ذلك سقط مغشياً عليه ، ومنهم من لا يكثر به لشهامة قلبه وشجاعة نفسه .

فيه : وذكر عن علقمة بن صفوان بن أمية الكناني جد مروان بن الحكم لأمه أنه خرج في بعض الليالي يريد مالاله بمكة ، فانهى الى الموضع المعروف بـ « خط عريان » فاذا هوبشق قد ظهر له وقال :

علقم اني مقتول وان لحمي مأكول
أضربهم بالمدلول ضرب غلام مشمول
رحب الذراع بهلول

فقال علقمة :

شق مالي ولك اغمد عني منصلك
تقتل من لا يقتلك

فضرب كل منهما صاحبه فخرا ميتين ، وهذا مشهور عندهم وان علقمة قتلته الجن . وذكر عن الجن بيتين من الشعر قالتها في حرب بن أمية حين قتلته وهما :
وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر
واستدلوا على أن هذا من قول الجن أن أحداً من الناس لم يتأت له أن ينشد هذين البيتين ثلاث مرات متواليات لا يتعنع في انشادها ، لان الناس قد ينشدون العشرين بيتاً والاقل والاكثر أشد من هذا الشعر وأثقل ولا يتعنعون فيه .
وممن قتلته الجن مرداس السلمي ، وهو ابو (عباس بن مرداس السلمي) .
ومنهم الغريض المغني بعد أن ظهر غناؤه ، وقد كانت الجن نهته أن يغني بأبيات من الشعر فغناها فقتلته .

وعن منصور بن زيد الطائي قال : رأيت قبر حاتم الطائي بيعة - وهو أعلى جبل له واد يقال له الحامل - واذا قدر عظمة من بقايا قدوره مكفأة ناحية من

القبر من القدور التي كان يطعم فيها الناس، وعن يمين قبره أربع جوار من حجارة وعلى يساره أربع جوار من حجارة كلهن صاحبة شعر منشور متحجرات على قبره كالثنايات عليه لم يرمثل بياض أجسامهن وجمال وجوههن، مثلهن الجن على قبره ولم يكن قبل ذلك، والجواري بالنهار كما وصفنا فإذا هدأت العيون ارتفعت أصوات الجن بالنياحة عليه ونحن في منازلنا نسمع ذلك الى أن يطلع الفجر، فإذا طلع سكتن وهدأن، وربما مر المار فيراهن فيفتتن بهن فيميل اليهن عجباً بهن، فإذا دنا وجدهن حجارة .

وحدث ابن دريد عن ابي حاتم السجستاني عن ابي عبيدة معمر بن المثنى قال : سمعت شيخاً من العرب قد أناف على المائة يقول : انه خرج وافداً على بعض ملوك بني أمية ، فسار في ليلة صهاكية حالكة كأن السماء قد برقت نجومها بطرائق السحاب وضللت الطريق، فتولجت وادياً لا أعرفه فأهممتني نفسي بطرحها حتى الصباح ، فلم آمن عزيز الجن فقلت « أعوذ برب هذا الوادي من شره وأستجيره في طريقي هذا وأسترشه » ، فسمعت قائلاً يقول من بطن الوادي :

تيا من تجاهك تلق الكلا تسير وتأسن في المسلك

فتوجهت حيث أشار الي وقد أمنت بعض الامن ، فإذا أنا بأقباس نار تلمع أمامي في خللها كالوجوه على قامات كالنخيل السحيقة، فسرت وأصبحت بأوسال - وهو ماء لكلب يقارب برية دمشق - وقد ذكر الله تعالى ذلك من فعلهم فقال « وانه كان رجال من الانس يعوزون برجال من الجن فزادوهم رهقاً » .

قلت : وقال ابن قتيبة تقول العرب : ان الهدهد أمه ماتت فدفنها في رأسه

فلذلك أنتنت ريحه ، وقد ذكر هذا أمية بن ابي الصلت فقال :

غيم وظلماء وفضل سحابة ايام كفن واستراد الهدهد
يبغى القرار لامه ليجننها فبنى عليها في قفاه يمهد

في زال يدلج ما مشى بجنازة منها وما اختلف الحديث المسند
وقال : وتقول العرب في الديك والغراب انهما كانا متنادمين ، فلما نفذ
شرايهما رهن الغراب الديك عند الخمار ومضى فلم يرجع اليه وبقي الديك
عنده حارساً ، قال أمية أيضاً :

بآية قام ينطق كل شيء وخان أمانة الديك الغراب
وفي الصحاح : والهديل فرخ كان على عهد نوح عليه السلام فصاده جارح
من جوارح الطير قالوا : فليس من حمامة الا وتبكي عليه ، قال :
وما من تهتفين به لنصر بأسرع جابة لك من هديل

وفي حيوان الجاحظ : من خرافات العرب ما ذكروا أن جرهماً كان من
نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم ، وكان الملك من الملائكة اذا عصى ربه في
السماء أهبطه الى الارض في صورة البشروفي طبيعته كما صنع بهاروت وماروت
حين كان من شأنهما وشأن الزهرة - وهي أناهيد - ما كان ، فلما عصى الله تعالى
ملك وأهبطه الى الارض في صورة رجل تزوج أم جرهم فولدت جرهماً ،
ولذلك قال شاعرهم :

لاهم ان جرهماً عبادكا الناس طارف وهم تلادكا
ومن هذا النسل ومن هذا التركيب كانت بلقيس ملكة سبأ ، وكذلك كان
ذوالقرنين أمه «فيرى» كانت آدمية وابوه «عبرى» من الملائكة ، ولذلك لما سمع
عمر بن الخطاب رجلاً ينادي يا ذا القرنين قال : أفرغتم من أسماء الانبياء فارتفعتم
الى اسماء الملائكة .

قلت : ومن خرافاتهم أنهم كانوا يقولون : ان الرجل اذا دعى عليه فاضطجع
لجنبه لم يصبه الدعاء ، كأنهم يزعمون انه مثل لو كان الانسان في مكان يرمى فيه
بالسهام فاضطجع لم يصبه سهم .

فلما أسر الكفار خبيب بن عدي الاوسي أحد العشرة الذين بعثهم النبي «ص» عيناً وباعوه بمكة بعد بدر من قريش فأخرجوه من الحرم وصلبوه ، قال ابن هشام في سيرته ، فلما أوثقوه للقتل قال « اللهم انا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا » ثم قال « اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بديداً ولا تغادر منهم أحداً » . قال معاوية : كنت حضرته مع أبي يومئذ فيمن حضره فلقد رأيتني يلقيني ابي الى الارض فرقاً من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون : ان الرجل اذا دعي عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه .

قلت : وفي حياة حيوان الدميري : ان الصياد اذا أراد أن يصيد الضبع رمى في جحرها بحجر فتحسبه شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد ، ويقال لها وهي في جحرها « أطرقى أم طريقي خامري أم عامر أبشرى بجراد عطلي وشاة هزلي » فلا يزال يقال لها ذلك حتى يدخل عليها الصائد فيربط يديها ورجليها ثم يجرها .

والجاحظ يرى هذا من خرافات العرب .

فهرس الكتاب

الفصل الرابع والعشرون

(في حلفه عليه السلام وتعليمه احلاف الظالم وتقيته)

- ٥ استعمال « لا » في الحلف في لغة العرب
٩ كيفية حلف الظالم وقصص فيه
٩ نقض عهود بعض الامراء
١٩ مخالفة علي عليه السلام مع بعض الصحابة في الاحكام

الفصل الخامس والعشرون

(في شكايته عليه السلام من أهل عصره)

- ٢٥ وصف علي عليه السلام دهره
٢٧ تقسيم الناس الى أربعة اصناف
٢٩ في زهد ابن الزبير الكاذب
٣٢ نقد بعض اشراف الكوفة على عثمان

٣٩	بعض اخبار المجاحظ
٤١	خطبة علي عليه السلام في ذكر المكايل
٤٥	تفضيل بعض الصحابة على بعض
٤٨	أحاديث في وصف الاشحاء
٥٥	وجوب انكار المنكر والامر بالمعروف
٥٧	كلامه عليه السلام في وصف زمانه
٦٠	كلامه عليه السلام في صفة الوفاء
٦١	قصص من أوفياء العرب
٦٥	قصص من الغادرين
٦٧	وصف المؤمنين الناجين
٧١	كلامه عليه السلام في عتاب اصحابه
٧١	المفروض من أموال الاغنياء للفقراء

الفصل السادس والعشرون

(نقص الناس واختلافهم وعجائب قلوبهم)

٧٥	وصف ناس منقوصون
٧٩	قصة خالد بن المعمر ومعاوية
٨٢	كلامه عليه السلام في اختلاف الناس
٨٣	أبيات في اختلاف الناس في الحالات والصفات
٨٥	في أن الارواح جنود مجندة
٨٩	قصة المقتدر وابيه المعتضد
٩٢	كلامه عليه السلام في وصف القلب

- ٩٧ بعض ما قيل في الحرص
 ٩٨ أحاديث في الغضب وسوء عاقبته
 ١٠٥ كلامه عليه السلام في صفة الغوغاء
 ١٠٨ المجتمعون عند كل سوء
 ١٠٩ الرجاء بدون عمل
 ١٢٠ أحاديث في الجهال

الفصل السابع والعشرون

(في القضاء والقدر)

- ١٢٥ كلامه عليه السلام في القضاء والقدر في طريق الشام
 ١٣٢ لم يعص الله تعالى مغلوباً
 ١٣٦ وصفه عليه السلام للقدر

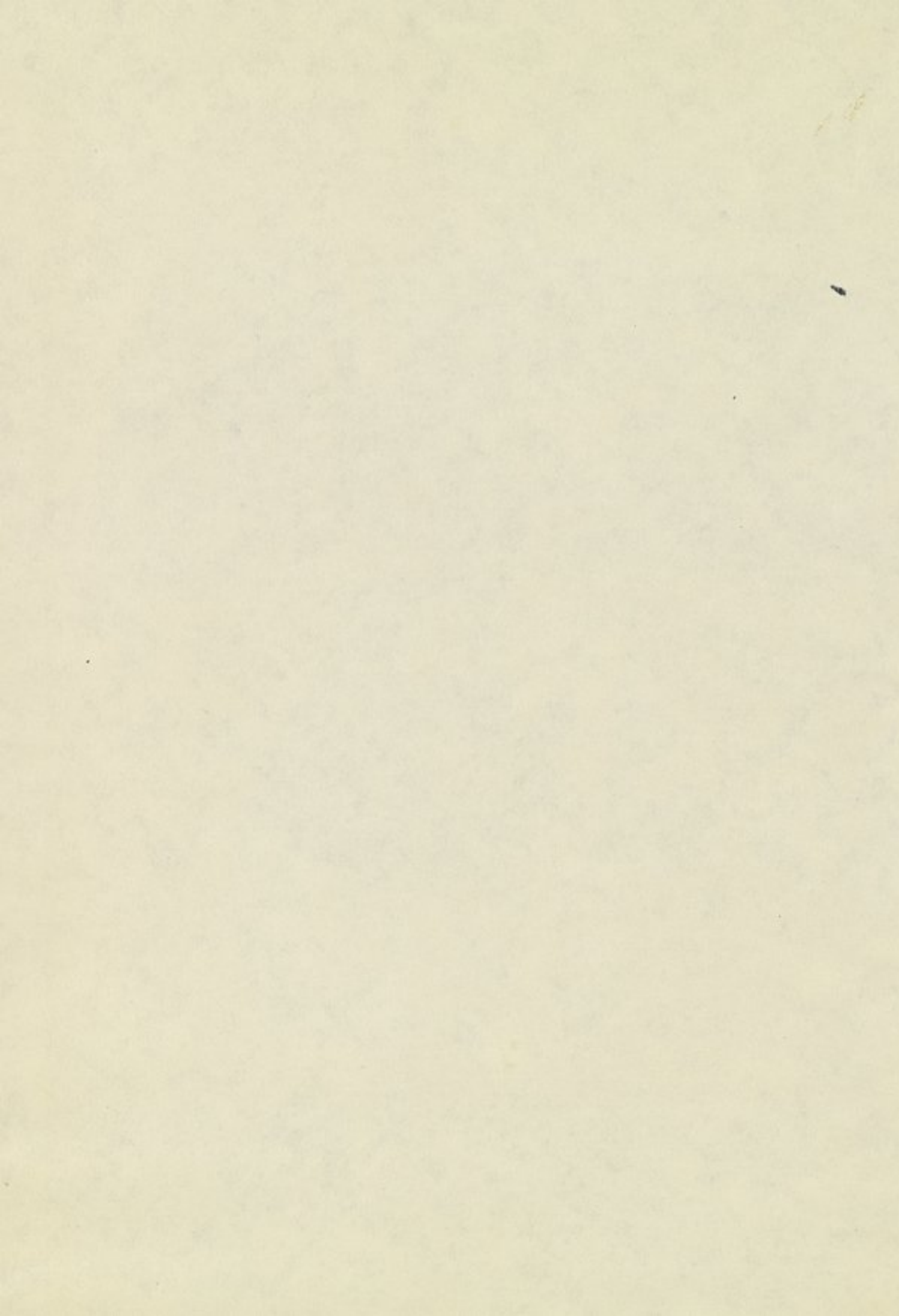
الفصل الثامن والعشرون

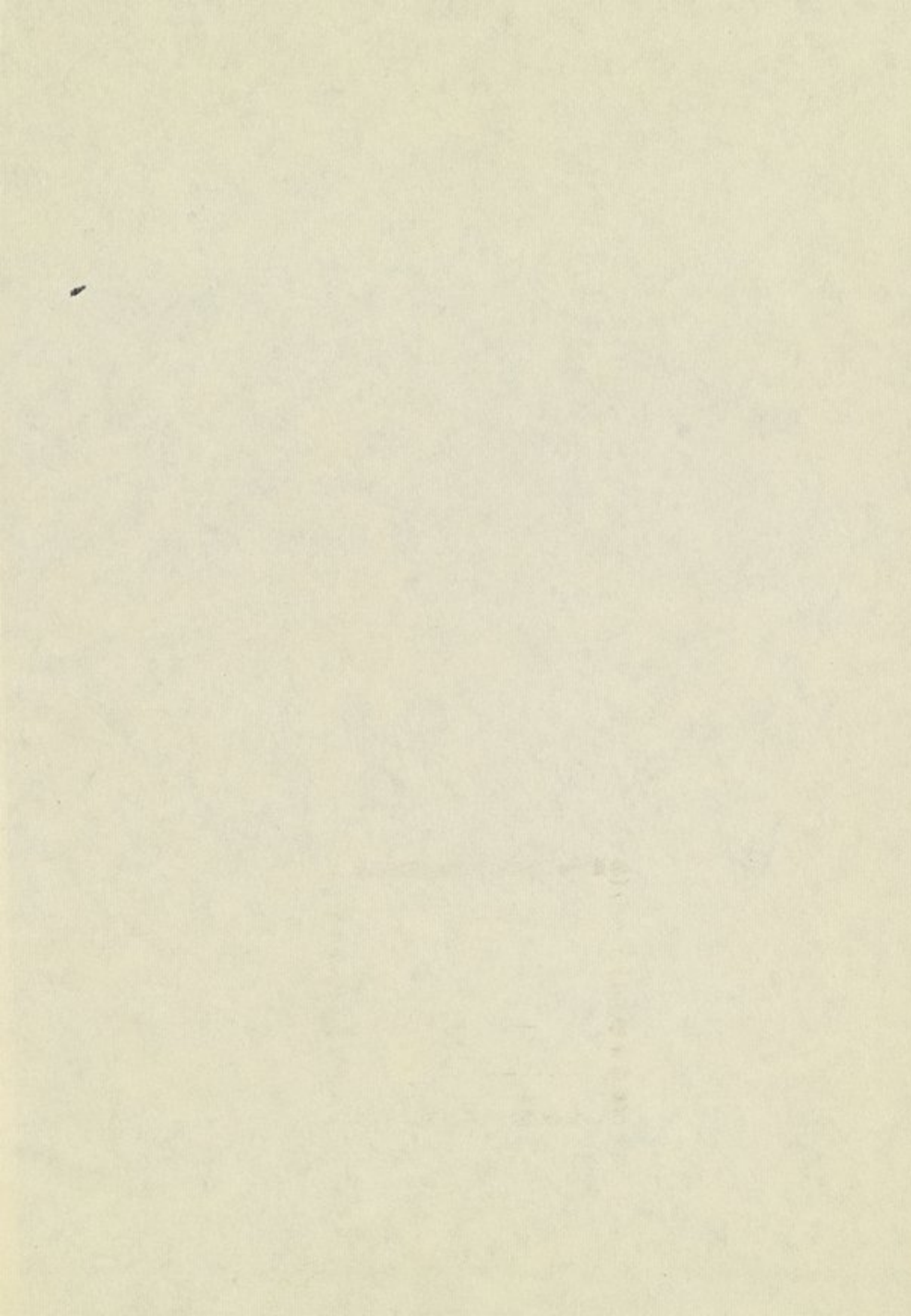
(في كلامه الجامع لمصالح الدين والدنيا)

- ١٤٠ كتابه عليه السلام الى عبدالله بن عباس
 ١٤٥ وصيته عليه السلام الى ابنه الحسن «ع»
 ١٥٠ اختلاف الروايات في هذه الوصية
 ١٦٠ ما بلغه حال بعض المسلمين
 ١٦٧ طرف من أخبار موسى شهوات
 ١٧٣ قصص من نكبات الدهر
 ١٧٦ قصة ابن شخير مع الواثق العباسي
 ١٨٧ بعض فوائد التاريخ

١٩١	احاديث في التوحيد
١٩٤	ما جاء في المكاره والمصائب
٢٠٠	اراءة الحق لداود عليه السلام
٢٣١	حفظ الاسرار عن الغير
٢٤٧	النماء في اليسير من الرزق
٢٥٨	ذم مقاطعة الاخوان
٢٦٣	ما جاء من الشعر في الصبر
٢٦٤	في اختيار الصاحب المناسب
٢٧٥	بعض ما جاء في الجوار والجيران
٢٨٦	ما جاء في العشيرة
٢٩٠	كتابه عليه السلام للاشتر النخعي
٢٩٥	فضائح من العمال والولاة
٣٠٤	ما جاء في شريك القاضي
٣٠٩	قصة ابي دلامة مع السفاح
٣١٩	ما جاء في البخلاء
٣٢٧	حسن الظن بالرعية
٣٣٠	المشاورة مع ذوي الرأي والحكماء
٣٥٦	قضاة الجور وعملاء السوء
٣٦٦	قصة بهرام بن بهرام بن هرمز
٤٠٢	بعض مظالم بنى امية
٤٠٥	قصة بهرام جور
٤١٣	حفظ الذمة بالامانة

- ٤٣٥ وصية اردشير الى من بعده من الملوك
- ٤٤١ عهد ذي اليمينين الى ابنه
- ٤٤٩ كتابه عليه السلام لما ولي محمد بن ابي بكر
- ٤٥١ عهده الى محمد بن ابي بكر حين قلده مصر
- ٤٦٦ احاديث في وصف الموت
- ٤٧٣ كتابه عليه السلام الى عبدالله بن عباس
- ٤٧٦ كتابه عليه السلام الى الحارث الهمداني
- ٤٧٧ ما جاء في الحارث الهمداني
- ٤٨٠ النهي عن اليمين
- ٤٨٢ النهي عن الحديث بكل ما يسمعه الانسان
- ٤٩٤ خطبته عليه السلام في الرزق
- ٤٩٦ خطبته عليه السلام بعد البيعة له
- ٥٠٣ كلام في قداح الميسر
- ٥٠٤ النهي عن التصوف وترك طلب الرزق
- ٥١٠ الاهتمام بالعشيرة والاقارب
- ٥١٣ ما جاء في الانفاق والتقتير
- ٥١٩ طرف من خرافات العرب







اسماعیلیان

چاپ - نشر - صحافی و جلدسازی

ایران - قم

تلفن: ۵۲۱۲ - ۵۲۱۱

Princeton University Library



32101 047142474